

الروض الألف

في تفسیر السيرة النبوية لابن هشام

للفقيه المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله

ابن أحمد بن أبي الحسن الخنعمي

السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

١١١٤ - ١١٨٥ م

ومعه

السيرة النبوية

للامام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري

الوفى سنة ٢١٣ هـ

قدم له وعلق عليه وضبطه

طاهر الرضوي

الجزء الثالث

يطلب من

مطبوعات

مكتبة ومطبعة

عباس عبد السلام شقرون

طابع بيرس باهنادي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طبعة جديدة

مضبوطة - منقحة

روجعت على عدد من الطباعات القديمة

وعلى نسخة قدوة الأمراء وحجة

العلماء مولانا : عبد الحفيظ

سلطان المغرب الأقصى سابقا

مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة

٧ - مر درويشان

أول شارع الجيش

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

معنى العاقب والسيد والأسقف : قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نصارى نجران . ستون راكبا ، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم ، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر لإيهم يشول أمرهم : العاقب ، أمير القوم وذو رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، والذي لا يصعدرون إلا عن رأيه ، واسمه : عبد المسيح ، والسيد لهم : ثمالهم ، وصاحب رحلهم ومجتمعهم ، واسمه : الأيهم ، وأبو حارثة ابن علقمة ، أحد بني بكر بن وائل ، أسقفهم وحبرهم وإمامهم ، وصاحب مدراسهم .

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ، ودرس كتبهم ، حتى حسن عليه في دينهم ، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم .

إسلام كوز بن علقمة : فلما رجعوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من نجران ، جلس أبو حارثة على بغلة له موجهة ، وإلى جنبه أخ له ، يقال له : كوز بن علقمة - قال ابن هشام : ويقال : كرز - فعثرت بغلة أبي حارثة ، فقال كوز : تعس الأبعد : يريد : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست ! فقال : ولم يا أخي ؟ قال : والله إنه للنبي الذي كنا ننتظر ، فقال له كوز : ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ومولونا وأكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافة ، فلو فعلت نزعوا منا كل ماترى . فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة ، حتى أسلم بعد ذلك . فهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغني .

رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس : قال ابن هشام : وبلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبنا عندهم . فكلما مات رئيس منهم ، فأفضت الرياسة إلى غيره ، ختم على تلك الكتب خاتما مع الخواتم التي كانت قبله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - يمشي ، فعثر ، فقال له ابنه : تعس الأبعد ! يريد النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له أبوه : لا تفعل ، فإنه نبي ، واسمه في الوضائع ، يعني . . الكتب ، فلما مات لم تكن لابنه همة إلا أن شد فكسر الخواتم ، فوجد فيها ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسلم لحسن إسلامه وحج ، وهو الذي يقول :

إليك تعدو قلقا وضيئها معترضا في بطنها جنيئها

مخالفا دين النصارى دينها

قال ابن هشام : الوضين : الحزام ، حزام الناقة . وقال هشام بن عروة : وزاد فيه أهل العراق :

معترضا في بطنها جنيئها

فأما أبو عبيدة فأنشدناه فيه .

صلائهم إلى جهة المشرق : قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : لما قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الخبرات ، جيب وأردية ، في جمال رجال بني الحارث بن كعب . قال : يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ : ما رأينا وفداً مثلم ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلون ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعوهم ، فصلوا إلى المشرق .

أسماءهم ومعتقدهم: قال ابن إسحاق : فكانت تسمية الأربعة عشر، الذين يتول إليهم أمرهم : العاقب ، وهو عبد المسيح ، والسيد وهو الایهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل ، وأوس ، والحارث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد ، ونبيه ، وخويلد ، وعمر ، وخالد ، وعبد الله ، ويحنس ، في ستين راجبا ؛ فكلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم أبو حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح ، والایهم السيد - وهم من النصرانية على دين الملك ، مع اختلاف من أمرهم ، يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة . وكذلك قول النصرانية .

فهم يحتجون في قولهم : هو الله ، بأنه كان يحس الموتى ، ويبرئ الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائرا ، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى : ولنجعله آية للناس . .
ويحتجون في قولهم : إنه ولد الله ، بأنهم يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم في المهد ، وهذا لم يصنمه أحد من ولد آدم قبله .

ويحتجون في قولهم : إنه ثالث ثلاثة ، بقول الله : فعلنا ، وأمرنا ، وخلقنا ، وقضينا ، فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلت ، وقضيت ، وأمرت ، وخلقته ، ولكنه هو وعيسى ومريم . ففى كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن - فلما كلمه الخبران ، قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسلما ، قالوا : قد أسلما ، قال : إنكما لم تسلما ، فأسلما ، قالوا : بلى ، قد أسلما قبلك . قال : كذبتما ، ينمكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتكما الصليب ، وأكلكما الخنزير ؛ قالوا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يجبهما .

ما نزل فيهم من القرآن : فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كله ، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ، فقال جل وعز : ألم الله لا إله إلا هو الحى القيوم . ، فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا ، وتوحيده إياها بالخلق والأمر ، لا شريك له فيه ، ردأ عليهم ما ابتدعوا من الكفر ، وجعلوا معه من الانداد ، واحتجاجا بقولهم عليهم في صاحبهم ، ليعرفهم بذلك ضلالتهم ، فقال : ألم الله لا إله إلا هو ، ليس معه غيره شريك في أمره . الحى القيوم ، الحى الذى لا يموت ، وقد مات عيسى وصلب في قولهم . والقيوم : القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول ، وقد زال عيسى في قولهم من مكانه الذى كان به ، وذهب عنه إلى غيره . ونزل عليك الكتاب بالحق ، أى بالصدق فيما اختلفوا فيه : وأنزل التوراة والإنجيل : التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، كما أنزل الكتب على من كان قبله : وأنزل الفرقان ، أى الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره . إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد ، والله عزيز ذو انتقام ، أى : إن الله منتقم من كفر بآياته ، بعد علمه بها ، ومعرفة بما جاء منه فيها : إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، أى قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى ، إذ جعلوه إلهاً ورباً ، وعندهم من علمه غير ذلك ، غرة بالله ، وكفرأ به . هو الذى يصوركم في الأرحام كيف يشاء ، أى : قد كان عيسى من صور في الأرحام ، لا يدفعون ذلك ولا يشكرونه ، كما صور غيره من ولد آدم ، فكيف يكون إلهاً ، وقد كان بذلك المنزل ؟ ثم قال تعالى إنزاهاً لنفسه ، وتوحيداً لها بما جعلوا معه : لا إله إلا هو العزيز الحكيم ،

العزير في انتصاره من كفر به إذا شاء ، الحكيم في حجته وعذره إلى عباده . وهو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، فيهن حجة الرب ، وعصمة العباد ، ودفع الخصوم والباطل ، ليس لمن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه ، وآخر متشابهات ، لمن تصريف وتأويل ، ابتلى الله فيهن العباد ، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ، ألا يصرفن إلى الباطل ، ولا يحرفن عن الحق . يقول عز وجل : « فأما الذين في قلوبهم زيغ ، أي : ميل عن الهدى ، فيقتبعون ما تشابه منه ، أي ما تصرف منه ، ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ، لتكون لهم حجة ، ولهم على ما قالوا شبهة » ابتغاء الفتنة ، أي : التليس ، وابتغاء تأويله . ذلك على ما ركبوا من الشلالة في قولهم : « خلقنا وقضينا يقول : « وما يعلم تأويله ، أي : الذي به أرادوا ما أرادوا ، إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، كيف يختلف أوهو قول واحد ، من رب واحد ؟ ، ثم ردوا تأويل التشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، واتسق بقولهم الكتاب ، وصدق بعضه بعضا ، فنفذت به الحجة ، وظهر به العذر ، وراح به الباطل ، ودمغ به الكفر . يقول الله تعالى في مثل هذا : « وما يذكر ، في مثل هذا ، إلا أولو الألباب . ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا : أي لا تمل قلوبنا ، وإن ملنا بأحداثنا . وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . » ثم قال : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ، بخلاف ما قالوا قائما بالقسط ، أي بالعدل فيما يريد . لا إله إلا هو العزيز الحكيم » إن الذين عند الله الإسلام ، أي : ما أنت عليه يا محمد : التوحيد للرب ، والتصديق للرسول . وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم ، أي : الذي جاءك ، أي : أن الله الواحد الذي ليس له شريك . بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله ، فإن الله سريع الحساب . فإن حاجوك ، أي : بما يأتون به من الباطل من قولهم : « خلقنا وفعلنا وأمرنا ، فانما هي شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق وفعل أسلمت وجهي لله ، أي وحده . ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأمين ، الذين لا كتاب لهم ، وأسلمتم ، فإن أسلبوا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد . »

ما نزل من القرآن فيما اتبعه اليهود والنصارى : ثم جمع أهل الكتابين جميعا ، وذكر ما أحدثوا وما ابتدعوا ، من اليهود والنصارى ، فقال : « إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، إلى قوله : « قل : اللهم مالك الملك ، أي : رب العباد ، والمالك الذي لا يقضى فيهم غيره » توتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء بيدك الخير ، أي : لا إله غيرك ، إنك على كل شيء قدير ، أي لا يقدر على هذا غيرك بساطانك وقدرتك . « توجل الليل في النهار ، وتوجل النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت ، وتخرج الميت من الحي ، بملك القدرة » وترزق من تشاء بغير حساب ، لا يقدر على ذلك غيرك ، ولا يصنعه إلا أنت ، أي : فإن كشت سلطت عيسى على الأشياء التي بها يزعمون أنه إله ، من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام والخلق للطير من الطين ، والإخبار عن القيوب ، لأجعله به آية للناس ، وتصديقا له في نبوته التي بعثته بها إلى قومه ، فإن من ساطاني وقدرتي ما لم أعطه تملك الملوك بأمر النبوة ، ووضعها حيث شئت ، ولم يلاج الليل في النهار ، والنهار في الليل ، وإخراج الحي من الميت ، وإخراج الميت من الحي ، ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب ، فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملكه لإيائه ، أفلم تكن لهم في ذلك عبرة وبينة ! أنلو كان إله كان ذلك كله إليه ، وهو في علمهم يهرب من الملوك وينتقل منهم في البلاد ، من بلد إلى بلد .

ما نزل من القرآن في وعظ المؤمنين وتحذيرهم : ثم وعظ المؤمنين وحذرهم ، ثم قال : « قل إن كنتم تحبون الله ، ، أي : إن كان هذا من قولكم حقاً ، حباً لله وتعظيماً له ، فاتبعوني يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم ، أي : ما مضى من كفركم ، والله غفور رحيم . قل : أطيعوا الله والرسول ، فأنتم تعرفونه وتجدونه في كتابكم ، فإن تولوا ، ، أي : على كفرهم ، فإن الله لا يحب الكافرين . »

ما نزل في خلق عيسى وخبر مريم وذكرها : ثم استقبل لهم أمر عيسى عليه السلام ، وكيف كان بدء ما أراد الله به ، فقال : « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم ، وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم ، ثم ذكر أمر امرأة عمران ، وقولها : « رب إنني نذرت لك ما في بطني محرراً ، ، أي : نذرت له فجعلته عتيقاً ، تعبد الله ، لا يلتفت به لشيء من الدنيا : « فقبل مني ، إنك أنت السميع العليم . فلما وضعها قالت : رب إنني وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكور إلا أنثى ، أي : ليس الذكر إلا أنثى لما جعلتها محرراً لك نذيرة ، ولأنى سميتها مريم ، ولأنى أعيدناها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . » يقول الله تبارك وتعالى : « فقبلها ربها بقبول حسن ، وانبتها نباتاً حسناً ، وكفلها زكريا ، بعد أبيها وأما . »

قال ابن هشام ، كفلها : ضمها .

قال ابن اسحاق : فذكرها باليتيم ، ثم قص خبرها وخبر زكريا ، وما دعا به ، وما أعطاه ، اذ وهب له يحيى ثم ذكر مريم ، وقول الملائكة لها « يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » ، يا مريم ائنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ، يقول الله عز وجل : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم ، أي : ما كنت معهم ، إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم . »

قال ابن هشام : أقلامهم : سهامهم ، يعنى قد أحسم الله استهموا بها عليها ، فخرج قدح زكريا فضعها ، فيما قال الحسن بن أبى الحسن البصرى .

كفالة جريج لمريم قال ابن اسحاق : كفلها هاهنا جريج الراهب ، رجل من بنى اسرائيل نجار ، خرج السهم عليه فحملها ، وكان زكريا قد كفلها قبل ذلك ، فأصابته بنى اسرائيل أزمة شديدة ، فعجز زكريا عن حملها ، فاستهموا عليها أيهم يكفلها ، فخرج السهم على جريج الراهب بكفولها فكفلها . « وما كنت لديهم إذ يختصمون ، أي : ما كنت معهم إذ يختصمون فيها . يخبره بخفي ما كنتموا منه من العلم عندهم ، لتحقيق نبوته والحجة عليهم بما بأنهم به بما أخفوا منه . »

ثم قال : « إذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه : المسيح عيسى بن مريم ، أي : هكذا كان أمره ، لا كما تقولون فيه ، وجبها في الدنيا والآخرة ، أي عند الله ، ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ، يخبرهم بحالاته التى يتقلب فيها في عمره ، كتقلب بنى آدم في أعمارهم ، صغاراً وكباراً ، إلا أن الله خصه بالكلام في مهده آية لنبوته ، وتعريفا للعباد بمواقع قدرته . « قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟ قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، أى يصنع ما أراد ، ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن ، مما يشاء وكيف شاء ، فيكون ، كما أراد . »

ثم أخبرها بما يريد به ، فقال : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة ، التى كانت فيهم من عهد موسى قبله ، والإنجيل ، كتاباً آخر أحدثه الله عز وجل إليه لم يكن عندهم الا ذكره أنه كائن من الأنبياء بعده ، ورسولاً

للبنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أى يحقق بها نبوتى ، أنى رسول منه اليكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، الذى بعثنى إليكم ، وهو ربى وربكم ، وأبرىء الأكمة والأبرص .
قال ابن هشام : الأكمة : الذى يولد أعمى . قال رؤبة بن العجاج :

هرجت فارتد ارتداد الأكمة

قال ابن هشام : هرجت : صعد بالآمد ، وجلبت عليه . وهذا البيت فى أرجوزة له .

وأحى الموتى : بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، إن فى ذلك لآية لكم ، أنى رسول الله من الله اليكم ، إن كنتم مؤمنين ، ومصدقا لما بين يدى من التوراة ، أى لما سبقنى عنها ، ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، أى أخبركم به أنه كان عليكم حراماً فتركتموه ، ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم ، فتصيرون يسره وتخرجون من تبعاته ، وجئتكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربى وربكم ، أى تبرا من الذين يقولون فيه ، واحتجاجاً لربه عليهم ، فاعبدوه هذا صراط مستقيم ، أى هذا الذى قد حملتكم عليه وجئتكم به . فلما أحس عيسى منهم الكفر ، والعدوان عليه ، قال من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله ، هذا قولهم الذى أصابوا به الفضل من ربهم . واشهد بأننا مسلمون ، لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه ، وربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكثبنا مع الشاهدين ، أى هكذا كان قولهم ولما بهم .

رفع عيسى عليه السلام : ثم ذكر سبحانه وتعالى رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله ، فقال : ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقرؤا لليهود بصلبه ، كيف رفعه وطهره منهم ، فقال : ولما قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ، ومطهرك من الذين كفروا ، لاذ هموا منك بما هموا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة . ثم القصصة حتى انتهت إلى قوله : ذلك نتلوه عليك ، يا محمد ، من الآيات والذكر الحكيم ، القاطع الفاصل الحق ، الذى لا يخالطه الباطل ، من الخبر عن عيسى ، وهما اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلن خبراً غيره . وإن مثل عيسى عند الله ، فاستمع . كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك ، أى ما جاءك من الخبر عن عيسى ، فلا تكن من الممترين ، أى قد جاءك الحق من ربك فلا تترين فيه ، وإن قالوا : خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب ، بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر ، فكان كما كان عيسى لحماً ودماً ، وشعراً وبشراً ، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا ، فمن حاجلك فيه من بعد ما جاءك من العلم ، أى من بعد ما قصصت عليك من خبره ، وكيف كان أمره ، فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين .

قال ابن هشام : قال : أبو عبيدة : نبتهل : ندعو باللعنة قاله أعشى بن قيس بن ثعلبة :

لا تقعدن وقد أكلتها خطبا نموذ من شرها يوما ونبتهل

وهذا البيت فى قصيدة له . يقول : ندعو باللعنة . وتقوله العرب : بهل الله فلانا ، أى لعنه وعليه بهلة الله . قال ابن هشام : ويقال : بهلة الله ، أى لعنة الله ، ونبتهل أيضاً : نجتهد ، فى الدعاء :

قال ابن إسحاق : وإن هذا ، الذى جئت به من الخبر عن عيسى ، لهو القصص الحق ، من أمره وما من إله

إلا الله ، وإن الله هو العزيز الحكيم . فإن تولوا ، فإن الله عليم بالمفسدين . قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون . . فدعاهم إلى النصف ، وقطع عنهم الحجة .

إبائهم الملائنة : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عنه ، والفصل من القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ، فقالوا له : يا أبا القاسم ، دهننا ننظر في أمرنا ، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه . فانصرفوا عنه ، ثم خلوا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم ، فقالوا يا عبد المسيح ، ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً نبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم ما لا عن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا لآل دينكم ، والإقامة على ما أتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل . ثم انصرفوا إلى بلادكم . فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ، يا أبا القاسم : قد رأينا ألا نلاعنك ، وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعت معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا ، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فانكم عندنا رضاء .

أبو عبيدة يتولى أمرهم : قال محمد بن جعفر : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اثتوني العشيعة أبعث معكم القوى الأمين قال : فكان عمر بن الخطاب يقول : ما أحببت الإمارة قط حتى إياها يومئذ ، رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت إلى الظهر مهجراً ، فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم نظر عن يمينه وعن يساره ، فجمعت أظفاله له ليراني ، فلم يزل يلمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه فقال : اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه . قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة .

نبد من ذكر المنافقين

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة - كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة - وسيد أهلها عبد الله بن أبي بن سلول العوفي ثم أحد بنى الحبل ، لا يختلف عليه في شرفه اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين ، حتى جاء الإسلام ، غيره ، ومعه في الأوس رجل ، هو في قومه من الأوس شريف مطاع ، أبو عامر عبد عمرو بن صيني بن النعمان ، أحد بنى ضبيعة بن زيد ، وهو أبو حنظلة ، الغسيل يوم أحد ، وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، وكان يقال له : الراهب فشقياً بشرفهما وضرهما .

فأما عبد الله بن أبي فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ، ثم يملكونهم عليهم ، فجاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم . وهم على ذلك . فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن ، ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكاً . فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارهاً مصرراً على نفاق وضغن .

وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج منهم إلى مكة بيضعة عشر رجلاً مفارقاً للإسلام وارسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما حدثني محمد بن أبي أمامة عن بعض آل حنظلة بن أبي عامر : لا تقولوا الراهب ولكن قولوا : النفاق .

قال ابن إسحاق : وحدثني جعفر بن عبد الله بن أبي الحكيم ، وكان قد أدرك وسمع ، وكان راوية أن :
أبا عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة ، قبل أن يخرج إلى مكة ، فقال : ما هذا الدين الذي
جئت به ؟ فقال : جئت بالحنيفية دين إبراهيم ، قال : فأنا عليها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك
لست عليها ، قال : بلى ، قال : إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها ، قال : ما فعلت ، ولكنني جئت بها
بيضاء نقية ، قال : الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً - يعرض برسول الله صلى الله عليه وسلم - أي أنك جئت
بها كذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ، فمن كذب ففعل الله تعالى ذلك به . فكان هو ذلك عدو الله
خرج إلى مكة ، فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج إلى الطائف . فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام
فأت بها طريداً غريباً وحيداً .

وكان قد خرج معه علقمة بن علاثة بن عوف بن الاحوص بن جعفر بن كلاب ، وكنانة بن عبد ياليل بن
عمرو بن عمير الثقفي ، فلما مات اختصما في ميراثه إلى قيصر ، صاحب الروم . فقال قيصر : يرث أهل المدر أهل
المدر ، ويرث أهل الوبر أهل الوبر ، فورثه كنانة بن عبد ياليل بالمدر دون علقمة .

فقال كعب بن مالك لأبي عامر فيما صنع :

معاذ الله من عمل خيبت كسعيك في العشرة عبد عمرو
فإما قلت لي شرف ونخل فقد ما بعث إيماننا بكفر

قال ابن هشام : ويروى :

فإما قلت لي شرف ومال

قال ابن إسحاق : وأما عبد الله بن أبي فأقام على شرفه في قومه متردداً . حتى غلبه الإسلام ، فدخل فيه كارهاً ،
قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن أسامة بن زيد بن حارثة ، حب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة يعود من شكو أصابه
على حمار عليه إكاف ، فوقع قطيفة فدكية مختطمة بحبل من ليف ، وأردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه
قال : فر بعبد الله بن أبي ، وهو في ظل مزاحم أطمه .

قال ابن هشام : مزاحم : اسم الأطم .

قال ابن إسحاق : وحوله رجال من قومه ، فلما رآه صلى الله عليه وسلم تذمم من أن يجاوزه حتى ينزل فنزل
فسلم ثم جلس قليلاً فتلا القرآن ودعا إلى الله عز وجل ، وذكر بالله وحذر ، وبشر وأنذر قال : وهو زام لا يتكلم
حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالته ، قال : يا هذا ، إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقاً
فاجلس في بيتك فمن جاءك فحدثه إياه ، ومن لم يأتك فلا تغته به ، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه ، فقال
عبد الله بن رواحة في رجال كانوا عنده من المسلمين : بلى ، فاعشنا به ، واثقنا في مجالسنا ودورنا وبيتنا ، فهو
والله بما نحب وبما أكرمنا الله به وهذاننا له ، فقال عبد الله بن أبي حين رأى من خلاف قومه ما رأى :

مق ما يكن مولاك خصمك لا تزل تذل ويصرعك الذين تصارع
وهل ينهض البازي بغير جناحه وإن جذ يوماً ريشه فهو واقع

قال ابن هشام : البيت الثاني عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن أسامة ، قال : وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على سعد بن عباد ، وفي وجهه ما قال عدو الله ابن أبي ، فقال : والله يا رسول الله إني لأرى في وجهك شيئاً ، لكأنك سمعت شيئاً تكرهه ، قال : أجل ثم أخبره بما قال ابن أبي : فقال سعد : يا رسول الله ، أرفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لننظم له الخرز لتوجه ، فوالله إنه ليرى أن قد سلبته ملكاً .

ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة ، وعمر بن عبد الله بن عروة ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم المدينة ، قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم ، فصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم . قالت فكان أبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وبلال موليا أبي بكر ، مع أبي بكر في بيت واحد ، فأصابهم الحمى ، فدخلت عليهم أعودهم ، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، وبهم ما لا يعلم إلا الله من شدة الوعك فدنوت من أبي بكر فقلت له كيف تجدك يا أبت ؟ فقال :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله

قالت : فقلت : والله ما يدري أبي ما يقول . قالت : ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت له كيف تجدك

يا عامر ؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حثفه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمي جلده بروقه

يريد : بطاقته ؛ فيما قال ابن هشام : قالت : فقلت : والله ما يدري ما يقول أ قالت وكان بلال إذا تركته

الحمى اضطجع بفناء البيت ، ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بفج وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه بحنة وهل يبذلون لي شامة وطفيل

قال ابن هشام : شامة وطفيل : جبلان بمكة .

دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل وباء المدينة إلى مهيعة

قالت عائشة رضي الله عنها : فذكرت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم ، فقلت : إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى . قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حبيب إلينا المدينة كما حبيب إلينا مكة ، أو أشد ، وبارك لنا في مداها وصاعها وانقل وباءها إلى مهيعة ، ومهيعة : الجحفة .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري ، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

العاصي

لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة ، حتى جاهدوا مرضاً ، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، حتى كانوا ما يصلون إلا وهم قهوه ، قال : فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك ، فقال لهم اعلوا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم . قال : ففتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل .

بدء قتال المشركين : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لحربه . قام فيما أمره الله به من جهاد عدوه ، وقاتل من أمره الله به من يليه من المشركين ، مشركى العرب ، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة .

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

قد تقدم أن نجران عرفت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأما أهلها فهم : بنو الحارث ابن كعب من مذحج .

كن فيكون : ذكر فيه قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم : من أبوه يا محمد ، يعنون عيسى فأُنزل الله تعالى : إن مثل عيسى عند الله ، إلى قوله : كن فيكون ، وفيها نكتة ، فإن ظاهر الكلام أن يقول : خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فكان ، فيعطف بلفظ الماضي على الماضي ، والجواب : أن الفاء تعطى التعقيب والتسبيب ، فلو قال : فكان لم تدل الفاء إلا على التسبيب ، وأن القول سبب للكون ، فلما جاء بلفظ الحال دل مع التسبيب على استعقاب الكون للأمر من غير مهل ، وأن الأمر بين الكاف والنون ، قال له : كن فإذا هو كائن ، واقتضى لفظ فعل الحال كونه في الحال ، فإن قيل وهي مسألة أخرى : إن آدم مكث دهرأ طويلاً ، وهو طين صلصال ، وقوله للشئ : كن فيكون يقتضى التعقيب ، وقد خلق ، السموات والأرض في ستة أيام ، وهي ستة آلاف سنة فأين قوله . كن فيكون من هذا ؟

فالجواب : ما قاله أهل العلم في هذه المسألة ، وهو أن قول الباري سبحانه : كن يتوجه إلى المخلوق مطلقاً ومقيداً ، فإذا كان مطلقاً كان كما أراد لحينه ، وإذا كان مقيداً بصفة أو بزمان كان كما أراد على حسب ذلك الزمان الذي تقيّد الأمر به ، فإن قال له : كن في ألف سنة ، كان في ألف سنة ، وإن قال له : كن فيـما دون اللحظة كان كذلك .

معنى آيات محكمات : فصل ، وذكر صدر سورة آل عمران ، وفسر منه كثيراً ، فنه قوله سبحانه : منه آيات محكمات ، وهو ما لا يحتمل إلا تأويلاً واحداً ، وهو عندي من أحكمت الفرس بحكمته ، أى : منعه من العدول عن طريقه كما قال حسان :

ونحكم بالقوافي من هجانا

أى : نلججه فمنعه ، وكذلك الآية المحكمة لا تنصرف بفارمها التأويلات ، ولا تتعارض عليه الاحتمالات ، وليس من لفظ المحكمة ، لأن القرآن كله حكمة وعلم . والمتشابه يميل بالناظر فيه إلى وجوه مختلفة ، وطرق متباينة ، وقوله سبحانه : كتاب أحكمت آياته ، هذا من المحكمة ومن الأحكام الذى هو الإتيان ، فالقرآن كله محكم على هذا ، وهو كله من هذا الوجه متشابه أيضاً ، لأن بعضه يشبه بعضاً في براعة اللفظ ، وإعجاز النظم ، وجزالة المعنى ، وبهاتج المحكمة ، فشكله متشابه وكله محكم ، وعلى المعنى الأول : منه آيات محكمات ،

« وأخر متشابهات ، فأهل الزيغ يعطفون المتشابه على أهوائهم ، ويجادلون به عن آرائهم ، والراسخون في العلم يردون المتشابه إلى المحكم أخذاً بقول الله تعالى : « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ، وعلماً بأن الكل من عند الله . فلا يخالف بعضه بعضاً . روت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » ، قال : إذا رأيتم الذين يجادلون فيه ، فهم أولئك فاحذروهم : وللسلف في معنى المحكم ومعنى المتشابه أقوال متقاربة ، إلا أن منهم من يرى الوقف على قوله : « وما يعلم تأويله إلا الله » ، ويروونه تمام الكلام ، ويحتجون بقراءة ابن عباس ويقول الراسخون في العلم ، وهو قول عمر بن عبد العزيز أن الراسخين في العلم لا يعلمون التأويل ، وإن علموا التفسير . والتأويل عند هؤلاء غير التفسير ، إنما هو عندهم في معنى قوله سبحانه : « يوم يأتي تأويله » ، وطائفة يرون أن قوله : والراسخون معطوف على ما قبله ، ولأنهم عالمون بالتأويل ، ويحتجون بما يطول ذكره من أثر ونظر ، والذي أرتضيه من ذلك مذهب ثالث ، وهو الذي قاله ابن إسحاق في هذا الكتاب ، ومعناه كله أن الكلام قد تم في قوله : وما يعلم تأويله إلا الله . والراسخون في العلم : مبتدأ . لكن لا نقول : لأنهم لا يعلمون تأويله . كما قالت الطائفة الأولى ، ولكن نقول : لأنهم يعلمونه برد المتشابه إلى المحكم ، وبالأستدلال على الخفى بالجلي ، وعلى المختلف فيه بالمتفق عليه ، فتنفذ بذلك الحجة ، ويزاح الباطل ، وتعظم درجة العالم عند الله تعالى ، لأنه يقول : آمنت به كل من عند ربى فكيف يختلف ؟ ولما كان العلمان مختلفين : علم الله ، وعلم الراسخين في العلم لم يحز عطف : والراسخون ، على ما قبله ، فأنه يعلم تأويله العلم القديم لا بتذكر ، ولا بتفكير ، ولا بتدقيق نظر ، ولا بفحص عن دليل ، فلا يعلم تأويله هكذا إلا الله . والراسخون في العلم يعلمون تأويله بالفحص عن الدليل ، وبتدقيق النظر وتسديد العبر فهم كما قال الله تعالى : « وما يذكر إلا أولو الألباب » ، وهذا معنى كلام ابن إسحاق في الآية .

احتجاج القسيسين والأخبار للتثليث : فصل : وذكر احتجاج الأخبار والقسيسين من أهل نجران بقوله عز وجل : خلقنا وأمرنا وأشباه ذلك ، وقالوا هذا يدل على أنه ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم ، وهذا من الزيغ بالمتشابه ، دون رده إلى المحكم نحو قوله : « وإلهكم إله واحد » ، و : « قل هو الله أحد » ، والعجب من ضعف عقولهم : كيف احتجوا على محمد بما أنزل على محمد ، وهو أعلم بمعنى ما أنزل عليه ، لأن هذا اللفظ الذي احتجوا به مجاز عربى ، وليس هو لفظ التوراة والإنجيل ، وأصل هذا المجاز في العربية أن الكتاب إذا صدر عن حضرة ملك كانت العبارة فيه عن الملك بلفظ الجمع دلالة على أنه كلام ملك متبوع على أمره ، وقوله ، فلما خاطبهم الله تعالى بهذا الكتاب العزيز أنزله على مذاهبهم في الكلام ، وجاء اللفظ فيه على أسلوب الكلام الصادر عن حضرة الملك ، وليس هذا في غير اللسان العربى ، ولا يتطرق هذا المجاز في حكم العقل إلى الكلام القديم ، إنما هو في اللفظ المنزل ، ولذلك نجده إذا أخبر عن قول قاله لنبى قبلنا ، أو خاطب به غيرنا نحو قوله : « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ، ولم يقل : خلقنا بأيدينا ، كما قال : بما عملته أيدينا ، وقال حكاية عن وحيه لموسى : « ولتصنع على عيني » ، ولم يقل : كما قال في الآية الأخرى : « تجري بأعيننا » ، لأنه أخبر عن قول قاله لم ينزله بهذا اللسان العربى ولم يحك لفظاً أنزله ، وإنما أخبر عن المعنى ، وليس المجاز في المعنى ، وكذلك لا يجوز لعبد أن يقول رب اغفروا ، ولا ارحموني ، ولا عليكم توكلت ، ولا إليكم أنبت ، ولا فالها نبى قط في مناجاته ، ولا نبى في دعائه لوجهين ، أحدهما : أنه واجب على العبد أن يشعر قلبه التوحيد ، حتى يشاكل لفظه عقده . الثانى : ما قدمناه من سير هذا المجاز ، وأن سببه صدور الكلام عن حضرة الملك موافقة للعرب في هذا الأسلوب من كلامها ، واختصاصها بعادة ملوكها وأشرافها ، ولا تنظر لقول من قال في هذه المسألة ، وبذلك روجعوا ، يعنى : بلفظ الجمع ، واحتج بقوله سبحانه خبراً عن

حضره الموت من الكفار إذ يقول : رب ارجعون ، فيقال له : هذا خبر عن حضرته الشياطين ، ألا ترى قبله : وأعوذ بك رب أن يحضرون ، فإنما جاء هذا حكاية عن حضرته الشياطين ، وحضرته زبانية العذاب وجرى على لسانه في الموت ما كان يعتاده في الحياة من رد الأمر إلى المخلوقين ، فلذلك خطئ ، فقال : رب ، ثم قال : ارجعون ، وإلا فأنت أيها الرجل المجيز لهذا اللفظ في مخاطبة الرب سبحانه : هل قلت قط في دعائك : ارحمون يا رب ، وارزقون ؟ بل لو سمعت غيرك يقولها اسطوت به ، وأما قول مالك وغيره من الفقهاء الأمر عندنا ، أو أرينا كذا ، أو نرى كذا ، فإنما ذلك ، لأنه قول لم ينفرد به ، ولو انفرد به لكان بدعة ، ولم يقصد به تعظيماً لنفسه ، لا هو ولا غيره من أهل الدين والدعة .

احتجاجهم لألوهية عيسى والرد عليهم : وأما احتجاج القسيسين بأنه كان يحيى الموتى ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه ، فلو تفكروا لأبصروا أنها حجة عليهم ، لأن الله تعالى خصه دون الأنبياء بمعجزات تبطل مقالة من كذبه ، وتبطل أيضاً مقالة من زعم أنه إله أو ابن الإله واستحال عنده أن يكون مخلوقاً من غير أب ، فكان نفخه في الطين ، فيكون طائر حياً : تنبيهاً لهم لو عقولهم على أن مثله كمثل آدم خلق من طين ، ثم نفخ فيه الروح ، فكان بشراً حياً ، فنفخ الروح في الطائر الذي خلقه عيسى من طين ليس بأعجب من ذلك ، الكل فعل الله ، وكذلك لإحيائه للموتى ، وكلامه في المهد ، كل ذلك يدل على أنه مخلوق من نفخة روح القدس في جيب أمه ، ولم يخلق من مئذى الرجال ، فكان معنى الروح فيه - عليه السلام - أقوى منه في غيره ، فكانت معجزاته روحانية دالة على قوة المناسبة بينه وبين روح الحياة ، ومن ذلك بقاءه حياً إلى قرب الساعة . وروى عن أبي بن كعب أن الروح الذى تمثل لها بشراً هو الروح الذى حملت به ، وهو عيسى عليه السلام دخل من فيها إلى جوفها . رواه السكشى بإسناد حسن يرفعه إلى أبى ، وخص بإبراء الأكمة والأبرص ، وفي تخصيصه بإبراء هاتين الآفتين مشاكلة لمعناه عليه السلام - وذلك أن فرقة عميت بصائرهم ، فكذبوا نبوته ، وهم اليهود وطائفة غلوا في تعظيمه بعد ما ابيضت قلوبهم بالإيمان ، ثم افسدوا إيمانهم بالغلو ، فمثلهم كمثل الأبرص أبيض بياضاً فاسداً ، ومثل الآخرين مثل الأكمة الأعمى ، وقد أعطاه الله من الدلائل على الفريقين ما يبطل المقاتلين ، ودلائل الحدوث تثبت له العبودية ، وتنبى عن أمه الريبة وثبت له ولها النبوة والصدقية ، فكان في مسيح الهدى من الآيات ما يشاكل حاله ، ومعناه حكمة من الله ، كما جعل في الصورة الظاهرة من مسيح الضلالة ، وهو الأعور الدجال ما يشاكل حاله ، ويناسب صورته الباطنية ، على نحو ما شرحنا وبيننا في إملأه آمانيه على هذه النسكة في غير هذا الكتاب والحمد لله .

رب إني وضعتها أنثى : فصل : وذكر في تفسير ما نزل فيهم قول حنة أم مريم ، وهى بنت مائان ، رب إني وضعتها أنثى ، قال بعض أهل التأويل : أشارت إلى معنى الحيض أن الأنثى تحيض ، فلا تخدم المسجد ، ولذلك قال : وليس الذكر كالأنثى ، لأن الذكر لا يحيض ، فهو أبداً في خدمة المسجد ، وهذه إشارة حسنة . فإن قيل : كان القياس في الكلام أن يقال : وليس الأنثى كالذكر ، لأنها دونة ، فما باله بدأ بالذكر ؟ والجواب : أن الأنثى إنما هى دون الذكر في نظر العبد لنفسه ، لأنه يهوى ذكران البنين ، وهم مع الأموال زينة الحياة الدنيا وأقرب إلى فتنه العبد . ونظر الرب للعبد خير من نظره لنفسه ، فليس الذكر كالأنثى على هذا ، بل الأنثى أفضل في الموهبة ، ألا تراه يقول سبحانه : « يهب لمن يشاء إناثاً » فبدأ بذكرهن قبل الذكور ، وفي الحديث : ابدؤوا بالإناث ، يعنى : فى الرحمة وإدخال السرور على البنين ، وفى الحديث أيضاً : « من عال جاريتين دخلت أما وهو الجنة كهاتين » فترتب الكلام فى التنزيل على حسب الأفضل فى نظر الله للعبد ، والله أعلم بما أراد .

المباهلة : فصل : وذكر دعاءه عليه السلام أهل نجران إلى المباهلة ، وأنهم رضوا ببذل الجزية والصغار ، وأن لا يلاعنوه ، وكذلك روى أن بعضهم قال لبعض : إن لا نعنتموه ، ودعوتهم باللعة على الكاذب اضطرم الوادي عليكم ناراً ، وفي تفسير الكشي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد تدلى إليهم العذاب ، والذي نفسى بيده لو باهلوني لاستؤصلوا من على جديد الأرض .

نكتة : في قوله : « ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، بدأ بالأبناء والنساء قبل الأنفس . والجواب : أن أهل التفسير قالوا أنفسنا وأنفسكم ، أى ليدع بعضنا بعضاً ، وهذا نحو قوله : فسلبوا على أنفسكم في أحد القولين ، أى : يسلم بعضكم على بعض ، فبدأ بذكر الأولاد الذين هم فلذ الأكباد ثم بالنساء التي جعل بيننا وبينهم مودة ورحمة ، ثم من وراءهم من دعاء بعضهم بعضاً ، لأن الإنسان لا يدهو نفسه ، وانتظم الكلام على الأسلوب المعتاد في إعجاز القرآن . وفي حديث أهل نجران زيادة كثيرة عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام ، منها أن راهب نجران حين رجع الوفد وأخبروه الخبر رحل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فسمع منه وأهدى إليه القضيبي والقعب والبرد ، الذي هو الآن عند خلفاء بني العباس يتوارثونه .

ابن أبي : فصل : وذكر قصة عبد الله بن أبي بن سلول ، وسلول : هى أم أبي ، وهى خزاعية ، وهو أبى ابن مالك من بنى الحبل ، واسم الحبل : سالم والنسب إليه : حبل بضمين ، كرهوا أن يقولوا : حبلوى أو حبل أو حبلوى على قياس النسب ، لأن حبل وسكرى ونحوهما إذا كانا اسماً لرجل ، لم يجر في الجمع على حكم التانيث ، وكذلك فعلاء بالمدة تقول في جمع رجل اسمه : سلى أو ورقاء الورقاؤون والسلون ، وهذا بخلاف تاء التانيث ، فإنك تقول في طلحة اسم رجل طلحات ، كما كنت تقول في غير العلية ، لأن التاء لا تكون إلا للتانيث ، والالف تكون للتانيث وغيره ، فلما كانت ألف التانيث بخلاف تاء التانيث في الأسماء والأعلام كان النسب إليها مخالفاً للنسب إلى ما فيه ألف التانيث في غير الأعلام ، غير أن هذا في باب النسب لا يطرد وإن اطرده الجمع ، كما قدمنا ، وكانت النكتة التي خص بها النسب في بنى الحبل بمخالفة القياس كراهيتهم لحكم التانيث فيه لأن الحبل وصف للبرأة بالحبل ، فليس كراهيتهم لبقاء حكم التانيث فيمن اسمه سلى من الرجال ككراهيتهم لبقاء حكم التانيث فيمن اسمه حبل ، فلذلك غيروا النسب ، حتى كأنهم نسبوا إلى حبل والله أعلم .

وأما سلول في خزاعة ، وقد تقدم عند ذكر حبشية بن سلول فاسم رجل مصروف ، وأما بنو سلول بن صمصعة لإخوة بني عامر فهم : بنو مرة بن صمصعة . وسلول : أمهم ، وهى بنت ذهل بن شيبان ، لجمع ما وقع لابن إسحاق في السير من سلول : ثلاثة : واحد اسم رجل مصروف ، وثنيتان غير مصروفتين ، وهما اللتان ذكرنا .

الملك في العرب : وذكر أن الانصار كانوا قد نظموا الخرز لعبد الله بن أبي ليتوجوه ويملكوه عليهم ، وذلك أن الانصار يمن ، وقد كانت الملوك المتوجون من اليمن فى آل قحطان ، وكان أول من تتوج منهم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ولم يتوج من العرب إلا قحطاني كذلك قال أبو عبيدة ، فقيل له : قد تتوج هوذة ابن على الحنفي صاحب اليمامة ، وقال فيه الأعشى :

من يرى هوذة يسجد غير مثب إذا تعمم فوق التاج أو وضعا

وفى الخرزات التي بمعنى التاج يقول الشاعر :

وعشرى حتى فاد والشيب شامل رعى خرزات الملك عشرين حجة

وقال أبو عبيدة : لم يكن تاجا ؛ وإنما كانت خرزات تنظم ؛ وكان سبب تتوج هوذة أنه أجار لطيمة لكسرى منها من أرادها من العرب ، فلما وفد عليه توجه لذلك وملكه .

مزاحم أطمه : فصل : وذكر في حديث عبد الله بن أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به ، وهو في ظل مزاحم أطمه ، وآطام المدينة : سطوح ، ولها أسماء ؛ فنها مزاحم ومنها الزوراء أطم بنى الجلاح ، ومنها معرض أطم بنى ساعدة ، ومنها : فارغ أطم بنى حديلة ، ومنها مسعط ، ومنها : واقم ، وفي معرض يقول الشاعر :

ونحن دفعنا عن بضاعة كلها ونحن بنينا معرضا فهو مشرف
فأصبح معمورا طويلا قذاله وتخرّب آطام بها وتقصف

وبضاعة أرض بنى ساعدة ؛ وإليها تنسب بئر بنى بضاعة . والأجش وكان بقاء والحيم والنواحان ، وهما أطمان لبنى أنيف وصرار وكان بالجوانية والريان والشبعان وهو في ثمع . ورائح والأبيض ، ومنها عاصم والرعل وكان لحضير بن سماك ، ومنها خيط وواسط ، والأغلب ومنيع ، فهذه آطام المدينة ذكر أكثرها الزبير والأطم : اسم مأخوذ من انتظم : إذا ارتفع وعلا ، يقال : انتظم على فلان إذا غضب وانتفخ ، والأطومات : نيران معروفة في جبال لا تخمد فيها ، تأخذ بأعنان السماء ، فهي أبداً باقية ، لأنها في معادن الكبريت ، وقد ذكر المسعودي منها جملة ، وذكر مواضعها ، وقول عبد الله بن أبي :

مق ما يكن مولاك خصمك لا تول تذل ويصرعك الدين تصارع

يقال : إن ابن أبي تمثل بهما ، ويقال : لئنهما الخفاف بن ندبة وخفاف هو : ابن عمرو بن الشريد أحد غربان للعرب ، وأمة . ندبة ، ويقال فيها : ندبة ، وندبة ، [بفتح النون وضمها] وهو سلبى .

وذكر في حديث عبد الله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل على سعد بن عبادة يعوده ، وفي رواية يونس زيادة ، فيها فقه قال : كان سعد قد دعاه رجل من الليل فخرج إليه فضربه الرجل بسيف فأشواه ، فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده من تلك الضربة ، ولأمله على خروجه ليلا ، وهذا هو موضع الفقه .

وعك أبي بكر وبلال وعامر بن فهيرة : فصل : وذكر حديث عائشة حين وعك أبو بكر ، وبلال وعامر ابن فهيرة ، وما أجابوها به من الرجز فيذكر أن قول عامر :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه

لأنه لعمر بن مامة ، وفي هذا الخبر وما ذكر فيه من حنينهم إلى مكة ما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين إليه ، وقد جاء في حديث أصيل الغفاري ، ويقال فيه : الهدلى أنه قدم من مكة ، فسأله عائشة ، كيف تركت مكة يا أصيل ؟ فقال : تركتها حين أبيضت أباطحها ، وأحجن ثمامها ، وأعذق لإذخرها ، وأمشر سلبها ، فاغرورقت عينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : لا تشوقنا يا أصيل ، ويروى أنه قال له . دع القلوب تقر وقد قال الأول :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بواد الخزامى حيث ربتني أهلي
بلاد بها نيطت علي تمانمي وقطعن غنى حين أدركني عقلي

وأما قول بلال :

بفج وحول لإذخر وجليل

فبفج موضع خارج مكة به مويه يقول الشاعر :

ما بفج من الإشراق والطيب ومن جوار نقيسات رعابيب

وبفج اغتسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو محرم ، والإذخر من نبات مكة . قال أحمد بن داود وهو أبو حنيفة الدينوري صاحب كتاب النبات : الإذخر فيما حكى عن الأعراب الأول له أصل مندق وقضبان دقاق ، وهو ذفر الريح . وهو مثل الأصل ، أصل الكولان إلا أنه أعرض كعوبا ، وله ثمرة كأنها مكاسح القصب إلا أنها أرق وأصغر . قال أبو زياد ، الإذخر يشبه في نباته بنبات الأسل الذي تعمل منه الحصر ، ويشبه نباته الغرز ، ضرب من الثام ، واحده : غرزة ، ويتخذ من الغرز الغرايل والإذخر أرق منه ، والإذخر يطحن فيدخل في الطيب ، وقال أبو عمرو : وهو من الجنة ؛ وقبلها تلبت الإذخرة منفردة ، وقال في الجليل عن أبي نصر : إن أهل الحجاز يسمون الثام الجليل ، ومعنى الجنة التي ذكر أبو عمرو : وهو كل نبات له أصول ثابتة ، لا تذهب بذهاب فرع في الغيط ، وتلقح في الخريف ، وليست كالشجر الذي يبقى أصله وفرعه في الغيط ، ولا كالنجم الذي يذهب فرع وأصله ، فلا يعود إلا زرعته جانب النجم والشجر ، فسمى جنة ، ويقال للجنة أيضاً : الطريفة ، قاله أبو حنيفة . ومجنة سوق من أسواق العرب بين عكاظ وذى المجاز ، وكلها ، أسواق قد تقدم ذكرها . ومجنة يجوز أن تكون مفعة ، فقد قال سيدي : في المجن إن ميمه أصلية ، وأنه فعل ، وخالفه في ذلك الناس وجعلوه مفعلا ، من جن إذا ستر ، ومن أسواقهم أيضاً حباشة ، وهي أبعد من هذه ، وأما شامة وطفيل ، فقال الخطابي في كتاب الأعلام في شرح البخاري : كنت أحسبهما جبلين ، حتى مرت بهما ، ووقفت عليهما فاذا هما عينان من ماء ، ويقوى قول الخطابي إنهما عينان قول كثير :

وما أنس م الأشياء لا أنس موقفاً لنا ، ولها بالخبت خبت طفيل

والخبت : منخفض الأرض .

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة ، وبارك لنا في مدها وصاعها يعني الطعام الذي يكال بالصاع . ولذلك قال في حديث آخر : « كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه » ، وشكا إليه قوم سرعة فناء طعامهم ، فقال : أتقبلون أم تسكيلون ، فقالوا : بل نهيل ، فقال : كيلوا ولا تهيلوا ومن رواه : قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه ، فعناه عندهم : تصغير الأربعة ، وهكذا رواه البزار من طريق أبي الدرداء ، وذكر في تفسيره ما قلناه ، وذكر أبو عبيد : المد في كتاب الأموال ، أعنى مد المدينة فقال : هو رطل وثلاث ، والرطل : مائه وثمانية وعشرون درهما ، والدرهم خمسون حبة وخمسان .

وقوله صلى الله عليه وسلم ، وانقل حماها : واجعلها بمهية ، وهي الحففة ، كأنه عليه السلام لم يرد لإبعاد الحمى عن جميع أرض الإسلام ، ولو أراد ذلك لقال : انقل حماها ، ولم يخص موضعاً ، أو كان يخص بلاد الكفر ، وذلك - والله أعلم - لأنه قد نهى عن سب الحمى ولعنها في حديث أم المسيب وأخبر أنها طهور ، وأنها حظ كل مؤمن من النار ، لجمع بين الرفق بأصحابه ، فدعا لهم بالشفاء منها ، وبين أن لا يجرموا أيضاً الأجر فيما يصيبوا منها ، فلم يبعدها كل البعد .

تاريخ الهجرة

بالإسناد المتقدم عن عبد الملك بن هشام ، : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الإثنين ، حين اشتد الضحاء ، وكادت الشمس تعتدل ، لثقت عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، وهو التاريخ ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة فأقام بها بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر ، وجماديين ، ورجباً ، وشعبان ، وشهر رمضان ، وشوالاً ، وذا القعدة وذا الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والمحرم ، ثم خرج غازياً فى صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عباد .

وأما مهبعة ، فقد اشتد الوباء فيها بسبب هذه الدهوة ، حتى قيل : إن الطائر يمر بغدير خم فيسقم ، وغدير خم فيها ، ويقال : إنها ، ما ولد فيها مولود فبلغ الحلم ، وهى أرض نجعة لا تسكن ، ولا يقال فيها إقامة دائمة فيما بلغنى والله أعلم .

وذكر تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وفى غير هذه الرواية عن ابن إسحاق عن شرحبيل بن سعد ، قال : كنت أصطاد فى حرم المدينة بالواقيص ، وهى شباك الطير ، فاصطدت نهساً ، فأخذه زيد بن ثابت ، وصك فى قفائى ، ثم أرسله .

وذكر حديث عبد الله بن عمرو ، وقوله عليه السلام : صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم حين رآهم يصلون قعوداً من الوعك ، قال فتحشتم الناس القيام على ما بهم من السقم : وهذا الحديث بهذا اللفظ يقوى ما تأوله الخطابى : إنما ذلك للضعيف الذى يستطيع القيام بكلفة ، وإن كان عاجزاً عن القيام البتة ، فصلاته مثل صلاة القائم ، وهذا كله فى الفريضة ، والنافلة ، وخالف أبو عبيد فى تخصيصه هذا الحديث بصلاة النافلة فى حال الصحة ، واحتج الخطابى بحديث عمران بن حصين ، وفيه : وصلاته قائماً على النصف من صلته قاعداً ، قال : وقد أجمعت الأمة أن لا يصل أحد مضطجاً الا من مرض ، فدل على أنه لم يرد بهذا الحديث كله الا المريض الذى يقدر على القيام بكلفة ، أو على القعود بمشقة ، ونسب بعض الناس النسوى الى التصحيف فى هذا الحديث ، وقالوا إنما هو وصلاته قائماً على النصف من صلته قاعداً ، فتوهمه النسوى قائماً : أى مضطجماً ، فترجم عليه فى كتابه : باب صلاة النائم ، وليس كما قالوا ، فإن الرواية الثانية : وصلاة النائم على النصف من صلاة القاعد ، ومثل هذا لا يتصحف ، وقول الخطابى : أجمعت الأمة على أن المضطجع لا يصل فى حال الصحة نافلة ولا غيرها ، وافقه أبو عمر على ادعاء الإجماع فى هذه المسألة ، وليست بمسألة إجماع كما زعموا ، بل كان من السلف من يميز للصحيح أن يتنفل مضطجماً ، منهم الحسن البصرى ، ذكر ذلك أبو عيسى الترمذى فى مصنفه .

غزوة ودان

وهي أول غزواته عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق: حتى بلغ ودان، وهي غزوة الأبواء، يريد قريشا وبني ضمرة، بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة، وكان الذي وادعه منهم عليهم نخعي بن عمرو الضمري، وكان سيدهم في زمانه ذلك. ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ولم يلق كيداً، فأقام بها بقية صفر، وصدر من شهر ربيع الأول.

قال ابن هشام: وهي أول غزوة غزاها.

سرية عبيدة بن الحارث

وهي أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، في مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن المطلب ابن عبد مناف بن قصي في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز، بأسفل ثنية المرة، فالتقوا بها جمعاً عظيماً من قريش، فلم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم، فمكنا أول سهم رمى به في الإسلام.

ثم انصرف القوم عن القوم، وللمسلمين حامية. وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرازي، حليف بني زهرة وعتبة بن غزوان بن جابر المازني، حليف بني نوفل بن عبد مناف، وكانا مسلمين، ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار. وكان على القوم عكرمة بن أبي جهل.

قال ابن هشام: حدثني ابن أبي عمرو بن العلاء عن أبي عمرو المدني: أنه كان عليهم مكرز بن حفص بن الأخيف، أحد بني معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر.

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، في غزوة عبيدة بن الحارث - قال ابن هشام: وأكث أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبي بكر رضي الله عنه:

أمن طيف سلمى بالبطاح الدماث	أرقت وأمر في العشرة حادث
ترى من لؤي فرقة لا يصددها	عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول أتاها صادق فتكذبوا	عليه وقالوا: لست فينا بما كاث
إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا	وهروا هرياً بالمجترات اللواث
فكم قد متتنا فيهم بقرابة	وترك التقي شيء لهم غير كاث
فإن يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم	فما طيبات الحل مثل الخبائث
ولأن يركبوا طغيانهم وضلالهم	فليس عذاب الله عنهم بلائث
ونحن أناس من ذؤابة غالب	لنا العز منها في الفروع الأثلاث
فأولى رب الرافصات عشية	خرا جيج نخدي في السريح الرثاث
كأدم ظباء حول مكة عكف	يردن حياض البئر ذات النبائث
لأن لم يفيقوا عاجلاً من ضلالهم	ولست إذا آليت قولاً بجائث

تبتدرونهم غارة ذات مصدق
تغادر قتلى تعصب الطير حولهم
فأبلغ بنى سهم لديك رسالة
فإن تشعشعوا عرضى على سوء رأيكم

فأجابه عبد الله بن الزبيرى السهمى فقال :

أمن رسم دار أفقرت بالعناث
ومن عجب الأيام والدهر كله
لجيش أنا ذى عرام يقوده
لترك أصناما بمسكة عكفا
فلما لقيناهم بسمر ردينة
وبيض كان الملح فوق متونها
نقيم بها إصعار من كان مائلا
فكفوا على خوف شديد وهيبة
ولو أنهم لم يفعلوا نأح نسوة
وقد غودرت قتلى يخبر عنهم
فأبلغ أبا بكر لديك رسالة
ولما تجب منى يمين غليظة

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحداً ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبيرى .

قال ابن إسحاق : وقال سعد بن أبي وقاص فى رميته تلك فيما يذكرون :

ألا هل أتى رسول الله أنى
أزود بها أوائلهم ذيادة
فلا يعتد رام فى عدو
وذلك أن دينك دين صدق
ينحى المؤمنون به ، ويجزى
فملا قد غويت فلا تعبنى
حميت صحابى بصدور نبلى
بكل حزونة وبكل سهل
بسهم يارسول الله قبلى
وذو حق أتيت به وعدل
به الكفار عند مقام مهل
غوى الحى ويحك يا بن جهل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد .

قال ابن إسحاق : فكانت راية عبيدة بن الحارث - فيما بلغنى - أول راية عقدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الإسلام ، لأحد من المسلمين . وبعض العلماء يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء ، قبل أن يصل إلى المدينة .

سرية حمزة إلى سيف البحر

وبعث في مقامه ذلك ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، إلى سيف البحر ، من ناحية العيص ، في ثلاثين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد . فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاث مائة راكب من أهل مكة . فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى . وكان موادع القرين جميعاً ، فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .

وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين . وذلك أن بعثته وبعث عبدة كانا معاً ، فشبه ذلك على الناس . وقد زعموا أن حمزة قد قال في ذلك شعراً يذكر فيه أن رايته أول راية عقدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان حمزة قد قال ذلك ، فقد صدق إن شاء الله ، لم يكن يقول إلا حقاً ، فالله أعلم أى ذلك كان . فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا . فعبدة بن الحارث أول من عقد له . فقال حمزة في ذلك ، فيما يزعمون :

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينسب هذا الشعر لحزة رضى الله عنه :

ولنتقص من رأى الرجال وللعقل
لهم حرمان من سوام ولا أهل
لهم غير أمر بالعفاف وبالعدل
وينزل منهم مثل منزلة الهزل
لهم حيث حلوا أبتغى راحة الفضل
عليه لواء لم يكن لاح من قبلى
إله عزيز فعله أفضل الفضل
مراجله من غيظ أصحابه تغل
مطايا وعقلنا مدى غرض النبل
وما لكم إلا الضلالة من جبل
نخاب ورد الله كيد أبى جهل
وهم مشتان بعد واحدة فضل
وفيتوا إلى الإسلام والمنهج السهل
عذاب فتدعوا بالندامة والشكل

ألا يا قومى لتعلم والجهل
وللا كيننا بالمظالم لم نعلم
كانا تبلناهم ولا تبل عندنا
وأمر بإسلام فلا يقبلونه
فما برحوا حتى انتدبت لغارة
بأمر رسول الله ، أول خافق
لواء لديه النصر من ذى كرامة
عشية ساروا حاشدين وكلنا
فلما تراءينا أناخوا فمقلوا
فقلنا لهم : جبل الإله نصيرنا
فتار أبو جهل هنالك باغيا
وما نحن إلا في ثلاثين راكبا
فيا للوى لا تطيعوا غواتكم
فإني أخاف أن يصب عليكم

فأجابه أبو جهل بن هشام ، فقال :

وللشاذيين بالخلاف وبالبدل
عليه ذوى الاحساب والسودد الجدل
وليس مضافاً فكهم عقل ذى عقل
على قومكم إن الخلاف مدى الجهل
لهم بواك بالرزية والشكل

عجبت لأسباب الحفيظة والجهل
وللتاركين ما وجدنا جدودنا
أتونا بإفك كى يضلوا عقولنا
فقلنا لهم : يا قومنا لا تخالفوا
فإنكم إن تفعلوا تدع نسوة

وإن ترجعوا عما فعلتم فإننا
فقالوا لنا : إنا وجدنا محمداً
فلما أبوا إلا الخلاف وزينوا
تيممهم بالساحلين بفارة
فورعني مجدى عنهم وصحبق
لإل علينا واجب لا نضيقه
فلولا ابن عمرو كنت غادرت منهم
ولكنه آلى يال فقلصت
فإن تبقى الأيام أرجع عليهم
بأيدي حماة من لوى بن غالب

بنو عمكم أهل الحفاظ والفضل
رضا لذوى الأحلام منا وذى العقل
جماع الأمور بالقبيح من الفعل
لأتركهم كالعصف ليس بذى أصل
وقد وأزروني بالسيوف وبالنبيل
أمين قواه غير منتكك الجبل
ملاحم للطير العمكوف بلا تبل
بأيماننا حد السيوف عن القتل
ببيض رفاق الحد محدثة الصقل
كرام المساعى فى الجدوبة والمحل

قال ابن دشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لأبى جهل .

غزوة بواط

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول يريد قريشا .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بواط ، من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فلبس بها بقية شهر ربيع الآخر ، وبعض جمادى الأولى .

غزوة العشيرة

ثم غزا قريشا ، فاستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فسلك على نقب بنى دينار ، ثم على فيفاء الخبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر ، يقال لها : ذات الساق ، فصلى عندها . فثم مسجده صلى الله عليه وسلم ، وصنع له عندها طعام ، فأكل منه ، وأكل الناس معه ، فوضع أثنافى البرمة معلوم هنالك ، واستقى له من ماء به ، يقال له : المشترب ، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك الخلائق بيسار ، وسلك شعبة يقال لها : شعبة عبد الله ، وذلك اسمها اليوم ، ثم صب لليسار حتى هبط بليل ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة ، واستقى من بئر بالضبوعة ، ثم سلك الفرش : فرش ملل ، حتى لقي الطريق بصحيرات اليوم ، ثم اعتدل به الطريق ، حتى نزل العشيرة من بطن ينبع . فأقام بها جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة ، وادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً . وفى تلك الغزوة قال لعلى بن أبى طالب عليه السلام ما قال .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن محمد بن خيثم المحاربى ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن محمد بن خيثم أبى يزيد ، عن عمار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعلى بن أبى طالب رفيقين فى غزوة العشيرة ، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها ، رأينا أناسا من بنى مدلج يعملون فى عين لهم وفى نخل ، فقال لى على بن أبى طالب :

يا أبا اليقظان ، هل لك في أن تأتي هؤلاء القوم ، فننظر كيف يعملون ؟ قال : قلت : إن شئت ؛ قال : فجنناهم ، فنظرنا إلى عملهم ساعة ، ثم غشيينا النوم . فانطلقت أنا وعلى حتى اضطررنا في صور من النخل ، وفي دفعاء من التراب فنمنا ، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يحركنا برجله . وقد تتربنا من تلك الدقعاء التي نمنا فيها ، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب : مالك يا أبا تراب ؟ لما يرى عليه من التراب ، ثم قال : ألا أحدثك بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه - ووضع يده على قرنيه - حتى يبل منها هذه . وأخذ بلحيته .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمى عليا أبا تراب أنه كان إذا عتب على فاطمة في شيء لم يكلمها ، ولم يقل لها شيئاً نكرهه ، إلا أنه يأخذ تراباً فيضعه على رأسه . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب على فاطمة ، فيقول : مالك يا أبا تراب ؟ فوالله أعلم أي ذلك كان .

سرية سعد بن أبي وقاص

ذهابه إلى الخرار ورجوعه من غير حرب

قال ابن إسحاق : وقد كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين ذلك من غزوة سعد بن أبي وقاص ، في ثمانية رهط من المهاجرين نخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز ، ثم رجع ولم يلق كيداً . قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة .

غزوة سفوان

وهي غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق : ولم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة . حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر ، حتى أغار كرز بن جابر بن الفهري على سرح المدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه ، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ وادياً ، يقال له : سفوان ، من ناحية بدر ، وفاته كرز بن جابر ، فلم يدركه ، وهي غزوة بدر الأولى . ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجبا وشعبان .

سرية عبد الله بن جحش

ونزول : يستأذنك عن الشهر الحرام ،

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن جحش بن رثاب الاسدي في رجب ، مقفله من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، ليس فيهم من الانصار أحد ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، فيمضي لما أمره به ، لا يستكره من أصحابه أحداً .

وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين . ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس ، ومن حلفائهم : عبد الله بن جحش ، وهو أمير القوم ، وعكاشة بن محصن بن حرثان ، أحد بني أسد بن خزيمه ، حليف لهم . ومن بني نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر ، حليف لهم . ومن بني زهرة بن كلاب : سعد بن أبي وقاص . ومن بني عدى بن كعب عامر بن ربيعة ، حليف لهم من عنز بن وائل ، ووافد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع ، أحد بني تميم ، حليف لهم ، وخالد بن البكير ، أحد بني سعد بن ليث ، حليف لهم . ومن بني الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء .

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه فإذا فيه : إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم . فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب ، قال : سمعا وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضي إلى نخلة ، أرصد بها قريشا ، حتى آتية منهم بخبر ، وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم . فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فليطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فامض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمضى ومضى معه أصحابه ، لم يتخلف عنه منهم أحد .

وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمعدن ، فوق الفرع ، يقال له : بجران ، أضل سعد بن أبي وقاص ، وعتبة ابن غزوان بعير آلها . كانا يتعقبانه . فتخلفا عليه في طلبه . ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وأدما ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرمي .

قال ابن هشام : واسم الحضرمي : عبد الله بن عباد ، ويقال : مالك بن عباد أحد الصدف ، واسم الصدف : عمرو بن مالك ، أحد السكون بن أشرس بن كندة ، ويقال : كندى . قال ابن إسحاق : وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل بن عبد الله الخزوميان ، والحكم بن كيسان ، مولى هشام بن المغيرة .

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا عمار ، لا بأس عليكم منهم . وتشاور القوم فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب فقال القوم والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم ، فليمتنعن منكم به ولئن قتلتموهن لتقتلنهم في الشهر الحرام ، فتردد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم . فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ، وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فاعجزهم . وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعرير وبالأسيارين ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش : أن عبد الله قال لأصحابه : إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما غنمنا الخنس وذلك أن يفرض الله تعالى الخنس من المغنم - فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العير ، وقسم سائرها بين أصحابه .

قال ابن إسحاق : فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . فوقف العير والأسيارين . وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا ، فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط في أيدي القوم ،

وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم لإخوانهم من المسلمين فيما صنعوا . وقالت قریش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأمروا فيه الرجال ، فقال من يرد عليهم من المسلمين ، بمن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان .

وقالت يهود - تفاءل بذلك على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله ، عمرو ، عمرت الحرب ، والحضرمي ، حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله ، وقدت الحرب . فجعل الله ذلك عليهم لا لهم .

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : يستلونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصدد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ، أى إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله ، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم . والفتنة أشد من القتل ، أى قد كانوا يفتنون المسلم في دينه ، حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ، : أى ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه ، غير تائبين ولا نازعين . فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين ، وبعثت إليه قریش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا - يعنى سعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غزوان - فانا نخشاكم عليهما ، فان تقتلوهما ، نقتل صاحبكم . فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بدر معونة شهيداً . وأما عثمان بن عبد الله فالحق بمكة ، فأت بها كافراً .

فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله : أنطمع ، أن تكون لنا غزوة نعطي فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عز وجل فيهم . : إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم ، فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء .

والحديث في هذا عن الزهري ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير .

قال ابن إسحاق : وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش : أن الله عز وجل قسم الفيء حين أحله ، لجعل أربعة أخماس لمن أفاءه الله ، وخمساً إلى الله ورسوله ، فوقع على ما كان عبد الله بن جحش صنع في تلك العير .

قال ابن هشام : وهى أول غنيمة غنمها المسلمون . وعمرو بن الحضرمي أول من قتله المسلمون ، وعثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون .

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه في غزوة عبد الله بن جحش ، ويقال : بل عبد الله ابن جحش قالها ، حين قالت قریش : قد أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال ، وأسروا فيه الرجال - قال ابن هشام : هى لعبد الله بن جحش :

تعدون قتلا في الحرام عظيمة وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد وكفر به والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله لثلا يرى لله في البيت ساجد
فإننا وإن غيرتمونا بقتلة وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقيننا من ابن الحضرمي رماحنا بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا ينازعه غل من القد عاند

صرف القبلة إلى السكبة

قال ابن إسحاق : ويقال : صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

تاريخ الهجرة وغزوة ودان

ذكر قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة يوم الإثنين في شهر ربيع ، وقد قدمنا في باب الهجرة ما قاله ابن الكلبي وغيره في ذلك ، وفي أي شهر كان قدومه من شهور المعجم .

وذكر أنه أقام بالمدينة بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر ، وجماين ، وكان القياس أن يقول : وشهرى جمادى ، أو يقول : وبقية ربيع وربيعاً الآخر ، كما قال في سائر الشهور ، ولكن الشهر لإداسيته بالاسم العلم ، لم يكن ظرفاً ، وكانت الإقامة أو العمل فيه كله إلا أن تقول شهر كذا ، كما تقدم من كلامنا على شهر رمضان في حديث المبعث ، وكذلك قال سيويوه ، فقول ابن إسحاق : جمادين ورجباً مستقيم على هذا الأصل .

وقوله : بقية شهر ربيع ، فلأن العمل والإقامة كان في بعضه ، فلذلك لم يقل : بقية ربيع الأول ، لكنه قال : وشهر ربيع الآخر ليزدوج الكلام ويشاكل ما قبله ، وهذا كله من فصاحته رحمه الله أو فصاحة من كان قبله إن كان رواه على اللفظ .

وقوله : وجماين ورجباً . كان القياس أن يقول : والجمادين بالالف واللام ، لأنه اسم علم ، ولا يثنى العلم ، فيكون معرفة إلا أن تدخل عليه الألف واللام ، فتقول : الزيدان والعمران ، لكنه أجراه بفصاحته مجرى أبانين وقنوين ، وكل واحد من هذين اسم جبلين ، ولا تدخله الألف واللام ، لأن تعريفه لم يزل بالثنائية ، لأنهما أبدأ متلازمان ، فالثنائية لازمة لهما مع العلمية بخلاف الآدميين ، ولما كان جماديان شهرين متكارهين جعلهما في الزمان كأبانين في المكان ، ولم يجعلهما كالزيدين والعمرين اللذين لا تلازم بينهما ، وهذا كلام العرب . قال الخطيب :

باتت له بكتيب جربة ليلة وطفاء بين جمادين دور

فإن قلت : فقد قالوا : السماكين في النجوم ، وهما متلازمان ، وكذلك السرطان ، قلنا : إنما كان ذلك لوجود معنى الصفة فيهما ، وهو عنده من باب الحارث ، والعباس في الآدميين ، وأكشف سر العلمية في الشهور والأيام وتقسيم أنواع العلمية ، والمراد بها في موضع غير هذا ، وإنما أعجبتني فصاحة ابن إسحاق في قوله : بقية شهر كذا وشهر كذا وجماين ورجباً وشعبان ونزل الألفاظ عند متازلها عند أرباب اللغة الفاهمين لحقائقها ، رحمه الله . غزوة عبيدة بن الحارث : وذكر في غزوة عبيدة ولقائه المشركين : وعلى المشركين مكرز بن حفص بن الأخيف ،

هكذا الرواية حيث وقع بكسر الميم . وذكر ابن ماكولا في المؤتلف والمختلف عن أبي عبدة النسابة أنه كان يقول فيه مكرز بفتح الميم ، وكأنه مفعّل أو مفعّل من السكرين ، وهو اللفظ وكذلك ذكر هو وغيره في الأخيف ههنا أنه بفتح الهمزة وسكون الخاء ، وكان ابن ماكولا وحده يقول في الأخيف من بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، وهو جد الخشخاش القيمي : أخيف بضم الهمزة وفتح الخاء ، وقال الدارقطني : أخيف كما قالوا في الأول .

شرح قصيدة أبي بكر وقصيدة ابن الزبيري وأبي جهل : فصل . وذكر ابن إسحاق القصيدة التي تعزى إلى أبي بكر ، ونقيضتها لابن الزبيري ، والزبيري في اللغة السيء الخلق ، يقال : رجل زبيري ، وامرأة زبيرة ، والزبيري أيضاً البعير الازب الكثير شعر الأذنين مع قصر ، قاله الزبير . وفي هذا الشعر أو الذي بعده ذكر الدبة وهو الكتيب من الرمل ، وأما الدبة بضم الدال فإنه يقال : جرى فلان على دبة فلان أى على سنته وطريقته ، والدبة أيضاً ظرف للزيت ، قال الراجز :

ليلة بالعنف عفاص الدبة

والدبة بكسر الدال هيئة الديب ، وليس فيها ما يشكل معناه .

وقوله :

تحدى في السريح الرثاء

السريح : شبه النعل تلبسه أخفاف الإبل ، يريد : أن هذه الإبل الحراجيج ، وهى الطوال تحدى أى : تسرع فى مريح قد رث من طول السير . قال :

دواى الأيدى يحبطن السريحا

وذكر العشاع ، واحدها : عشع ، وهو من أكرم منابت العشب ، قاله أبو حنيفة ، وفى العين : العشع ظهر الكتيب الذى لا نبات فيه .

وذكر ابن هشام أن قوما من أهل العلم بالشعر أنكروا أن تكون هذه القصيدة لأبي بكر ، ويشهد لصحة من أنكروا أن تكون له ما روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر فى الإسلام ، رواه محمد البخارى عن أبى المتوكل عن عبد الرزاق . وقول ابن الزبيري : بين نساء وطامث ، والنساء : حل المرأة فى أوله ، والطامث معروف يقال نسأت المرأة إذا تأخر حيضها من أجل الحمل . من كتاب العين .

وقول أبى بكر : رأب ابن حارث . يعنى : عبدة بن الحارث بن عبد المطلب .

بعض الأسماء المنوعة من التنوين : وقول أبى جهل :

وورهنى مجدى عنهم وصحبى

ترك صرف مجدى ، لأنه علم ، وترك التنوين فى المعارف كلها أصل لا ينون مضمر ولا مهم ، ولا ما فيه الألف واللام ولا مضاف ، وكذلك كان القياس فى العلم ، فإذا لم ينون فى الشعر فهو الأصل فيه ، لأن دخول التنوين فى الأسماء إنما هو علامه لانفصالها عن الإضافة ، فما لا يضاف لا يحتاج إلى تنوين ، وقد كشفنا سر التنوين وامتناع التنوين والخفض مما لا ينصرف فى مسئلة أفردناها فى هذا الباب ، وأتينا فيها بالعجب العجيب ، والشواهد على حذف

التنوين في الشعر من الاسم العلم كثيرة جداً ، فتأمله في أشعار السير والمغازي تجددها ، وغرضنا في شرح هذه الأشعار الواردة في كتاب السيرة أن نشرح منها ما استغلق لفظه جداً ، أو غمض إعرابه على شرطنا في أول الكتاب .

كرهية رواية أشعار الكفرة : لكني لأعرض لشيء من أشعار الكفرة التي نالوا فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شعر من أسلم وتاب كضرار وابن الزبير ، وقد كره كثير من أهل العلم فعل ابن إسحاق في إدخاله الشعر الذي نيل فيه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن الناس من اعتذر عنه . قال حكاية الكفر ليس بكفر والشعر كلام ، ولا فرق أن يروي كلام الكفرة ومعاجمهم للنبي صلى الله عليه وسلم وردهم عليه منشوراً وبين أن يروي منظوماً ، وقد حكى ربنا سبحانه في كتابه العزيز مقالات الأمم لانياتها ، وما طعنوا به عليهم ، فما ذكر من هذا على جهة الحكاية نظماً أو نثراً فإنما يقصد به الاعتبار بما مضى ، وتذكر نعمة الله تعالى على الهدى والإنقاذ من العمى وقد قال عليه السلام : لأن يمتلي جوف أحدكم قيثاً خيراً له من أن يمتلي شعراً ، وتأولته عائشة رضي الله عنها في الأشعار التي هجى بهار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنكرت قول من حمله على العموم في جميع الشعر ، وإذا قلنا بما روى عن عائشة في ذلك ، فليس في الحديث إلا عيب امتلاء الجوف منه . وأما رواية السير منه على جهة الحكاية ، أو الاستشهاد على اللغة ، فلم يدخل في النهي ، وقد رد أبو عبيد على من تأول الحديث في الشعر الذي هجى به الإسلام ، وقال : رواية نصف بيت من ذلك الشعر حرام ، فكيف يخص امتلاء الجوف منه بالذم ، وعائشة أعلم ، فإن البيت والبيتين والآيات من تلك الأشعار على جهة الحكاية بمنزلة الكلام المنشور الذي ذموا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لافرق . وقول عائشة الذي قدمناه ذكره بن وهب في جامعته ، وعلى القول بالإباحة ، فإن النفس تقدر تلك الأشعار وتبغضها وقائلها في الله ، فالإعراض عنها خير من الخوض فيها والتبجح لمعانها .

غزوة بواط : وبواط جبلان فرعان لأصل ، وأحدهما : جلسى ، والآخر غورى ، وفي الجلسى بنو دینار ينسبون إلى دینار مولى عبد الملك بن مروان .

ذكر فيه استخلاف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المدينة السائب بن مظعون ، وهو أخو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، شهد بدرأ في قول ابن إسحاق ، ولم يذكره موسى بن عقبة في البدرين ، وأما السائب بن عثمان وهو ابن أخى هذا ، فشهد بدرأ في قول جميعهم إلا ابن الكلبي ، وقتل يوم البامة شهيداً .

غزوة العشيرة : يقال فيها : العشيرة والعشيرة وبالسین المهملة أيضاً العسيرة والعسيرة ، أخبرني بذلك الإمام الحافظ أبو بكر رحمه الله ، وفي البخارى : أن قتادة سئل عنها فقال : العشيرة ، ومعنى العسيرة والعسيرة أنه اسم مصغر من العسراء والعسرى ، وإذا صغر تصغير الترخيم قيل : عسيرة ، وهى بقلة تكون أذنة أى عصفية ، ثم تكون سحاة ، ثم يقال لها العسرى . قال الشاعر :

وما منعناها الماء إلا ضنائة بأطراف عسرى شوكة فأتخذنا

ومعنى هذا البيت كعنى الحديث : لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلاء ، وأما العشيرة بالشين المنقوطة ، فواحدة العشر مصعرة .

وذكر فيها الضبوعة ، وهو : اسم موضع ، وهو فعولة من ضبعت الإبل : إذا أمرت أضباعها في السير وفي الضبوعة نزل عند شجرة ، يقال لها : ذات الساق ، وابتنى ثم مسجداً ، واستسقى من ماء هنالك يقال له المشيرب كذلك جاء في روايه البكائي وغيره عن ابن إسحاق .

وذكر فيه ملا ، وهو اسم موضع يقال : إنما سمي ملا ؛ لأن الماشي إليه من المدينة لا يبلغه إلا بعد جهد وملا وهو على عشرين ميلا من المدينة أو أكثر قليلا وذكر الخلائق وهي آبار معلومة .

ورواها غير أبي الوليد الخلائق بخاء منقوطة ، وفسرها بعضهم : جمع خليقة وهي البئر التي لا ماء فيها وأكثر روايات الكتاب على هذا فالله أعلم .

وذكر فرش ملل ، والفرش فيما ذكر أبو حنيفة : مكان مستو نبته العرط والسيال والسمر يكون نحو من ميل أو فرسخ ، فإن أنبت العرط وحده فهو وهط ، وإن أنبت الطلح وحده ، فهو غول وجمعه غيلان على غير قياس ، وإن أنبت النصى والصليان ، وكان نحو من ميلين قيل له : لمعة .

تسكنية على بآبي تراب : وذكر حديثين في تسكنية على بآبي تراب ، وأصح من ذلك ما رواه البخاري في جامعه وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجده في المسجد نائما وقد ترب جنبه ، فجعل يحث التراب عن جنبه ، ويقول : قم أبا تراب ، وكان قد خرج إلى المسجد مغاضبا لفاطمة ، وهذا معنى الحديث ، وما ذكره ابن إسحاق من حديث عمار مخالف له ، إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بها مرتين ، مرة في المسجد ومرة في هذه الغزوة ، فالله أعلم .

أشقى الناس : وذكر أشقى الناس قال : وهو أحيمر ثمود الذي عقر ناقة صالح واسمه : قدار بن سالف وأمه قذيرة وهو من التسعة رهط المذكورين في سورة النمل ، وقد ذكرت أسماءهم في كتاب التعريف والإعلام .

مؤادعة بنى ضمرة وذكر مؤادعته لبنى ضمرة ، وهم بطن من بنى ليث ، وهم بنو غفار وبنو نعيمة بنى مليل ابن ضمرة ، وكانت نسخة المؤادعة فيما ذكر غير ابن إسحاق « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى ضمرة ، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، وإن لهم النصر على من رامهم إلا أن يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة ، وإن النبي إذا دعاهم لنصره ، أجابوه ، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ولهم النصر على من بر منهم واتقى ، .

سرية عبد الله بن جحش

وهو المجدع في الله ، وسيأتي حديثه في غزوة أحد وترجم البخاري على هذا الحديث في كتاب العلم احتياجا به على صحة الرواية بالمناولة ، لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ناول عبد الله بن جحش كتابه ، ففتحه بعد يومين فعمل على ما فيه . وكذلك العالم إذا ناول التلميذ كتابا جاز له أن يروى عنه ما فيه ، وهو فقه صحيح ، غير أن الناس جعلوا المناولة اليوم على غير هذه الصورة يأتي الطالب الشيخ ، فيقول : ناولني كتبك ، فيناوله ثم يمسك متاعه عنده ، ثم ينصرف الطالب ، فيقول : حدثني فلان مناولة ، وهذه روايه لا تصح على هذا الوجه ، حتى يذهب بالكتاب معه ، وقد أذن له أن يحدث بما فيه عنه ، ومن قال بصحة المناولة على الوجه الذي ذكرناه

غزوة بدر الكبرى

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة، فيها أموال لقريش وتجارة من تجارتهم وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون، منهم غزوة

مالك بن أنس، روى إسماعيل بن صالح عنه أنه أخرج لهم كتباً مشدودة، فقال: هذه كتبى صححتها ورويتها فارووها عني، فقال له إسماعيل بن صالح: فنقول: حدثنا مالك؟ قال: نعم، روى قصة إسماعيل هذه الدارقطني في كتاب رواة مالك رحمه الله.

أولاد الحضرمي: وذكر عمرو بن الحضرمي، وكانوا ثلاثة: عمراً وعامراً والعلاء، فأما العلاء فن أفاضل الصحابة، وأختهم الصعبة أم طلحة بن عبيد الله، وكانت قبل أبيه عند أبي سفيان بن حرب، وفيها يقول حين فارقتها:

ولم ألق وصعبة فيما نرى	بميدان والود ود قريب
فإن لا يكن نسب ثاقب	فعند الفتاة جمال وطيب
فيا أقصى ألا تعجبون	إلى الوبر صار الغزال الربيب

وفي نسب بني الحضرمي اضطراب، فقد قيل ما قاله ابن إسحاق، وقيل: هو عبد الله بن عباد بن ربيعة، وقيل ابن عباد، وابن عباد بالبلاء، والذي ذكره ابن إسحاق أصح، وهم من الصدفة، ويقال فيه: الصدفة بكسر الدال، قاله ابن دريد، والصدفة: مالك بن مرتع بن ثور وعمو كندة وقد قدمنا ما قيل في اسم كندة وفي معناه في المبعث، وقد قيل في الصدفة هو ابن سمائل بن دعيمي بن زياد بن حضرموت، وقيل في حضرموت: إنه من لد حمير بن سبا، وقيل: هو ابن قحطان بن عابر، والله أعلم.

تحريم القتال في الأشهر الحرم: وذكر الشهر الحرام، وما كان من أهل السرية فيه؛ وأنه سقط في أيديهم لما أصابوا فيه من الدم، وذلك أن تحريم القتال في الأشهر الحرم كان حكماً معمولاً به من عهد إبراهيم وإسماعيل، وكان من حرمت الله وما جعله مصلحة لأهل مكة، قال الله تعالى: «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام، وذلك لما دعا إبراهيم لذريته بمكة، إذ كانوا بواد غير ذي زرع أن يجعل أقدمة من الناس تهوى إليهم، فكان فيما فرض على الناس من حج البيت قواماً لمصلحتهم ومعاشهم، ثم جعل الأشهر الحرم أربعة: ثلاثة مردأ، وواحداً فرداً، وهو رجب، أما الثلاثة فليأمن الحجاج وأردن إلى مكة، وصادرين عنها شهراً قبل شهر الحج، وشهراً بعده قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب، ثم يرجع، حكمة من الله، وأما رجب فللعمار يأمنون فيه مقبلين وراجلين نصف الشهر للإقبال، ونصفه للإياب، إذ لا تكون العمرة من أقصى بلاد العرب كما يكون الحج، ألا ترى أنا لا نعتزم من بلاد المغرب، فإذا أردنا عمرة فإنما تكون مع الحج، وأقصى منازل المعتمرين بين مسيرة خمسة عشر يوماً، فكانت الأقوات تأتيتهم في المواسم، وفي سائر العام تنقطع عنهم ذوبا العرب وقطاع السبل، فكان في رجب أمان للسالكين إليها مصلحة لأهلها ونظراً من الله لهم بدبه وأبقاه من إبراهيم لم يغير حتى جاء الإسلام، فكان القتال فيه محرماً كذلك صدرأ من الإسلام، ثم أباحت آية السيف وبقيت حرمة الأشهر الحرم لم تنسخ، قال الله سبحانه: «منها أربعة حرم فلا تظلموا فيها أنفسكم»، فتعظيم حرمتها با وإن أبيع القتال، وقد روى عن عطاء أن تحريم القتال فيها حكم ثابت لم ينسخ، وقد تقدم في باب نسب النبي صلى الله عليه وسلم — ذكر سعد رجب، وهو أول من سنه للعرب فيما زعموا.

ابن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام .
قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن العاص بن وائل بن هشام .

قال ابن إسحاق : لحدثني محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علاننا عن ابن عباس ، كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشام ، ندب المسلمين إليهم وقال هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها . فانتدب الناس فخرج بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي حرباً ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً على أمر الناس . حتى أصاب خبراً من بعض الركبان : أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك . فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة .

روياً عائكة بنت عبد المطلب : قال ابن إسحاق : فأخبرني من لا أنتم عن عكرمة عن ابن عباس ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قالوا : وقد رأيت عائكة بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال ، روياً أفرعتها . فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخي ، واقه لقد رأيت الليلة روياً أفضعتني ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فآكنم عنى ما أحدثك به ، فقال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه : ثم دخل المسجد والناس ياتونه ، فبينما هم حوله مثل به بغيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث : ثم مثل به بغيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها . ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت ، فابقى بيت من بيوت مكة ، ولا دار إلا دخلتها منها فلفه ، قال العباس : والله إن هذه لروياً ، وأنت فاكتميهما ، ولا تذكريهما لأحد .

ثم خرج العباس ، فلقى الوليد بن هبة بن ويعة ، وكان له صديقاً ، فذكرها له ، واستكتمه إياها . فذكرها لوليد لآبيه عتبة ، ففشا الحديث بمكة ، حتى تحدثت به قريش في أنديتها .

قال العباس : فحدثت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش يعودون بزوياً عائكة . وأرى أبو جهل قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، إلى أبو جهل : يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبوة ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرويا التي أت عائكة ، قال : فقلت : وما رأيت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم ، زعمت عائكة في زوياًها أنه قال : انفروا في ثلاث فستربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون تمض الثلاث ولم يكن في ذلك شيء ، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل في بيت العرب . قال العباس : فوالله إن منى إليه كبير ، إلا أني جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً : قال : ثم تفرقتنا .

لما أمسيت ، لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أفررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم

ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غير اشياء مما سمعت ، قال : قالت : قد والله فعلت ، ما كان منى لى له من كبير . وايم الله لا تعرضن له ، فإن عاد لا كفى لك .

قالت : فعدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب أرى أنى قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيت ، فوالله لى لى لى لى نحوه أتعرضه ، ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلاً خفيفاً ، حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر . قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتد . قال : فقلت فى نفسى : ماله لعنه الله ، أكل هذا فرق منى أن أشاتمه ! قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع : صوت ضمضم بن عمرو الغفارى ، وهو يصرخ يظن الوادى واقفا على بعيره ، قد جدد بعيره ، وحول رحله ، وشق قيضه . وهو يقول : يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث . قال : فشغله عنى ما جاء من الأمر .

قريش تنجهز للخروج : فتجهز الناس سراعاً ، وقالوا : أظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ، كلا والله ليعلمن غير ذلك . فكانوا بين رجلين ، إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً . وأوعبت قريش ، فلم يتخلف من أشرفها أحد .

إلا أن أباه بن عبد المطلب تخلف ، وبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزى عنه ، بعثه فخرج ، وتخلف أبو لهب .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن أمية بن خلف كان أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً ، فأتاه عقبة بن أبى معيط ، وهو جالس فى المسجد بين ظهرائى قومه ، بهجرة يحملها ، فيها نار وبجمر حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أباه على استعجم ، فإنما أنت من النساء ، قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ، قال : ثم تجهز فخرج مع الناس .

ما وقع بين قريش وكنانة من الحرب : قال ابن إسحاق : ولما فرعوا من جهازهم ، وأجمعوا المسير ، ذكروا ما كان بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : لى لى لى أن يأتونا من خلفنا ، وكانت الحرب التى كانت بين قريش وبين بنى بكر - كما حدثنى بعض بنى عامر بن لؤى ، عن محمد بن سعيد بن المسيب بنى ابن الحفص ابن الأخيف ، أحد بنى معيص بن عامر بن لؤى ، خرج يبتغى ضالة له بضجتان ، وهو غلام حدث فى رأسه ذؤابة : وعليه حلة له ، وكان غلاماً وضيئاً نظيفاً ، فربعامر بن يزيد بن عامر بن الملوح ، أحد بنى يعمر بن عوف بن كعب ابن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وهو بضجتان ، وهو سيد بنى بكر يومئذ ، فرآه فأعجبه ، فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا ابن الحفص بن الأخيف القرشى . فلما ولى الغلام ، قال عامر بن زيد . يا بنى بكر ، مالكم فى قريش من دم ؟ قالوا : بلى والله ، إن لنا فيهم لدماء ، قال ما كان رجل ليمتلك هذا الغلام برجله إلا كان قد استوفى دمه ، قال : فتمعه رجل من بنى بكر فقتله بدم كان له فى قريش ، فتكلمت فيه قريش ، فقال عامر بن يزيد : يامعشر قريش قد كانت لنا فيكم دماء فما شئتم ، فإن شئتم فادوا علينا ما لنا قبلكم ونؤدى ما لكم قبلنا ، وإن شئتم فأنما هى الدماء : رجل برجل ، فتجافوا عما لكم قبلنا ، ونجافى عما لنا قبلكم ، فهان ذلك الغلام على هذا الحى من قريش ، وقالوا صدق ، رجل برجل . فلهوا عنه ، فلم يطلبوا به .

قال : فبينما أخوه مكرز بن حفص بن الأخيف يسير بمر الظهران ، إذ نظر إلى عامر بن يزيد بن عامر الملوح

على جمل له ، فلما رآه أقبل إليه حتى أناخ به ، وعامر متوشح سيفه ، فعلاه مكرز بسيفه حتى قتله ، ثم خاض بطنه بسيفه ، ثم أتى به مكة ، فعلقه من الليل بأستار الكعبة . فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد بن عامر معلقاً بأستار الكعبة ، فمرفوه ، فقالوا : إن هذا لسيف عامر بن يزيد ، عدا عليه مكرز بن حفص فقتله ، فكان ذلك من أمرهم . فبيناهم في ذلك من حريهم ، حجر الإسلام بين الناس ، فقتلوا به ، حتى أجمعت قريش المسير إلى بدر ، فذكروا الذي بينهم وبين بني بكر فخافوهم .

وقال مكرز بن حفص في قتله عامراً :

لما رأيت أنه هو عامر	تذكرت أشلاء الحبيب الملهب
وقلت لنفسى : إنه هو عامر	فلا ترهبه ، وانظري أى مركب
وأيقنت أنى إن أجملته ضربة	مضى ما أصبه بالفرافر يعطب
خففت له جاشى وألقيت كل كلى	على بطل شاكى السلاح مجرب
ولم أك لما التف روعى وروعه	عصارة هجن من نساء ولا أب
حللت به وترى ولم أنس ذحله	إذا ما تناسى ذحله كل عيب

قال ابن هشام : الفرافر في غير هذا الموضع : الرجل الأضبط ، وفي هذا الموضع : السيف . والعيب : الذى لا عقل له ، ويقال : تيس الظباء وفحل النعام ، قال الخليل : العيب : الرجل الضعيف عن إدراك وتره .

وقال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذى كان بينها وبين بني بكر ، فكاد ذلك يثنيهم ، فنبذ لهم إبليس في صورة مرافقة بن مالك بن جعشم المدلجى ، وكان من أشرف بني كنانة ، فقال لهم : أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه ، فخرجوا مراعاة .

خروجه صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه - قال ابن هشام : خرج يوم الإثنين ثمان ليال خلون من شهر رمضان - واستعمل عمرو ابن أم مكتوم - ويقال اسمه : عبد الله بن أم مكتوم أخا بنى عامر بن لؤى ، على الصلاة بالناس ، ثم رد أبا لبابة من الروحاء ، واستعمله على المدينة .

اللواء والرايتان : قال ابن إسحاق : ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . قال ابن هشام : وكان أبيض .

قال ابن إسحاق : وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب ، يقال لها : العقاب ، والآخرى مع بعض الأنصار .

إبل المسلمين إلى بدر : قال ابن إسحاق : وكانت إبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيراً ، فاعتقبوها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي بن أبي طالب ، ومرثد بن أبي مرثد الغنوى يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة . وأبو كبشة ، وأنسة ، موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعتقبون بعيراً ، وكان أبو بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً .

قال ابن إسحاق : وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بنى مازن بن النجار . وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ ؛ فها قال ابن هشام .

الطريق إلى بدر : قال ابن إسحاق : فسلكت طريقه من المدينة إلى مكة ، على نقب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذى الحليفة ، ثم على أولات الجيش .

قال ابن هشام : ذات الجيش .

قال ابن إسحاق : ثم مر على تربان ثم على ملل ، ثم على غميس الحمام من مريين ، ثم على صخيرات اليمام ، ثم على السبالة ، ثم على فجع الروحاء ، ثم على شنوكة ، وهى الطريق المعتدلة ، حتى إذا كان بعرق الظبية - قال ابن هشام : الظبية : عن غير ابن إسحاق - لقوارجلا من الأعراب ، فسألوه عن الناس ، فلم يجدوا عنده خبراً . فقال له الناس : سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أفيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، فسلم عليه ، ثم قال : إن كنت رسول الله فأخبرنى عما فى بطن نافق هذه . قال له سلة بن سلامة بن وقش : لا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل على فأننا أخبرك عن ذلك . نزوت عليها ، ففى بطنها منك سخلة ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مه ، أفحشت على الرجل ، ثم أعرض عن سلة .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم سجسج ، وهى بئر الروحاء ، ثم ارتحل منها ، حتى إذا كان بالمنصرف ، ترك طريق مكة ببسار ، وسلك ذات اليمين على النازية ، يريد بدرأ ، فسلكت فى ناحية منها ، حتى جزع واديا ، يقال له رحقان ، بين النازية وبين مضيق الصفراء ، ثم على المضيق ، ثم انصب منه ، حتى إذا كان قريباً من الصفراء ، بعث بسبس بن عمرو الجهنى ، حليف بنى ساعدة ، وعدى بن أبى الزغباء الجهنى ، حليف بنى النجار ، إلى بدر يتحسسان له الأخبار ، عن أبى سفيان بن حرب وغيره . ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قدمها ، فلما استقبل الصفراء ، وهى قرية بين جبلين ، سأل عن جبليهما ما اسماهما ؟ فقالوا : يقال لاحدهما ، هذا مسلح ، وللآخر : هذا مخزى وسأل عن أهلها ، فقليل : بنو النار وبنو حراق ، بطنان من بنى غفار فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ، وتفاعل بأسمائهما وأسماء أهلها . فتركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والصفراء ببسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له : ذفران ، فجزع فيه ، ثم نزل .

وأناه الخبر عن قريش بمسيرهم لينعوا غيرهم ، فاستشار الناس ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق ، فقال وأحسن . ثم قام عمر بن الخطاب ، فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون . . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغنماد لجالدنا معك من دونه ، حتى تبلغه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له به .

استشارة الأنصار : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا على أيها الناس . ولإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة ، قالوا : يا رسول الله : إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا بمن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : والله لكانك تريدنا يا رسول الله ؟ قال أجل ، قال : لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق ،

لما استعرضت بنا هذا البحر غصنهُ لخصنَاء معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله . فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا وأبشروا ، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران ، فسللك على ثنابا . يقال لها الاصافر ، ثم انحط منها إلى بلد يقال له : الدبة ، وترك الحنان يمين ، وهو كثيب عظيم كالجبل العظيم ، ثم نزل قريماً من بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه .

قال ابن هشام : الرجل هو أبو بكر الصديق .

قال ابن إسحاق : كما حدثني محمد بن يحيى بن حبان : حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبر كما حتى تخبراني بمن أتيا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا خبرتنا أخبرناك ، قال : أذاك بذاك ؟ قال : نعم ، قال الشيخ فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني . فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للسكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للسكان الذي فيه قريش . فلما فرغ من خبره ، قال : بمن أتيا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ، ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء ، أمن ماء العراق ؟

قال ابن هشام : يقال : ذلك الشيخ سفيان الضمري .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث على بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر ، يلتمسون الخبر له عليه - كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير - فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج ، وعريض أبو يسار غلام بنى العاص بن سعيد ، فأنوا بهما فسألوهما ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، فقالا : نحن سقاء قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ، فضربرهما . فلما أذلقوهما قالوا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجديته ، ثم سلم ، وقال إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله لإنهما لقريش ، أخبراني عن قريش ؟ قالوا : هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والكثيب : العقنقل - فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم القوم ؟ قالوا : كثير ، قال : ما عدتهم ؟ قالوا : لا ندري ، قال كم ينحرون كل يوم ؟ قال : يوماً تسعاً ، ويوماً عشراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم فيما بين التسعمائة والالف . ثم قال لهما : فمن فيهم من أشرف قريش ؟ قالوا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدى بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل ابن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ، ومنبه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود . فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، فقال هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها .

قال ابن إسحاق : وكان بسبس بن عمرو ، وعدى بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرآ ، فأنابا إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذنا شنا لهما يستقيان فيه ، ومجدى بن عمرو الجهني على الماء : فسمع عدى وبسبس جارتين من جوارى الحاضر وهما يتلازمان على الماء ، والمزومة تقول لصاحبتها : إنما تأتي العير غدا أو بعد غد ، فأعمل لهما ، ثم أقضيك الذي لك . قال مجدى : صدقت ثم خلص بينهما . وسمع ذلك عدى وبسبس ، فجلسا على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبراه بما سمعا .

فجاءه أبي سفيان بالبعير : وأقبل أبو سفيان بن حرب ، حتى تقدم العير حذرا ، حتى ورد الماء ، فقال لمجدى ابن عمرو : هل أحسست أحدا ، فقال : ما رأيت أحدا أنكره ، إلا أنى قد رأيت راكبين قد أنابا إلى هذا التل ، ثم استقيا في شئ لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخها ، فأخذ من أبعاد بعيريهما ، ففته ، فإذا فيه النوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب . فرجع إلى أصحابه سريعا ، فضرب وجهه عيره عن الطريق فساحل بها ، وترك بدرآ بيسار ، وانطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة ، رأى جهم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : لاني رأيت فيما يرى النائم ، ولاني لبين النائم واليقظان . إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على قرس حتى وقف ، ومعه بعير له ؛ ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميرة بن خلف ، وفلان وفلان ، فعدد رجلا ممن قتل يوم بدر ، من أشرف قريش ، ثم رأيت ضرب في لبة بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه .

قال : فبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضا نبي آخر من بنى المطالب ، سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : لأنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم ؛ فقد نجاها الله ، فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدرآ . وكان بدر موسما من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سوق كل عام - فنقيم عليه ثلاثا ، فننحر الجزر ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجهنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدنا ، فامضوا .

وقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكان حليفا لبني زهرة وهم بالجحفة : يا بني زهرة ، قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخزومة بن نوفل ، ولأنما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا لي جنبها وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة ، لا ما يقول هذا ، يعني أبا جهل : فرجعوا ، فلم يشهدوا زهرى واحد ، أطاعوه وكان فيهم مطاعا . ولم يكن بقي من قريش بطن إلا وقد نفر منهم ناس ، إلا بنى عدى بن كعب ، لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس بن شريق ، فلم يشهد بدرآ من هاتين القبيلتين أحد ، ومشى القوم . وكان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم ، وإن خرجتم معنا ، أن هواكم لمع محمد فرجع طالب إلى مكة مع من رجع . وقال طالب ابن أبي طالب :

لاهم إما يغزون طالب في عصبة محالف حارب
في مقتب من هذه المقاب فليكن المسلوب غير السالب
وليكن المغلوب غير الغالب

قال ابن هشام : قوله فليكن المسلوب ، وقوله : واسكن المغلوب عن غير واحد من الرواة للشعر .

قريش تنزل بالعدوة والمسلمون بيدر : قال ابن إسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى خلف العقنقل وبطن الوادى ، وهو بليل ، بين بدر وبين العقنقل ، الكتيب الذى خلفه قريش ، والقلب بيدر فى العدوة الدنيا من بطن بليل إلى المدينة . وبعث الله السماء ، وكان الودى دهسا ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبد لهم الأرض ولم يمنهم عن السير ، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدرُوا على أن يرتحلوا معه . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به .

قال ابن إسحاق : فحدثت عن رجال من بنى سلية ، أنهم ذكروا : أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم ، فنزله ، ثم نعوذ ما رواه من القلب ، ثم نبى عليه حوضاً فمأواه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم - ومن معه من الناس ، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فعمورت ، وبني حوض على القلب الذى نزل عليه فلىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

بناء العريش : قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث ، أن سعد بن معاذ قال : يا نبي الله ، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى ، جلست على ركائبك ، فلاحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام ، يا نبي الله ، ما نحن بأشد لك حبا منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ماتخلفوا عنك ، يمنحك الله بهم ، يناصحوك ويجاهدون معك : فأنشئ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعأ له بخير . ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش ، فكان فيه .

قال ابن إسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل - وهو الكتيب الذى جاءوا منه إلى الوادى - قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وغرها ، تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أحهم الغداة .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - (حينئذ) رأى عتبة بن ربيعة فى القوم على جمل له أحر - إن يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا .

وقد كان خفاف بن أيماء بن رخصة الغفارى ، أو أبوه أيماء بن رخصة الغفارى ، بعث إلى قريش ، حين مروا به ، ابنا له بجزائره أهداها لهم ، وقال : إن أحببتهم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلننا . قال : فأرسلوا إليه مع ابنه : أن وصلتك رحم ، قد قضيت الذى عليك ، فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم ، ولئن كنا إنما نقاتل الله ، كما يزعم محمد ، فما لأحد بالله من طاقة .

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم . فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام ، فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك ، فحسن إسلامه . فكان إذا اجتهد فى يمينه ، قال : لا والذى نجانى من يوم بدر .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبى إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لما

اطمان القوم ، بعثوا عمير بن وهب الجمحي ففعلوا : احزر لنا أصحاب محمد ، قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم ، فقال ثلاث مائة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقصون ، ولكن أهملوني حتى أنظر القوم كمين أو مدد ؟ قال : فضرب في الوادي حتى أبعد ، فلم ير شيئا ، فرجع إليهم فقال : ما وجدت شيئا ، ولكني قد رأيت . يامعشر قريش ، البلاء يا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم ، حتى يقتل رجلا منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ ففروا رأيكم .

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال يا أبا الوليد ، إنك كبير قريش وسيدها ، والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي ، قال : قد فعلت ، أنت على بذلك ، إنما هو حليف ، فعلى عقله وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنظلية .

الحنظلية ونسبها : قال ابن هشام : والحنظلية أم أبي جهل ، وهي أسماء بنت مخزبة ، أحد بني نهشل بن دارم ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم - فأتى لأخشي أن يشجر أمر الناس غيره ، يعني أبا جهل بن هشام . ثم قام عتبة بن ربيعة خطيبا ، فقال : يامعشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه أو ابن خاله ، أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل ، فوجدته قد نثل درعاً له من جراها ، فهو يهنئها قال ابن هشام : يهنئها - فقلت له : يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا ، للذي قال ، فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لا ترجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعثه ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه ، فقد تخوفكم عليه ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي ، فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثارك بعينك ، فقم فأشدد خفرك ، ومقتل أخيك .

فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ : واعمره ، واعمره ، لحمت الحرب وحقت الناس ، واستوسقرا على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة .

فلما بلغ عتبة قول أبي جهل « انتفخ والله سحره » قال : سيعلم مصفرأسته من انتفخ سحره ، أنا أم هو ؟

قال ابن هشام : السحر : الرثة وما حولها مما يعلق بالحلقوم من فوق السرة . وما كان تحت السرة ، فهو القصب ، ومنه قوله : رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار قال ابن هشام : حدثني بذلك أبو عبيدة .

ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه ، فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجز على رأسه برده له .

مقتل الأسود : قال ابن إسحاق : وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أو لأهدمنه ، أو لأموتن دونه ، فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ،

فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشنخب رجله دنا نحو أصحابه ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد - أن يبر يمينه ، وأنبه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

دعاء عتبة إلى المبارزة : قال : ثم خرج بعد عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شيبه بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الانصار ثلاثة ، وهم : عوف ، ومعوذ ، ابنا الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر يقال : هو عبد الله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم؟ فقالوا رهط من الانصار : قالوا : ما لنا بكم حاجة ، ثم نادى منادهم يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة وقم يا علي ، فلما قاموا دنوا منهم ، قالوا : من أنتم؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي ، قالوا : نعم ، أكفاء كرام - فبارز عبيدة ، وكان أسن القوم ، عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة . فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله . واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلي بأسيا فهما على عتبة فذفعا عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الانصار ، حين انتسبوا أكفاء كرام ، إنما تريد قومنا .

الثقاء الثريقيين : قال ابن إسحاق : ثم تراخى الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتشفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش . معه أبو بكر الصديق .

فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صليحة سبع عشرة من شهر رمضان .

قال ابن إسحاق : كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين .

ضرب الرسول لابن غزية : قال ابن إسحاق : وحدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قدح يعدل به القوم ، فر بسواد بن غزية ، حليف بني عدى بن النجار - قال ابن هشام : يقال ، سواد ، مثقلة ، وسواد في الانصار غير هذا ، مخفف - وهو مستنقل من الصف - قال ابن هشام : ويقال : مستنصل من الصف ، فطعن في بطنه بالقدح ، وقال : استو يا سواد ، فقال : يا رسول الله وجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل ، قال : فأقذني : فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال : أستقد ، قال : فاعتنقه فقبل بطنه : فقال : ما حملك على هذا يا سواد؟ قال : يا رسول الله حضر ماترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلديك فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقاله له .

الرسول يناشد ربه أن ينصره : قال ابن إسحاق : ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ، ورجع إلى العريش فدخله ، ومعه فيه أبو بكر الصديق ، ليس معه فيه غيره ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ، وأبو بكر يقول : يا نبي الله : بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدك . وقد خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله . هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده ، على ثمانية النقع .

أول قتيل من المسلمين قال ابن إسحاق: وقد رعى مهجع ، مولى عمر بن الخطاب بسهم ، فكان أول قتيل من المسلمين ، ثم رعى حارثة بن سراقة ، أحد بني عدى بن النجار ، وهو يشرب من الخوض ، بسهم فأصاب نحره ، فقتل .

قال : ثم . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فخرضهم ، وقال : والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة . فقال عمير بن الحمام ، أخو بني سلة ، وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ، أفأبني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عوف بن الحارث ، وهو ابن عفراء قال : يا رسول الله ، ما يضحك الرب من عبده ، قال : غمسه يده في العدو حامراً . فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري ، حليف بني زهرة ، أنه حدثه : أنه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قال أبو جهل بن هشام : اللهم أقطعنا للرحم ، وآثانا بما لا يعرف ، فأحنه الغداة . فكان هو المستفتح .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصاء فاستقبل قريشاً بها ، ثم قال : شأهت الوجوه ، ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه ، فقال : شدوا ، فكانت الهزيمة ، فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش ، وأمر من أمر من أشرفهم . فلما وضع القوم أيديهم يأمرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، وسعد ابن معاذ قائم على باب العريش ، الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، متوشحاً بالسيف ، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كرة العدو ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي - في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لكأنك يأسعد تكره ما يصنع القوم ، قال : أجل والله يا رسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك . فكان الإثخان في القتل بأهل الشرك أحب إلى من استبقاء الرجال

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها ، لأحاجة لهم بقتلنا فن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختری بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله فانه إنما أخرج مستكراً قال : فقال أبو حذيفة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخوتنا وعشيرتنا . وترك العباس ، الله لئن لقيته لأحمنه السيف - قال ابن هشام : ويقال : لألجئه السيف - قال : فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص - قال عمر : والله إنه لأول يوم كنان في رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص - أيضاً وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ؟ فقال عمر : يا رسول الله ، دعني فلاضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نأفقت . فكان أبو حذيفة يقول . ما أنا بأمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً ، إلا أن تسكرها عنى الشهادة . فقتل يوم اليمامة شهيداً .

قال ابن إسحاق : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختری لانه كان أكف القوم عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطلب . فلقبه المجذر بن زياد البلوى ، حليف الانصار ، ثم من بنى سالم بن عوف ، فقال المجذر لأبي البختری إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد نهانا عن قتلك ، ومع أبي البختری زميل له قد خرج معه من مكة ، وهو جنادة بن مليحة بنت زهير بن الحارث بن أسد ، وجنادة رجل من بنى ليث . واسم أبي البختری : العاص - قال : وزميلي ؟ فقال له المجذر : لا والله ، ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك ، فقال : لا والله ، إذا لاموتن أنا وهو جميعاً ، لا تتحدث عنى نساء مكة أنى تركت زميلي حرصاً على الحياة . فقال أبو البختری حين نازله المجذر ، وأبى إلا القتال ، يرتجز :

لن يسلم ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله

فاقتتلا ، فقتله المجذر بن زياد . وقال المجذر بن زياد في قتله أبا البختری :

لما جهلت أو نسيت نسي	فأثبت النسبة أنى من بلى
الطاعنين برماح الزنى	والضاربين الكبش حتى ينحني
بشر بيتهم من أبوه البختری	أو بشرن بمثلها منى بنى
أنا الذى يقال أصلى من بلى	أطعن بالصعدة حتى تنثنى
وأعبط القرن بعضب مشرفى	أرزم للوت كازمام المرى

فلا ترى مجذرا يفرى فرى

قال ابن هشام : المرى عن غير ابن إسحاق . والمرى : الناقة التي يستنزل لبنها على عسر .

قال ابن إسحاق : ثم إن المجذر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيك به ، فأبى إلا أن يقاتلنى ، فقاتلته فقتلته .

قال ابن هشام : أبو البختری : العاص بن هشام بن الحارث بن أسد .

مقتل أمية بن خلف : قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال ابن إسحاق : وحدثنيه أيضاً عبد الله بن أبي بكر وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف قال : كان أمية بن خلف لى صديقا بمكة ، وكان اسمى عبد عمرو ، فتسميت ، حين أسلمت ، عبد الرحمن ، ونحن بمكة ، فكان يلقانى إذ نحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبت عن اسم سماكة أبواك ؟ فأقول : نعم ، فيقول : فإنى لا أعرف الرحمن ، فاجعل بينى وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تجيئنى باسمك الاول ، وأما أنا فلا أدعوك بمالا أعرف ، قال : فكان إذا دعانى : يا عبد عمرو ، لم أجبه . قال : فقلت له : يا أبا على ، اجعل ما شئت ، قال : فأنت عبد الإله ، قال : فقلت : نعم ، قال : فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله فأجيبه ، فأتحذ معه . حتى إذا كان يوم بدر ، مررت به وهو واقف مع ابنه ، على بن أمية ، آخذ بيده ، ومعى أدرع ، قد استلبتها ، فأنا أحملها . فلما رآنى قال لى : يا عبد عمرو ، فلم أجبه ، فقال : يا عبد الإله ؟ فقلت : نعم ، قال : هل لك فى ، فأنا خير لك من هذه الأدرع التي معك ؟ قال : قلت : نعم ، ها الله ذا ، قال : فطرح الأدرع من يدي ، وأخذت بيده ويد ابنه ، وهو يقول : ما رأيت كالיום قط أما لكم حاجة فى اللبن ؟ قال : ثم خرجت أمشى بهما .

قال ابن هشام : يريد باللبن ، أن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لي أمية بن خلف ، وأنا بينه وبين ابنه ، آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجل منكم المعلم بريشة نعامه في صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل ، قال عبد الرحمن : فوالله إنني لأقودهما إذ رآه بلال معي - وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على ترك الإسلام ، فيخرجه إلى رمضان مكة إذا حميت ، فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على ظهره ، ثم يقول : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد ، فيقول بلال : أحد أحد . قال : فلما رآه ، قال رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا . قال : قلت : أي بلال ، أبأسيرى قال : لا نجوت إن نجا . قال : ثم صرخ بأعلى صوته ، يا أنصار الله ، رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وأنا أذب عنه . قال : فأخلف رجل السيف ، فضرب رجل ابنه فوقه ، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلاً قط ، قال : فقلت انج بنفسك ، ولا نجاء بك فوالله ما أغنى عنك شيئاً . قال : فهبروهما بأسيا ففهم ، حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا ، ذهب أدراعي ولجفت بأسيرى .

الملائكة تشهد وقعة بدر : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس قال : حدثني رجل من بني غفار ، قال أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ، ننظر الوقعة على من تكون الدبرة ، فننتهب مع من يذهب . قال : فبينما نحن في الجبل ، إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حمحة الخيل ، فسمعت قائلاً يقول : أقدم حيزوم ، فأما ابن عمي فأنكشف قناع قلبه ، فمات مكانه ، وأما أنا فكنت أهلك ، ثم تماسكت .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدرا ، قال ، بعد أن ذهب بصره : لو كنت اليوم بيدرو ومعي بصرى لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة ، لأشك فيه ولا أتمارى .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن رجال من بني مازن بن النجار ، عن أبي داود المازني ، وكان شهد بدرا ، قال : إنني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أنه قد قتله غيري .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أنهم عن مقسم ، مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمامهم بيضا قد أرسلوها على ظهورهم ، ويوم حنين عمامهم حمراء . قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم : أن علي بن أبي طالب قال . العمام : تيجان العرب ، وكانت سيماء الملائكة يوم بدر عمامهم بيضا قد أرخواها على ظهورهم ، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أنهم عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : ولم تقا تل الملائكة في يوم سوى بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً وممدداً لا يضربون .

مقتل أبي جهل : قال ابن إسحاق : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز ، وهو يقاتل ويقول :

ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث سني

لمثل هذا ولدتني أمي

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : أحد أحد .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، أمر بأبي جهل أن يلتبس في القتلى .

وكان أول من لقي أبا جهل ، كما حدثني ثور بن يزيد عن عكرمة ، عن ابن عباس ، وعبد الله بن أبي بكر أيضا قد حدثني ذلك ، قالوا : قال معاذ بن عمرو بن الجوح ، أخو بني سلة : سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة قال ابن هشام : الحرجة : الشجر الملتف . وفي الحديث عن عمر بن الخطاب : أنه سأل أعرابيا عن الحرجة ، فقال : هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها - وهم يقولون : أبو الحكم لا يخلص إليه . قال : فلما سمعتها جعلته من شأني ، فصمدت نحوه ، فلما أمكنتني حملت عليه ، فضربت ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها . قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي ، فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبتي ، وأجهضني القتال عنه ، فلقد قاتلت عامة يومى ، ولأني لاسحبها خلفي ، فلما آذنتى وضعت عليها قدمي ، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها .

قال ابن إسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان .

ثم مر بأبي جهل وهو عقير ، معوذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبتته ، فتركه وبه رمق . وقاتل معوذ حتى قتل ، فر عبد الله بن مسعود بأبي جهل ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتبس في القتلى ، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيها بلغى - انظروا إن خفي عليكم في القتلى ، إلى أثر جرح في ركبته ، فإنني ازدحت يوما أنا وهو على مائدة لعبد الله بن جدعان ، ونحن غلامان ، وكنت أشف منه يديسير ، فدفعته فوق عاتق ركبته ، فجحش في إحداها جحشا لم يزل أثره به . قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بأخر رمق فعفرته ، فوضعت رجلى على عنقه - قال : وقد كان ضبب بى مرة بمكة ، فأذاني ولكزني ، ثم قلت له هل أخزأك الله يا عدو الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ، أعمد من رجل قتلتموه ، أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله .

قال ابن هشام ضبب : قبض عليه ولزمه . قال ضابىء بن الحارث البرجمي :

فأصبحت بما كان بيني وبينكم من الود مثل الضابث الماء باليد

قال ابن هشام : ويقال : أعار على رجل قتلتموه ، أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟

قال ابن إسحاق : وزعم رجال من بنى مخزوم ، أن ابن مسعود كان يقول :

قال لى : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعى الغنم ، قال : ثم احتزرت رأسه ثم جثت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله : هذا رأس عدو الله أبى جهل ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آله الذى لا إله غيره - قال : وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : قلت نعم ، والله الذى لا إله غيره - ، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي : أن عمر بن الخطاب قال اسمعيد بن العاص ، ومر به : لاني أراك كان في نفسك شيئا ، أراك تظن أنى قتلت أباك ، لاني لو قتلتك لم أعتذر إليك من قتله ،

ولكنى قتلت خالى العاص بن هشام بن المغيرة ، فأما أبوك فأبى مررت وهو يبحث بحث النور بروقه فحدث عنه ، وقصده ابن عمه على فقتله .

غزوة بدر

وبدر : اسم بئر حفرها رجل من غفار ، ثم من بنى النار منهم ، اسمه : بدر ، وقد ذكرنا في هذا الكتاب قول من قال : هو بدر بن قريش بن يخلد الذى سميت قريش به . وروى يونس عن ابن أبى زكريا عن الشعبي قال : بدر : اسم رجل كانت له بدر .

التحسس والتجسس : فصل : وذكر أبا سفيان ، وأنه حين دنا من الحجاز ، كان يتحسس الأخبار . التحسس بالحاء : أن تسمع الأخبار بنفسك ، والتجسس بالجيم : هو أن تفحص عنها بغيرك ، وفي الحديث « لا تجسسوا » ، ولا تحسسوا .

رؤيا عاتكة : وذكر رؤيا عاتكة والصارخ الذى رآته يصرخ بأعلى صوته : يا لعدو ١١ هكذا هو بضم الغين والدال جمع غدور ، ولا تصح رواية من رواه : يا لعدو بفتح الدال مع كسر الراء ، ولا فتحها ، لأنه لا ينادى واحدا ، ولأن لام الاستغاثة لا تدخل على مثل هذا البناء فى النداء ، وإنما يقول : يا لعدو انفروا تجريضا لهم ، أى : إن تختلفتم ، فأنتم غدر لقومكم ، وفتحت لام الاستغاثة ، لأن المنادى قد وقع موقع الاسم المضمر ، ولذلك بنى ، فلما دخلت عليه لام الاستغاثة وهى لام جر فتحت كما تفتح لام الجر إذا دخلت على المضمرات ، وهذا قول ابن السراج ، ولأبى سعيد السيرافى فيها تعليل غير هذا كرهنا الإطالة بذكره ، وهذا القول مبنى فى شرح يالعدو إنما هو على رواية الشيخ . وما وقع فى أصله ، وأما أبو عبيدة ، فقال فى المصنف : تقول يا لعدو ، أى : يا لعدو ، فإذا جمعت قلت يا آل عدو ، وهكذا والله أعلم . كان الأصل فى هذا الخبر ، والذى تقدم تغيير .

وقوله ، ثم مثل به بعيره على أبى قبيس ، سعى هذا الجبل أبى قبيس برجل هلك فيه من جرهم اسمه قبيس بن شاخ ، وقع ذكره فى حديث عمرو بن مضاض ، كما سعى حنين الذى كانت فيه حنين بحنين بن قالية بن مهلايل ، أظنه كان من العماليق ، وقد ذكره البكرى فى كتاب معجم ما استعجم .

اللياط وذكر حديث أبى لهب ، وبعثه العاصى بن هشام ، وكان لاط له بأربعة آلاف درهم . لاط له : أى أربى له ، وكذلك جاء اللياط مفسرا فى غريب الحديث للخطابى ، وهو قوله عليه السلام فى الكتاب الذى كتبه لثقيف : وما كان لهم من دين لارهن فيه فهو لياط . مبرا من الله وقال أبو عبيد : وسمى الربا لياطاً ، لأنه ملصق بالبيع ، وإيس ببيع ، وقيل للربا لياطاً لأنه ، لاصق بصاحبه لا يقضيه ، ولا يوضع عنه ، وأصل هذا اللفظ من اللصوق .

المجمرة والألوة : وعزم أمية بن خلف على العقود ، وأن عقبه بن أبى معيط جاءه بمجمرة فيها نار وبجمر ، وقال : استجمر فإنما أنت من النساء . المجمرة : هى الأداة التى يجعل فيها البخور ، والمجمر هو البخور نفسه ، وفى الحديث فى صفة أهل الجنة مجامرهم الألوة ، فهذا جمع بجمر لا بمجمرة ، والألوة : هى العود الرطب ، وفيها أربع لغات ألوة والأوة [بفتح الهزة وضمها] ، ولوة بغير ألف ولية ، قاله أبو حنيفة .

شعر مكرز : وذكر في شعر مكرز :

تذكرت أشلاء الحبيب الملمح

الأشلاء : أعضاء مقطعة ، والملمح من قولهم : لحبت اللحم إذا قطعتة طولا ذكره صاحب العين . وذكر في شعر مكرز :

مق ما أجلله الفرافر يعطب

وقد فسر ابن هشام الفرافر ، وقال : هو اسم سيف ، وهو عندى من فرفر اللحم إذا قطعه أنشد أبو عبيد :

ككلب طسم وقد تربية يعله بالحليب فى الغلس
أنحى عليه يوما يفره إن يلغ فى الدماء يذتهس

ويروى : يشرشره . والعيب الذى لا عقل له ، ويقال لذكر النعم عيب .

المواضع التى نزل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم : وذكر عرق الظبية ، والظبية : شجرة شبه القتادة يستظل بها ، وجمعها . ظبيان ، وكذلك ذكر السيلة فى طريق بدر : والسيال شجر ، ويقال : هو عظام السلم ، قاله أبو حنيفة . وذكر النازية ، وهى رجة واسعة فيها عضاة ومروج .

وذكر سجسجاً ، وهى بالروحاء ، وسميت سجسجاً ، لأنها بين جبلين ، وكل شىء بين شيتين ، فهو : سجسج . وفى الحديث : إن هواء الجنة سجسج ، أى . لا حر ولا برد ، وهو عندى من لفظ السججاج ، وهو لبن غير خالص ، وذلك إذا أكثر مزجه بالماء ، قال الشاعر :

ويشربها مزجا ويسقى عياله سججاً كأقارب الثعالب أورقاً

وهذا القول جار على قياس من يقول : إن الثرثرة من لفظ : الثرة ، ورفرت من لفظ : رفقت إلى آخر الباب : وذكر الصفراء ، وهى واد كبير .

ذكر لبعض الأنساب : وذكر بسبس بن عمرو الجهنى ، وعدى بن أبى الزغباء حين بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحسسان الأخبار عن عير قریش ، وفى مصنف أبى داود : بسبسة مكان بسبس وبعض رواة أبى داود يقول بسبسة بضم الباء : وكذلك وقع فى كتاب مسلم ونسبه ابن إسحاق إلى جهينة ، ونسبه غيره إلى ذبيان ، وقال : هو بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن عمرو بن سعد بن ذبيان ، وأما عدى بن أبى الزغباء ، واسم أبى الزغباء : سنان بن سبيح بن ثعلبة بن ربيعة بن بذيل ، وليس فى العرب بذيل بالذال المنقوطة غير هذا ، قاله الدارقطى ، وهو بذيل بن سعد بن عدى بن كاهل بن نصر بن مالك بن غطفان بن قيس بن جهينة ، وجهينة : وهو ابن سود بن أسلم بضم اللام بن الخاف بن قضاة ، قال موسى بن عقبة : عدى بن أبى الزغباء حليف بنى مالك بن النجار مات فى خلافة عمر ، وكان قد شهد بدرأ وأحدأ والخندق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر أنه عليه السلام مر بجباين ، فسأل على اسميهما ، فقيل له : أحدهما مسلح والآخر مخزى ، فعدل عن طريقهما وليس هذا من باب الطيرة ، التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولكن من باب كراهية الاسم القبيح ، فقد كان عليه السلام يكتب إلى أمرائه إذا أبرتم إلى بريدأ فاجعلوه حسن الاسم ، ذكره البزار من طريق بريدة ، وقد قال فى لقحة : من يحلب هذه ؟ فقام رجل فقال أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ فقال : مرة ، فقال : أقعد

حقى قال آخرهم : اسمى : يعيش ، قال : احلب . اختصرت الحديث وفيه زيادة رواها ابن وهب ، قال : فقام عمر فقال : لا أدري أفول أم أسكت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل ، فقال له : قد كنت نهيتنا عن التطير فقال عليه السلام : ما تطيرت ، ولكنى أثرت الاسم الحسن ، أو كما قال عليه السلام . وقد أملت في شرح حديث المواطنى الشؤم ، وأنه إن كان فى المرأة والفرس والدار تحقيقاً وبياناً شافياً لمعناه ، وكشفاً عن فقهه لم أر أحداً - والحمد لله - سبقنى إلى مثله .

وهذان الجبلان لتسميتهما بهذين الاسمين سبب ، وهو أن عبداً لبني غفار كان يرعى بهما غنماً لسيده ، فرجع ذات يوم عن المرعى ، فقال له سيده : لم رجعت ؟ فقال : إن هذا الجبل مسلح للغنم ، وإن هذا الآخر مخزى فسمياً بذلك . وجدت ذلك بخط الشيخ الحافظ فيما نقل عن الوقشى .

وذكر قول المقداد : ولو بلغت بنا برك الغماد ، وجدت في بعض كتب التفسير أنها مدينة الحبشة .

تعوير القلب : وذكر القلب التى احتفرها المشركون ليشربوا منها ، قال : فأمر بتلك القلب فعورت ، وهى كلمة نبيلة ، وذلك أن القلب لما كان عيناً جعلها كعين الإنسان ، ويقال فى عين الإنسان : عرتها فعارت ، ولا يقال عورتها ، وكذلك قال فى القاب عورت بسكون الواو . ولكن لما رد الفعل لما لم يسم فاعله ضمت العين ، فجاء على لغة من يقول : قول القول وبوع المتاع ، وهى لغة هذيل وبني دبير من بني أسد وبني قعس ، وبني دبير هو تصغير أدبر على الترخيم ، وإن كانت لغة رديئة ، فقد حسنت هنا المحافظة على لفظ الواو ، إذ لو قالوا : عبرت فأميت الواو ، لم يعرف أنه من العور إلا بعد نظر ، كما حافظوا فى جمع عيد على لفظ الياء فى عيد فقالوا . أعياد وتركوا القياس الذى فى ريع وأرواح على أن أرياحاً لغة بني أسد كى لا تذهب من اللفظ الدلالة على معنى العين ، وإن كان من العودة ، وقس على هذا القول ، وصحة الواو فيه ، وكما حافظوا على الضمة فى سبوح وقدوس ، وقياسه : أن يكون على فعول بفتح الفاء كتنوم وشبوط وبابه ، ولكن حافظوا على الضمتين ، ليسلم لفظ القدس والسبحات وسبحان الله يستشعر المتكلم بهذين الاسمين معنى القدس ، ومعنى سبحان من أول وهلة ، ولما ذكرناه نظائر كثيرة يخرجنا لإيرادها عن الغرض .

وذكر قول أبى جهل : قم فائشد خفرتك ، أى : اطاب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ، لأنه كان حليفاً لهم وجاراً يقال : خفرت الرجل خفرة إذا أجرته ، والخفير . المجير . قال العبادى .

من رأيت الايام خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير

وقوله : حقبت الحرب ، يقال : حقب الأمر إذا اشتد ، وضائق فيه المسالك ، وهو مستعار من حقب البعير إذا اشتد عليه الحقب وهو الحزام الأسفل ، وراغ حتى يبلغ ثيله ، فضاق عليه مسلك البول .

وقول عتبة فى أبى جهل : سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره . السحر والسحر الرثة ، والسحر أيضاً بفتح الحاء ، وهو قياس فى كل اسم على فعل إذا كان عين الفعل حرف حلق ، أن يجوز فيه الفتح ، فيقال فى الدهر : الدهر ، وفى اللحم : اللحم ، حتى قالوا فى النحو النحو ، ذكرها ابن جنى ، ولم يعتمدوا على هذا التحريك الذى من أجل حرف الحلق لما كان لعله ، فلم يقلبوا الواو من أجله ألفاحين قالوا : النحو والزهد ، ولو اعتدوا بالفتحة لقلبوا الواو ألفاً ، كما لم يعتدوا بها فى : يهب ويضع ، إذ كان الفتح فيه من أجل حرف الحلق ، ولو اعتدوا به ، لردوا الواو فقالوا : يوضع ويوهب ، كما قالوا : يوجل .

وقوله مصفر استه : كلمة لم يختارها عتبة ، ولا هو أبى عذرهما ، قد قيلت قبله لقابوس بن النعمان ، أو لقابوس ابن المنذر ، لأنه كان مرفها لا يغزو في الحروب ، فقيل له : مصفر استه ، يريدون : صفرة الخلق والطيب ، وقد قال هذه الكلمة قيس بن زهير في حذيفة يوم الهبابة ، ولم يقل أحد إن حذيفة كان مستوها ، فإذا لا يصح قول من قال في أبى جهل من قول عتبة فيه عذبه الكلمة : لأنه كان مستوها والله أعلم

وسادة العرب لا تستعمل الخلق والطيب إلا في الدعة والخفض وتعييه في الحرب أشد العيب ، وأحسب أن أبا جهل لما سلمت العير ، وأراد أن ينحمر الجزور ، ويشرب الخمر بيد ، وتعزف عليه القيان بها استعمل الطيب أو هم به ، فلذلك قال له عتبة هذه المقالة ، ألا ترى إلى قول الشاعر في بني مخزوم :

ومن جهل أبو جهل أخوكم غزا بدرأ بمجمرة وتور

يريد : أنه تنحمر وتطيب في الحرب .

وقوله : مصفر استه إنما أراد مصفر بدنه ، ولكنه قصد المبالغة في الذم فخص منه بالذكر ما يسوؤه أن يذكر . سواد بن غزية : فصل : وذكر قصة سواد بن غزية حين مر به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو مستنزل أمام الصف ، قال ابن هشام : ويقال : مستنصل . قوله مستنزل أمام الصف ، يقال استنزلت واستنصلت وأبرنذعت وأبرنتيت بالراء المهملة وبازاى ، هكذا تقييد في الغريب المصنف ، كل هذا إذا تقدمت . سواد هذا بتخفيف الواو ، وكل سواد في العرب ، فكذلك بتخفيف الواو وفتح السين ، إلا عمرو بن سواد أحد بني عامر ابن لؤى من شيوخ الحديث ، وسواد بضم السين ، وتخفيف الواو ، هو ابن مري بن إراشة بن قضاعة ثم من بلى حلفاء الانصار : ووقع في الاصل من كلام ابن هشام سواد مثقلة ابن غزية ، وهو خطأ ، إنما الصواب ما تقدم ، وسواد هذا هو عامل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على خير الذي جاءه بتمر جنيب ، ذكره مالك في الموطأ ولم يسمه .

وقول ابن هشام مستنصل ، معناه : خارج من الصف من قولك : نصلت الرمح إذا أخرجت ثعلبه من السنان . وذكر قول أبى بكر بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدك ، رواه غير ابن إسحاق كذلك مناشدتك ، وفسره قاسم في الدلائل ، فقال : كذلك قد يراد بها معنى الإغراء والأمر بالكف عن الفعل ، وأنشد لجرير :

كذاك القول إن عليك عينا

أى : حسبك من القول ، فده ، وفي البخارى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا نجشة : يا أنجشة رويدك سوفك بالقوارير ، وأورده مرة أخرى فقال فيه سوفك وإنما دخله معنى النصب كما دخل : عليك زيداً معنى النصب ، وفي دونك ، لأنك إذا قلت دونك زيداً وهو يطلبه فقد أعلبته بمكانه فكأنك قلت : خذه ، ومسألة كذاك من هذا الباب لأنك إذا قلت : كذاك القول أو السير ، فكأنك قلت : كذاك أمرت فاكفف ودع ، فأصل البابين واحد وهو ظرف بعده ابتداء ، وهو خبر يتضمن معنى الأمر أو الإغراء بالشئ ، أو تركه ، فنصبوا بما في ضمن الكلام ، وحسن ذلك حيث لم يعدلوا عن عامل لفظي إلى معنوي ، وإنما عدلوا عن معنوي إلى معنوي ، ولو أنهم حين قالوا : دونك زيداً يلفظون بالفعل فيقولون استقر دونك زيد ، وهم يريدون الإغراء به والأمر بأخذه لما جاز النصب بوجه ، لأن الفعل ظاهر لفظي ، فهو أقوى من المعنوي .

فصل : وفي هذا الحديث من المعاني أن يقال : كيف جعل أبو بكر يأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالكف عن الاجتهاد في الدعاء ، ويقوى رجاءه ويثبت ، ومقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو المقام الاحمد وبقينه فوق يقين كل أحد ، فسمعت شيخنا الحافظ - رحمه الله - يقول في هذا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف ، وكان صاحبه في مقام الرجاء ، وكلا المقامين سواء في الفضل ، لا يريد أن النبي والصدیق سواء ، ولكن الرجاء والخوف مقامان لا بد للإيمان منهما ، فأبو بكر كان في تلك الساعة في مقام الرجاء لله ، والنبي عليه السلام كان في مقام الخوف من الله ، لأن الله أن يفعل ما شاء ، يخاف أن لا يعبد الله في الأرض بعدها ، فخوفه ذلك عبادة . وأما قاسم بن ثابت ، فذهب في معنى الحديث إلى غير هذا ، وقال : إنما قال ذلك الصدیق مأوية للنبي عليه السلام ورقة عليه ، لما رأى من نصبه في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه ، فقال له : بعض هذا يا رسول الله ، أي : لم تتعب نفسك هذا التعب ، والله قد وعدك بالنصر ، وكان رقيق القلب شديد الإشفاق على النبي صلى الله عليه وسلم .

جهاد النبي في المعركة : قال المؤلف : وأما شدة اجتهاد النبي - صلى الله عليه وسلم - ونصبه في الدعاء فإنه رأى الملائكة تنصب في القتال وجبريل على ثنياه الغبار ، وأنصار الله يخوضون غمار الموت . والجهاد على ضربين : جهاد بالسيف ، وجهاد بالدعاء ، ومن سنة الإمام أن يكون من وراء الجند لا يقاتل معهم ، فكان الكل في اجتهاد وجد ، ولم يكن ليريح نفسه من أحد الجدين والجهادين ، وأنصار الله وملائكته يجتهدون ، ولا ليؤثر الدعة ، وحزب الله مع أعدائه يجتهدون .

المفاعلة ومعناها : وقوله بعض مناشدتك ربك ، والمفاعلة لا تكون إلا من اثنين والرب لا يشد عبده ، وإنما ذلك لأنها مناجاة للرب ، ومحاولة لأمر يريده ، فلذلك جاءت على بناء المفاعلة ، ولا بد في هذا الباب من فعلين لفاعلين ، إما متفقين في اللفظ ، وإما متفقين في المعنى ، وظن أكثر أهل اللغة أنها قد تكون من واحد نحو : عاقبت العبد وطارقت النعل وسافرت ، وعافاه الله ، فنقول : أما عاقبت العبد فهي معاملة بينك وبينه ، عاملك بالذنب ، وعاملته بالعقوبة ، فأخذ لفظها من العقوبة ، ووزنها من المعاونة ، وأما طارقت النعل ، فمن الطرق وهو القوة ، فقد قويتها وقوتك على المشي ، فلفظها من الطرق ، وبنائها على وزن المعاونة والمقاواة ، فهذا اتفاق في المعنى ، وإن لم يكن في اللفظ ، وأما سافر الرجل فمن سفرت : إذا كشفت عن وجهك ، فقد سفر لقوم ، وسفروا له ، فهذه موافقة في اللفظ والمعنى ، وأما المعافاة ، فإن السيد يعني عبده من بلاء فيعني العبد سيده من الشكوى والإلحاح ، فهذه موافقة في اللفظ ، ثم تضاف إلى الله سبحانه اتساعاً في الكلام ، ومجازاً حسناً .

العصب والعصم : فصل : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا جبريل على ثنياه النقع ، وهو الغبار ، وفي حديث آخر أنه قال : رأيته على فرس له شقراء ، وعليه عمامة حمراء ، وقد عصم بثنيته الغبار ؛ قال ابن قتيبة : عصم وعصب بمعنى واحد ، يقال : عصب الربق بفيه ، إذا يبس وأنشد :

يعصب فاه الربق أي عصب

وخالفه قاسم بن ثابت ، وقال : هو عصم من العصيم والعصم ، وهي كالبقية تبقى في اليد وغيرها من لطح حناء أو عرق أو شيء يلصق بالعضد ، كما قالت امرأة من العرب لآخرى : أعطني عصم حنائك ، أي ماسلت من حنائها ، وقشرته من يدها .

حديث عمير بن الحمام : وذكر حديث عمير بن الحمام بن الجوح بن زيد بن حرام حين ألقى التمرات من يده ، وقال : بخ بخ ، وهى كلمة ، معناها التعجب ، وفيها لغات بخ بسكون الحاء وبكسرهما مع التنوين ، وبتشديدها منونة ، وغير منونة ، وفي حديث مسلم والبخارى : أن هذه القصة كانت أيضاً يوم أحد لكنه لم يسم فيها عميراً ، ولا غيره فالله أعلم .

حديث عوف بن عفراء : وقول عوف بن عفراء : ما يضحك الرب من عبده يا رسول الله ؟ قد قيل فى عوف : عوذ بالذال المنقوطة ، ويقوى هذا القول أن أخويه : معاذ ومعوذ .

معنى ضحك الرب : ويضحك الرب ، أى يرضيه غاية الرضى ، وحقيقته أنه رضى معه تبشير وإظهار كرامة ، وذلك أن الضحك مضاد للغضب ، وقد يفضب السيد ، ولكنه يعفو ويبقى العتب ، فإذا رضى ، فذلك أكثر من العفو ، فإذا ضحك فذلك غاية الرضى ، إذ قد يرضى ولا يظهر ما فى نفسه من الرضى ، فعبر عن الرضى وإظهاره بالضحك فى حق الرب سبحانه مجازاً وبلاغة ، وتضميناً لهذه المعانى فى لفظ وجيز ، ولذلك قال عليه السلام فى طلحة ابن البراء : اللهم ائى طلحة يضحك إليك ، وتضحك إليه ، فعنى هذا : الله لقاء متحابين مظهرين لما فى أنفسهم من رضى ، ومحبة ، فإذا قيل : ضحك الرب لفلان ، فهى كلمة وجيزة تتضمن رضى مع محبة وإظهار بشر وكرامة لا مزيد عليهما ، فهى من جوامع الكلم التى أوتىها عليه السلام .

نغويات : فصل : وقول أبى البخترى أنا وزميل . الزميل : الرديف ، ومنه : ازدمل الرجل بحمله إذا ألقاه على ظهره ، وفى مسند الحارث عن ابن مسعود ، قال : كنا نتعاقب يوم بدر ثلاثة على بعير ، فكان على وأبولبابة زميل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا كانت عقبته — عليه السلام — قالوا له اركب ، ولننشد عنك يا رسول الله ، فيقول : ما أنتما بأقوى على المشى منى ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما .

وقول المجذر : كإرزام المرى ، المرى : الناقة تمرى للحلب ، أى تسمح أخلافاً : وإرزامها . صوتها وهديرها ، وقد تقدم الفرق بين أرزمت ورزمت .

وقول عبد الرحمن بن عوف لامية : ها الله ذا : ها : تنبيه ؛ وذا إشارة إلى نفسه ، وقال بعضهم : إلى القسم ، أى : هذا قسمى ، وأراها إشارة إلى المقسم ، وخفض اسم الله بحرف القسم أضمره ، وقام التنبيه مقامه ، كما يقوم الاستفهام مقامه ، فكانه قال : ها أنذا مقسم ، وفصل بالاسم المقسم به ، بين ها وذا ، فعلم أنه هو المقسم فاستغنى عن أنا ، وكذلك قول أبى بكر : لاها الله ذا ، وقول زهير :

تعلن ها لعمر الله ذا قسما

أكد بالمصدر قسمه الذى دل عليه لفظه المتقدم .

وقوله : هبروه بأسياهم من الهبرة وهى القطعة العظيمة من اللحم ، أى قطعهوه

وذكر قول الغفارى حين سمع حممة الخيل فى السحابة ، وسمع قائل يقول : أفد حيزوم . أقدم بضم الدال ؛ أى أقدم الخيل ، وهو اسم فرس جبريل ، وهو فيقول من الحزم ، والحيزوم أيضاً أعلى الصدر ، فيجوز أن يكون أيضاً سمي به ، لأنه صدر خيل الملائكة ، ومتقدم عليها ، والحياة أيضاً فرس أخرى لجبريل لا تمس شيئاً إلا حي ، وهى التى قبض من أثرها السامرى ، فآلقاها فى العجل الذى صاغه من ذهب ، فكان له خوار ، ذكره الزجاج .

نسب أبي داود المازني : فصل : وذكر أبا داود المازني وقوله : لقد أتبعنا رجلا من المشركين ، فسقط رأسه قبل أن أصل إليه . اسم أبي داود هذا عمرو : وقيل : عمير بن عامر ، وهذا هو الذي قتل أبا البختري بن هشام ، وأخذ سيفه في قول طائفة من أهل السير غير ابن إسحاق ، وقال ابن إسحاق قتله المجذر كما تقدم .

نقريات : وقول معاذ بن عمر في مقتل أبي جهل : ما شبهت رجله حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت المرضخة . طاحت : ذهبت ، ولا يكون إلا ذهاب هلاك ، والمرسخة . كالإرربة يدق بها النوى للعلف ، والرضح بالحاء مهملة : كسر اليابس ، والرضح كسر الرطب ، ووقع في أصل الشيخ المرضخة بالحاء والحاء معا ، ويدل على أنه كسر لما صلب ، وأنشد قول الطائي :

أترضحن رضح النوى وهى مصمت ويأكلنى أكل الدبا وهو جئع

ولما نحتج بقول الطائي ، وهو حبيب بن أوس لعلمه ، لا لانه عربى يحتج بلغته .

الغلامان اللذان قتلأبا جهل : وذكر الغلامين اللذين قتلأبا جهل ، وأنهما معاذ بن عمرو بن الجحوح ومعوذ بن عفراء ، وفي صحيح مسلم أنهما معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجحوح ، وعفراء هى بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار عرف بها بنو عفراء وأبوهم الحارث بن رفاعه بن سواد على اختلاف في ذلك ، ورواية ابن إدريس عن ابن إسحاق ، كما في كتاب مسلم ، قال أبو عمر : وأصح من هذا كله حديث أنس حين قال النبي صلى الله عليه وسلم : من يأتينى بخبر أبى جهل ، الحديث ، وفيه أن ابني عفراء قتلاه .

وقول أبى جهل : أعمد من رجل قتلتموه ، ويروى قتله قومه ، أى : هل فوق رجل قتله قومه ، وهو معنى تفسير ابن هشام ، حيث قال : أى ليس عليه عار ، والاول تفسير أبى عبيد في غريب الحديث ، وقد أنشدوا شاهدأعليه .

وأعمد من قوم كفاهم أخوهم صدام الاعادى حين فلت نيوبها

قال المؤلف رضى الله عنه : وهو عندى من قولهم عمد البعير يعمد : إذا تفسخ سنامه ، فهلك ، أى أهلك من رجل قتله قومه ، وما ذكره ابن إسحاق من قول أبى جهل هذا ، وما ذكره أيضا من قوله لابن مسعود : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا روىعى الغنم : مرتقى صعبا يعارض ما وقع في سير ابن شهاب وفي مغازى ابن عقبة أن ابن مسعود وجده جالسا لا يتحرك ، ولا يتسكلم فسلبه درعه ، فإذا في بدنه نكت سود ، فحل تسبغه البيضة ، وهو لا يتسكلم ، واخرط سيفه يعنى سيف أبى جهل فضرب به عنقه ، ثم سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين احتمل رأسه إليه عن تلك النكت السود التى رآها في بدنه ، فأخبره عليه السلام أن الملائكة قتلته ، وأن تلك آثار ضربات الملائكة ، وروى يونس عن أبى العميس ، قال : أرانى القاسم بن عبد الرحمن سيف عبد الله بن مسعود ، قال : هذا سيف أبى جهل حين قتله فأخذه فإذا سيف قصير عريض فيه قبائع فضة وحلق فضة قال أبو عميس ، فضرب به القاسم عنق ثور فمقطعه ، وثلم فيه ثلما ، فرأيت القاسم جزع من ثلله جزعا شديدا .

نقريات : وقول النبي عليه السلام آله الذى لا إله إلا هو ، بالخفض عند سيويوه وغيره ، لأن الاستفهام عوض من الخافض عنده ، وإذا كنت خبرا قلت : الله بالنصب لا يجوز المبرد غيره ، وأجاز سيويوه الخفض أيضا لانه قسم ، وقد عرف أن المقسم به مخفوض بالباء أو بالواو ، ولا يجوز لضمار حروف الجر إلا في مثل هذا الموضع ، أو

حديث عكاشة بن محصن

قال ابن إسحاق : وقاتل عكاشة بن محصن بن حريثان الأسدي ، حليف بني عبد شمس بن عبد مناف ، يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جذلاً من حطب ، فقال : قاتل بهذا يا عكاشة ، فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه ، فعاد سيفاً في يده طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديد ، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى : العون ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل في الردة ، وهو عنده ، قتله طليحة بن خويلد الأسدي فقال طليحة في ذلك :

فما ظنكم بالقوم إذ تقتلونهم	أليسوا وإن لم يسلبوا برجال
فإن تك أذواد أصبن ونسوة	فلن تذهبوا فرغاً بقتل حبال
نصبت لهم صدر الحائلة لأنها	معاودة قيل الحكمة نزال
فيوما تراها في الجلال مصونة	ويوما تراها غير ذات جلال
عشية غادرت ابن أقرم ثاوريا	وعكاشة الغنمي عند حبال

قال ابن هشام : حبال : ابن طليحة بن خويلد . وابن أقرم : ثابت بن أقرم الأنصاري .

قال ابن إسحاق وعكاشة بن محصن الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخل الجنة سبعون ألفاً من أمتي على صورة القمر ليلة البدر ، قال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ؛ قال : إنك منهم ، أو اللهم اجعله منهم ، فقام رجل من الأنصار . فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنا عن أهله : منا خير فارس في العرب ؛ قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : عكاشة بن محصن ، فقال ضرار بن الأزور الأسدي : ذاك رجل منا يا رسول الله ، قال : ليس منكم ولكنه منا للحلف .

قال ابن هشام : ونادى أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمن ، وهو يومئذ مع المشركين ، فقال : أين مالي يا خبيث ؟ فقال عبد الرحمن :

لم يبق غير شكة ويعبوب وصارم يقتل ضلال الشيب

فما ذكر لي عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي .

طرح المشركين في القليب : قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتل أن يطرحوا في القليب طرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف . فإنه انتفخ في درعه فلاها ، فذهبوا ليحركوه ، فتزائل لحمه ، فأقروه ، وألقوا عليه ماغيه من التراب

ما كثر استعماله جداً كما روى أن رؤبة كان يقول ، إذا قيل له كيف أصبحت ؟ خير عافاك الله .

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في أبي جهل حين ذكر مزاحته له في مأدبة عبد الله بن جدعان ، وقد تقدم في المولد التعريف بعبد الله بن جدعان وذكرنا خبر جفنته ، وسبب غناه بعد أن كان صعلوكاً ، بآتم بيان .

والحجارة . فلما ألقاهم في القلب ، وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أهل القلب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا ؟ قالت : فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلّم قوما موتى ؟ فقال لهم : لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقا .

قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سمعوا ما قلت لهم ، وإنما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد علموا قال ابن إسحاق : وحدثني حميد الطويل . عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل وهو يقول : يا أهل القلب ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبه بن ربيعة ، يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام ، فعدد من كان منهم في القلب : هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا ! فقال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادى قوما قد جيفوا قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم هذه المقالة : يا أهل القلب ، بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس ، ثم قال : هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا للمقالة التي قال .

شعر حسان في ذلك : قال ابن إسحاق . وقال حسان بن ثابت :

عرفت ديار زينب بالكئيب	كخط الوحى فى الورق القشيب
تداولها الرياح وكل جون	من الوسمى منهمر سكوب
فأمسى رسمها خلقتا وأمست	يبابا بعد ماكنها الحبيب
فدع عنك التذكر كل يوم	ورد حرارة الصدر الكئيب
وخبر بالذى لا عيب فيه	بصدق غير إخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر	لنا فى المشركين من النصيب
غداة كان جمعهم حراء	بدت أركانه جنح الغروب
فلاقيناهم منا بجمع	كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد وازروه	على الأعداء فى لفح الحروب
بأيديهم صوارم مرهفات	وكل مجرب خاطى الكعوب
بنو الأوس الغطارف وازرتها	بنو النجار فى الدين الصليب
فغادرنا أبا جهل صريعا	وعتبة قد تركنا بالحبوب
وشيبه قد تركنا فى رجال	ذوى حسب إذا نسبوا حسب
يناديهم رسول الله لما	قدفناهم كباكب فى القلب
ألم تجدوا كلامى كان حقا	وأمر الله يأخذ بالقلوب ؟
فما نطقوا ، ولو نطقوا لقالوا :	صدقت وكنت ذا رأى مصيب

قال ابن إسحاق : ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقوا فى القليب ، أخذ عتبة بن ربيعة ، فسحب إلى القليب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - فى وجه أبى حذيفة بن عتبة ، فإذا هو كئيب قد

تغير لونه ، فقال : يا أبا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء ؟ أو كما قال صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : لا ، والله يا رسول الله ما شككت في أي ولا في مصرعه ، واكتنيت كنت أعرف من أي رأيا وحلها وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت مامات عليه من الكفر ، بعد الذي كنت أرجو له أحزنني ذلك ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال له خيرا .

الفتية الذين نزل فيهم : (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) وكان الفتية الذين قتلوا بدر ، فنزل فيهم من القرآن ، فيما ذكر لنا : إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، فتية مسمين . من بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : الحارث بن زمة بن الاسود بن عبد المطلب بن أسد . ومن بنى مخزوم : أبو قيس بن الفاكه بن المغير بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى جمح . علي بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح .

ومن بنى سهم : العاص بن منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم .

وذلك أنهم كانوا أسلبوا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حبسهم أبائهم وعشائهم بمكة وفتنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعا .

في بدر : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما في العسكر ، بما جمع الناس ، فجمع ، فاختلف المسلمون فيه ، فقال من جمعه : هو لنا ، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه : والله لولا نحن ما أصبتموه لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ، وقال الذين كانوا يحرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يخالف إليه العدو : والله ما أنتم بأحق به منا ، والله لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله تعالى أكتافه ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ولكننا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة العدو ، فقمنا دونه ، فما أنتم بأحق به منا .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا عن سليمان بن موسى ، عن مكحول ، عن أبي أمامة الباهلي - واسمه صدى بن عجلان فيما قال ابن هشام - قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال ، فقال فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسوله فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء يقال : على السواء .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : حدثني بعض بني ساعدة عن أبي أسيد الساعدي مالك ابن ربيعة ، قال : أصبت سيف بن عائد المخزومين الذي يسمى المرزبان يوم بدر ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردوا ما في أيديهم من النفل ، أقبلت حتى ألقيته في النفل . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئا سئله ، فمره الأرقم بن أبي الأرقم ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه إياه .

بشرى الفتح . قال ابن إسحاق . ثم بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيرا إلى

أهل العالية ، بما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة قال أسامة بن زيد : أتانا الخبر - حين سوينا التراب على رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي كانت عند عثمان بن عفان . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خلفني عليها مع عثمان - أن زيد بن حارثة قد قدم . قال : فجئته وهو واقف بالمصلى قد غشيه الناس ، وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختري والعاص بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج . قال : قلت : يا أبت ، أحق هذا ؟ قال : نعم ، والله يا بني .

الرجوع إلى المدينة : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ، ومعه الأسارى من المشركين ، وفيهم عقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث ، واحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه النفل الذي أصيب من المشركين ، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مذبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار . فقال راجز من المسلمين - قال ابن هشام : يقال : لأنه عدى بن أبي الزغباء :

أقم لها صدورها يا بسبس ليس بذى الطلح لها معرس
ولا بصحراء غمير محبس إن مطايا القوم لا تخيس
خملها على الطريق أكييس قد نصر الله وفر الأخنس

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم - حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية يقال له : سير - إلى مرحلة به . فتقسم هنالك النفل الذي آفاه الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهتفون به بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة - كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، وي زيد بن رومان : ما الذي تهتفوننا به ؟ فوالله إن لقينا إلا عجائز صالعا كالبدن المعقلة . فنحنرناها ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أي ابن أخي ، أولئك الملائكة .

قال ابن هشام : الملائكة : الأشراف والرؤساء .

مقتل النضر وعقبة : قال ابن إسحاق : حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحارث ، قتله على بن أبي طالب ، كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة .

قال ابن إسحاق : ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط .

قال ابن هشام : عرق الظبية عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : والذي أمر عقبة : عبد الله بن سلمة أحد بني العجلان .

قال ابن إسحاق : فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فمن للصدية يا محمد ؟ قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفاح الأنصاري ، أخو بني عمرو بن عوف ، كما حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر .

قال ابن هشام : ويقال قتله على بن أبي طالب فيما ذكر لي ابن شهاب الزهري وغيره من أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع أبو هند ، مولى فروة بن عمرو البياضى بحميت مملوء حليسا .

وقال ابن هشام : الحيت : الزق ، وكان قد تخلف عن بدر ، ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كان حجام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : إنما هو أبو هند امرؤ من الانصار فأنكحوه ، وانكحوا إليه ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم .

قال ابن إسحاق وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، قال : قدم بالاسارى حين قدم بهم ، وسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء ، في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب .

قال : تقول سودة : والله إنى لعتنهم إذ أتينا ، فقيل : هؤلاء الاسارى ، قد أتى بهم قالت : فرجعت إلى بيتي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة ، مجموعة يده إلى عنقه بحبل قالت : فلو الله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : أى أبا يزيد : أعطيتم بأيديكم ، ألا مـتم كراما ، فوالله ما أنبئني إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت : يا سودة ، أعلى الله ورسوله تحرضين؟ قالت : قلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ، ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه أن قلت ما قلت .

قال ابن إسحاق : وحدثني نبيه بن وهب ، أخو بني عبد الدار . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالاسارى فرقم بين أصحابه ، وقال : استوصوا بالاسارى خيرا . قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم ، أخو مصعب بن عمير لآبيه وأمه في الاسارى .

قال : فقال أبو عزيز : مر بى أخى مصعب بن عمير ورجل من الانصار يأسرنى ، فقال : شد يدك به ، فإن أمه ذات متاع ، لعلها تفديه منك ، قال : وكنت في رهط من الانصار حين أقبلوا بى من بدر ، فكانوا إذا قدموا غداهم وعشاءهم خصوني بالخبز ، وأكلوا التمر ، لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لإياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها . قال : فاستحي فأردها على أحدهم ، فإردها على ما يمسه .

بلوغ مصاب قريش في رجالها إلى مكة : قال ابن هشام : وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث ، فلما قال أخوه مصعب بن عمير لآبى اليسر ، وهو الذى أسره ، ما قال قال له أبو عزيز : يا أخى ، هذه وصاتك بى ، فقال له مصعب : إنه أخى دونك . فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشى ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ، فقذته بها .

قال ابن إسحاق : وكان أول من قدم مكة بمصـاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعى ، فقالوا : ما وراءك؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمىة بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وأبو البخترى بن هشام ، فلما جعل يعدد أشراف قريش ؛ قال صفوان بن أمية ، وهو قاعد في الحجر : والله إن يعقل هذا فاستلوه عنى ؛ فقالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : ها هو ذاك جالسا في الحجر ، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا .

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال

أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكرم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه ، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر ، فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلا ، فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش ، كتبته الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً . قال : وكنت رجلا ضعيفا ، وكنت أعمل الإفداح . أنحتني في حجرة زمزم ، فوالله إنى لجالس فيها أنحت أقدا حتى ، وعندى أم الفضل جالسة ، وقد مرنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجر رجله بشر ، حتى جلس على طنب الحجر ، فكان ظهره إلى ظهري ، فبينما هو جالس إذا قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . قال ابن هشام : واسم أبي سفيان المغيرة - قد قدم قال : فقال أبو لهب : هلم إلى ، فعندك لعمري الخبر ، قال : فجالس إليه والناس قيام عليه ، فقال : يابن أخى ، أخبرنى كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فتحناهم أكتافنا يقرودوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وإيم الله مع ذلك مالمت الناس ، لقينا رجلا بيضا ، على خيل بلق ، بين السماء والأرض ، والله ما تليق شيئا ، ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجر بيدي ، ثم قلت : تلك والله الملائكة ؛ قال : فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهى ضربة شديدة . قال : وثأورته فاحتماني فضرب بي الأرض ، ثم برك على يضربنى ، وكنت رجلا ضعيفا ، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجر ، فأخذته فضربت به ضربة فعلت في رأسه شجة منكرا ، وقالت : استشففته أن غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ محمد وأصحابه ، فيشمتوا بكم ، ولا تبعضوا في أمراكم حتى تستأنوا بهم لا يارب عليكم محمد وأصحابه في الفداء . قال : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده ، زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن زمعة ، وكان يحب أن يبكى على بنيهِ ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال للغلام له . وقد ذهب بصره : انظر هل أحل النجب ، هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعل أبكى على أبى حكيمة ، يعنى زمعة ، فإن جوفى قد احترق قال : فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته : فذاك حين يقول الأسود :

أبكى أن يضل لها بعير	ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكى على بكر ولكن	على بدر تقاصرت الجدود
على بدر مرارة بنى هصيص	وخزوم ورهط أبى الوليد
وبكى إن بكيت على عقيل	وبكى حارثا أسد الأسود
وبكهم ولا تسمى جميعا	وما لأبى حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجال	ولولا يوم بدر لم يسودوا

قال ابن هشام : هذا لقواء ، وهى مشهورة من أشدارهم ، وهى عندنا لكفاء . وقد أسقطنا من رواية ابن إسحاق ما هو أشهر من هذا .

قال ابن إسحاق : وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : إن له بمكة ابناً كيساً تاجراً ذا مال ، وكانكم به قد جاءكم في طلب فداء أبيه ، فلما قالت قريش لا تعجلوا بفداء أسرائكم لا يارب عليكم محمد وأصحابه ، قال المطالب بن أبي وداعة - وهو الذي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عفى : صدقتم ، لا تعجلوا ، وانسل من الليل فقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، فانطلق به .

فداء سهيل بن عمرو : قال : ثم بعثت قريش في فداء الأسارى ، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم ، أخو بني سالم بن عوف ، فقال :

أسرت سهيلاً فلا أبتغي أسيراً به من جميع الأمم
وخندف تعلم أن الفقى فتأها سهيل إذا يظلم
ضربت بذى الشفر حتى انثنى وأكرهت نفسى على ذى العلم

وكان سهيل رجلاً أعلم من شفته السفلى .

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدخشم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء ، أخو بني عامر بن لؤى : أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، دعني أنزع ثنيقي سهيل بن عمرو ، ويدلح لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً .

قال ابن إسحاق وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر في هذا الحديث : إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه .

قال ابن هشام : وسأذكر حديث ذلك المقام في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : فلما قاوهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هات الذي لنا ، قال : اجعلوا رجلي مكان رجله ، واخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه ، فخلوا سبيل سهيل ، وحبسوا مكرزاً مكانه عندهم ، فقال مكرز :

فديت بأذواد ثمان سباً فتى ينال الصميم غرمها لا المواليا
رهنت يدي والمال أيسر من يدي على ، وليكني خشيت المخازيا
وفلت سهيل خيرنا فاذهبوا به لابنائنا حتى ندير الامانيا

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لمكرز .

أسر عمرو بن أبي سفيان : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان عمرو بن أبي سفيان بن حرب وكان لبنت عقبة بن أبي معيط - قال ابن هشام : أم عمرو بن أبي سفيان بنت أبي عمرو ، أخت أبي معيط بن أبي عمرو - أسيراً في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أمرى بدر .

قال ابن هشام : أسره على بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : فقيلاً لابن سفيان : أفد عمرأ ابنك ، قال : أجمع على دمي ومالي ! قتلوا حنظلة ، وأفدى عمرأ ! دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم .

قال : فبينما هو كذلك ، محبوس بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال ، أخو بني عمرو بن عوف ثم أحد بني معاوية معتمراً ومعه مريّة له وكان شيخاً مسلماً ، في غنم له بالنقيع ، فخرج من هنالك معتمراً ، ولا يخشى الذي صنع به ، لم يظن أنه يحبس بمكة ، إنما جاء معتمراً : وقد كان عهد قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجاً ، أو معتمراً إلا بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو ، ثم قال أبو سفيان :

أرھط ابن أكال أجيوا دعاءه تعافدتم لا تسلبوا السيد السكلا
فإن بني عمرو لنا ماذلة إن لم يفكوا عن أسيرهم السكلا

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

لو كان سعد يوم مكة مطلقاً لا كثر فيكم قبل أن يؤسر الفتلا
بعضب حسام أو بصفراء نعمة تحن إذا ما أبضت تحفز النبلا

ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم ، ففعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فغلى سبيل سعد . قصة زينب بنت الرسول وزوجها أبي العاص : قال ابن إسحاق : وقد كان في الأسارى أبو العاص ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج ابنته زينب . قال ابن هشام : أمره خراش بن الصمة ، أحد بني حرام .

قال ابن إسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين : مالا ، وأمانة ، وتجارة ، وكان لهالة بنت خويلد ، وكانت خديجة خالته . فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتخالفها ، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحى ، فزوجه ، وكانت تعده بمنزلة ولدها . فلما أكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بنبوته آمنت به خديجة وبناته ، فصدقته ، وشهدن أن ما جاء به الحق ، ودن بدينه ، وثبت أبو العاص على شركه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج عتبة بن أبي لهب رقية ، أو أم كلثوم ، فلما بادى قريشاً بأمر الله تعالى وبالعداوة ، قالوا إنكم قد فرغتم محمداً من همه ، فردوا عليه بناته ، فاشغلوه بهن فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له : فارق صاحبك ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت ، قال : لا والله ، إني لا أفارق صاحبتى ، وما أحب أن لى بأمرأتى امرأة من قريش . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه في صهره خيراً ، فسيما بلغنى . ثم مشوا إلى عتبة بن أبي لهب ، فقالوا له : طلق بنت محمد ونحن ننكحك أية امرأة من قريش شئت ، فقال : إن زوجتموني بنت أبان بن سعيد بن العاص ، أو بنت سعيد بن العاص فارقتهما . فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن دخل بها ، فأخرجها الله من يده كرامة لها ، وهواناً له ، وخلف عليها عثمان بن عفان بعده . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل بمكة ولا يحرم ، مغلوباً على أمره وكان الإسلام قد فرق بين زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر أن يفرق بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صارت قريش إلى بدر ، صار فيهم أبو العاص بن الربيع فأصيب في الأسارى يوم بدر ، فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة قالت : لما بعث أهل مكة في فداء أمراءهم ، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها ، قالت : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رققة شديدة وقال : إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها ، وتردوا عليها مالها فافعلوا ، فقالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه ، وردوا عليها الذي لها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه ، أو وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، أن يخلى سبيل زينب إليه ، أو كان فيما شرط عليه في إطلاقه ، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلم ما هو ، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلى سبيله ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الانصار مكانه ، فقال : كونا بيطن يأجج حتى تمر بكما زينب ، فتصحبها حتى تأتيا نيا بها ، فخرجا مكانهما ، وذلك بعد بدر بشهر أو شيعه . فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالحق بأبيها ، فخرجت تجهز .

قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : حدثت عن زينب أنها قالت : بينا أنا أتجهز بمكة للحوق بأبي لقيتني هند بنت عتبة ، فقالت : يا بنت محمد ، ألم يبلغني أنك تريدين للحوق بأبيك ؟ قالت : فقلت : ما أردت ذلك ، فقالت : أي ابنة عمي ، لا تفعل ، إن كانت لك حاجة بمتاع بما يرفق بك في سيرك ، أو بمال تتبلغن به إلى أبيك فإن عندي حاجتك ، فلا تضطني مني ، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، قالت : ولكني خفتها ، فأنكرت أن أكون أريد ذلك ، وتجهزت .

فلما فرغت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهازها قدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيراً ، فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقودها ، وهي في هودج لها . وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، والفهرى بالرمح وهي في هودجها ، وكانت المرأة حاملاً - فيما يزعمون - فلما ريمت طرحت ذا بطنها وبرك حموها كنانة ، وأثر كنانته ، ثم قال : والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً ، ففكر كثر الناس عنه . وأتى أبو سفيان في جلة من قريش فقال : أيها الرجل ، كف عنا نبلك حتى نكلمك ، فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنك لم تصب ، خرجت بالمرأة على رموس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا خرجت بابتنته إليه علانية على رموس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت ، وأن ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، ومالنا في ذلك من ثورة ، ولكن ارجع بالمرأة ، حتى إذا هدأت الأصوات ، وتحدث الناس أن قد رددناها ، فسلها سرّاً ، وألقها بأبيها ، قال : ففعل . فأقامت ليالى ، حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدمها بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فقال عبد الله بن رواحة ، أو أبو خثيمة ، أخو بني سالم بن عوف ، في الذي كان من أمر زينب ، قال ابن هشام : هي لآبى خثيمة :

أتأني الذي لا يقدر الناس قدره	لزينب فيهم من عقوق ومائم
وإخراجها لم يخز فيها محمد	على ماقط وبيننا عطر منشم

وأمرى أبو سفيان من حلف ضمهم
قرنا ابنه عمرا ومولى يمينه
فأقسمت لا تنفك منا كئائب
نزوع قريش الكفر حتى نعلها
نفطهم أكناف نجد ونحلة
يد الدهر حتى لا يعوج سربنا
ويندم قوم لم يطيعوا محمداً
فأبلغ أبا سفيان إما لقيته
فأبشر بخزي في الحياة معجل

ومن حربنا في رغم أنف ومدم
بذى خلق جلد الصلاصل محكم
سراة خيس في لهام مسوم
بخاطمة فوق الأنوف بميسم
وإن يتهموا بالخيول والرجل تنهم
ونلحقهم آثار عاد وجرم
على أمرهم وأى حين تندم
لئن أنت لم تخلص سجوداً وتسلم
وسربال قار خالداً في جهنم

قال ابن إسحاق : ومولى يمين أبي سفيان ، الذي يعنى : عامر بن الحضرمي ، كان في الأسارى ، وكان حلف الحضرمي إلى حرب بن أمية .

قال ابن هشام : مولى يمين أبي سفيان ، الذي يعنى : عقبة بن الحارث بن الحضرمي ، فأما عامر بن الحضرمي فقتل يوم بدر .

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتهم هند بنت عتبة ، فقالت لهم :

أفي السلم أعياراً جفاء وغلظة
وفي الحرب أشباه النساء العوارك

وقال كنانة بن الربيع في أمر زينب ، حين دفعها إلى الرجلين :

عجبت لهبار وأوباش قومه
يريدون إخفاري ببنت محمد
ولست أبالي ما حييت عديدهم
وما استجمعت قبضايدي بالمهند

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن بكير بن عبد الله بن الأشج ، عن سليمان بن يسار ، عن أبي إسحاق الدوسى ، عن أبي هريرة ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أنا فيها ، فقال لنا : إن ظفرتم بهبار بن الأسود ، أو الرجل الذى سبق معه إلى زينب - قال ابن هشام : وقد سمي ابن إسحاق الرجل في حديثه وقال : هو نافع بن عبد فليس فخرقوهما بالنار . قال : فلما كان الغد بعث إلينا ، فقال : لاني كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا الله ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما .

قال ابن إسحاق : وأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت زينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، حين فرق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام ، وكان رجلاً مأموناً ، يملك له وأموال لرجال من قريش ، أبضعوها معه . فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً ، لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابوا مامعه ، وأعجزهم هاربا ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستجار بها ، فأجارته وجاء في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح - كما حدثني يزيد بن رومان - فكبّر وكبر الناس معه ، صرخت زينب

من صفة النساء : أيها الناس ، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . قال : فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم ، قال : أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم ، لأنه يجير على المسلمين أذنهم . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على ابنته ، فقال : أي بذية ، أكرهى مشواه ، ولا يخلصن إليك ، فإنك لا تحلين له .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص ، فقال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له ، فإننا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو في الله الذي أفاء عليكم : فأنتم أحق به ، فقالوا يا رسول الله ، بل زرده عليه ، فردوه عليه ، حتى إن الرجل ليأتى بالذلو ، ويأتى الرجل بالشنه وبالإداوة ، حتى إن أحدهم ليأتى بالشظاظ ، حتى ردوا عليه ماله بأمره ، لا يفقد منه شيئا . ثم احتعل إلى مكة ، فأدى إلى كل ذى مال من قريش ماله ، ومن كان أبضع معه . ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا . فجزاك الله خيرا ، فقد وجدناك وفيا كريما قال : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنى أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الأول لم يحدث شيئا .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة : أن أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين ، قيل له : هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال ، فإنها أموال المشركين ؟ فقال أبو العاص : بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي .

قال ابن هشام : وحدثني عبد الوارث بن سعيد التنورى ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر الشعبي ، بنحو من حديث أبي عبيدة ، عن أبي العاص .

من أطلقوا بغير فداء : قال ابن إسحاق : فكان من سمى لنا من الأسارى من من عليه بغير فداء ، من بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بعث زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفدائه . ومن بنى مخزوم بن يقظة : المطلب بن حنطب بن الحارث عبد عبيدة بن عمر بن مخزوم ، كان لبعض بنى الحارث بن الخزرج ، فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله ، فلحق بقومه .

قال ابن هشام : أسره خالد بن زيد ، أبو أيوب الأنصارى ، أخو بنى النجار .

قال ابن إسحاق : وصيفى بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ترك في أيدي أصحابه ، فلما لم يأت أحد في فدائه أخذوا عليه ليعتقوا لهم بفدائه ، فخلوا سبيله ، فلم يف لهم بشيء ، فقال حسان بن ثابت في ذلك :

وما كان صيفى ليوفى ذمة قفا ثعالب أعياء ببعض الموارد

قال ابن هشام : وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن إسحاق : وأبو عزة ، عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جح ، كان محتاجاً إذا بنات فكمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، لقد عرفت مالى من مال ، وإني لذو حاجة ، وذو عيال ، فامنن علي ؛ فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ عليه ألا يظاهر عليه أحداً . فقال أبو عزة في ذلك ، يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكر فضله في قومه :

من مبلغ عنى الرسول محمداً	بأنك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى	عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة	لها درجات سهلة وصعود
فإنك من حاربتك لمحارب	شقى ومن سالمته لسعيد
ولكن إذا ذكرت بدرأ وأهله	تاوب مابى : حسرة وقعود

ثمن الفداء : قال ابن هشام : كان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل ، إلى ألف درهم ، إلا من لاشئ له ، فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه .

خبر عكاشة بن محصن : يقال فيه عكاشة بالتشديد والتخفيف ، وهو من عكش على القوم إذا حمل عليهم ، قاله صاحب العين ، وقال غيره العكاشة العنكبوت ، وأما سيفه الذى كان جزلاً من حطب ، فقد قيل لأنه لم يزل متوارثاً عند آل عكاشة ، وقدروى مثل قول عكاشة في السيف عن عبد الله بن جحش ، وسيأتى ذكرها عند غزوة أحد ، وأما قوله :

فلن يذهبوا قرعاً بقتل حبال

فالقرع أن يطل الدم ، ولا يطلب بثأره ، وحبال : هو ابن أخى طليحة لابنة ، وهو حبال بن مسلبة بن خويلد ومسلبة : أبوه هو الذى قتل عكاشة ، اعتنقه مسلبة وضربه طليحة على فرس ، يقال لها : اللزام ، وكان ثابت على فرس يقال لها : المحبر ، وقصته مشهورة في أخبار الردة .

وذكر الواقدي في الردة بعد قوله :

فيوماً تراها في الجلال مصونة ويوم تراها في ظلال عوال

إلى آخر الشعر :

وذكر في الخبر أن عكاشة وثابت بن أقرم البلوى حلبى الانصار كانوا في جيش خالد حين نهد إلى طليحة ، فاستقداً أمام جيش خالد للسليلين ، فوقما في خيل لطليحة ، وهو فيهم ، فاستشهدا معاً ، وذلك في يوم بزاخة ، كذلك قال كل من ألب في السير إلا سليمان التيمي ، فإنه ذكر أن عكاشة قتل في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى أسد ، والاول هو المعروف .

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لعكاشة حين قال : ادع الله يا رسول الله أن يجعلنى منهم ، فدعاه ، ثم قام رجل آخر ، فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة . هكذا الحديث في الصحيح ، وزاد ابن إسحاق : وبردت الدعوة .

وذكر أبو عمر النمرى عن بعض أهل العلم ، ولم يسم أن الرجل الذى قيل له : سبقك بها عكاشة كان منافقا ، ولذلك لم يدع له رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال المؤلف : وهذا لا يصح ؛ لأن فى مسند البزار من طريق أبى صالح عن أبى هريرة فى هذا الحديث قال : فقام رجل من خيار المهاجرين ، فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ، قال ابن بطال معنى قوله : سبقك بها عكاشة ، أى : سبقك بهذه الصفة التى هى صفة السبعين ألفا ، ترك التطير ونحوه ، ولم يقل : لست منهم ، ولا على أخلاقهم بحسن أدبه عليه السلام ، وتلفظه فى الكلام لاسيما مع أصحابه الكرام .

قال المؤلف رضى الله عنه : والذى عندى فى هذا أنها كانت ساعة لإجابة عليها عليه السلام ، فلما انقضت ، قال للرجل ما قال ، يبين هذا حديث أبى سعيد الخدرى ، فإنه قال فيه بعد ذكر عكاشة ، فقام رجل آخر ، فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : اللهم اجعله منهم ، ثم سكتوا ساعة يتحدثون ، ثم قام الثالث ، فقال ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة ، وصاحبه ، ولو قلت لقلت ، ولو قلت لوجبت ، وهى فى مسند بن أبى شيبة ، وفى مسند البزار أيضاً . ويقوى هذا المعنى أيضاً رواية بن إسحاق . فإنه زاد ، فقال فيها سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة ، فقف على ما ذكرته فى تفسير حديث عكاشة ، فإنه من فوائد هذا الكتاب . ومن لم يشهد بداراً لعذر ، وهو من النقباء سعد بن عباد سيد الخرج ، لأنه نهشته حية ، فلم يستطع الخروج هذا قول القتبى ، ولذلك لم يذكره ابن إسحاق ، ولا ابن عقبة فى البدرين . وقد ذكره طائفة فيهم ، منهم ابن السكبي وجماعة .

فداء أصحاب القليب : وقوله عليه السلام : يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة : الحديث ، يجوز يا شيبة ، ابن ربيعة ، بضم التاء ونصب النون وبنصبهما جميعاً ، أما من يقول : جاءنى زيد بن فلان بالثنوين ، فهو الذى يقول : يا زيد ابن بضم الدال ، ويكتب بن بالالف على هذا ، ومن يقول جاءنى زيد بن بلا تنوين ، فهو الذى يقول فى النداء يا زيد بن بنصب الدال ، ويكتب ابنا بغير ألف ، لأنه جعل الابن مع ما قبله اسماً واحداً ، فعلى هذا تقول يا حارث ابن عمرو فتكتبه بألف . لأنك أردت يا حارث بالضم ، لأنك لو أردت يا حارث بن بالنصب لم ترخه ، لأنه قد صار وسط الاسم ، وقد جعله سيويوه بمنزلة قولك : امرأ ، وكذلك قوله : ويا أبا جهل بن هشام إن نوت اللام من أبى جهل كتبت الابن بألف ، وإن لم تنوته كتبت بغير ألف .

وذكر إنكار عائشة أن يكون عليه السلام قال : لقد سمعوا ما قلت ، قالت : وإنما قال : لقد علموا أن الذى كنت أقول حق . قال المؤلف : وعائشة لم تحضر وغيرها من حضر أحفظ للفظه عليه السلام ، وقد قالوا له : يا رسول الله أنخاطب قوما قد جيفوا أو أجيفوا ، فقال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، وإذا جاز أن يكونوا فى تلك الحال عالين ، جاز أن يكونوا سامعين ، إما بأذانهم وإما قلنا : إن الروح يعاد إلى الجسد أو بعض الجسد عند المسألة ، وهو قول الأكثرين من أهل السنة ، وإما بأذن القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال إلى الروح ، من غير رجوع منه إلى الجسد ، أو إلى بعضه ، وقد روى أن عائشة احتجت بقول الله سبحانه : وما أنت بمسمع من فى القبور ، وهذه الآية كقولها تعالى : وأفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ، أى : إن الله هو الذى يهdy ويوفى ويوصل الموعدة إلى آذان القلوب ، لأنك ، وجعل الكفار أمواتاً وصماً على جهة التشبيه بالأموات ، وبالصم ، فالتة هو الذى يسمعهم على الحقيقة ، إذا شاء لا نبيه ، ولا أحد ، فإذا لا تعلق بالآية من وجهين ، أحدهما : أنها إنما نزلت فى دعاء الكفار إلى الإيمان .

الثانى : أنه إنما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم ، وصدق الله فإنه لا يسمعهم إذا شاء إلا هو ، ويفعل ما شاء ، وهو على كل شىء قدير .

شعر حسان : فصل : وذكر شعر حسان وقال فيه :

كنخط الوحى فى الورق القشيب

القشيب فى اللغة : الجديد ، ولا معنى له فى هذا البيت ، لأنهم إذ وصفوا الرسوم وشبهوها بالكتيب فى الورق فإنما يصفون الخط حينئذ بالدروس والاعحاء ، فإن ذلك أدل على عفاء الديار وطموس الآثار ، وكثرة ذلك فى الشعر تغنى عن الاستشهاد عليه ، ولكن منه قول النابغة :

وقفت فيها أصيلاً أسألتها عيت جواباً وما بالربع من أحد
إلا الأوارى لا ياما أبيتها والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد

وقول زهير :

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلاياً عرفت الدار بعد توهم

وقال آخر :

ولما رسوم الدار قفراً كأنها سطور عاها الباهلى بن أصم

ولكن أراد حسان بالقشيب هاهنا الذى خالطه ما يفسده ، إما من دنس ، وإما من قدم ، يقال : طعام مقشِب إذا كان فيه السم . وقال الشاعر :

نحر تخاله نسرأ قشيباً

معناه : مسموم ، لأن القشيب هو السم قاله ابن قتيبة فى تفسير حديث آخر من يخرج من النار ، وفيه قشيبى ريحها ، وأحرقنى ذكأما . وقال أبو حنيفة فى القشيب هو : نبات رطب مسموم ينصب لمسباج الطير فى لحم ، فإذا أكلته ماتت ، قال : والعرب يحبونه ماشيتهم فى المرعى ، كى لا تعطمه ، فيفوح من ريحه ما يقتلها ، فقوله فى البيت الذى استشهد به القتيبي : تخاله نسرأ قشيباً ، أى : نسرأ أكل ذلك القشيب فى اللحم والله أعلم ، قال : والالب أيضاً ، ضرب من القشيب ، إن وجدت ريحه مسباج الطير عميت وصمت ، وإن أكلته ماتت قال : والضجاج أيضاً : كل نبات مسموم .

معنى إلقائهم فى القلب ، وما فيه من الفقة : فصل : فإن قيل : ما معنى إلقائهم فى القلب وما فيه من الفقه ؛ قلنا : كان من سنته عليه السلام فى مغازيه إذا مر بحيفة لإنسان أمر بدفنه لا يسألك عنه مؤمناً كان أو كافراً ، هكذا وقع فى السنن للدارقطنى ، فالقاؤهم فى القلب من هذا الباب ، غير أنه كره أن يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم ، فكان جرهم إلى القلب أيسر عليهم ، ووافق أن القلب حفره رجل من بنى النار ، اسمه بدر ، فكان فالاً مقدماً لهم ، وهذا على أحد القولين فى بدر ، والله أعلم .

عود إلى شعر حسان : وفى شعر حسان أيضاً :

بنو الأوس النطارف وأزرتها

ولو قال أزرتها بالهمز لجاز ، وكان من الأزر ، وفى التنزيل فأزره أى : شد أزره ، وقواه ، ولكن أراد

حسان معنى الوزير ، فإنه سمي وزيراً من الوزر ، وهو الثقل لأنه يحمل عن صاحبه ثقلاً ويعينه ، وقيل هو من الوزر ، وهو الملجأ ، لأن الوزير يلجأ إلى رأيه ، وقد ألفيته في نسخة الشيخ أبي بحر : آزرته مصلحاً بغير واو إلا أن آزرته وزنه : فاعلت ، وآزرت وزنه أفعلت .

وقوله :

وعتبه قد تركنا بالحبوب

الحبوب اسم للأرض ، لأنها تحبب أى تحفر وتحب من دفن فيها ، أى تقطعه ، وهذا القول أولى ، لأنهم قالوا حبوب مثل : صبور وشكور فى المأوئ ، ولم يقولوا جبوبة ، فيكون من باب حلوبة وركوبة ، ويدخلون فيها الألف واللام تارة ، فيقولون : الحبوب ، كفى هذا البيت ، وتارة يجعلونه انمأ علماً ، فيقولون : جبوب ، مثل شعوب قال الشاعر :

بنى على قلبى وعينى مكانه ثوى بين أحجار رهين جبوب

ومنه قيل : جبان وجبانة للأرض التى يدفن فيها الموتى ، فهو فعلان من الحب والحبوب ، وهو قول الخليل فى معنى الجبان ، وغيره يجعله فعلاً من الجبن .

وقوله :

خاطى الكموب

أى مكتنز الكموب قوبها ، وقول حسان : النظارف أراد : النظاريف كما تقدم فى شعر الجرهمى :

تطل بها أمنا وفيها العصافر

أراد العصافير ، وحذف الياء ضرورة .

معنى قول ابن أبى بكر : فصل : وذكر قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لابنه يوم بدر أين مال ياخيبت ، فقال :

لم يبق إلا شكة ويعبوب

الشكة : السلاح ، واليعبوب من الخيل : الشديد الجرى ، ويقال : الطويل ، والاول أصح ، لأنه مأخوذ من عباب الماء ، وهو شدة جريه ، ويقال للجدول الكثير الماء : يعبوب ، وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم فرس اسمه : السكب وهو من سكبت الماء ، فهذا يقوى معنى اليعبوب ، وذكر غير ابن إسحاق أن عبد الرحمن بن أبى بكر قال لآبيه بعد ما أسلم : ياأبت لقد أهدفت لى يوم بدر مراراً فصدفت عنك ، فقال الله لو كنت أهدفت لى أنت ما صدفت عنك .

لغويات وأنساب : فصل : وذكر تنازعهم فى النفل ، وما احتجت به الطائفة الذين كانوا يحمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ، والعريش : كل ما أضلك وعلاك من فوقك ، فإن علوته أنت فهو عرش لك ، لا عريش أيضاً ، والعريش فيما ذكر أبو حنيفة أربع نخلات أو خمس فى أصل واحد .

وذكر قول أبي أسيد : وجدت يوم بدر سيف بني عابد الذي يقال له المرزبان . بنو عابد في بني مخزوم ، وهم بنو عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأما بنو عائذ بالياف والذال المعجمة ، فهم بنو عائذ بن عمران بن مخزوم رهط آل المسيب ، والاولون رهط آل بني السائب .

وأما قوله : فقسمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن بواء يقول : على سواء ، فقد رواه أبو عبيد في الأموال ، فقال فيه : فقسمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن فواق ، وفسره ، فقال : جعل بعضهم فوق بعض ، أى فضل في القسم من رأى تفضيله ، وفي غريب الحديث قول آخر ، وهو أن معنى عن فواق : السرعة في القسم كفواق الناقة ، ، ورواية ابن إسحاق أشهر وأثبت عند أهل الحديث .

سبب نزول اول الاقبال : وفي الحديث الذى ذكره أبو عبيد أن سعد بن أبي وقاص ، قال : قتلت يوم بدر العاصى بن سعيد بن العاصى ، وأخذت سيفه ، وكان يقال له : ذو السكتيفة . فأثبت به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقلت : يا رسول الله ، نفلني ، فأمرني أن أجعله في القبض ، فأخذني مالا يعمله إلا الله ، فقلت : قتل أخى عمير وأخذ سلمي فأنزله الله : يستلونك عن الاقبال ، الآية ، فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف ، قال أبو عبيد وأهل السير يقولون : قتل العاصى بن سعيد على بن أبى طالب رضى الله عنه .

عقبة بن ابى معيط : فصل : وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتل عقبة بن أبى معيط ، قال وكان الذى أمره عبد الله بن سلة ، وسلة هذا بكسر اللام ، وهوسلة بن مالك أحد بنى العجلان ، بلوى بالقتب ، أنصارى بالخلف ، قتل يوم أحد شهيداً ، وأما عقبة بن أبى معيط ، فاسم أبى معيط أبان بن أبى عمرو ، واسمه ذكوان بن أمية ، يقال : كان أمية ، قد ساعى أمة أو بغت أمة له ، فحملت بأبى عمرو فاستلحقه بحكم الجاهلية ؛ ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه - لعقبة حين قال : أقتل من بين قريش صبراً ، فقال عمر : حن قدح ليس منها ، يعرض بنفسه ، وذلك أن القداح في الميسر ربما جعل معها قدح مستعار قد جرب منه الفلح واليمن فيستعار لذلك ، ويسمى . المتيح ، فإذا حرك في الرابة مع القداح تميز صوته لمخالفة جوهره جوهر القداح ، فيقال حينئذ : حن قدح ليس منها ، فتمثل عمر بهذا المثل ، يريد أن عقبة ليس من قريش ، وكذلك روى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال حينئذ : إنما أنت يهودى من أهل صفورية ، ، لأن الأمة التى ولدت أباه كانت لليهودى من أهل صفورية ، واسمها : ترنى ، قاله القتبى ، وكذلك قال دغفل بن حنطة النسابة لمعاوية حين سأله : هل أدركت عبد المطلب ؟ فقال : نعم أدركته شيخاً وسيماً قسيماً جسيماً يحف به عشرة من بنيه كأنهم النجوم ، قال : فهل رأيت أمية بن عبد شمس ؟ قال : نعم رأيت أخيفش أزيق دميماً ، يقوده عبده ذكوان ، فقال : ويحك ذاك ابنه أبو عمرو ، فقال دغفل : أنتم تقولون ذلك .

نسب بنى أمية : قال المؤلف : وهذا الطعن خاص بنسب عقبة من بنى أمية ، وفي نسب أمية نفسه مقالة أخرى نعم جميع الفصيلة ، وهى ماروى عن سفينة مولى أم سلة حين قيل له : إن بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم ، فقال : كذبت استاه بنى الزرقاء ، بل هم ملوك ، ومن شر الملوك ، فيقال : إن الزرقاء هذه هى أم أمية بن عبد شمس ، واسمها أرنب ، قاله الاصبهاني في كتاب الامثال ، قال : وكانت في الجاهلية من صواحب الرايات .

قال المؤلف رضى الله عنه : وقد عفا الله عن أمر الجاهلية ، ونهى عن الطعن فى الأنساب ، ولو لم يجب الكف عن نسب بنى أمية إلا لموضع عثمان بن عفان رضى الله عنه ، لكان حرى بذلك .

أبو هند الحجام : فصل وذكر أباهند الحجام ، وأنه لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من بدر . أبو هند اسمه : عبد الله ، وهو مولى فروة بن عمرو البياضى ، وأما طيبة الحجام فهو مولى بنى حارثة ، واسمه : نافع ، وقيل : دنبر وقيل ميسرة ، ولم يشهد بدرأ .

أسارى بدر

ذكر فيهم أباه عزيز بن عمير حين مر به ، وهو أسير على أخيه مصعب ، فقال مصعب للذى أسره أشدد يدك به وذكر الحديث .

قال المؤلف رحمه الله : وقد تقدم فى باب الهجرة خبر إسلام مصعب ، وما كانت أمه تصنع به ، وأرجأت التعريف به وبإخوته إلى هذا الموضع ، فأما أبو عزيز ، فاسمه زرارة ، وأمّه التى أرسلت فى فدائه أم الحنابس بنت مالك العامرية ، وهى أم أخيه مصعب ، وأخته هند بنت عمير ، وعند هى أم شيبه بن عثمان صاحب الكعبة ، جد بنى شيبه ، أسلم أبو عزيز ، وروى الحديث ، وأسلم أخوه أبو الروم ، وأبو يزيد ، ولا خفاء بإسلام مصعب أخيه ، وغلط الزبير بن بكار ، فقال : قتل أبو عزيز يوم أحد كافراً ، ولم يصح هذا عند أحد من أهل الأخبار ، وقد روى عنه نبيه بن وهب وغيره ، ولعل المقتول بأحد كافراً أخ لهم غيره .

خبر أبى رافع : اسم أبى رافع : أسلم ، وقال ابن معين اسمه إبراهيم ، وقيل اسمه : هرمز ، وكان عبداً قبطياً للعباس ، فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أسلم العباس وبشر أبو رافع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بإسلامه فأعتقه ، فكان مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقيل : كان عبداً لبنى سعيد بن العاصى ، وهم عشرة فأعتقوه لإخا لـد بن سعيد ، فإنه وهب حصته فيه لأبى - صلى الله عليه وسلم - والاول أصح ، توفى فى قول الواقدي قبل مقتل عثمان يـسير .

وذكر أباه لب وضر به لأبى رافع حين ذكر الملائكة وانتصار أم الفضل له وضر بها لأبى لب ، وأم الفضل هى لبابة الكبرى بنت الحارث الأهلالية أخت ميمونة ، وأختها لبابة الصغرى أم خالد بن الوليد ، ولدت أم الفضل من العباس سبعة قال الشاعر :

ما ولدت نجية من فحل كسبعة من بطن أم الفضل

وهم عبد الله وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، والفضل ، ومعبد ، وقثم ، ويقال فى السابع : كثير بن العباس ، والأصح فى كثير أن أمه رومية ، ولم تلد أم الفضل من العباس إلا من سميتها وأختا لهم ، وهى أم حبيب ، وقد ذكرها ابن إسحاق فى رواية بؤس ، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - رآها وهى طفلة تدب بين يديه ، فقال : إن بلغت هذه وأنا حى تزوجتها ، فقبض عليه السلام قبل أن تبلغ فتزوجها سفيان بن الأسود بن عبد الأسد المخزومى فولدت له رزقا ولبابة .

وذكر ابن إسحاق أن أباه لب حين ضربته أم الفضل بالعمود على رأسه قام منكسراً ، ولم يلبث إلا يسيراً ،

حقى رماء الله بالعدسة فقتله .

وذكر الطبرى فى كتابه أن العدسة قرحة كانت العرب تتشامم بها ، ويرون أنها تعدى أشد العدوى فلما رى بها أبو لهب ، تباعد عنه بنوه ، فبقى ثلاثا لا تقرب جنازته ، ولا يدفن ، فلما خافوا السبة دفعوه بعودى حفرة ثم قذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وقال ابن إسحاق فى رواية يونس لم يحفروا له ، ولكن أسند إلى حائط وقذفت عليه الحجارة من خلف الحائط وورى . وذكر أن عائشة كانت إذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها ، وفى صحيح البخارى أن بعض أهله رآه فى المنام فى شر رحبية ، وهى الحالة ، فقال : مالقت بعدكم ، يعنى راحة ، غير أنى سقيت فى مثل هذه بعتي ثوبية ، هكذا فى روايه الأصيلي عن أبي زيد ، وفى رواية غيره ، قال : مالقت بعدكم راحة ، غير أنى سقيت فى مثل هذه ، وأشار إلى النقرة بين السبابة والإبهام ، بعتي ثوبية ، وفى غير البخارى أن الذى رآه من أهله هو أخوه العباس ، قال : مكثت حولا بعد موت أبي لهب لا أراه فى نوم ، ثم رأيته فى شر حال ، فقال : مالقت بعدكم راحة إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين ، وكانت ثوبية قد بشرته بمولده ، فقالت له : أشعرت أن آمنة ولدت غلاما لأخيكَ عبد الله ؟ فقال لها : اذهبي ، فأنت حرة ، فنفعه ذلك ، وهو فى النار كما نفع أخاه أبا طالب ذبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — فهو أهون أهل النار عذابا ، وقد تقدم فى باب أبي طالب أن هذا النفع إنما هو نقصان من العذاب ، وإلا فعمل الكافر كله محبط بلا خلاف ، أى لا يحد فى ميزانه ولا يدخل به جنة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل ثوبية من المدينة ويتحفها ، لأنها كانت أرضعته ، وأرضعت عمه حمزة ، ولما افتتح مكة سأل عنها ، وعن ابن لها اسمه : مسروح ، فأخبر أنها قد ماتت

ضبيرة وابن الدخشم : وذكر المطلب بن وداعة بن ضبيرة ، وقد ذكر الخطابى عن العنبري أنه يقال فيه : ضبيرة بالضاد المعجمة ، واسم أبى ضبيرة : عوف .

وذكر مالك ، بن الدخشم ويقال فيه : الدخيش ، ويقال فيه : ابن الدخيش ويقال : إنه الذى سار رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من الانصار ، فلم يدر ما ساره به حتى جهر للنبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو يستأذنه فى قتله ، وهو فى حديث الموطأ ، والذى ساره هو عتبان بن مالك ، وقد برأ النبي صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم من النفاق ، حيث قال : أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قالوا : بلى ، قال أليس يصلى ؟ قالوا : بلى ، فقال فى حديث الموطأ : أولئك الذين نهانى الله عنهم ، وقال فى حديث مسلم : فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بها وجه الله .

مكرز وشعره : وذكر مكرز ، وقد تقدم فى اسم مكرز أنه يقال بكسر الميم وفتحها ، ولكن لا يروى فى السيرة إلا بالكسر .

وقول مكرز :

فديت بأذواد ثمان سبا فقى

بكسر الثاء من ثمان ، لأنه جمع ثمين ، مثل سمين وسمان .

أبو العاصي بن الربيع وزينب بنت الرسول : وذكر أبا العاصي بن الربيع بن عبد العزى ، واسم أبى العاصي : لقيط ، وقيل فيه : هاشم وقيل مهشم ، وقيل هشيم ، وهو الذى يقول فى أهله زينب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان بالشام حين قالها :

ذكرت زينب لما يمت إضما فقلت : سقياً لشخص يسكن الحرما
بنت الأمين جزاها الله صالحة وكل بعمل سينقى بالذى علما

ولدت له زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامة وعلياً ، مات على وهو صغير ، وتزوج أمامة على بن أبي طالب ، وتزوجها بعده المغيرة بن نوفل ، وهى التى جاء فيها الحديث رواه عمرو بن سليم الزرقى عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى ، وهو حامل أمامة بنت زينب الحديث ، قال عمرو بن سليم : كانت تلك الصلاة صلاة الصبح ، هكذا رواه ابن جريج عن ابن عتاب عن عمرو بن سليم ، ورواه ابن إسحاق فى غير السيرة عن المقبرى عن عمرو بن سليم ، فقال فيه : فى إحدى صلاتى الظهر أو العصر ، وكان الذى أسر أبا العاصى من الأنصار عبد الله بن جبير ، ذكره غير ابن إسحاق ، وكانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عتبة بن أبي لهب ، وأم كلثوم تحت عتيبة ، فطلقاها بعزم أبيهما عليهما وأمهما حين نزلت « تبث يدا أبى لهب » فأما عتيبة فعدا عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلط الله عليه كلبا من كلابه فاقترسه الأسد من بين أصحابه ، وهم نيام حوله ، وأما عتبة ومعتب ابنا أبى لهب ، فأسلبا ولهما عقب .

وقوله فى خبر هند فلا تضطئ منى . تضطئى ، أى : لا تنقبضى عنى وشاهده :
إذا ذكرت مسعاة والده اضطئى ولا يضطئى من شتم أهل الفضائل

هكذا وجدته فى حاشية الشيخ ، وقد روى هذا البيت فى الحماسة : يضئى بالضاد المعجمة ، وكأنه يفعل من الضئى وهو الضعف .

فصل : وذكر خروج زينب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكة ، واتباع قريش لها ، قال : وسبق لىها هبار بن الأسود والفهرى ، ولم يسم ابن إسحاق الفهرى ، وقال ابن هشام : هو نافع بن عبد قيس ، وفى غير السيرة أنه خالد بن عبد قيس ، هكذا ذكره البزار فيما بلغنى .

وذكر أن زينب حين روعها هبار بن الأسود ألفت ذا بطنها ، وزاد غير ابن إسحاق أنه نخس بها الراحلة فسقطت على صخرة ، وهى حامل فهلك جنينها ، ولم تزل تهريق الدماء حتى ماتت بالمدينة بعد إسلام بعلمها أبى العاصى .

وذكر الزبير أن هبار بن الأسود لما أسلم وضمحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان المسلمون يسبونهم بما فعل ، حتى شكوا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : سب من سبك يا هبار ، فكف الناس عن سبه بعد . ولدت زينب أمامة وهى التى جاء فيها الحديث رواه عمرو بن السليم بن خلدة بن مغلدة بن عامر بن زريق الزرقى عن أبي قتادة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يصلى وهو حامل أمامة بنت زينب الحديث . قال عمرو بن سليم إلى آخر ما تقدم قريبا .

وذكر شعر ابن رواحة ، وقيل بل قالها أبو خيشمة ، وفيها :

على مآقط وبيننا عطر منشم

المآقط : معترك الحرب ، وعطر منشم كناية عن شدة الحرب ، وهو مثل ، وأصله - فيما زعموا - أن عنشم كانت

امرأة من خزاعة تبيع العطر والطيب ، فيشتري منها اللوتى ، حتى تشاءوا بها لذلك ، وقيل : إن قوما تحالفوا على الموت ، فغمسوا أيديهم في طيب منشم المذكورة تأكيداً للحلف ، فضرب طيها مثلاً في شدة الحرب ، وقيل : منشم امرأة من غدانة ، وهو بطن من تميم ، ثم من بنى يربوع بن حنظلة وأن هذه المرأة هي صاحبة يسار الذى يقال له يسار السكواعب ، وأنه كان عبداً لها ، وأنه راودها عن نفسها ، فقالت له : أمهل حتى أشمك طيب الحرائر ، فلما أمكنها من أنفه أنخت عليه بالمومى حتى أوعبته جدعا ، فقيل فى المثل . لاقى الذى لاقى يسار السكواعب ، فقيل : عطر منشم .

وفى الشعر :

بذى حلق جلد الصلاصل محكم

يعنى : الغل ، والصلاصل جمع : صلصلة ، وهى ضالصلة الحديد :

وذكر قول هند بنت عتبة لفل قريش حين رجعوا من بدر :

أفى السلم أعياراً جفاء وغلظة وفى الحرب أشباه النساء العوارك

يقال : عركت المرأة ودرست وطمشت إذا حاضت ، وقد قيل أيضاً يقال : ضحكت إذا حاضت ، وتأول عليه قوله تعالى « فضحكت فبشرناها بإسحاق » ، وقد قيل أيضاً : وقال : أكرت المرأة إذا حاضت ، وحمل بعضهم عليه قوله تعالى : « أكرته وقطن أيدين » ، والهاء على هذا القول من أكرته عائدة على المصدر ، وهو تأويل ضعيف ، ونصب أعياراً على الحال ، والعامل فيه فعل مختزل لأنه أقام الأعيار مقام اسم مشتق ، فكأنه قال : أفى السلم بلداء جفأة مثل الأعيار ، ونصب جفاء وغلظة نصب المصدر الموضوع موضع الحال ، كما تقول : زيد الأسد شدة ، أى يماثله مائة شديدة ، فالشدة صفة للمماثلة ، كما أن المشافهة صفة للكاملة ، إذا قلت : كلمته مشافهة فهذه حال من المصدر فى الحقيقة ، وتعلق حرف الجر من قولها : أفى السلم ، بما أدته الأعيار من معنى الفعل ، فكأنها قالت : أفى السلم تتبلدون ، وهذا الفعل المختزل الناصب للأعيار لا يجوز إظهاره للسر الذى نهىنا عليه فى قول المبرق :

وعائذاً بك أن يعلوا فيطنونى

انظره فى الهجرة إلى الحبشة .

وذكر عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم رد زينب على أبى العاصى على النكاح الأول ، لم يحدث شيئاً بعد ست سنين ، ويعارض هذا الحديث ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ردها عليه بنكاح جديد ، وهذا الحديث هو الذى عليه العمل ، وإن كان حديث داود بن الحصين أصح إسناداً عند أهل الحديث ولكن لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علت لأن الإسلام قد كان فرق بينهما ، قال الله تعالى : « لاهن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن » ، ومن جمع بين الحديثين قال فى حديث ابن عباس : معنى ردها عليه على النكاح الأول ، أى : على مثل النكاح الأول ، فى الصداق والحباء لم يحدث زيادة على ذلك من شرط ، ولا غيره .

قتل بلال لامية بن خلف : وذكر قتل بلال لامية بن خلف ولم يذكر شعره فى ذلك ، وذكره ابن إسحاق فى غير هذه الرواية وهو :

إسلام عمير بن وهب وتحريض صفوان له على قتل الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير قال : جالس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير ، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، ومن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهو بكفة : وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر .

قال ابن هشام : أمره رفاعه بن رافع أحد بني زريق .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان : والله إن في العيش بعدهم خير ، قال عمير : صدقت والله ، أما والله لولا دين على ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي قبلهم علة : ابني أسير في أيديهم ، قال : فاغتنمها صفوان وقال : على دينك ، أنا أفضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أو أسيرهم ما بقوا ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم ، فقال له عمير : فاکتم شأنى وشأنك ، قال : أفعل .

قال : ثم أمر عمير بسيفه ، فشحذ له وسم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، والله ما جاء إلا لشر ، وهو الذى حرش بيننا ، وحزرنا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه ، قال : فأدخله على ، قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحلته سيفه في عنقه فلبى به ، وقال لرجال من كانوا

فأما التقينا لم نكذب بحملة	عليهم بأسياف لنا كالعقاق
ومطرورة حمر الظبابة كأنها	إذا رفعت أشتان ذات الأبارق
بنى جمع قد حل قعص بشيخكم	على ماء بدر رأس كل منافق
هجمنا عليه الموت واشتجرت به	مصاليت للأنصار غير زواحق
هوى حين لا قانا وفرق جمعه	على وجهه في النار من رأس حاق

وذكر الزبير في هذا الخبر عن ابن سلام عن حماد بن سلمة أن أمية حين أحاطت به الأنصار ، قال : يا أحد رأى ، أما لكم باللبن حاجة ؟ قال : وكان أمية يذكر بفصاحته ، ومعنى هذا الكلام : هل رأى أحد مثل هذا ، ثم قرن الزبير هذا الحديث بحديث أسنده عن مقاتل بن سليمان ، قال : قال النضر بن الحارث حين نزلت « قل : إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين » ، وكان النضر قد قال : الملائكة بنات الرحمن ، فلما سمع الآية قال ألا تراهم قد صدقنى ، فقال له أمية بن خلف - وكان أفصح منه - لا والله ، بل كذبك ، فقال : ما كان للرحمن من ولد ، وروى عن ثعلب أنه قال في قول أمية ، يا أحد : يا استفتاح ، ومعناه يا هؤلاء أحد راء .

معه من الانصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه ، قال : أرسله يا عمر ، ادن يا عمر ، فدنا ثم قال : لانعموا صباحا ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمر ، بالسلام : تحية أهل الجنة : فقال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد ، قال : فاجاء بك يا عمر ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه ، قال فما بال السيف في عنقك ؟ قال : قبحها الله من سيف ، وهل أغنت عنا شيئا ؟ قال : اصدقني ، ما الذي جدت له ؟ قال : ماجئت إلا لذلك ، قال ، بل قد عدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القلب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك قال عمر : أشهد أنك رسول الله ، وقد كنا يا رسول الله تكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانا للإسلام وساقنى هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقهوا أخاكم في دينه وأفرنوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله ، إنى كنت جاهدأ على إطفاء نور الله ، شديد الاذى لمن كان على دين الله عز وجل ، وأنا أحب أن تأذن لى ، فأقدم مكة ، فأدعهم إلى الله تعالى ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذى أصحابك في دينهم ؟ قال : فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألق بمكة . وكان صفوان بن أمية حين خرج عمر بن وهب ، يقول : أبشروا بوقعة تأتكم الآن في أيام ، تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فحلف أن لا يكلمه أبداً .

قال ابن إسحاق : فلما قدم عمر مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذى من خالفه أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير .

قال ابن إسحاق : وعمر بن وهب ، أو الحارث بن هشام ، قد ذكرلى أحدهما ، الذى رأى إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر ، فقال : أين أى سراق ؟ ومثل عدو الله فذهب ، فأنزل الله تعالى فيه . « ولأذن لهم الشيطان أعلمهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإنى جاراكم » . فذكر استدراج إبليس لإياهم ، وتشبهه بسرقة ابن مالك بن جعشم لهم حين ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة في الحرب التى كانت بينهم . يقول الله تعالى : « فلما ترامت الفتتان ، ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة ، قد أيد الله بهم رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على عدوهم » نكص على عقبيه وقال إنى برى منكم إنى أرى ما لاترون ، وصدق عدو الله ، رأى ما لم يروا ، وقال : « إنى أخاف الله ، والله شديد العقاب ، فذكرلى أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة مرافقة لا ينكروه ، حتى إذا كان يوم بدر ، والتقى الجمعان نكص على عقبيه ، فأوردتهم ثم أسلمهم .

قال ابن هشام : نكص : رجع . قال أوس بن حجر ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم :

نكصتم على أعقابكم يوم جئتم
تزوجون أنفال الخنيس العرمم

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

قوى الذين هم آووا لبيهم	وصدقوه وأهل الأرض كفار
إلا خصائص أقوام هم سلف	لصالحين مع الانصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولهم	لما أتاهم كريم الأصل مختار
أهلاً وسهلاً فى أمن وفى سعة	نعم النبي ونعم القسم والجار
فأنزلوه بدار لا يخاف بها	من كان جارهم داراً هي الدار
وقاسموه بها الأموال إذ قدموا	مهاجرين وقسم الجاحد النار
سرتنا وساروا إلى بدر حينهم	لو يعلنون يقين العلم ماساروا
دلاهم بغرور ثم أسلمهم	إن الحديث لمن والاه غرار
وقال لاني لكم جار فأوردتهم	شر الموارد فيه الخزي والعار
ثم التقينا فولوا عن سرائهم	من منجدين ومنهم فرقة غاروا

قال ابن هشام : أنشدني قوله ، لما أتاهم كريم الأصل مختار ، أبو زيد الأنصاري .

المطعمون من قریش

قال ابن إسحاق : وكان المطعمون من قریش ، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف : العباس بن عبد المطلب بن هاشم .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدى بن نوفل ، يعقوبان ذلك .

ومن بنى أسد بن عبد العزى ، أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد ، وحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، يعقوبان ذلك

ومن بنى عبد الدار بن قصي : النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار .

قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار .

قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن يقظة : أبو جهل بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم .

ومن بنى جمح : أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح .

ومن بنى سهم بن عمرو : نبيها ومنبها ابني الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم ، يعقوبان ذلك .

ومن بنى عامر بن لؤى ، سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر .

اسماء خيل المسلمين يوم بدر

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم : أنه كان مع المسلمين يوم بدر من الخيل ، فرس مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وكان يقال له السبل ، وفرس المقداد بن عمرو البهراي ، وكان يقال له : بعرجة ، ويقال : سبحة ، وفرس الزبير بن العوام ، وكان يقال له : اليعسوب .

قال ابن هشام : ومع المشركين مائة فرس .

نزول سورة الأنفال تصف أحداث بدر

قال ابن إسحاق : فلما انقضى أمر بدر ، أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها ، فكان نزول منها في اختلافهم في النفل حين اختلفوا فيه ، يستلونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين .

فكان عبادة بن الصامت — فيما بلغني — إذا سئل عن الأنفال ، قال : فينا معشر أهل بدر نزلت ، حين اختلفنا في النفل يوم بدر ، فأنزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا ، فردّه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقسمه بيننا عن بواء — يقول : على السواء — وكان في ذلك تقوى الله وطاعته ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وصلاح ذات البين .

ثم ذكر القوم ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف القوم أن قريشاً قد ساروا إليهم ، وإنما خرجوا يريدون العير طمعاً في الغنيمة ، فقال : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقاً من المؤمنين لسكرهون . يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » : أي كراهية للقاء القوم ، وإنكاراً لمسير قريش ، حين ذكروا لهم « وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » : أي الغنيمة دون الحرب « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين » : أي بالوقعة التي أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر « إذ تستغيثون ربكم ، أي لدعائهم حين نظروا إلى كثرة عدوهم ، وقلة عددهم ، فاستجاب لكم ، بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم ، أني بمدكم بألف من الملائكة مردفين » . « إذ يغشيكم النعاس أمنة منه » : أي أنزلت عليكم الأمانة حين نمت لا تخافون « وينزل عليكم من السماء ماء ، للمطر الذي أصابهم تلك الليلة ، فبس المشركين أن يسبقوا إلى الماء ، وخلي سبيل المسلمين إليه » ليظهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » : أي ليذهب عنكم شك الشيطان ، لتخويفه إياهم عدوهم ، واستجلاد الأرض لهم ، حتى انتهوا إلى منزلهم الذي سبقوا إليه عدوهم .

ثم قال تعالى : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا » : أي آزرُوا الذين آمنوا « سألني في قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق ، واضربوا منهم كل بنان . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب » ، ثم قال : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الادبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ، فقد باء بغضب من الله ، وماواه جهم وبئس المصير » : أي تحريضاً لهم على عدوهم لئلا ينكولوا عنهم إذا لقوهم ، وقد وعدهم الله فيهم ما وعدهم .

ثم قال تعالى في رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم لإيهاهم بالحصباء من يده ، حين رماهم : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، أى لم يكن ذلك برميك ، لولا الذى جعل الله فيها من نصرك ، وما ألقى في صدور عدوك منها حين هزمهم الله » وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً ، : أى ليعرف المؤمنين من نعمته عليهم في إظهارهم على عدوهم ، وقلة عددهم ، ليعرفوا بذلك حقه ، ويشكروا بذلك نعمته

ثم قال : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » : أى لقول أبي جهل : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا يعرض ، فأحنه الغداة . والاستفتاح : الإنصاف في الدعاء .

يقول الله جل ثناؤه : « وإن تفتحوا » : أى لقریش وفهو خير لكم وإن تعودوا نعد : أى بمثل الواقعة التي أصبناكم بها يوم بدر . « وإن تغنى عنكم فتتكم شيئاً ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين » : أى أن عددكم وكثرتكم في أنفسكم لن تغنى عنكم شيئاً ، وإنى مع المؤمنين ، أنصرهم على من خالفهم .

ثم قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا رسوله ، ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » : أى لاتخاذوا أمره وأنتم تسمعون لقوله ، وتزعمون أنكم منه ، « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » : أى كالمناقضين الذين يظهرون له الطاعة ، ويسرون له المعصية « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » : أى المناقضون الذين غيبتكم أن تكونوا مثلهم ، بكم عن الخير ، صم عن الحق ، لا يعقلون : لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النعمة والتباعدة ، ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم ، « أى لا نفذ لهم لذي قالوا بالسنتهم ، ولكن القلوب خالفت ذلك منهم ، ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون ، ما وفوا لكم بشيء ما خرجوا عليه ، يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحییكم » : أى للحرب التي أعزكم الله بها بعد الذل ، وقواكم بها بعد الضعف ، ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ، فأوكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ، أى لا تظهروا له من الحق ما يرضى به منكم ، ثم تخالفوه في السر إلى غيره ، فإن ذلك هلاك لأماناتكم ، وخيانة لأنفسكم . « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ، ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » : أى فصلاً بين الحق والباطل ، ليظهر الله به حقكم ، ويظني به باطل من خالفكم .

ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعمته عليه ، حين مكر به القوم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين ، : أى فكثرت بهم بكيدى المتين حتى خلصتكم منهم .

ثم ذكر غرة قریش واستفتاحهم على أنفسهم ، إذ قالوا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، أى ما جاء به محمد ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، كما أمطرتها على قوم لوط » أو ائتنا بعذاب أليم ، أى بعض ما عذب به الأمم قبلنا ، وكانوا يقولون : إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفره ، ولم يعذب أمة ونبيها معها حتى يخرجها عنها . وذلك من قولهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر جباههم وغرهم واستفتاحهم على أنفسهم ، حين نعى سوء أعمالهم : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » أى لقولهم : إنا نستغفر ومحمد بين أظهرنا ، ثم قال « وما لهم ألا يعذبهم الله » ، وإن كنت بين أظهرهم ، وإن كانوا يستغفرون كما يقولون « وهم يصدون عن المسجد الحرام » : أى من آمن بالله وعبدته : أى أنت ومن

اتبك ، « وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ، الذين يحرمون حرمة ويقومون الصلاة عنده : أى أنت ومن آمن بك » ولكن أكثرهم لا يعلمون * وما كان صلاتهم عند البيت ، التى يزعمون أنه يدفع بها عنهم ، إلا مكاء وتصدية .

قال ابن هشام : المكاء : الصغير ، والتصديق : التصفيق . قال عنتر بن عمرو بن شداد العبسى :
ولرب قرن قد تركت مجذلا تمكو فريسته كشدق الأعلم

يعنى : صوت خروج الدم من الطعنة ؛ كأنه الصغير وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الطرماح بن حكيم الطائى :
لها كلما ريعت صداة وركدة بمصدان أعلى ابني شمام البوائن

وهذا البيت فى قصيده له . يعنى الأروية ، يقول : إذا فزعت قرعت بيدها الصفاة ثم ركدت تسمع صدى قرعها بيدها الصفاة مثل التصفيق . والمصدان : الحرز . وابننا شمام : جبلان .

قل ابن إسحاق : وذلك ما لا يرضى الله عز وجل ولا يحبه ، ولا ما افترض عليهم ، ولا ما أمرهم به ، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، : أى لما أوقع بهم يوم بدر من القتل .

المدة ما بين نزول سورة المزمل ووقعة بدر : قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة قالت : ما كان بين نزول : « يا أيها المزمل » ، وقول الله تعالى فيها : « وذرني والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا » إن لدينا أنسكالا وجحيا . وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ، إلا يسير ، حتى أصاب الله قريشاً بالوقعة يوم بدر .

قال ابن هشام : الانسكال : القيود ، واحدها : نكل . قال رؤبة بن العجاج :

يكفيك نكلى بغي كل نكل

وهذا البيت فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : ثم قال الله عز وجل : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » ، يعنى النفير الذين مشوا إلى أبى سفيان ، وإلى من كان له مال من قريش فى تلك التجارة ، فسألوه أن يقوهم بها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعلوا :

ثم قال : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا ، لحربك وفقد مضت سنة الأولين ، أى من قتل منهم يوم بدر .

ثم قال تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » : أى حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، ويكون التوحيد لله خالصاً ليس فيه شريك ، ويخلق ما دونه من الانداد ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير . وإن تولوا ، عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم ، فاعلموا أن الله مولاكم ، الذى أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر فى كثرة عددهم وقلة عددكم « نعم المولى ونعم النصير » .

ثم أهلهم مقاسم الفى . وحكمه فيه ، حين أحله لهم ، فقال « واعلموا إنما غنتم من شئ . فإن الله خمسته وللرسول

ولذى القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ، أى يوم فرقت فيه بين الحق والباطل بقدرتى يوم التقى الجمعان منكم ومنهم ، إذ أنتم بالعدوة الدنيا ، من الوادى ، وهم بالعدوة القصوى ، من الوادى إلى مكة ، والركب أسفل منكم ، أى غير أبى سفيان التى خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم ، ولو تواعدتم لاختلقتم فى الميعاد ، أى ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم ، وقلة عددكم ما لقيتموهم ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، أى ليقضى ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكفر وأهله عن غير بلاء منكم ، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه ، ثم قال : ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة ، وإن الله لسميع عليم ، أى ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآيات والعبرة ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك

ثم ذكر لطفه به وكيدته له ، ثم قال : إذ يريكم الله فى منامك قليلاً ولو أراكم كثيراً لغشتم ولتنازعتهم فى الأمر ولكن الله سلم لأنه عليم بذات الصدور ، فكان ما أراك من ذلك نعمة من نعمه عليهم ، شجعهم بها على عدوهم ، وكف بها عنهم ما تخوف عليهم من ضعفهم ، لعله بما فيهم .

قال ابن هشام : تخوف : مبدلة من كلمة ذكرها ابن إسحاق ولم أذكرها ، وإذ يريكم الله إذ التقيتم فى أعينكم قليلاً ويقللهم فى أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، أى ليؤلف بينهم على الحرب للنعمة من أراد الانتقام منه ، والإنعام على من أراد لإتمام النعمة عليه ، من أهل ولايته .

ثم وعظهم وفهمهم وأعلمهم الذى ينبغي لهم أن يسيروا به فى حربهم ، فقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة ، فقاتلونهم فى سبيل الله عز وجل ، فاثبتوا واذكروا الله كثيراً ، الذى له بذلتم أنفسكم ، والوفاء له بما أعطيتموه من بيعتكم ، لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا ، : أى لا تختلفوا فيتفرق أمركم ، وتذهب ريحكم ، أى وتذهب حدتكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين ، أى لى معكم إذا فعمالتم ذلك ، ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ، : أى لا تكونوا كأبى جهل وأصحابه ، الذين قالوا : لا نرجع حتى نأتى بدرأ فننحر بها الجزر ونسقى بها الخمر ، وتعزف علينا فيها القيان ، وتسمع العرب : أى لا يكون أمركم رياء ، ولا سمعة ، ولا التماس ما عند الناس وأخلصوا لله النية والحسبة فى نصر دينكم ، وموازرة نبيكم لا تعملوا إلا لذلك ولا تطلبوا غيره .

ثم قال تعالى : : وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإنى جار لكم ، قال ابن هشام : وقد مضى تفسير هذه الآية .

قال ابن إسحاق : ثم ذكر الله تعالى أهل الكفر ، وما يلقون عند موتهم ، ووصفهم بصفهم ، وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عنهم ، حتى انتهى إلى أن قال : فإذا تثقفنهم فى الحرب فشدد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ، أى فنسلك بهم من ورائهم لعلهم يعلقون ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، إلى قوله تعالى : : وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف إليكم ، وأنتم لا تظلمون ، : أى لا يضيع لكم عند الله أجره فى الآخرة ، وعاجل خلفه فى الدنيا . ثم قال تعالى : : وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، : أى إن دعوك إلى السلم على الإسلام فصالحهم عليه ، وتوكل على الله ، إن الله كافيك ، : لأنه هو السميع العليم .

قال ابن هشام : جنحوا للسلم : مالوا إليكم للسلم . الجنوح : الميل . قال لبيد بن ربيعة :

جنوح الهالكي على يديه مكبا يجتلى نقب النصال

وهذا البيت في قصيدة له، والسلم أيضا : الصالح ، وفي كتاب الله عز وجل : « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون » ، ويقرأ « إلى السلم » ، وهو ذلك المعنى قال زهير بن أبي سلمى :

وقد قلنا إن ندرك السلم واسماً بمال ومعروف من القول نسلم

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام : وبلغني عن الحسن بن أبي الحسن البصري ، أنه كان يقول : « وإن جنحوا للسلم ، الإسلام . وفي كتاب الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » ، ويقرأ « في السلم » ، وهو الإسلام . قال أمية ابن أبي الصلت :

فما أنابوا لسلم حين تنذرهم رسل الإله وما كانوا له عضدا

وهذا البيت في قصيدته له . وتقول العرب لدلو تعمل مستطيطة : السلم . قال طرفة بن العبد ، أحد بني قيس بن ثعلبة ، يصف ناقة له :

لها مرفقان أفتلان كأنما تمر بسلي دالج متشدد

وهذا البيت في قصيدة له .

« وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » هو من وراء ذلك « هو الذي أيدك بنصره » بعد الضعف « وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم » على الهدى الذي بعثك الله به لإيهم « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » ، ولكن الله ألفت بينهم ، بدينه الذي جمعهم عليه « إنه عزيز حكيم » .

ثم قال تعالى « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، أي لا يقاتلون على نية ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عباس قال : لما نزلت هذه الآية اشتد على المسلمين ، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ، ومائة ألفاً ، خفف الله عنهم ، ففسختها الآية الأخرى ، فقال : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله » ، والله مع الصابرين . قال : فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم أن يفروا منهم ، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم .

قال ابن إسحاق : ثم عانبه الله تعالى في الأسارى ، وأخذ المغانم ، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنماً من عدو الله .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد أبو جعفر بن علي بن الحسين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نصرت بالعرب ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت جوامع السكك ، وأحللت لي المغانم ولم تحل لنبي كان قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، خمس لم يؤتني نبي قبلي .

قال ابن إسحاق : فقال : « ما كان لنبي » أي قبلك « أن يكون له أسرى » من عدوه « حتى يشخن في الأرض »

أى يشن عدوه ، حتى ينفيه من الأرض و تريدون عرض الدنيا ، : أه المتاع ؛ الفداء بأخذ الرجال ، والله يريد الآخرة ، : أى قتالهم لظهور الدين الذى يريد إظهاره ، والذى تدرك به الآخرة و لولا كتاب من الله سبق لمسكم فم أخذتم ، : أى من الأسارى والمغانم و عذاب عظيم ، أى لولا أنه سبق منى أنى لا أذهب إلا بعد النبى ولم يك نهاهم ، لمذبتكم فيما صنعت ، ثم أحلها له ولهم رحمة منه ، ورائدة من الرحمن الرحيم . فقال و فكلوا مما غنمتم حلالات طيبا واتقوا الله إن غفور رحيم . ثم قال و يا أيها النبى قل لله فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم ، والله غفور رحيم .

وحض المسلمين على التواصل ، وجعل المهاجرين والانصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ، ثم قال و إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ، أى يوال المؤمن المؤمن من دون الكافر ، وإن كان ذا رحم به و تكن فتنة فى الأرض ، أى شبهة فى الحق والباطل ، وظهور الفساد فى الأرض بتولى المؤمن الكافر دون المؤمن .

ثم رد المواريث إلى الأرحام من أسلم بعد الولاية من المهاجرين والانصار دونهم إلى الأرحام التى بينهم . فقال : و الذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ، أى بالميراث و إن الله بكل شئ عليم .

إسلام عمير بن وهب : فصل : وذكر إسلام عمير بن وهب إلى آخره ، وليس فيه ما يشكل .

هل تمثل إبليس فى غزوة بدر : وذكر فى آخر الحديث أن عمير بن وهب هو الذى رأى إبليس يوم بدر حين نكص على عقبيه ، وذكر غيره أن الحارث بن هشام تشبث به ، وهو يرى أنه سراقه بن مالك ، فقال : إلى أين مراق أين نفر فلعله لكمة طرحه على قفاه ، ثم قال لى أخاف الله رب العالمين ، وإنما كان تمثل فى صورة سراقه المدلجى ، لأنهم خافوا من بنى مدلج أن يعرضوا لهم ، فيشغلهم من أجل الدماء التى كانت بينهم ، فتمثل لهم إبليس فى صورة سراقه المدلجى ، وقال لى جار لكم من الناس ، أى : من بنى مدلج ، ويروى أنهم رأوا سراقه بمكة بعد ذلك ، فقالوا له : يا مراقه أخرمت الصف ، وأوقعت فىنا الهزيمة ، فقال : والله ما علت بشئ من أمركم ، حتى كانت هزيمتكم ، وما شهدت ، وما علت فما صدقوه ، حتى أسلوا وبنعوا ما أنزل الله فعلوا أنه إبليس تمثل لهم .

وقول اللعين : لى أخاف الله رب العالمين ، لأهل التأويل فيه أقوال أحدها : أنه كذب فى قوله : لى أخاف الله ، لأن الكافر لا يخاف الله ، الثانى : أنه رأى جنود الله تنزل من السماء ، تخاف أن يكون اليوم الموعد الذى قال الله فيه : و يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ، وقيل أيضا : إنما خاف أن تدركه الملائكة لما رأى من فعلها يحزبه الكافرين ، وذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل أن قريشا حين توجهت إلى بدر مرهاتف من الجن على مكة فى اليوم الذى أوقع بهم المسلمون ، وهو ينشد بأنفذ صوت ، ولا يرى شخصه :

أزار الخنفيون بدرأ وقيعة	سينقض منها ركن كسرى وقيصرا
أبادت رجالا من أوى ، وأبرزت	خراشد يضربن للترائب حسرا
فيا ويح من أمسى هدو محمد	لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا

فقال قائلهم : من الخنفيون ؟ فقالوا : هم محمد وأصحابه ، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الخنيف ، ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين .

ذكر ما أنزل الله في بدر

أنزل سورة الأنفال بأمرها، والأنفال هي الغنائم، وقال أبو عبيد في كتاب الأموال: النفل: إحسان وتفضل من المنعم فسميت الغنائم أنفالاً، لأن الله تعالى تفضل بها على هذه الأمة، ولم يحلها لأحد قبلهم. قال المؤلف: أما قوله: إن الله تفضل بها فصيح، فقد قال عليه السلام: ما أحلت الغنائم لأحد سود الرءوس قبلكم، إنما كانت نار تنزل من السماء فتأكلها، وأما قوله: فسميت الغنائم أنفالاً لهذا، فلا أحسبه صحيحاً، فقد كانت العرب في الجاهلية الجهلاء تسميها أنفالاً.

وقد أنشد ابن هشام لأوس بن حجر الأسدي، وهو جاهلي قديم:

نكصتم على أعقابكم يوم جئتم تزجون أنفال الخيـس العـرمـم

ففي هذا البيت أنها كانت تسمى أنفالاً قبل أن يحلها الله لحمد وأمه، فأصل اشتقاقها إذاً من النفل، وهو الزيادة لأنها زيادة في أموال الغانمين، وفي بيت أوس بن حجر أيضاً شاهد آخر على أن الجيش كان يسمى: خيماً، في الجاهلية، لأن قوما زعموا أن اسم الخيـس من الخيـس الذي يؤخذ من المغنم، وهذا لم يكن حتى جاء الإسلام، وإنما كان لصاحب الجيش الربع، وهو المربع، وسيأتي القول في اشتقاقه فيما بعد إن شاء الله. قرأ ابن مسعود وعطاء، يستلونك الأنفال، وقرأت الجماعة: يستلونك عن الأنفال، والمعنى صحيح في القراءتين؛ لأنهم سألوها وسألوا عنها لمن هي.

وقول عبادة بن الصامت: نزلت فينا أهل بدر: يستلونك عن الأنفال، لأننا تنازعنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، كذلك جاء في التفسير لعبد بن حميد، وغيره أن عبادة بن الصامت مع الذين كانوا معه، وأبا اليسر كعب ابن عمرو في طائفة معه، وكان أبو اليسر قد قتل قتيلين، وأسر أسيرين تنازعوا، فقال الذين حووا المغنم: نحن أحق به، وقال الذين شغلوا بالقتال، واتباع القوم نحن أحق به، فانتزع الله منهم وردده إلى نبيه - صلى الله عليه وسلم - وقد تقدم حديث سعد بن أبي وقاص، حين جاء بالسيف، فأمر أن يجعله في القبط، فشق ذلك عليه، وكان السيف للعاصي بن سعيد، يقال له ذو الكنيعة، فلما نزلت الآية أعطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - السيف لسعد، وقسم الغنيمة عن بواء أي: على سواء، وقد قدمنا الحديث الذي ذكره أبو عبيد، وفيه أنه قسمها على فراق، فأنزل الله بعد: واءعلوا أنما غنمتم من شيء، الآية فنسخت، قل: الأنفال لله والرسول، وهو أصح الأقوال أنها منسوخة. وأما من زعم أن الأنفال ما شذ من العدو إلى المسلمين من دابة، أو نحوها، فليست منسوخة عنده، وكذلك قول مجاهد إن الأنفال، هو الخيـس نفسه، وإنما تكون منسوخة إذا قلنا إنها جملة الغنائم، وهو القول الذي تشهد له الآثار، قال أبو عبيد: والأنفال تنقسم أربعة أقسام نفل لا يخيـس، وNFL من رأس الغنيمة، وNFL من الخيـس، وNFL السرايا وهو بعد لإخراج الخيـس، وNFL من خمس الخيـس، فأما الذي ليس فيه خمس ولا يخرج من رأس الغنيمة، ولا من الخيـس، فهو سلب القتل يقتل في غير جمعة الحرب، وفي غير الزحف، فهو ملك للغانل، وهذا القول هو قول الأوزاعي، وأهل الشام، وقول طائفة من أهل الحديث وفيه قول ثان: وهو أن السلب من جملة النفل يخمس مع الغنيمة، وهو قول مالك، وهو معنى قول ابن عباس الذي في الموطأ حين سأل رجل عن الأنفال، فقال: الفرس من النفل، والدرج من النفل، وقال في غير الموطأ في هذا الحديث:

الفرس من النفل ، وفي النفل الخمس أن الوليد بن مسلم روى هذا الحديث ، فقال في آخره : يريد أن السلب للقاتل ، ففسره على مذهب شيخه ، ومن حجتهم أيضاً أن عمر رضى الله عنه خمس سلب البراء بن مالك حين قتل مرزبان الزارة فسلبه سواريه ومنطقته ، وما كان عليه ، فبلغ ثمنه ثلاثين ألفاً ، وقال أصحاب القول الأول لاجحة في حديث عمر ، لأنه إنما خمس المرزبان ، لأنه استكثره ، وقال : قد كان السلب لا يخمس ، وإن سلب البراء بلغ ثلاثين ألفاً ، وأنا خامسه ، واحتجوا بحديث سلبة بن الأكوع ، إذ قتل قتيلة ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له سلبه أجمع . ومن حجة مالك ، ومن قال بقوله : عموم آية الخمس ، فإنه قال : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة ، وللرسول » وحديث خالد بن الوليد الذي رواه مسلم وأبو داود أن عوف بن مالك قال : قتل رجل من حمير رجلاً من العدو فأراد سلبه ، فنهه ذلك ، وكان والياً عليهم ، فأخبر عوف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال لخالد : ما منعك أن تعطيه سلبه ؟ فقال : استكثرته يارسول الله ، قال : ادفعه إليه . فلقى عوف خاله أجبذ بردائه ، وقال : هل أتجرت لك ما ذكرت لك من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستغضب ، فقال : لا تعطه يا خالد ، هل أنتم تاركوا إلى أمرائي .

ولو كان السلب حقاً له من رأس الغنيمة لما رده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهذا هو القسم الواحد من النفل . والقسم الثاني : هو من رأس الغنيمة قبل تخميسها ، وهو ما يعطى الأدلاء الذين يدلون على عورة العدو ، ويدلون على الطرق ، وما يعطى الدعاة وغيره مما ينتفع أهل الجيش به عامة . والقسم الثالث : ما تنفله السرايا ، فقد كانت تنفل في البدأة الربع بعد الخمس ، وفي العودة الثلث مما غنموه ، كذلك جاء في حديث رواه مكحول عن حبيب بن مسلمة ، وأخذت به طائفة .

والقسم الرابع من النفل : ما ينفله الإمام من الخمس لأهل الغناء والمنفعة ، لأن ما كان للرسول عليه السلام من الغنيمة ، فهو للإمام بعده يصرفه فيما كان النبي عليه السلام يصرفه ، وهو قول مالك وأكثر العلماء ، وقالت طائفة هو مقصور على الأصناف التي ذكرت في القرآن ، وهم ذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقد أعطى المقداد حماراً من الخمس أعطاه له بعض الأمراء ، فردّه لما لم يكن من هؤلاء الأصناف المذكورين ، وأما أنس ابن مالك ، فإنه فعل خلاف هذا ، أعطاه معاوية ثلاثين رأساً من الغنيمة فأبى أن يقبلها ، إلا أن تكون من الخمس وأصح القولين : أن الإمام له النظر في ذلك ، فإن رأى صرف الخمس إلى منافع المسلمين ، ولم تكن بالأصناف الأربعة حاجة شديدة إليه صرفه ، وإلا بدأ بهم ، وصرف بقيته فيما يرى ، واختلف في ذوى القربى من هم ، فقال ابن عباس : كنا نرى أنهم بنو هاشم ، فأبى ذلك علينا قومنا ، وقالوا هم قريش كلهم ، كذلك قال في الكتاب الذي كتبه إلى نجدة الحروري ، واختلفوا أيضاً في قرابة الإمام بعد النبي صلى الله عليه وسلم : أمه داخلون في الآية أم لا ؟ والصحيح : دخولهم في ذوى القربى ، لقوله عليه السلام : إذا أطعم الله نبياً طعمة ، فهي للخليفة بعده ، أو قال : للقائم بعده . وبما اختلفوا فيه من معنى آية الخمس : قسم خمس الخمس ، فقال أبو العالية في قوله : « فإن لله خمسة ، أى : للكمبة ، يخرج لها نصيب من الخمس ، وللرسول نصيب ، وباقي الخمس للأربعة الأصناف . وقالت طائفة : خمس الخمس للرسول ، وباقي الأربعة الأصناف . وقالت طائفة : الخمس كله للرسول يصرفه في تلك الأصناف وغيرها ، وإنما قال الله : « وللرسول » تنبيهاً على شرف المكسب وطيب المنعم ، كذلك قال في الآية ، وهو ما أفاء الله على المسلمين من الأرضين التي كانت لأهل الكفر فقال فيه : « فله وللرسول ، الآية » ، ولم يقل في آيات الصدقات مثل ذلك ، ولا أضافها لنفسه ولا للرسول ، لأن الصدقة أوساخ الناس ، فلا تطيب لمحمد ، ولا لآل محمد ، فقال

فيها : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، الآية ، أى : ليست لاحد إلا لهؤلاء ، وهذا كله قول سفيان الثوري وتفسيره ، وسيأتى القول فى غزوة حنين فيما أعطى النبي - صلى الله عليه وسلم للؤلؤة قلوبهم ، هل كان من رأس الغنيمة أم من الخمس أم من خمس الخمس إن شاء الله .

قتال الملائكة : فصل : وذكر قوله سبحانه « بألف من الملائكة مردفين » ، وقد قال فى أخرى : « بثلاث آلاف » ، من الملائكة منزلين ، فقل فى معناه : إن الآلاف أردفهم بثلاثة آلاف فكان الأكثر مدداً للأقل ، وكان الآلف مردفين لمن وراءهم بكسر الدال من مردفين ، وكانوا أيضاً مردفين بهم بفتح الدال ، والآلف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين ، وهم الذين قال الله لهم : « قتلوا الذين آمنوا ، وكانوا فى صور الرجال ، ويقولون للمؤمنين أثبتوا . فإن عدوكم قليل ، وإن الله معكم ونحوه ذا » ، وقول الله سبحانه : « واضربوا منهم كل بنان » ، جاء فى التفسير أنه ما وقعت ضربة يوم بدر إلا فى رأس أو مفصل ، وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم ، بآثار سود فى الاعناق وفى البنان ؛ كذلك ذكر ابن إسحاق فى غير هذه الرواية ، ويقال لمفاصل الأصابع وغيرها بنان واحدها بنانه ، وهو من أبى بالمكان إذا أقام فيه وثبت ، قاله الزجاج .

وقوله « ليظهركم به » ، ويذهب عنكم رجز الشيطان ، كان العدو قد أحرزوا الماء دون المؤمنين ، وحفروا القلب لأنفسهم ، وكان المسلمون قد أخذوا وأجنب بعضهم ، وهم لا يصلون إلى الماء ، فوسوس الشيطان لهم أو لبعضهم ، وقال : تزعمون أنكم على الحق ، وقد سبقكم أعداؤكم إلى الماء ، وأنتم عطاش وتصلون بلا وضوء ، وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يقطع العطش رقابكم ، ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاءوا ، فأرسل الله تعالى السماء خلعت عزاليها فتطهروا ورووا وتلبدت الأرض لأقدامهم وكانت رمالاً وسمخات ، فثبتت فيها أقدامهم وذهب عنهم رجز الشيطان ، ثم نهضوا إلى أعدائهم فغلبوهم على الماء ، وعاروا القلب التى كانت تلى العدو فعطش الكفار ، وجاء النصر من عند الله ، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم - قبضة من البطحاء ورماهم بها ، فثارت عيون جميع العسكر ، وذلك قوله سبحانه : « وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمى » ، أى : عم جميعهم ، ولم يكن فى قبضتك إلا ما يبلغ بعضهم ، فأنه هو الذى رمى سائرهم إذ رميت أنت القليل منهم ، فهذا قول ، وقال أحمد بن يحيى : معناه : وما رميت قلوبهم بالرعب حين رميت الحصاء ، ولكن الله رمى وقال هبة الله بن سلامة : الرمي أخذ وإرسال وإصابة وتبليغ ، فالذى أثبت الله لنبيه هو الأخذ والإرسال ، والذى نفي عنه هو الإصابة والتبليغ ، وأثبتهما لنفسه .

فلا تولوهم الأدبار : وقوله : « فلا تولوهم الأدبار » . قال الحسن : ليس الفرار من الزحف من الكبار إلا يوم بدر وفى الملحمة الكبرى التى تأتى آخر الزمان . وقال غيره : هو من الكبار إذا حضر الإمام ولم يتحيز إلى فئة فأما إذا كان الفرار إلى الإمام ، فهو متحيز إلى فئة ، وقد قال عمر بن الخطاب حين بلغه قتل أبى عبيد ابن مسعود ، وما أوقع الفرس بالمسلمين : هلا تحيز إلى أبى عبيد بن مسعود ، فإنى فئة لكل مسلم ، وروى مثل هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال لأصحابه الذين رجعوا من غزوة مؤتة ، ذلك أنهم قالوا : نحن الفرارون يا رسول الله ، فقال : بل أنتم العكارون ، وأنا فشتكم ، وهو حديث مشهور اختصرته ، والقدر الذى يحرم معه الفرار الواحد مع الواحد ، والواحد مع الاثنين ، فإذا كان الواحد للثلاثة ، لم يعيب على الفار فراره ، كان متحيزاً إلى فئة أو لم يكن . وذكر أبو الوليد بن رشد فى مقدماته عن بعض الفقهاء ، قال : إذا كان المسلمون اثنا عشر

ألفا لم يحز لهم الفرار من ثلاثة أمثالهم ، ولا من أكثر من ذلك ، لقوله عليه السلام : إن تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة ، وقد كان وقوف الواحد إلى العشرة حتماً في أول الأمر ، ثم خفف الله ذلك ونسخه بقوله : « الآن خفف الله عنكم ، وعلم أن فيكم ضعفاً » ، كذلك روى عن ابن عباس ، وهو قول العلماء ، ولكن لا يتبين فيه النسخ ، لأن قوله « إن يكن منكم عشرون صابرون » إلى آخر الآية خبر ، والخبر لا يدخله النسخ ، وقوله : « الآن خفف الله عنكم » يدل على أن ثم حكماً منسوخاً ، وهو الثبوت للعشرة ، فإذا للآية ظهير وبطن ، فظاهرها خبر ، ووعد من الله تعالى أن تغلب العشرة المائة ، وباطنها وجوب الثبوت للبائة ، ويدل على هذا الحكم قوله : « حرص المؤمنين على القتال » ، فتعلق النسخ بهذا الحكم الباطن ، وبقى الخبر وعداً حقاً قد أبصره المؤمنون - عياناً في زمن هجرين الخطاب ، وفي بقية خلافة أبي بكر في محاربة الروم وفارس بالعراق وبالشام ، ففي تلك الملاحم هزمت المشون الآلاف من المشركين ، وقد هزم خالد بن الوليد مائة ألف حين إقباله من العراق إلى الشام ولم يبلغ عسكره خمسة آلاف ، بل قد رأيت في بعض فتوح الشام أنه كان يومئذ في ألف فارس ، وكان قد أقبل من العراق مدداً للسلين الذين بالشام ، وكان الروم في أربع مائة ألف ، فلقى منهم خالد مائة ألف ففض جمعهم وهزمهم ، وقد هزم أهل القادسية جيوش رستم وقتلوه وكان رستم في أكثر من مائتي ألف ، ولم يكن المسلمون في عشر ذلك العدد وجاءوا معهم بالفيلة أمثال الحصون عليها الرجال ففرت الفيلة ، وأطاحت ما عليها ، ولم يردها شيء دون البلد الذي خرجت منه وكذلك ما ظهر من فتح الله ونصره على يدى موسى بن نصير بأفريقية ، والأندلس ، فقد كان في ذلك أعجب العجب ، فكان وعد الله مفعولاً ونصره للسلين ناجزاً ، والحمد لله .

وقال النقاش في معنى قوله تعالى : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » معناه : إن يصيروا يغلبوا ، وغلبتهم ليس بأن يسلبوا كلهم ، ولكن من سلم منهم رأى غلبة أهل دينه ، وظهورهم على الكفر ، ولا يقدح في وعد الله أن يستشهد جملة من الصابرين ، وإنما هذا كقوله : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله » إلى قوله : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ، فقد نجح الموعود وغلبوا كما وعدوا . هذا معنى كلامه ، والذي قد مناه أبين .

الذين في قلوبهم مرض : وفي هذه السورة قوله : « إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض : نزلت في قوم من أهل مكة آمنوا ولم يهاجروا ، ثم خرجوا مع المشركين إلى بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين شكوا ، وقالوا غر هؤلاء دينهم ، منهم قيس بن الوليد بن المغيرة ، وقيس بن الفاكه وجماعة سمام أبو بكر النقاش ، وهم الذين قتلوا فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم .

رأى أبي جهل في النبي صلى الله عليه وسلم ورجوع الأخنس بنى زهرة : وانخنس يؤمئذ أبو بن شريق بنحو من ثلثائة من قريش ، فسمى الأخنس ، وذلك أنه خلا بأبي جهل حين تراءى الجمعان ، فقال : أترى أن محمداً يكذب؟ فقال أبو جهل : كيف يكذب على الله ، وقد كنا نسميه الأمين ، لأنه ما كذب قط ، ولكن إذا اجتمعت في بني عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة ، ثم تكون فيهم النبوة ، فأى شيء بقي لنا ، لحينئذ انخنس الأخنس بنى زهرة وحشد إبليس جميع جنوده ، وجاء بنفسه ونزل جبريل بألف من الملائكة في صور الرجال ، فكان في خمسمائة من الملائكة في الميمنة ، وميكائيل في خمسمائة من الملائكة في الميسرة ، ووراءهم مدد لم يقاتلوا ، وهم الآلاف المذكورون في سورة آل عمران ، وكان إسماعيل وسط الصف لا يقاتل ، كما يقاتل غيره من الملائكة ، وكان الرجل يرى

الملك على صورة رجل يعرفه ، وهو يشبهه ويقول له : ما هم بشيء ، فكر عليهم ، وهذا في معنى قوله سبحانه
« فثبتوا الذين آمنوا ، ذكره ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام ، وفي مثل هذا يقول حسان :

ميكال معك وجبرئيل كلاهما مدد لنصرك من عزيز قادر

ويقال : كان مع المسلمين يومئذ سبعون من الجن ، كانوا قد أسلوا .

وذكر قول الله تعالى : « ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم ، ولم يذكر الآخرين من هم ،
وقيل في ذلك أقوال قيل : هم المنافقون ، وقيل : هم اليهود وأصح ما في ذلك أنهم الجن ، لرواية ابن المنيكي
عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في آخرين من دونهم قال هم الجن ثم قال عليه السلام : إن
الشیطان لا يخجل أحداً في دار فيها فرس عتيق ، ذكره الحارث في مسنده وأئند :

جنوح الهالكى على يديه مكباً يجتلى نقب النصال

الهالكى : الصيقل . ونقب النصال : جرب الحديد ، وصدؤه ، وهو في معنى النقب ، واحدها نقبة .

غنائم بدر : فصل : وذكر في السورة : « لولا كتاب من الله سبق » ، يعنى بإحلال الغنائم لمحمد وأمة لمسكم
فيما أخذتم عذاب هظيم ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة ، وقال :
لو نزل عذاب ما نجا منه إلا عمر ، لأن عمر كان قد أشار عليه بقتل الأسارى والإتيان في القتل ، وأشار أبو بكر
بالإبقاء ، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقول أبي بكر ، ثم نزلت الآية : فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً ،
وروى أبو عبيد من طريق عبد الله بن مسعود قال : لما كان يوم بدر ، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الأسارى ،
فقال : ماذا ترون ؟ فقال عمر : يا رسول الله كذبوك وأخرجوك ، اضرب أعناقهم ، وقال عبد الله بن رواحة :
يا رسول الله أنت بواد كثير الخطب . فأضرمه ناراً ، ثم ألقهم فيها ، فقال العباس : قطع الله رحمك ، فقال
أبو بكر : يا رسول الله عترتك ، وأصلك وقومك تجاوز عنهم ، يستنقذهم الله بك من النار ، ثم دخل رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - فن قائل يقول القول ما قال عمر ، ومن قائل يقول القول ما قال أبو بكر ، فخرج النبي صلى الله عليه
وسلم ، فقال : ما قولكم في هذين الرجلين ، إن مثلهما كمثل إخوة لكم ، كانوا قبلكم ، قال نوح : « رب لا تذر
على الأرض ، وقال موسى : « ربنا اطمس على أمواهم ، وقال عيسى : « إن تعذبهم فإنهم عبادك ،
وقال إبراهيم : « فمن تبعني فإنه مني ، . وإن الله يشدد قلوب رجال ، حتى تكون كالحجر ، ويلين
قلوب رجال ، حتى تكون ألين من اللبن ، ويروى من اللين ، وإن بكم عيلة فلا يفلت منهم أحد إلا بفداء أو ضربة
عنق . قال عبد الله فقلت إلا سهل بن بيضاء وقد كنت سمعته يذكر الإسلام ، قال : فجعلت أنظر إلى السماء متى تقع
على الحجارة فقلت : أقدم للقول بين يدي رسول الله ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لا سهل بن بيضاء ، ففرحت
بذلك ، قال أبو عبيدة : أما أهل المعرفة بالمغازي ، فإنهم يقولون إنما هو سهل بن بيضاء أخو سهيل ، فأما سهيل ،
فكان من المهاجرين ، وقد شهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدرأ ، ثم إن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم
يفد بعدها بمال ، إنما كان يمن أو يفادى أسيراً بأسير ، كذلك قال أبو عبيد : وذلك والله أعلم لقوله : « تريدون
عرض الدنيا » ، يعنى الفداء بالمال ، وإن كان قد أحل ذلك وطيبه ، ولكن ما فعله الرسول بعد ذلك أفضل من المن
أو المفاداة بالرجال ، ألا ترى إلى قوله سبحانه « فإما منا بعد وإما فداء » ، كيف قدم المن على الفداء ، فذلك اختاره

اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمه ، وأما مذاهب الفقهاء في هذا ، فالأوزاعي وسفيان ومالك يكرهون أخذ المال في الأسير ، لما في ذلك من تقوية العدو بالرجال ، واختلفوا في الصغير إذا كان معه أمه ، فأجاز فداءه بالمال أهل العراق ، واختلف فيه عن مالك ، والصحيح منعه ، وكان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم في الأسرى ، ففدى نفسه ، وفدى ابن أخيه ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : لقد تركتني أتكفف قريشاً فقيراً معدماً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أين الذهب التي تركتها عند أم الفضل وعددها كذا وكذا ، وقلت لها كيت وكيت ، فقال : من أعلبك بهذا يا ابن أخي ؟ فقال : الله ، فقال : حديث ما اطلع عليه إلا عالم الأمر أشهد أنك رسول الله ، حينئذ أسلم العباس ، وكان في الأسرى من يكتب ، ولم يكن في الانصار أحد يحسن الكتابة فكان منهم من لا مال له ، فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ، ويخلي سبيله ، فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت في جماعة من غلبة الانصار ، وهذه عيون أخبار ، وصلتها بما ذكره بن إسحاق في يوم بدر جمعها من كتب التفاسير والسير ولخصتها .

خيال المسلمين ببدر : فصل : وذكر ابن إسحاق الخيل التي كانت للمسلمين يوم بدر ، فذكر بعزجة فرس المقداد ، واليعسوب فرس الزبير ، وفرساً لمروث الغنوي ، ولم يكن لهم يومئذ خيل إلا هذه ، وفي فرس الزبير اختلاف ، وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم خيل بعد هذا اليوم ، منها : السكب والزاز والمرتجز واللحيق ، وقد ذكره البخاري من حديث عباس بن سهل عن أبيه ، قال : ويقال فيه : اللخيف بالخاء المعجمة ، وقال القتيبي : كان المرتجز فرساً اشتراه عليه السلام من أعرابي ، ثم أنكر الأعرابي أن يكون باعه منه ، فشهد خزيمة بن ثابت على الأعرابي بالبيع ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بم تشهد ؟ قال : أشهد بصدقك يا رسول الله ، فجعلت شهادته شهادة رجلين ، والحديث مشهور ، غير أن في مسند الحارث زيادة فيه ، وهي أنه ، عليه السلام ، رد الفرس على الأعرابي ، وقال : لا بارك الله لك فيها ، فأصبحت من الغد شائلة برجلها ، أي : قد ماتت . قال الطبري : ومن خيله الضرمس ، وملاوح ، والورد وهو الذي وهبه لعمر ، فحمل عليه عمر رجلاً في سبيل الله ، وحديثه في الموطأ وكان له عليه السلام من الدروع : ذات الفضول ، وأخرى يقال لها فضة ، ورأية يقال لها العقاب ، وقوسان أحدهما : الصفراء . والأخرى الزوراء وسيفه : ذو الفقار لفقرات كانت في وسطه ، وكان لنيبه ومنبه ابني الحجاج سلباه يوم بدر ، ويقال : إن أصله كان من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة فصنع منها ذو الفقار ، وصمصامة عمرو بن معدى كرب التي وهبها لخالد بن سعيد ، وكانت مشهورة عند العرب ، وكان له حربة يقال لها : النبعة ، وذكر العقيلي في كتاب الضعفاء جملة من آياته عليه السلام في حديث أسنده ، فمنها الجمع اسم كنيته ، والمدة اسم لمرأة كان ينظر فيها ، وقضيب يسمى : الممشوق ، وذكر الجلمين ، ونسيت ما قال في اسمه ، وأما بغلته دلل وحماره عفير ، فقد ذكرناهما في كتاب الأعلام وذكرنا ما كان في أمر الحمار من الآيات ، وزدنا هنالك في استقصاء هذا الباب ، ورأينا أن لا نغلي هذا الكتاب بما ذكرنا هنالك ، أو أكثره وأما دلل فماتت في زمن معاوية ، وهي التي أهداها إليه المقوقس ، وأما اليعفور فطرح نفسه في بئر يوم مات النبي - صلى الله عليه وسلم - فمات ، وذكر ابن فورك في كتاب الفصول أنه كان من مغنم خيبر ، وأنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال له : يا رسول الله أنا زياد بن شهاب ، وقد كان في آبائي ستون حماراً ركبته نبي ، فاركبني أنت ، وزاد الجويني في كتاب الشامل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أراد أحداً من أصحابه أرسل إليه هذا الحمار ، فيذهب حتى يضرب برأسه الباب ، فيخرج الرجل ، فيعلم أنه قد أرسل إليه ، فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان له ترس فيما ذكر الطبري فيه تمثيل كرأس الكباش وكان يكرهه فيه ، فأصبح ذات يوم قد انمحق ، ولم يبق منه أثر ، وأما رداؤه عليه السلام ، فكان يقال له : الحضرمي ،

من حضر بدرا من المسلمين

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من شهد بدرا من المسلمين ، ثم من قريش ، ثم من بني هاشم بن عبد مناف وبني المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ؛ وحزرة بن عبد المطلب ابن هاشم ، أسد الله وأسود رسول الله ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ؛ وزيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس السكلي ، أنعم الله عليه ورؤاه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر ابن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كعب بن وبرة . قال ابن إسحاق : وأنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن هشام : أنسة : حبشي ، وأبو كبشة : فارسي .

قال ابن إسحاق وأبو مرثد كنان بن حصن بن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خرشة بن سعد بن طريف بن جلان ابن غنم بن غني بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان .

قال ابن هشام : كنان بن حصين . قال ابن إسحاق : وابنه مرثد بن أبي مرثد ، حليفا حمزة بن عبد المطلب ؛ وعبيدة بن الحارث بن المطلب ؛ وأخواه الطفيل بن الحارث ، والحصين بن الحارث ؛ ومسطح ، واسمه : عوف بن أنانة بن عباد بن المطلب . اثنا عشر رجلا .

ومن بني عبد شمس بن مناف : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ، قال : وأجرى يا رسول الله ؟ قال : وأجرك ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وسالم ، مولى أبي حذيفة . قال ابن هشام : وإسمعيل بن حذيفة مشهم .

قال ابن هشام : وسالم ، سائبة لثبثة بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف ابن مالك بن الأوس ، سيئته فأنقطع إلى أبي حذيفة فقتلناه ، ويقال : كانت ثبثة بنت يعار تحت أبي حذيفة بن عتبة ، فأعتقت سالما سائبة ، فقيل : سالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن إسحاق : وزعموا أن صبيحا مولى أبي العاص بن أمية بن عبد شمس تجوز للخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مرض ، فحمل على بعيره أبا سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن مخزوم ، ثم شهد صبيح بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبه كان يشهد العيد بن ، كان طوله أربع أذرع وعرضه ذراعان وشبر ، وكان له جفنة عظيمة يقال لها الغراء يحملها أربعة رجال جرى ذكرها في حديث خرجه أبو داود ، فهذه جملة تشرئب إلى معرفتها أنفس الطالبين ، وترتاح بالذاكرة بها قلوب المتأدبين ، وكل ما كان من باب المعرفة بنبينا عليه السلام ، ومتصلا بأخبار سيرته بما يوثق الاسماع ، ويبرز بأرواح المحبة الطباع ، والحمد لله على ما علم من ذلك .

وشهد بدرأى حلفاء بنى عبد شمس ، ثم من بنى أسد بن خزيمه : عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر
ابن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، وعكاشة بن محسن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير
ابن غنم بن دودان بن أسد ، وشجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن حبيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان
ابن أسد ، وأخوه عقبه بن وهب ، ويزيد بن رقيش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان
ابن أسد ، وأبو سنان بن محسن بن حرثان بن قيس ، أخو عكاشة بن محسن ، وابنه سنان بن أبى سنان ، وعمرز
ابن فضلة بن عبد الله بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، وربيعة بن أكم بن سخبرة بن عمرو بن لكنز
ابن عامر بن دودان بن أسد .

ومن حلفاء بنى كبير بن غنم بن دودان بن أسد : ثقف بن عمرو ، وأخواه : مالك بن عمرو ، ومدلج بن عمرو .
قال ابن هشام مدلاج بن عمرو .

قال ابن إسحاق : وهم من بنى حجر ، آل بنى سليم . وأبو مخشى ، حليف لهم : ستة عشر رجلاً .

قال ابن هشام : أبو مخشى طائى ، واسمه : سويد بن مخشى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك
ابن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وخباب ، مولى عتبة بن غزوان - رجلاً .
ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، وحاطب بن أبى بلتعة ، وسعد
مولى حاطب . ثلاثة نفر .

قال ابن هشام : حاطب بن أبى بلتعة ، واسم أبى بلتعة ، عمرو ، لحنى ، وسعد مولى حاطب ، كلبى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبد الدار بن قصي : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن
قصي ، وسويط بن سعد بن حريملة بن مالك بن عيملة بن السباق بن عبد الدار بن قصي . رجلاً .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، وسعد
ابن أبى وقاص - وأبو وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة . وأخوه عمير بن أبى وقاص .

ومن حلفائهم : المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير
ابن ثور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن هزل بن قاتش بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف
ابن قضاة . قال ابن هشام : ويقال : هزل بن قاس بن ذر - ودهير بن ثور .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شميخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن
تميم بن سعد بن هذيل ، ومسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن محلم بن
عائذة بن سبيع بن الهون بن خزيمه ، من القارة .

قال ابن هشام : القارة : لقب لهم . ويقال :

قد أنصف القارة من راماهما

وكانوا راماة .

قال ابن إسحاق : وذو الشمالين ابن عبد عمرو بن فضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفضى بن حارثة بن عمرو ابن عامر ، من خزاعة .

قال ابن هشام : وإنما قيل له : ذو الشمالين ، لأنه كان أعسر ، واسمه عمير .

قال ابن إسحاق : وخباب بن الارت ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : خباب بن الارت ، من بني تميم ، وله عقب ، وهم بالكوفة ؛ ويقال : خباب من خزاعة .

قال ابن إسحاق : ومن بني تميم بن مرة : أبو بكر الصديق ، واسمه عتيق بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد ابن تميم .

قال ابن هشام : اسم أبي بكر ، عبد الله ، وعتيق : لقب ، لحسن وجهه وعنته .

قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبي بكر - وبلال مولد من مولدي بني جمح ، اشتراه أبو بكر من أمية بن خلف ، وهو بلال بن رباح ، لاهقب له - وعامر بن فهيرة .

قال ابن هشام : عامر بن فهيرة ، مولد من مولدي الأسد ، أسود ، اشتراه أبو بكر منهم .

قال ابن إسحاق : وصهيب بن سنان ، من النمر بن قاسط .

قال ابن هشام : النمر : ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ؛ ويقال : أفصى ابن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، ويقال : صهيب ، مولى عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب ابن سعد ابن تميم ، ويقال : إنه رومي . فقال بعض من ذكر أنه من النمر بن قاسط : إنما كان أسيراً في الروم فاشترى منهم . وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : صهيب سابق الروم .

قال ابن إسحاق : وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ، كان بالشام ، فقدم بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فسلمه ، فضرب له بسهمه ، فقال : وأجرى يا رسول الله ؟ قال : وأجرك خمسة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو سليمة بن عبد الأسد ، واسم أبي سليمة عبد الله بن عبد الأسد ، بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وشمام بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمي بن عامر ابن مخزوم .

قال ابن هشام : واسم شمام : عثمان ، وإنما سمي شماساً ، لأن شماساً من الشامسة قدم مكة في الجاهلية ، وكان جميلاً ، فعجب الناس من جماله . فقال عتبة بن ربيعة ، وكان خال شماس ، ها أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فأتى بابن أخته عثمان بن عثمان فسمى شماساً ، فيما ذكر ابن شهاب الزهري وغيره .

قال ابن إسحاق : والارقم بن أبي الارقم ، واسم أبي الارقم : عبد مناف بن أسد ، وكان أسد يكنى : أبا جندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وعمار بن ياسر .

قال ابن هشام : عمار بن ياسر ، عيسى ، من مذحج .

قال ابن إسحاق : ومعتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب بن حبشية بن ساول بن كعب ابن عمرو حليف لهم من خزاعة ، وهو الذي يدعى : عيمامة ، خمسة نفر .

ومن بني عدى بن كعب : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح

ابن عدى ، وأخوه زيد بن الخطاب ، ومهجع ، مولى عمر بن الخطاب ، من أهل اليمن ، وكان أول قتيل من المسلمين بين الصفيين يوم بدر ، رى بسهم .
قال ابن هشام : مهجع ، من عك بن عدنان .

قال ابن إسحاق : وعمر بن سراقه بن المعتمر بن أنس بن اذاة بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب ، وأخوه عبد الله بن سراقه ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف لهم ، وخولى بن أبي خولى ومالك بن أبي خولى ، حليفان لهم .
قال ابن هشام : أبو خولى ، من بنى عجل بن لجم بن ضعب بن على بن بكر بن وائل .

قال ابن إسحاق : وعامر بن ربيعة ، حليف آل الخطاب ، من عنز بن وائل .
قال ابن هشام : عنز بن وائل : ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، ويقال : أفصى : ابن دعوى بن جديلة .

قال ابن إسحاق : وعامر بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة ، من بنى سعد بن لبك ، وعافل بن البكير ، وخالده بن البكير ، وإيأس بن البكير ، حلفاء بنى عدى بن كعب ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب ، قدم من الشام بعد ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلّمه ، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ، قال : وأجرى يا رسول الله ؟ قال : وأجرى : أربعة عشر رجلاً .

ومن بنى جمح عمرو بن هصيص بن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، وابنه السائب بن عثمان ، وأخواه قدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ، ومعمرب بن الحارث بن معمر بن حبيب ابن وهب بن حذافة بن جمح . خمسة نفر .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهل ، رجل .
قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لؤى : ثم من بنى مالك بن حسل بن عامر : أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل عبد الله بن خزيمة بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدود ابن نصر بن مالك ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل — كان خرج مع أبيه سهيل بن عمرو ، فلما نزل الناس بدرأ فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهدا معه — وعمر بن عوف ، مولى سهيل بن عمرو ، وسعد بن خولة ، حليف لهم ، خمسة نفر .
قال ابن هشام : سعد بن خولة من اليمن .

قال ابن إسحاق : ومن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجراح ، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحارث وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة ابن الحارث ، وسهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أبي أهيب بن ضبة بن الحارث ، وأخوه صفوان بن وهب ، وهما ابنا بيضا ، وعمرو بن أبي مروح بن ربيعة بن هلال بن وهب بن ضبة بن الحارث ، خمسة نفر .

لجميع من شهد بدرأ من المهاجرين ، ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ، ثلاثة وثمانون رجلاً .

قال ابن هشام : كثير من أهل العلم ، غير ابن إسحاق ، يذكرون في المهاجرين بدر ، في بني عامر بن لؤى : وهب بن سعد بن أبي مروح ، وحاطب بن عمرو ، وفي بني الحارث بن فهر : عياض بن أبي زهير .

قال ابن إسحاق : وشهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ثم من الانصار ، ثم من الأوس ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بني عبد الأشهل بن جشم بن الحارث الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس : سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، وعمرو بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع بن امرئ القيس .

ومن بني عبيد الله بن كعب بن عبد الأشهل : سعد بن زيد بن مالك بن عبيد ، ومن بني زعورا بن عبد الأشهل . قال ابن هشام : ويقال : زعورا - سلة بن سلامة بن وقش بن زغبة ، وعباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعورا ، وسلة بن ثابت بن وقش ، ورافع بن يزيد بن كرز بن سكن بن زعورا ، والحارث بن خزيمة بن عدى بن أبي بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لهم من بني عوف بن الخزرج ، ومحمد بن مسلة بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث حليف لهم من بني حارثة بن الحارث ، وسلة بن أسلم بن حريش بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بني حارثة بن الحارث .

قال ابن هشام : أسلم : بن حريس بن عدى .

قال ابن إسحاق : وأبو اليثم بن النعمان ، وعبيد بن النعمان .

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن النعمان .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن سهل . خمسة عشر رجلا .

قال ابن هشام : عبد الله بن سهل : أخو بني زعورا ، ويقال : من غسان .

قال ابن إسحاق : ومن بني ظفر ، ثم من بني سواد بن كعب ، وكعب : هو ظفر - قال ابن هشام : ظفر : ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد ، وعبيد بن أوس بن مالك بن سواد ، رجلا .

قال ابن هشام : عبيد بن أوس الذي يقال له : مقرن ، لأنه قرن أربعة أمرى في يوم بدر . وهو الذي أمر عقيل بن أبي طالب يومئذ .

قال ابن إسحاق : ومن بني عبد بن رزاح بن كعب : نصر بن الحارث بن عبد ، ومعتب بن عبد .

ومن حلفائهم ، من بني : عبد الله بن طارق . ثلاثة نفر .

ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : مسعود بن سعد بن عامر بن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثة .

قال ابن هشام : ويقال : مسعود بن عبد سعد .

قال ابن إسحاق : وأبو عيسى بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مجدعة بن حارثة .

ومن حلفائهم ، ثم من بلى : أبو بردة بن نيار ، واسمه : هانيء بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن هني بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، ثلاثة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ثم من بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف : عاصم بن ثابت بن قيس ، وقيس أبو الأفلح بن عصمة بن مالك بن أمية بن ضبيعة - ومعتب ابن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة ، وأبو مليل بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة ، وعمرو ابني معبد بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة .

قال ابن هشام : عمير بن معبد .

قال ابن إسحاق : وسهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث : ابن عمرو ، وعمرو الذي يقال له : بحرج بن حنيس بن عوف بن عمرو بن عوف . خمسة نفر .

ومن بنى أمية بن زيد بن مالك : مبشر بن عبد المنذر بن زهير بن زيد بن أمية ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زهير ، وسعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية : وعويم بن ساعدة ، ورافع بن عنجدة - وعنجدة أمه ، وفيما قال ابن هشام - وعبيد بن أبي عبيد ، وثعلبة بن حاطب .

وزعموا أن أبا لبابة بن عبد المنذر ، والحارث بن حاطب خرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعهما وأمر أبا لبابة على المدينة ، فضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر ، تسعه نفر .

قال ابن هشام : ردهما من الروحاء .

قال ابن هشام : وحاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية ، واسم أبي لبابة : بشير .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك : أنيس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عبيد . ومن حلفائهم من بلى : معن بن عدى بن الجند بن العجلان بن ضبيعة وثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان ، وعبد الله بن سلبة بن مالك بن الحارث بن عدى بن العجلان ، وزيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان ، وربيعي ابن رافع بن زيد بن حارثة بن الجند بن العجلان - وخرج عاصم بن عدى بن الجند بن العجلان ، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر . سبعة نفر .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك - واسم البرك : امرؤ القيس ابن ثعلبة - وعاصم بن قيس .

قال ابن هشام : عاصم بن قيس : ابن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وأبو ضياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة ، وأبو حنة .

قال ابن هشام : وهو أخو أبي ضياح ، ويقال : أبو حية . ويقال لامرئ القيس : البرك بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وسالم بن عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة .

قال ابن هشام : ويقال : ثابت : ابن عمرو بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : والحارث بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة وخوات بن جبير بن النعمان ، ضرب له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسهم مع أصحاب بدر ، سبعة نفر .

ومن بنى جحجحي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف : منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بن الحريشي
ابن جحجحي بن كلفة .

قال ابن هشام : ويقال : الحريث بن جحجحي .

قال ابن إسحاق : ومن خلفائهم من بنى أنيف : أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة بن يبحان بن عامر بن الحارث
ابن مالك بن عامر بن أنيف بن جشم بن عبد الله بن تميم بن لراش بن عامر بن عميلة بن قسيميل بن فران بن بلي
ابن عمرو بن الحاف بن قضاة ، رجلاً .

قال ابن هشام : ويقال تميم بن لراشة ، وقسيميل بن فاران .

وقال ابن إسحاق : ومن بنى غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس سعد بن خيشمة بن الحارث بن
مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم ، ومنذر بن قدامة بن عرجة ، ومالك بن قدامة بن عرجة .

قال ابن هشام : عرجة : ابن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم .

قال ابن إسحاق : والحارث بن عرجة ، وتميم ، مولى بنى غنم . خمسة نفر .

قال ابن هشام : تميم : مولى سعد بن خيشمة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : جبر بن عتيك بن الحارث بن
قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية ، ومالك بن نميلة ، حليف لهم من مزينة ، والنعمان بن عصر ، حليف
لهم من بلي . ثلاثة نفر .

فجميع من شهد بدرًا من الأوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضرب له بسهمه وأجره ، أحد
وستون رجلاً .

قال ابن إسحاق : وشهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ، ثم من الأنصار ، ثم من الخزرج
ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى الحارث بن الخزرج ، ثم من بنى امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة
ابن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس ، وسعد
ابن ربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس ، وعبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو
ابن امرئ القيس ، وخلاص بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس ، أربعة نفر .

ومن بنى زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : بشير بن سعد بن ثعلبة
ابن خلاص بن زيد - قال ابن هشام : ويقال : جلاس ، وهو عندنا خطأ - وأخوه سماك بن سعد ، رجلاً .

ومن بنى عدى بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : سبيع بن قيس بن عيشة بن أمية بن مالك بن عامر
ابن عدى ، وعباد بن قيس بن عيشة أخوه .

قال ابن هشام : ويقال : قيس : ابن عبسة بن أمية .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عبس ، ثلاثة نفر .

ومن بنى أحمربن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحارث بن قيس
ابن مالك بن أحمربن ، وهو الذي يقال له : ابن فسحوم رجل .

قال ابن هشام : فسحهم أمه ، وهى امرأة من القين بن جسر .

قال ابن إسحاق : ومن بنى جشم بن الحارث بن الخزرج ، وزيد بن الحارث بن الخزرج ، وهما التوءمان : خبيب بن إساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد ، وأخوه حريث بن زيد بن ثعلبة ، زعموا ، وسفيان بن بشر . أربعة نفر . .

قال ابن هشام : سفيان بن نسر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد .

قال ابن إسحاق : ومن بنى جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج : تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية ابن جدارة ، وعبد الله بن عمير من بنى حارثة .

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن عمير بن عدى بن أمية بن جدارة .

قال ابن إسحاق : وزيد بن المزين بن قيس بن عدى بن جدارة .

قال ابن هشام : زيد بن المرى .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عرفطة بن عدى بن أمية بن جدارة . أربعة نفر .

ومن بنى الأبحر ، وهم بنو خدرية بن عوف بن الحارث بن الخزرج : عبد الله بن ربيع بن قيس بن عمرو ابن عباد بن الأبحر رجل .

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحبلى - قال ابن هشام : الحبلى : سالم بن غنم بن عوف . وإنما سمي الحبلى ، لعظم بطنه : عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد المشهور بابن سلوك ، وإنما سلول امرأة ، وهى أم أبي : وأوس بن خولى بن عبد الله ابن الحارث بن عبيد . رجلا .

ومن بنى جزء بن عدى بن مالك بن سالم بن غنم : زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جزء ، وعقبة بن وهب ابن كلدة ، حليف لهم من بنى عبد الله بن غطفان ، ورفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم ابن غنم ، وعامر بن سلة بن عامر ، حليف لهم من أهل اليمن . قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن سلة وهو من بلى من قضاة .

قال ابن إسحاق : وأبو حميضة معبد بن عباد بن قشير بن المقدم بن سالم بن غنم .

قال ابن هشام : معبد بن عبادة بن قشغر بن المقدم ، ويقال : عبادة بن قيس بن المقدم .

وقال ابن إسحاق : وعامر بن البكير ، حليف لهم : ستة نفر .

قال ابن هشام : عامر بن العكير ، ويقال : عاصم بن العكير .

قال ابن إسحاق : ومن بنى سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج ، ثم من بنى العجلان بن زيد بن غنم بن سالم : نوفل بن عبد الله بن نضلة بن مالك بن العجلان . رجل .

ومن بنى أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف - قال ابن هشام : هذا غنم بن عوف ، أخو سالم

ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وغنم بن سالم ، الذي قبله على ما قال ابن إسحاق - : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ، وأخوه : أوس بن الصامت ، رجلاً .

ومن بني دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم : النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد ، والنعمان الذي يقال له ، قوقل ، رجل . ومن بني قريوش بن غنم بن أمية بن لوذان بن سالم - قال ابن هشام : ويقال قريوش بن غنم - ثابت بن هزال ابن عمرو بن قريوش ، رجل .

ومن بني مرضخة بن غنم بن سالم : مالك بن الدخشم بن مرضخة ، رجل . قال ابن هشام : مالك بن الدخشم : ابن مالك بن الدخشم بن مرضخة .

قال ابن إسحاق : ومن بني لوذان بن سالم : ربيع بن إياس بن عمرو بن غنم بن أمية بن لوذان ، وأخوه ورقة ابن إياس . وعمرو بن إياس ، حليف لهم من أهل اليمن ، ثلاثة نفر . قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن إياس ، أخو ربيع وورقة .

قال ابن إسحاق : ومن حلفائهم من بلي ، ثم من بني غصينة - قال ابن هشام : غصينة ، أمهم ، وأبوهم عمرو بن عمار - المجذر بن ذباد بن عمرو بن زمزمة بن عمرو بن عمار بن مالك بن غصينة بن عمرو بن بتيمة بن مشنو ابن قسر بن تميم بن إراش بن عامر بن عميلة بن قسميل بن فران بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة .

قال ابن هشام : ويقال : قسر بن تميم بن إراشة ، وقسميل بن فران ، واسم المجذر : عبد الله .

قال ابن إسحاق : وعبادة بن الحشخاش بن عمرو بن زمزمة ، ونحابة بن ثعلبة بن حمزة بن أصرم بن عمرو ابن عمار .

قال ابن هشام : ويقال بحاث بن ثعلبة

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن ثعلبة بن حمزة بن أصرم ، وزعموا أن عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية - حليف لهم - من بهراء ، قد شهد بدرًا ، خمسة نفر .

قال ابن هشام : عتبة بن بهز ، من بني سليم .

قال ابن إسحاق : ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ، ثم من بني ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة : أبو دجانه ، سماك بن خرشة .

قال ابن هشام : أبو دجانه : سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة - رجلاً .

قال ابن هشام : ويقال : المنذر : ابن عمرو بن خنيس .

قال ابن إسحاق : ومن بني البدى بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة : أبو أسيد

مالك بن ربيعة بن البدى ، ومالك بن مسعود وهو إلى البدى ، رجلاً .

قال ابن هشام : مالك بن مسعود : ابن البدى ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ومن بني طريف بن الخزرج بن ساعدة : عبد ربه بن حق بن أوس بن وقش بن ثعلبة بن

طريف ، رجل .

ومن حلفائهم ، من جينة : كعب بن حمار بن ثعلبة .

قال ابن هشام : ويقال : كعب : بن جمار ، وهو من غبشان .

قال ابن إسحاق : وضمرة وزيد وبسبس ، بنو عمرو .

قال ابن هشام : ضمرة وزيد ، ابنا بشر .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عامر ، من بلي . خمسة نفر .

ومن بني جشم بن الخزرج ، ثم من بني سلبة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلبة : خراش بن الصمة بن عمرو بن الجوح بن زيد بن حرام ، والحباب بن المنذر بن الجوح بن زيد بن حرام ، وعمير بن الحام بن الجوح بن زيد بن حرام ، وتميم مولى خراش ابن الصمة وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ، ومعاذ بن عمرو بن الجوح ، ومعوذ بن عمرو بن الجوح ابن زيد بن حرام ، وخلاد بن عمرو بن الجوح بن زيد بن حرام ، وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام ، وحبيب ابن أسود ، مولى لهم ، وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام ، وثعلبة الذي يقال له : الجذع ، وعمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام . اثنا عشر رجلا .

قال ابن هشام : كل ما كان هاهنا الجوح ، فهو الجوح بن زيد بن حرام ، إلا ما كان من جد الصمة بن عمرو ، فإنه الجوح بن حرام .

قال ابن هشام : عمير بن الحارث : بن لبدة بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : ومن بني عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلبة ، ثم من بني خنساء بن سنان بن عبيد : بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن مالك بن خنساء والطفيل بن مالك بن خنساء ، والطفيل بن النعمان بن خنساء ، وسنان بن صيفي بن صخر بن خنساء ، وعبد الله بن الجذع بن قيس بن صخر بن خنساء ، وعتبة بن عبد الله بن صخر ابن خنساء ، وجبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، وخارجة بن حمير ، وعبد الله بن حمير ، حليفان لهم من أشجع ، من بني دهمان . تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : جبار : ابن صخر بن أمية بن خنساء .

قال ابن إسحاق : ومن بني خنساء بن سنان بن عبيد : يزيد بن المنذر بن سرح بن خنساء ، ومعقل بن المنذر ابن سرح بن خنساء ، وعبد الله بن النعمان بن بلدمة .

قال ابن هشام : ويقال : بلدمة وبلدمة .

قال ابن إسحاق : والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن عدى ، وسواد بن زريق بن ثعلبة ابن عبيد بن عدى .

قال ابن هشام : ويقال ، سواد : بن رزن بن زيد بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : ومعبد بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن عدى بن غنم بن كعب بن سلبة . ويقال : معبد بن قيس : بن صخر بن حرام بن ربيعة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن عدى بن غنم . سبعة نفر .

ومن بنى النعمان بن سنان بن عبيد : عبد الله بن عبد مناف بن النعمان ، وجابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان ، وخليفة بن قيس بن النعمان ، والنعمان بن سنان ، مولى لهم . أربعة نفر .

ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلة ، ثم من بنى حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد - قال ابن هشام : عمرو ابن سواد ، ليس لسواد ابن يقال له غنم أبو المنذر ، وهو يزيد بن عامر بن حديدة ، وسليم بن عمرو بن حديدة ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وعنترة مولى سليم بن عمرو . أربعة نفر .

قال ابن هشام : عنترة : من بنى سليم بن منصور ، ثم من بنى ذكوان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عدى بن ناي بن عمرو بن سواد بن غنم : عيس بن عامر بن عدى ، وثعلبة ابن غنمة بن عدى ، وأبو اليسر ، وهو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد ، وسهل بن قيس ابن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد ، وعمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم ، ومعاذ ابن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عدى بن أدى بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد ابن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ستة نفر .

قال ابن هشام : أوس : ابن عباد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعد .

قال ابن هشام : وإنما نسب ابن إسحاق معاذ بن جبل في بني سواد ، وليس منهم ، لأنه فيهم .

قال ابن إسحاق : والذين كسروا آلهة بنى سلة : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن أنيس ، وثعلبة بن غنمة ، وهم في بني سواد بن غنم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ، ثم من بنى مخلد بن عامر بن زريق - قال ابن هشام . ويقال : عامر : ابن الأزرق : قيس بن محصن بن خالد بن مخلد . قال ابن هشام : ويقال : قيس : ابن حصن .

قال ابن إسحاق : وأبو خالد وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مخلد وجبير بن إياس بن خالد بن مخلد ، وأبو عبادة ، وهو سعد بن عثمان بن خلدة بن مخلد ، وأخوه عقبة بن عثمان بن خلدة بن مخلد ، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد ، ومسعود بن خلدة بن عامر بن مخلد . سبعة نفر .

ومن بنى خالد بن عامر بن زريق : عباد بن قيس بن عامر بن خالد ، رجل .

ومن بنى خلدة بن عامر بن زريق : أسعد بن يزيد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خلدة ، والفاكه بن بشر ابن الفاكه بن زيد بن خلدة .

قال ابن هشام : بسر بن الفاكه .

قال ابن إسحاق : ومعاذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ، وأخوه : عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ، ومسعود ابن سعد بن قيس بن خلدة . خمسة نفر .

ومن بنى العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق : رفاعه بن رافع بن العجلان وأخوه خلاد بن رافع بن مالك ابن العجلان ، وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان . ثلاثة نفر .

ومن بنى بياضة بن عامر بن زريق : زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية بن بياضة ، وفروة بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر بن بياضة .
قال ابن هشام : ويقال . وذفة .

قال ابن إسحاق : وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة ، ورجيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة ابن عامر بن بياضة .

قال ابن هشام : ويقال : رخیلة .

قال ابن إسحاق : وعطية بن نورة بن عامر بن عطية بن عامر بن بياضة ، وخليفة بن عدى بن عمرو بن مالك ابن عامر بن فهير بن بياضة . ستة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : عليقة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج : رافع بن المعلى ابن لوزان بن حارثة بن عدى بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب رجل .

قال ابن إسحاق : ومن بنى النجار ، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ثم من بنى غم بن مالك بن النجار ، ثم من بنى ثعلبة بن عبد عوف بن غم : أبو أيوب خالد بن كليب بن ثعلبة . رجل .

ومن بنى عسيرة بن عبد عوف بن غم : ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة . رجل .

قال ابن هشام : يقال : عسير ، وعشيرة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عمرو بن عبد عوف بن غم : عمارة بن حزم بن زيد بن لوزان بن عمرو ، وسراقة بن كعب بن عبد العزى بن غزية بن عمرو . رجلان .

ومن بنى عبيد بن ثعلبة بن غم : حارثة بن النعمان بن زيد بن عبيد ، وسليم بن قيس بن قهد : واسم قهد : خالد بن قيس بن عبيد . رجلان .

قال ابن هشام : حارثة بن النعمان : ابن نفع بن زيد .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عائذ بن ثعلبة بن غم - ويقال عابد فيما قال ابن هشام : سهيل بن رافع بن أبي عمرو ابن عائذ ، وعدى بن الزغباء ، حليف لهم من جهينة . رجلان .

ومن بنى زيد بن ثعلبة بن غم : مسعود بن أوس بن زيد ، وأبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد ، ورافع بن الحارث بن سواد بن زيد . ثلاثة نفر .

ومن بنى سواد بن مالك بن غم : عوف ، ومعوذ ، ومعاذ ، بنو الحارث بن رفاعه بن سواد ، وهم بنو عفراء .

قال ابن هشام : عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غم بن مالك بن النجار ، ويقال رفاعه : بن الحارث بن سواد .

قال ابن إسحاق : والنعمان بن عمرو بن رفاعه بن سواد ، ويقال : نعميان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعامر بن مخلد بن الحارث بن سواد ، وعبد الله بن قيس بن خالد بن خلدة بن الحارث بن سواد ، وعصيمة ، حليف لهم من أشجع ، ووديعة بن عمرو ، حليف لهم من جهينة ، وثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد . وزعموا أن أبا الحمراء ، مولى الحارث بن عفرأ ، قد شهد بدرأ ، عشرة نفر .

قال ابن هشام : أبو الحمراء ، مولى الحارث بن رفاعه .

قال ابن إسحاق : ومن بني عامر بن مالك بن النجار - وعامر : مبذول ثم من بني عتيك بن عمرو بن مبذول : ثعلبة ابن عمرو بن حصن بن عمر بن عتيك ، وسهل بن عتيك بن عمر بن النعمان بن عتيك ، والحارث بن الصمة بن عمرو ابن عتيك ، كسر به بالروحاء ف ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ، ثلاثة نفر .

ومن بني عمرو بن مالك بن النجار - وهم بنو حديلة - ثم من بني قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار .

قال ابن هشام : حديلة بنت مالك بن زيد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ، وهي أم معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، فبنو معاوية ينتسبون إليها .

قال ابن إسحاق : أبي بن كعب بن قيس ، وأنس بن معاذ بن أنس بن قيس ، رجلان .

ومن بني عدى بن عمرو بن مالك بن النجار .

قال ابن هشام : وهم بنو مغالة بنت عوف بن عبد مناة بن عمرو بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، ويقال : لأنها من بني زريق ، وهي أم عدى بن عمرو بن مالك بن النجار ، فبنو عدى ينتسبون إليها :

أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى ، وأبو شيخ أبي بن ثابت بن المنذر بن حرام ابن عمرو بن زيد مناة بن عدى .

قال ابن هشام : أبو شيخ أبي بن ثابت : أخو حسان بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وأبو طلحة ، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى . ثلاثة نفر .

ومن بني عدى بن النجار ، ثم من بني عدى بن عامر بن غنم بن النجار : حارثة بن سراقه بن الحارث بن عدى ابن مالك بن عدى بن عامر ، وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر ، وهو أبو حكيم ، وسليط بن قيس بن عمرو بن عتيك بن مالك بن عدى بن عامر ، وأبو سليط ، وهو أسيرة بن عمرو ، وعمرو أبو خارجة بن قيس بن مالك بن عدى بن عامر ، وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر ، وعامر ابن أمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك بن عدى بن عامر ، ومحرز بن عامر بن مالك بن عدى بن عامر ، وسواد بن غزية بن أهيب ، حليف لهم من بلي ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال : سواد .

قال ابن إسحاق : ومن بني حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار : أبو زيد ، قيس بن سكن

.....

ابن قيس بن زعوراء بن حرام ، وأبو الأعور بن الحارث بن ظالم بن عبس بن حرام .
قال ابن هشام : ويقال : أبو الأعور : الحارث بن ظالم .

قال ابن إسحاق : وسليم بن ملحان ، وحرام بن ملحان — واسم ملحان ، مالك بن خالد بن زيد بن حرام .
أربعة نفر .

ومن بني مازن بن النجار ، ثم من بني عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار : قيس بن أبي صعصعة
— واسم صعصعة : عمرو بن زيد بن عوف وعبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف ، وعصيمة ، حليف لهم
من بني أسد بن خزيمة . ثلاثة نفر .

ومن بني خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن : أبو داود عمير بن عامر بن مالك بن خنساء ، وسراقة
ابن عمرو بن عطية بن خنساء ، رجلان .

ومن بني ثعلبة بن مازن بن النجار : قيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة ، رجل .
ومن بني دينار بن النجار ، ثم من بني مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار : النعمان : بن
عبد عمرو بن مسعود ، والضحاك بن عبد عمرو بن مسعود ، وسليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن حارثة بن
دينار ، وهو أخو الضحاك والنعمان ابني عبد عمرو ؛ لأمهما ، وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة ، وسعد
ابن سهيل بن عبد الأشهل ، خمسة نفر .

ومن بني قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار : كعب بن زيد بن قيس ، وبجير بن أبي بجير ،
حليف لهم ، رجلان .

قال ابن هشام : بجير : من عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، ثم من بني جذيمة بن وواحة .

قال ابن إسحاق : فجميع من شهد بدرآ من الخزرج مائة وسبعون رجلا .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم يذكر في الخزرج بدر ، في بني العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف
ابن عمرو بن عوف بن الخزرج : عتيان بن مالك بن عمرو بن العجلان ، ومليل بن وبرة بن خالد بن العجلان ،
وعصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان .

وفي بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ، وهم في بني زريق هلال بن المولى بن
لؤذان بن حارثة بن عدي بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن زيد مائة بن حبيب .

قال ابن إسحاق : فجميع من شهد بدرآ من المسلمين ، من المهاجرين والأنصار من شهدا منهم ، ومن ضرب
له بسهمه وأجره ، ثلاث مائة رجل وأربعة عشر رجلا ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلا ، ومن الأنصار واحد
وستون رجلا ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا .

من استشهد من المسلمين يوم بدر

واستشهد من المسلمين يوم بدر ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من قریش ، ثم من بني المطلب بن
عبد مناف : عبدة بن الحارث بن المطلب قتله عتبة بن ربيعة ، قطع رجله ، فأت بالصفراء ، رجل .

ومن بنى زهرة بن كلاب ، عمير بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وهو أخو سعد بن أبي وقاص ، فيما قال ابن هشام ، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة ، حليف لهم من خزاعة ، ثم من بنى غبشان ، رجلاً . ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : عافل بن البكير : حليف لهم من بنى سعد بن لؤى بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، ومهجع ، مولى عمر بن الخطاب ، رجلاً .

ومن بنى الحارث بن فهر : صفوان بن بيضاء رجل ، ستة نفر .

ومن الأنصار ، ثم من بنى عمرو بن عوف : سعد بن خيشمة ، ومبشر بن عبد المنذر بن زهير ، رجلاً .

ومن بنى الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحارث ، وهو الذى يقال له : ابن فسحم ، رجل .

ومن بنى سلة ، ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلة : عمير بن الحام ، رجل .

ومن بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم : رافع بن المعلى ، رجل .

ومن بنى النجار : حارثة بن سراقه بن الحارث ، رجل .

ومن بنى غنم بن مالك بن النجار : عوف ومعوذ ، ابنا الحارث بن وقاعة بن سواد ، وهما ابنا عفراء ، رجلاً ، كنانة .

من شهد بدرأ

قد تقدم التعريف بكثير منهم ، ومن غيرهم من جرى ذكره فى السيرة والتنبيه إلى ما تنكشف إليه نفس الطالب من هذا الفن وسائرهم قد نسبهم ابن إسحاق وابن هشام فى هذا الباب ، ونسبنا نحن فيما تقدم طائفة لم ينسبهم ابن إسحاق فى هذا الباب منهم : أبو الهيثم بن التيهان تقدم التعريف به فى بيعة العقبة ، وأنه من بنى إراش فى قول ابن إسحاق ، وقال ابن هشام : إراشة .

وذكر فى بنى الحارث بن فهر عياض بن أبي زهير ، هكذا ألفيته فى نسخة الشيخ أبي بحر وغيرها من النسخ الصحاح ، وهو وهم ، والصواب عياض بن زهير ، وليس الوهم فيه من ابن إسحاق ، لأنه قد ذكره فى المهاجرين إلى الحبشة ، فقال فيه ابن زهير على الصواب ، وكذلك قال فى ابن أخيه عمرو بن الحارث بن زهير ، وغنم بن زهير والد عياض بن غنم صاحب الفتوحات الذى يقول فيه ابن الرقيات :

وعياض وما عياض بن غنم كان من خير من تحن النساء

والحارث بن زهير والد عمرو بن الحارث بن زهير ، وقد ذكر ابن إسحاق عمرو بن الحارث أيضاً ، فقال فيه : ابن زهير لا ابن أبي زهير والحمد لله .

وذكر ابن إسحاق فى البدرين عاصم بن عدى لم يشهد بها ، لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رده من الروحاء لسبب ذكره موسى بن عقبة وغيره ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه شيء عن أهل مسجد للضرار ، وكان قد استخلفه على قباء والعالية ، فردّه لينظر فى ذلك ، وضرب له بسهمه مع أهل بدر ، وعاصم هو المذكور فى حديث اللعان الذى يقول له عويمر المجلى وهو عويمر بن أبيص ، ويقال فيه : ابن أشقر : سئل يا عاصم عن ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توفى سنة خمس وأربعين ، وهو ابن عشرين ومائة يبكى أباه عمرو ، وقيل : أباه عبد الله .

قصة خوات بن جبير : وذكر ابن إسحاق فيمن رده النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر ، وضرب له بسهمه خوات بن جبير ، رده من الصفراء ، وسبب ذلك - فيما ذكر ابن عقبة أن حجراً أصابه في رجله فورمت عليه ، واعتلت ، فرده النبي - صلى الله عليه وسلم - لذلك ، وهو صاحب خولة ذات النخيين في الجاهلية ، وهي امرأة من بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، ويروى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سأله عنها وتبسم فقال : يا رسول الله قد رزق الله خيراً ، وأعوذ بالله من الحور بعد الكور ، ويرى أنه قال له : ما فعل بعيرك الشارد ؟ فقال : قيده الإسلام يا رسول الله ، وقيل معنى قوله : بعيرك الشارد : أنه مر في الجاهلية بنسوة أعجبه حسنهن ، فسألن أن يفتن له قيداً لبعير له ، زعم أنه شارد ، وجلس إليهن بهذه العلة ، فربه النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يتحدث إليهن ، فأعرض عنه وعنهن ، فلما أسلم سأله عن ذلك البعير الشارد ، وهو يتبسم له ، فقال خوات : قيده الإسلام يا رسول الله ، قال الواقدي : يكنى أبا صالح ، وروى الثوري في حديث مسند إلى خوات أن عمر بن الخطاب ، كناه أبا عبد الله ، وذلك أنه كان معه في ركب ، فقال له الركب غننا من شعر ضرار ، فقال عمر : دعوا أبا عبد الله يغنيننا بنيات فؤاده قال : فأنشدهم حتى السحر ، فقال عمر ارفع لسانك يا أبا عبد الله فقد أسحرنا .

نسب النعمان بن عصر : وذكر النعمان بن عصر ، ولم ينسبه ، وهو ابن عصر بن الربيع بن الحارث بن أديم البلوى ، وقيل عصر بن عبيد بن وائلة بن حارثة البلوى ، قتل باليمامة .

أسماء وأنساب : وذكر في نسب زيد بن وديعة جزء بن عدى .

وذكر أبو بحر أنه قيده عن أبي الوليد جزء بسكون الزاى ، وأنه لم يحمده عن غيره إلا بكسر الزاى .

وذكر رافع بن عنجدة ، وقال : هى أمه ، ولم يذكر أباه ، واسمه : عبد الحارث ، والعنجدة حب الزبيب ، ويقال : هو الزبيب ، وأما عجم الزبيب ، فهو الفرصد قاله أبو حنيفة .

وذكر كعب بن جهم بالميم والزاى ، كما قال ابن هشام ، لا كما قال ابن إسحاق ، فإن أهل النسب على ما قال ابن هشام ، غير أن الدارقطنى قيد فيه رواية ثالثة : ابن حمان بنون وحاء مكسورة .

وذكر فيهم أبا حميص ، واسمه : معبد بن عباد : قال أبو عمر : كذا قيده إبراهيم بن سعد بن إسحاق ، وغيره يقول فيه عن ابن إسحاق يقول فيه : أبو خميصه بخاء منقوطة وصاد مهملة

وذكر في البلويين أبا عقيل ، ولم يسمه وكان اسمه في الجاهلية عبد العزى ، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن عدو الأوثان ابن عبد الله بن ثعلبة قتل باليمامة

وأما أبو عقيل صاحب الصاع الذى الذى لزمه المنافقون ، فاسمه حشحات ، وفيه أنزلت : « الذين يلزون المطوعين من المؤمنين ، وذلك أنه جاء بصاع من تمر فوضعه في العرقة حين حث النبي - صلى الله عليه وسلم - على النفقة في سبيل الله ، فضحك منه المنافقون وقالوا : إن الله لغنى عن صاع أبي عقيل .

ووقع في أنساب البدرين ابن قريوش بكسر القاف والثخين المنقوطة وقال ابن هشام : قريوش بالسين المهملة ، كذا قيده أبو الوليد ، وفي أكثر الروايات قريوش بفتح القاف والباء المضمومة بواحدة ، فقريوش : معيول من التقرش ، وهو التكسب ، وبالسين فمعول من القرم ، وهو البرد وقريوش بالثخين المنقوطة أصح فيه لأنه من

التقرش وهو التكبسب ، كما سميت قريش به ، قاله قطرب ، ومن لم يشهد بدرآ لعذر ، وهو من النقباء سعد بن عبادة سيد الخزرج لانه نهشته حية ، فلم يستطع الخروج ، هذا قول القتيبي ، ولذلك لم يذكره ابن إسحاق ولا ابن عتبة ، وقد ذكرته طائفة فيهم : ابن الكلبي وجماعة .

وذكر أبا الضياع واسمه النعمان ، وقيل عمير بن ثابت بن النعمان ، قتل يوم خيبر .

وذكر في بني النجار من ينسب إلى جدارة بن الحارث ، وجدارة أخو خدرة رهط أبي سعيد الخدري ، وغير ابن إسحاق يقول في جدارة خدرة بالخاء المضمومة ، قاله ابن دريد ، وكذلك قيده النمرى ، فهما خدرة وخدرة ابنا الحارث بالخاء المنقوطة ، وقاله ابن هشام بالخاء المهملة ، كذلك قال أبو عمر ، وقيده الشيخ أبو بحر عن أبي الوليد فقال ابن هشام .

وذكر رجيلة بن ثعلبة ، وقيد في رواية موسى بن عقبة رجيلة بالخاء المنقوطة ، كما وقع في رواية موسى ابن عقبة .

وذكر فيهم أبا شيخ بن ثابت ، واسمه : أبي وهو أخو حسان ، وقيل بل هو ابن أبي بن ثابت وحسان عمه ، ووقع في نسخة الشيخ أبي بحر غلط أصلحته ، وكان قبل الإصلاح أبو شيخ أبي بن ثابت بن المنذر .

الذين استشهدوا في بدر : فصل : وذكر فيمن استشهد يوم بدر : عمير بن أبي وقاص ، وذكر الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان قد رده في ذلك اليوم ، لانه استصغره ، فبكي عمير ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم بكاه أذن له في الخروج معه ، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة ، قتله العاصي بن سعيد .

وذكر ابن إسحاق حارث بن سراقه ، فيمن قتل يوم بدر وهو أول قتيل من المسلمين في ذلك اليوم ، رماه حبان بن العرقه بسهم فأصاب حنجرته ، فمات ، وجاءت أمه وهى الربيع بنت النضر عمة أنس ، فقالت : يا رسول الله قد علمت موضع حارثة منى فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن يكن غير ذلك ، فسترى ما أصنع ، فقال : أوجنة واحدة هي ؟ إنما هي جنات وإن ابنك منها لفي الفردوس .

وذكر فيهم عمير بن الحام بن الجوح ، وقد قدمنا ذكره ، وقتله خالد بن الأعلم .

وذكر ذا الشمالين الخزاعي الغشاني حليف بني زهرة ، وهو الذي ذكره الزهري في حديث التسليم من ركعتين ، قال : فقام ذو الشمالين رجل من بني زهرة ، فقال : أقصرت الصلاة ، أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصدق ذو اليمين ؟ لم يروه أحد هكذا بهذا اللفظ ، إلا ابن شهاب الزهري ، وهو غلط عند أهل الحديث ، وإنما هو ذو اليمين السلمي ، واسمه : خرباق وذو الشمالين قتل يوم بدر ، وحديث التسليم من ركعتين ، شهده أبو هريرة ، وكان إسلامه بعد بدر بستين ، ومات ذو اليمين السلمي في خلافة معاوية ، وروى عنه حديثه في التسليم ابنه مطير بن الخرباق ، يرويه عن مطير ابنه شعيب بن مطير .

ولما رأى المبرد حديث الزهري : فقام ذو الشمالين ، وفي آخره أصدق ذو اليمين ؟ قال : هو ذو الشمالين وذو اليمين : كان يسمى بهما جميعاً ، وجعل ما قاله أهل الحديث والسير في ذي الشمالين ، ولم يعرف رواية إلا الرواية التي فيها الغلط ، قال ذلك في آخر كتاب المكامل في باب الأذواء يوم بدر .

ومن البدرين عليفة بن عدى البياضي أيضاً ، هكذا اسمه عند أهل السير ، وسماه ابن إسحاق فقال خليفة بن

من قتل بيدر من المشركين

وقتل من المشركين يوم بدر من قريش ، ثم من بنى عبد شمس بن عبد مناف : حنظلة بن أبي سفيان بن حرب ابن أمية بن عبد شمس ، قتله زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ابن هشام ، ويقال اشترك فيه حمزة وعلى وزيد ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : والحارث بن الحضرمي ، وعامر بن الحضرمي حليفان لهم قتل عامراً : عمار بن ياسر ، وقتل الحارث : النعمان بن عسر ، حليف للأوس ، فيما قال ابن هشام وعمر بن أبي عمير ، وابنه : موليان لهم ، قتل عمير بن أبي عمير : سالم ، مولى أبي حذيفة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، قتله الزبير بن العوام ، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية قتله علي بن أبي طالب . وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، أخو بني عمرو بن عوف ، صبراً .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علي بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتله عبيدة بن الحارث بن المطالب .

قال ابن هشام : اشترك فيه هو وحمزة وعلى .

قال ابن إسحاق : وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، والوليد بن عتبة بن ربيعة ، قتله علي بن أبي طالب ، وعامر بن عبد الله ، حليف لهم من بني أنمار بن بغيض ، قتله علي بن أبي طالب . اثنتا عشر رجلاً .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر بن نوفل ، قتله - فيما يذكر - خبيب بن إسماعيل ، أخو بني

عدى بالخاء ، وعن شهد بدرأ ، ولم يذكره ابن هشام عن البكاء ، وذكره ابن إسحاق في رواية إبراهيم عن سعد عنه : عياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر وهو ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، وقد ذكره في البدرين موسى بن عقبة وخليفة بن خياط وجماعة ، وعن ذكر في البدرين ولم يذكره ابن إسحاق يزيد بن الأخنس السلي ، وابنه معن بن يزيد وأبوه الأخنس ، ولا يعرف من شهد بدرأ ثلاثة أب وابن وجد إلا هؤلاء ، وأكثر أهل العلم بالسير لا يصحح شهودهم بدرأ لكن شهدوا بيعة الرضوان ، ويزيد بن الأخنس هذا هو ابن الأخنس بن جناب بن حبيب بن جرة بضم الجيم بن زغب من بني بهثة بن سليم . قال ابن ماكولا : لا يعرف جرة بضم الجيم إلا هذا ، ولا جرة بكسر الجيم إلا السوم بنت عمرو بن جرة من بني ضمرة أم الشداخ واسمه يعمر بن عوف ، وقد تقدم ذكره في حديث قصى ولم سمى الشداخ ، وعن ذكره البخاري في البدرين خديم بن فائق وأخوه سبرة الأسديان ، وعن ذكره البخاري في البدرين من بني سلمة جابر ابن عبد الله بن عمرو بن حزام ، وقال أبو عمر : لا يصح شهوده بدرأ ، وذكر اختلاف الناس في ذلك ، وفي السنن لأبي داود أن جابرأ قال : كنت أبيع أصحابي الماء يوم بدر ، أي : كان صغيراً فلم يسهم له ، وزعم بعضهم أن هذه الرواية تصحيف ، وأن الصحيح كنت منيح أصحابي يوم بدر ، والمنيح : السهم ، يريد أنهم كانوا يرسلونه في حوائجهم لصغر سنه ، وعن شهد بدرأ وذكره ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام : طليب بن عمير من بني عبد بن قصى ، وأمه أروى عمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

الحارث بن الخزرج ، وطعيمة بن عدى بن نوفل ، قتله على بن أبي طالب ، ويقال : حمزة بن عبد المطلب . رجلان .
ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد .
قال ابن هشام : قتله ثابت بن الجذع ، أخو بني حرام ، فيما قال ابن هشام .
ويقال : اشترك فيه حمزة وعلى بن أبي طالب وثابت .

قال ابن إسحاق : والحارث بن زمعة ، قتله عمار بن ياسر - فيما قال ابن هشام - وعقيل بن الأسود بن المطلب ،
قتله حمزة وعلى ، اشتركا فيه - فيما قال ابن هشام - وأبو البختري ، وهو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد ،
قتله المجذر بن زياد البلوي .

قال ابن هشام : أبو البختري : العاص بن هاشم .

قال ابن إسحاق : ونوفل بن خويلد بن أسد ، وهو ابن العدوية ، عدى خزاعة ، وهو الذي قرن أبا بكر الصديق ،
وطيعة بن عبيد الله حين أسلما في جبل ، فكانا يسميان : القرينين لذلك ، وكان من شياطين قريش - قتله على بن
أبي طالب . خمسة نفر .

ومن بنى عبد الدار بن قصي : النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله على بن
أبي طالب صبراً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء ، فيما يذكرون .

قال ابن هشام : بالأنيل . قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث : بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : وزيد بن مليص ، مولى عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . رجلان .

قال ابن هشام : قتل زيد بن مليص بلال بن رباح ، مولى أبي بكر ، وزيد حليف لبني عبد الدار ، من بني
مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، ويقال : قتله المقداد بن عمرو .

قال ابن إسحاق ومن بنى تيم بن مرة : عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .

قال ابن هشام : قتله على بن أبي طالب ، ويقال : عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، قتله صهيب بن سنان . رجلان .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو جهل بن هشام - واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو
ابن مخزوم - ضربه معاذ بن عمرو بن الجحوح ، ففقطع رجله ، وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها ، ثم ضربه
معوذ بن عفراء حتى أثبتته ، ثم تركه وبه رمق ، ثم ذفف عليه عبد الله بن مسعود واحتز رأسه ، حين أمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس في القتلى - والعاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، قتله
عمر بن الخطاب وي زيد بن عبد الله ، حليف لهم من بني تميم .

قال ابن هشام ثم أحد بن عمرو بن تيم ، وكان شجاعاً ، قتله عمار بن ياسر .

قال ابن إسحاق : وأبو مسافع الأشعري ، حليف لهم ، قتله أبو دجانة الساعدي - فيما قال ابن هشام - وحرمة

ابن عمرو ، حليف لهم .

قال ابن هشام :

قتله خارجة بن زيد بن أبي زهير ، أخو بلحارث بن الخزرج ، ويقال : بل علي بن أبي طالب - فيما قال ابن هشام - وحرمة ، من الأسد .

قال ابن إسحاق : ومسهود بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله علي بن أبي طالب فيما قال ابن هشام - وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة .

قال ابن هشام قتله حمزة بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، قتله علي بن أبي طالب ، ويقال : قتله عمار بن ياسر ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ورفاعة بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قتله سعد بن الربيع ، أخو بلحارث بن الخزرج ، فيما قال ابن هشام : والمنذر بن أبي رفاعة بن عابد ، قتله معن بن عدى بن الجدي بن العجلان حليف بني عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف فيما قال ابن هشام ، وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة ابن عابد ، قتله علي بن أبي طالب ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : والسائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .

قال ابن هشام : السائب بن أبي السائب شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاء فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم الشريك السائب لا يشارى ولا يمارى ، وكان أسلم فحسن إسلامه - فيما بلغنا - والله أعلم . وذكر ابن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عتبة ، عن ابن عباس : أن السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قریش ، وأعطاه يوم الجمرانة من غنائم حنين .

قال ابن هشام : وذكر غير ابن إسحاق : أن الذي قتله الزبير بن العوام .

قال ابن إسحاق : والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وحاجب بن السائب بن عويم بن عمرو بن عبد بن عمران بن مخزوم . قال ابن هشام : ويقال : عائد : بن عمران ابن مخزوم ، ويقال : حاجز بن السائب - والذي قتل حاجب بن السائب علي بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : وعويم بن السائب بن عويم ، قتله النعمان بن مالك الثقوفي مبارزة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعمر بن سفيان ، وجابر بن سفيان ، حليفان لهم من طيء ، قتل عمر أيزيد بن رقيش ، وقتل جابر أبو بردة بن نيار ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : سبعة عشر رجلا .

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي : منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة ابن سعد بن سهم ، قتله أبو اليسر ، أخو بني سلبة ، وابنه العاص بن منبه بن الحجاج ، قتله علي بن أبي طالب فيما قال ابن هشام : ومنبه ابن الحجاج بن عامر ، قتله حمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبي وقاص اشتركا فيه ، فيما قال ابن هشام ، وأبو العاص ابن قيس بن عدى بن سعد بن سهم .

قال ابن هشام : قتله علي بن أبي طالب ، ويقال : النعمان بن مالك القوقلي ، ويقال : أبو دجانة .
قال ابن إسحاق : وعاصم بن عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، قتله أبو اليسر ، أخو بني سلبية ،
فيما قال ابن هشام ، خمسة نفر .

ومن بني جمح بن عمرو بن حصيص بن كعب بن لؤي : أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، قتله
رجل من الأنصار من بني مازن .

قال ابن هشام : ويقال : بل قتله معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وخبيب بن إساف ، اشتركوا في قتله .
قال ابن إسحاق : وابنه علي بن أمية بن خلف ، قتله عمار بن يامر ، وأوس بن معير بن لؤذان بن سعد بن جمح ،
قتله علي بن أبي طالب فيما قال ابن هشام ، ويقال : قتله الحصين بن الحارث بن المطلب وعثمان بن مظعون ، اشتركا
فيه ، فيما قال ابن هشام .
قال ابن إسحاق : ثلاثة نفر .

ومن بني عامر بن لؤي : معاوية بن عامر ، حليف لهم من عبد القيس ، قتله علي بن أبي طالب . ويقال : قتله
عكاشة بن محسن ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ومعبد بن وهب ، حليف لهم من بني كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث ، قتل معبدأ
خاله وإياس ابنا البكير ، ويقال : أبو دجانة ، فيما قال ابن هشام ، رجلا .

قال ابن هشام : فجميع من أحصى لنا من قتلى قريش يوم بدر : خمسون رجلا .
قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة ، عن أبي عمرو : أن قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلا ، والامري
كذلك ، وهو قول ابن عباس ، وسعيد بن المسيب . وفي كتاب الله تبارك وتعالى : « أولما أصابتكم مصيبة قد
أصبت مثلها ، يقول له لأصحاب أحد - وكان من استشهد منهم سبعين رجلا - يقول : قد أصبتكم يوم بدر مثل من
استشهد منكم يوم أحد ، سبعين قتيلا وسبعين أسيرا . وأنشدني أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك :

فأقام بالمعطن المعطن منهم سبعون ، عتبة منهم والأسود

قال ابن هشام : يعني قتلى بدر . وهذا البيت في قصيدة له في حديث يوم أحد سأذكرها إن شاء الله تعالى
في موضعها .

قال ابن هشام : ومن لم يذكر ابن إسحاق من هؤلاء السبعين القتلى :
من بني عبد شمس بن عبد مناف : وهب بن الحارث ، من بني أنمار بن بغيض ، حليف لهم ، وعامر بن زيد ،
حليف لهم من اليمن ، رجلا .

من بني أسد بن عبد العزى : عقبة بن زيد ، حليف لهم من اليمن وعمير مولى لهم ، رجلا .
ومن بني عبد الدار بن قصي : نبيه بن زيد بن مليص ، وعبيد بن سليط ، حليف لهم من قيس ، رجلا .

ومن بنى نيم بن مرة : مالك بن عبيد الله بن عثمان وهو أخو طلحة بن عبيد الله بن عثمان أسرفات فى الأسارى، فعد فى القتلى ، ويقال : وعمر بن عبد الله بن جدعان ، رجلا .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : حذيفة بن أبى حذيفة بن المغيرة ، قتله سعد بن أبى وقاص ، وهشام بن أبى حذيفة ابن المغيرة ، قتله صبيب بن سنان ، وزهير بن أبى رفاعه ، قتله أبو أسيد مالك بن ربيعة ، والسائب بن أبى رفاعه قتله عبد الرحمن بن عوف ، وعائذ بن السائب بن عويمر ، أسرف ثم افتدى فمات فى الطريق من جراحة جرحه إياها حمزة بن عبد المطلب ، وعيمر حليف لهم من طيء ، وخيار ، حليف لهم من الفارة . سبعة نفر .

ومن بنى جمع بن عمرو : سبرة بن مالك ، حليف لهم ، رجل .

ومن بنى سهم بن عمرو : الحارث بن منبه بن الحاج ، قتله صبيب بن سنان ، وعامر بن عوف بن ضبيرة ، أخو عاصم بن ضبيرة ، قتله عبد الله بن سلة العجلانى ، ويقال : أبو دجانة ، رجلا .

ذكر أسرى قريش يوم بدر : قال ابن إسحاق : وأسرف من المشركين من قريش يوم بدر ، من بنى هاشم بن عبد مناف : عقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم .

ومن بنى المطلب بن عبد مناف : السائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن المطلب ، ونعمان بن عمرو بن علقمة ابن المطلب ، رجلا .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : عمرو بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، والحارث بن أبى وجزة بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس ، ويقال : ابن أبى وجرة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وأبو العاصم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، وأبو العاصم بن نوفل بن عبد شمس ، ومن حلفائهم أبو ريشة بن أبى عمرو ، وعمر بن الأزرق ، وعقبة بن عبد الحارث بن الحضرمى ، سبعة نفر . ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عدى بن الخيار بن عدى بن نوفل ، وعثمان بن عبد شمس ابن أخى غزوان ابن جابر ، حليف لهم من بنى مازن بن منصور ، وأبو ثور ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : أبو عزيز بن عمير بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ، والأسود بن عامر حليف لهم ، ويقولون : نحن بنو الأسود بن عامر بن الحارث بن السباق ، رجلا .

ومع بنى أسد بن عبد العزى بن قصى ، السائب بن أبى حبيش بن المطلب بن أسد ، والحويرث بن عباد بن عثمان ابن أسد .

قال ابن هشام : هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد .

قال ابن إسحاق : وسالم بن شماس ، حليف لهم ، ثلاثة نفر .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : خالد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأميرة بن أبى حذيفة ابن المغيرة والوليد بن الوليد بن المغيرة ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وصيفى بن أبى رفاعه بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأبو المنذر بن أبى رفاعه بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأبو عطاء عبد الله بن أبى السائب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد

ابن عمر بن مخزوم ، وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، وهو كان - فيما يذكرون - أول من ولي فاراً منهزماً ، وهو الذي يقول :

ولسنا على الأدبار تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا يقطر الدم

تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويروى : ولسنا على الأعقاب .

وخالد بن الأعلم ، من خزاعة ، ويقال : عقيل .

قال ابن إسحاق ، ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : أبو وداعة بن ضبيرة بن سعد بن سهم ، كان أول أسير أفتدى من أسرى بدر افتداه ابنه المطلب بن أبي وداعة ، وفروة بن قيس بن عدى بن حذافة بن سعد بن سهم ، وحنظلة بن قبيصة بن حذافة بن سعد بن سهم ، والحجاج بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، أربعة نفر .

ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب : عبد الله بن أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وأبو عزة عمرو بن عبد بن عثمان بن وهيب بن حذافة بن جمح ، والفاكه ، مولى أمية بن خلف ، ادعاه بعد ذلك رباح بن المغترف ، وهو يزعم أنه من بني شماخ بن محارب بن فهر - ويقال : إن الفاكه : ابن جروول بن حذيم بن عوف بن غضب بن شماخ بن محارب بن فهر - وهب بن عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وربيعه ابن دراج بن العنابس بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ، خمسة نفر .

ومن بني عامر بن لؤي : سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، أسره مالك بن الدخشم ، أخو بني سالم بن عوف ، وعبد بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر ، وعبد الرحمن بن مشنوء بن وقدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، ثلاثة نفر .

ومن بني الحارث بن فهر : الطفيل بن أبي قنيسع ، وعتبة بن عمرو بن جحدم ، رجلان .

قال ابن إسحاق : فجميع من حفظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلاً .

قال ابن هشام : وقع من جملة العدد رجل لم نذكر اسمه .

ومن لم يذكر ابن إسحاق من الأسارى :

من بني هاشم بن عبد مناف : عتبة ، حليف لهم من بني فهر ، رجل .

ومن بني المطلب بن عبد مناف : عقيل بن عمرو ، حليف لهم ، وأخوه تميم بن عمرو ، وابنه ، ثلاثة نفر .

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن أسيد بن أبي العيص ، وأبو العريض يسار ، مولى العاص بن أمية ، رجلان .

ومن بني نوفل بن عبد مناف : نهان ، مولى لهم ، رجل .

ومن بني أسد بن عبد العزى : عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث ، رجل .

ومن بني هب الدار بن قصي : عقيل ، حليف لهم من اليمن ، رجل .

ومن بنى تيم بن مرة : مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، وجابر بن الزبير ، حليف لهم ، رجلا .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : قيس بن السائب ، رجل .

ومن بنى جمح بن عمرو : عمرو بن أبي بن خلف ، وأبو رهم بن عبدالله ، حليف لهم ، وحليف لهم ذهب عن اسمه ، وموليان لامية بن خلف ، أحدهما لسطاس ، وأبو رافع ، غلام أمية بن خلف ؛ ستة نفر .

ومن بنى سهم بن عمرو : أسلم ، مولى نبيه بن الحجاج ، رجل .

ومن بنى عامر بن لؤى : حبيب بن جابر ، والسائب بن مالك ، رجلا .

ومن بنى الحارث بن فهر : شافع وشفيح ، حليفان لهم من أرض الين . رجلا .

ما قيل من الشعر في يوم بدر : قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر في يوم بدر ، وتراد به القوم بينهم لما كان فيه ، قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله :

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضتها :

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر	وللحين أسباب مبينة الأمر
وما ذلك إلا أن قوماً أقامهم	غاثوا تواص بالمعقوق وبالكفر
عيشة راحوا نحو بدر بجمعهم	فكانوا رهوناً للركبة من بدر
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها	فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مشنوية	لنا غير طعن بالثقة السمر
وضرب بببيض يختل الهام حدها	مشهرة الألوان بدنة الأثر
ونحن تركنا عتبة الغي ثاوباً	وشيبة في القتلى تجرجم في الحفر
وعمر وئوى فيمن ثوى من حماهم	فشقت جيوب النائمات على عمرو
جيوب نساء من لؤى بن غالب	كرام تفرعن الذوائب من فهر
أولئك قوم قتلوا في ضلالهم	وخلوا لواء غير محتضر النصر
لواء ضلال قاد إبليس أهله	نخاس بهم ، إن الحديث إلى غدر
وقال لهم - إذ عاين الأمر واضحاً -	برئت إليكم ما بي اليوم من صبر
فإني أرى ما لا ترون ولأنني	أخاف عقاب الله والله ذو قسر
فقدمهم للحين حتى تورطوا	وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر
فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعنا	ثلاث متين كالمسددة الزهر
وفينا جنود الله حين يمدنا	بهم في مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم جبريل تحت لوائنا	لدى مازق فيه منايهم تجري

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة . فقال :

ألا يا لقومي للصباية والهجر وللحزن منى والحرارة في الصدر

والدمع من عيني جوداً كأنه فريد هوى من سلك ناظمه يجرى
على البطل الحلو الشائل إذ ثوى رهين مقام للركية من بدر
فلا تبعدن يا عمرو من ذى قرابة ومن ذى ندم كان ذا خلق عمر
فإن يك قوم صادفوا منك دولة فلا بد للأيام من دول الدهر
فقد كنت في صرف الزمان الذى مضى

ترهم
فإلا أمت يا عمرو أتركك ثائراً
وأقطع ظهراً من رجال بمعشر
أغرم ما جمعوا من وشيطة
فيال لوى ذببوا عن حريمكم
توارثها آباؤكم وورثتم
فالحليم قد أراد هلاككم
وجدوا لمن عاديتهم وتوازروا
لعلكم أن تثاروا بأخيك
بمطردات في الأكف كأنها
كان مدب الذر فوق متونها
هوأناً منك ذا سبل وعر
ولا أبق بقيا في إخاء ولا صهر
كرام عليهم مثل ما قطعوا ظهري
ونحن الصميم في القبائل من فهر
وآلهة لا تتركوها لذى الفخر
أو اسبها والبيت ذا السقف والستر
فلا تعذروه آل غالب من عذر
وكونوا جميعاً في التأمي وفي الصبر
ولا شيء إن لم تثاروا بذوى عمرو
وميض تطير الهام بينة الاثر
إذا جردت يوماً لأعدائها الخزر

قال ابن هشام : أبدلنا من هذه القصيدة كلمتين بما روى ابن إسحاق ، وهما : الفخر ، في آخر البيت ، و د فالحليم ، في أول البيت ؛ لأنه نال فيهما من النبي صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب في يوم بدر :

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ولا نقيضتها ، وإنما كتبناها لأنه يقال : إن عمرو ابن عبد الله بن جدعان قتل يوم بدر ، ولم يذكره ابن إسحاق في القتلى ، وذكره في هذا الشعر :

ألم تر أن الله أبلى رسوله
بما أنزل الكفار دار مذلة
فأمسى رسول الله قد عز نصره
لجاء بفرقان من الله منزل
فآمن أقوام بذاك وأيقنوا
وأنكر أقوام فزاغت قلوبهم
وأمكن منهم يوم بدر رسوله
بأيديهم بيض خفاف عصوا بها
فكم تركوا من ناشئ ذى حمية
تليت عيون الناسحات عليهم
بلاء عزيز ذى اقتدار وذى فضل
فلاقوا هوأناً من إسار ومن قتل
وكان رسول الله أرسل بالعدل
مبينه آياته لذوى العقل
فأمسوا بحمد الله مجتمعي الشمل
فزادهم ذو العرش خبلاً على خبل
وقوماً غضاباً فعلهم أحسن الفعل
وقد حادثوها بالجللاء وبالصلل
صريعاً ومن ذى نجدة منهم كهل
تجود بإسبال الرشاش وبالوبل

وشية تنعى عتبة الغى وابنه
مسلبة حرى مبينة الشكل
ذوى نجدات فى الحروب وفى المحل
وللغى أسباب مرمقة الوصل
عن الشغب والعدوان فى أشغل الشغل

نوائح تنعى عتبة الغى وابنه
وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم
ثوى منهم فى بئر بدر عصابة
دعا الغى منهم من دعا فأجابه
فأضحوا لدى دار الجحيم بمزل

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة ، فقال :

بأمر سفاه ذى اعتراض وذى بطل
كرام المساعى من غلام ومن كهل
مطاعين فى الهيجا مطاعيم فى المحل
بقوم سواهم نازحى الدار والأصل
لكم بدلا منا فيالك من فعل
يرى جوركم فيها ذوو الرأى والعقل
وخير المنايا ما يكون من القتل
لكم كائن خبلا مقيما على خبل
شتيتا هواكم غير مجتمعى الشمل
وعتبة والمدعو فيكم أبا جهل
أمية مأوى المعتزين وذو الرجل
نوائح تدعو بالرزية والشكل
وسيروا إلى آطام يثرب ذى النخل
بخالصة الألوان محدثة الصقل
أذل لوطه الواطنين من النعل
بكم واثق أن لا تقيموا على تبيل
وللبين والبيض القواطع والنبل

عجبت لأقوام تغنى سفيهم
تغنى بقتلى يوم بدر تتابعوا
مصاليت بيض من لوى بن غالب
أصبيوا كراما لم يبيعوا عشيرة
كما أصبحت غسان فيكم بطانة
عقوقا وإثما بينا وفطيمة
فإن يك قوم قد مضوا لسبيلهم
فلا تفرحوا أن تقتلوهم فقتلهم
فإنكم لن تبرحوا بعد قتلهم
بفقد ابن جدعان الحميد فعاله
وشية فيهم والوليد وفيهم
أولئك فابك ثم لا تبك غيرهم
وقولوا لأهل المسكتين تحاشدوا
جميعا وحاموا آل كعب وذبيوا
ولملا فبيتوا خائفين وأصبحوا
على أنى والآلات يا قوم فاعلوا
سوى جمهم للسابغات وللقنا

وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس ، أخو بنى محارب بن فهر فى يوم بدر :

عجبت لفخر الأوس والحين دائر
عليهم غداً والدهر فيه بصائر
أصبيوا ببدر كلهم ثم صابر
فإننا رجال بعدهم سنغادر

عجبت لفخر الأوس والحين دائر
ونخر بنى النجار وإن كان معشر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا
وتردى بنا الجرد العناجيج

وسطكم

بنى الأوس حتى يشفى النفس ثائر

لها بالقنا والدارعين زوافر
وليس لهم إلا الأمانى ناصر

ووسط بنى النجار سوف نكرها
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم

وتبكيهم من أهل يثرب نسوة
وذلك أنا لا تزال سيوفنا
فإن تظفروا في يوم بدر فإنما
وبالنفر الاختيار هم أولياؤه
بعد أبو بكر وحمزة فيهم
ويدعى أبو حفص وعثمان منهم
أولئك لا من نتجت في ديارها
ولكن أبوهم من لؤي بن غالب
هم الطاعنون الخيل في كل معرك

فأجابه كعب بن مالك ، أخو بني سلمة ، فقال :

عجبت لأمر الله والله قادر
قضى يوم بدر أن نلقى معشراً
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم
وسارت إلينا لانحاول غيرنا
وفينا رسول الله والأوس حوله
وجمع بني النجار تحت لوائه
فلما لقيناهم وكل مجاهد
شهدنا بأن الله لأرب غيره
وقد عربت بيض خفاف كأنها
بمن أبدنا جمعهم فتبددوا
فكعب أبو جهل صريعاً لوجهه
وشيبة والتيمي غادرن في الوغى
فأمسوا وقود النار في مستقرها
تلظى عليهم وهي قد شب حياً
وكان رسول الله قد قال أقبلوا
لأمر أراد الله أن يهلكوا به

وقال عبد الله بن الزبيري السهمي يكي قتل بدر :

قال ابن هشام : وتروى للأعشى بن زرارة بن النباش ، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ، حليف بني نوفل

ابن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : حليف بني عبد الدار :

من فتية بيض الوجوه كرام
وابنى ربيعة خير خصم فثام
كالبدري جلي لیسلة الإظلام
رحا تميا غير ذی أوصام
ومآثر الاخوال والاعمام
فعلى الرئيس الماجد ابن هشام
رب الانام ، وخصم بسلام

ماذا على بدر وماذا حوله
تركوا نبيها خلفهم ومنبها
والحارث الفياض يبرق وجهه
والعاصي بن منبه ذا مرة
تنمى به أعراقه وجدوده
ولذا بكى باك فاعول شجوه
حيا الإله أبا الوليد ورهطه

فأجابه حسان بن ثابت الانصارى ، فقال :

بدم تعل غروبها سجام
هلا ذكرت مكارم الاقوام
سمح الخلائق صادق الإقدام
وأبر من يولى على الإقسام
كان المدهح ثم غير كهام

ابك بكت عيناك ثم تبادرت
ماذا بكيت به الذين تتابعوا
وذكرت منا ماجدا ذا همة
أعنى النبي أخوا المكارم والندى
فلثله ولثل ما يدعو له

وقال حسان بن ثابت الانصارى أيضا :

تشقى الضجيع يبارد بسام
أو عاتق كدم الذبيح مدام
بلهاء غير وشيكة الاقسام
فضلا إذا قعدت مداك رخام
فى جسم خرعة وحسن قوام
والليل توزعنى بها أحلامى
حق تغيب فى الضريح عظامى
ولقد عصيت على الهوى لوامى
وتقارب من خادث الايام
عدم لمعتكر من الاصرام
فنجوت منجى الحارث بن هشام
ونجا برأس طمرة ولجام
مر الدموك بمحصد ورجام
وثوى أحبته بشر مقام
نصر الإله به ذوى الإسلام
حرب يشب سعيها بضرام
جزر السباع ودسته بجوامى
صقر إذا لاقى الاسنة حامى

تبلى فؤادك فى المنام خريدة
كالمسك تخططه بماء سحابة
نفج الحقيبة بوضها متنضد
بنيت على قطن أجم كأنه
وتكاد تكسل أن تجى فراشها
أما النهار فلا أقر ذكرها
أقسمت أنساها وأترك ذكرها
يا من لعاذلة تلوم سفاهة
بكرت على بسحرة بعد الكرى
زعمت بأن المرء يكرب عمره
إن كنت كاذبة الذى حدثنى
ترك الاحبة أن يقاتل دونهم
تذر معنائج الجياد بقفرة
ملأت به الفرجين فارمدت به
وبنو أبيه ورهطه فى معرك
طحتهم ، والله ينفذ أمره ،
لولا الإله وجريها لتركه
من بين مأسور يشد وثاقه

ومجدل لا يستجيب لدعوة حتى تزول شوامخ الاعلام
بالعار والذل المبين إذا رأى بيض السيوف تسوق كل هم
بيدى أغر إذا انتمى لم يخزه نسب القصار سميدع مقدام
بيض إذا لافحت حديداً صممت كالبرق تحت ظلال كل غمام

فأجابه الحارث بن هشام ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

الله أعلم ما تركت قتالهم حتى حبوا مهرى بأشقر مزبد
وعرفت أنى إن أقاتل واحداً أقتل ولا ينكى عدوى مشدى
فصددت عنهم والاحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

قال ابن إسحاق : قالها الحارث يعتذر من فراره يوم بدر .

قال ابن هشام : تركنا من قصيدة حسان ثلاثة أبيات من آخرها ، لأنه أقدح فيها .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

لقد علت قريش يوم بدر غداة الأسر والقتل الشديد
بأننا حين تشتجر العوالى حماة الحرب يوم أبى الوليد
قتلنا ابنى ربيعة يوم سارا إلينا فى مضاعفة الحديد
وفر بها حكيم يوم جالت بنو النجار تخطر كالأسود
وولت عند ذاك جموع فهر وأسلبها الحويرث من بعيد
لقد لافيتم ذلاً وقتلاً جهيزاً نافذاً تحت الوريد
وكل القوم قد ولوا جميعاً ولم يلوا على الحسب التليد

وقال حسان بن ثابت أيضاً :

يا حار قد عولت غير معول عند الهياج وساعة الاحساب
إذ تمتطى سرح اليدى نجية مرطى الجراء طويلة الاقراب
والقوم خلفك قد تركت قتالهم ترجو النجاء وليس حين ذهاب
ألا عطفت على ابن أمك إذ نوى قعص الاسنة ضائع الاسلاب
عجل المليك له فأهلك جمعه بشنار مخزية وسوء عذاب

قال ابن هشام : تركنا منها بيتاً واحداً أقدح فيه .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

قال ابن هشام : ويقال : بل قالها عبد الله بن الحارث السهمي :

مستشعري خلق المأذى يقدمهم جلد النخيزة ماض غير رعديد

أعنى رسول إله الخلق فضله
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم
ثم وردنا ولم نسمع لقولكم
مستعصمين بحبل غير منجذم
فينا الرسول وفيما الحق نتبعه
وإف وماض شهاب يستضاء به
على البرية بالتقوى وبالجود
وماء بدر زعمتم غير مورد
حق شربنا رواء غير تصريد
مستحکم من حبال الله بمدود
حق المات ونصر غير محدود
بدر أنار على كل الأماجد

قال ابن هشام : بيته : « مستعصمين بحبل غير منجذم » ، عن أبي زيد الأنصاري قال ابن إسحاق : وقال حسان ابن ثابت أيضاً :

خابت بنو أسد وآب غزيم
منهم أبو العاصي تجدل مقعصاً
حيناً له من مانع بسلاحه
والمرء زمعة قد تركن ونحره
متوسداً حر الجبين معفراً
ونجا ابن قيس في بقية رهطه
يوم القليب بسوءه وفضوح
عن ظهر صادقة النجاء سبعوح
لما ثوى بمقامه المذبوح
يدى بعاند معبط مسفوح
قد عر مارن أنفه بقبوح
بشفاء الرماق مولياً بحروح

وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكة
قتلنا سراة القوم عند مجالنا
قتلنا أبا جهل وعتبة قبله
قتلنا سويداً ثم عتبة بعده
فكم قد قتلنا من كريم مرزأ
تركناهم للعاويات يئبهم
لعمرك ما حامت فوارس مالك
لأيت شعري هل أتى أهل مكة
قتلنا سراة القوم عند مجالنا
قتلنا أبا جهل وعتبة قبله
قتلنا سويداً ثم عتبة بعده
فكم قد قتلنا من كريم مرزأ
تركناهم للعاويات يئبهم
لعمرك ما حامت فوارس مالك

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد الأنصاري بيته :

قتلنا أبا جهل وعتبة قبله
وشية يكبو للدين وللنحر

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

نجى حكيماً يوم بدر شده
لما رأى بدرأ تسيل جلاسه
لا ينكلون إذا لقوا أعداءهم
كم فيهم من ماجد ذي منعة
ومسود يعطى الجزيل بكفه
كجناء مهر من بنات الأعوج
بكثيرة خضراء من بلخروج
يمشون عائدة الطريق المنهج
بطل بمهلكة الجبان المخرج
حال أفعال الديات متوج

زين الندى معاود يوم الوغى ضرب الحكمة بكل أبيض سلجج
قال ابن هشام : قوله سلجج ، عن غير ابن إسحاق .
قال ابن إسحاق وقال حسان أيضاً :

فما تخشى بحول الله قوماً وإن كثروا وأجمعت الزحوف
إذا ما ألبوا جمعاً علينا كفانا حدهم رب رهوف
سمونا يوم بدر بالهـ والى سراعاً ما تضعضنا الختوف
فلم تر عصابة في الناس أنكى لمن عادوا إذا لقحت كشوف
ولكننا توكلنا وقلنا مآثرنا ومقلنا السيوف
لقيناهم بها لما سمونا ونحن عصابة وهم ألوف

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يهجو بني جمح ومن أصيب منهم :

جمحت بنو جمح لشقوة جدم إن الدليل موكل بذليل
قتلت بنو جمح ببدر عنوة وتخاذلوا سعياً بكل سبيل
جمحدوا الكتاب وكذبوا بمحمد والله يظهر دين كل رسول
لعن الإله أبا خزيمة وابنه والخالدين ، وصاعد بن عقيل

قال ابن إسحاق : وقال عبيد بن الحارث بن المطلب في يوم بدر ، وفي قطع رجله حين أصيب ، في مبارزته
هو وحزة وعلى حين بارزوا عدوهم - قال ابن هشام ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعبيدة :

ستبلغ عنا أهل مكة وقعة يهب لها من كان عن ذاك نائيا
بعثة إذا ولي وشيبة بعده وما كان فيها بكر عتبة راضيا
فإن تقطعوا رجلى فأنى مسلم أرجى بها عيشاً من الله دانيا
مع الحور أمثال التائبين أخلصت مع الجنة العليا لمن كان عاليا
وبعت بها عيشاً تعرقت صفوه وعالجته حتى فقدت الادانيا
فأكرمى الرحمن من فضل منه بثوب من الإسلام غطى المساويا
وما كان مكروهاً إلى قتالهم غداة دعا الأكفاء من كان داعيا
ولم يبع إذ سألوا النبي سواءنا ثلاثنا حتى حضرنا المناديا
لقيناهم كالأسد تخطر بالقنا نقاتل في الرحمن من كان عاصيا
فما برحت أقدامنا من مقامنا ثلاثنا حتى أزيروا المنائيا

قال ابن هشام : لما أصيبت رجل عبدة قال : أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنى أحق منه بما
قال حين يقول :

كذبتم وبيت الله يبرى محمد ولما نطاعن دونه وتناضل
ونسلبه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وهذان البيتان في قصيدة لأبي طالب ، وقد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فلما هلك عبيدة بن الحارث من مصاب رجلة يوم بدر ، قال كعب بن مالك الانصارى يبيكه :

أيا عين جودى ولا تبخلى	بدمعك حقاً ولا تنزرى
على سيد همدنا هلكه	كريم المشاهد والعنصر
جرى المقدم شاكي السلاح	كريم النشا طيب المكسر
عبيدة أمسى ولا نرتجيه	لعرف عرانا ولا مذكر
وقد كان يحمى غداة القتلى	ل حامية الجيش بالمستر

وقال كعب بن مالك أيضاً ، في يوم بدر :

ألا هل أتى غسان في نأى دارها	وأخبر شئ بالأمور عليها
بأن قد رمتنا عن قسى عداوة	معد معاً جهالها وحليمةا
لأننا عبدنا الله لم نرج غيره	رجاء الجنان إذ أنانا زعيمها
نبى له في قومه إرث عزة	وأعراق صدق هذبتها أرومها
فساروا وسرنا فالتقينا كأننا	أسود لقاء لا يرجى كليهما
ضربناهم حق هوى في مكرنا	لمنخر سوء من لؤى عظيمها
فولوا ودسناهم ببيض صوارم	سواء علينا حلفها وصميمها

وقال كعب بن مالك أيضاً :

لعمر أبيك يا بنى لؤى	على زهو لديكم وانتخا
لما حامت فوارسكم ببدر	ولا صبروا به عند اللقاء
وردناه بنور الله يحلو	دجى الظلماء عنا والغطاء
رسول الله يقدمنا بأمر	من امر الله أحكم بالقضاء
فما ظفرت فوارسكم ببدر	وما رجعوا إليكم بالسواء
فلا تعجل أبا سفيان وارقب	جياذ الخيل تطلع من كداء
بنصر الله روح القدس فيها	وميكال ، فيأطيب الملا

وقال طالب بن أبي طالب ، يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبيكى أصحاب القليب من قريش يوم بدر :

ألا إن عيني أنفدت دمعها سكباً	تبكى على كعب وما إن ترى كعباً
ألا إن كعباً في الحروب تخاذلوا	وأرداهم ذا الدهر واجترحوا ذنباً
وعامر تبكى للبلسات غدوة	فيا ليت شعرى هل أرى لهما قرباً
ها أخوай لن يعدا لغية	تعد ولن يستام جارهما غصبا
فيا أخويناه عبد شمس ونوفلا	فدأ لسا لا تبعثوا بيننا حرباً
ولا تصبحوا من بعد ود وألفة	أحاديث فيها كلكم يشتكى النكبا

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس
فلولا دفاع الله لا شيء غيره
فإن جنينا في قریش عظيمة
أخا ثقة في النائبات مرزأ
يطيف به العافون يغشون بابہ
فوالله لا تنفك نفسى حريئة
وجيش أبى يكسوم إذ ملئوا الشعبا
لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا
سوى أن حمينا خير من وطىء التربا
كزيماً نشاء لا بخيلا ولا ذربا
يؤمنون بجرأ لا نزوراً ولا صربا
تملح حتى تصدقوا الخرج الضربا

وقال ضرار بن الخطاب الفهرى ، يرثى أبا جهل :

ألا من لعين باتت الليل لم تنم
كأن قذى فيها وإيس بها قذى
فبلغ قريضاً أن خير نديها
ثوى يوم بدر رهن خوصاء رهنها
فأليت لا تنفك عينى بعبرة
على هالك أشجى لؤى بن غالب
ترى كسر الخطى فى نحر مهره
وما كان ليث ساكن بطن بيثنه
بأحراً منه حين تختلف القنا
فلا تجزعوا آل المغيرة واصبروا
وجدوا فإن الموت مكرمة لكم
وقد قلت إن الريح طيبة لكم
تراقب نجمان فى سواد من الظلم
سوى عبرة من جائل الدمع تفسج
وأكرم من يمشى بساق على قدم
كريم المساعى غير وغد ولا برم
على هالك بعد الرئيس أبى الحكم
أنته المنايا يوم بدر فلم يرم
لدى بائن من لحمه بينها خدم
لدى غلل يجرى بيطحاء فى أجم
وتدعى نزال فى القباقة البهم
عليه ومن يجزع عليه فلم يلم
وما بعده فى آخر العيش من ندم
وعز المقام غير شك لذى فهم

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينسكها لضرار .

قال ابن إسحاق : وقال الحارث بن هشام ، يبكى أخاه أبا جهل :

ألا يا لطف نفسى بعد عمرو
يخبرنى الخبر أن عمراً
فقدما كنت أحسب ذاك حقاً
وكنت بنعمة ما دمت حياً
كأنى حين أمسى لا أراه
على عمرو إذا أمسيت يوماً
وهل يغنى التألف من قتيل
أمام القوم فى جفر محيل
وأنت لما تقدم غير فيل
فقد خلفت فى درج المسيل
ضعيف العقد ذو هم طويل
وطرف من تذكره كليل

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينسكها للحارث بن هشام ، وقوله « فى جفر » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال أبو بكر بن الأسود بن شعوب الليثى ، وهو شداد بن الأسود :

تحى بالسلامة أم بكر
وهل لى بعد قومي من سلام

فماذا بالقلب قلب بدر من القينات والشرب الكرام
وماذا بالقلب قلب بدر من الشيزى تكلل بالسنام
وكم لك بالطوى طوى بدر من الحومات والنعم المسام
وكم لك بالطوى طوى بدر من الغايات والدسع العظام
وأصحاب الكريم أبى على أخى الكأس الكريمة والندام
ولأنك لو رأيت أباً عقيل وأصحاب الثنية من نعام
إذن لظلمت من وجد عليهم كأم السقب جائلة المرام
يخبرنا الرسول لسوف نحيا وكيف لقاء أصداء وهام ؟

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة النحوى :

يخبرنا الرسول بأن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام
قال : وكان قد أسلم ثم ارتد .

وقال ابن إسحاق . وقال أمية بن أبى الصلت ، يرثى من أصيب من قريش يوم بدر :

ألا بكيت على الكرام م بنى الكرام أولى المادح
كبكا الحمام على فرو ع الأيك فى الغصن الجوانح
يكيين حرى مستكيسات يرحن مع الروائح
أشاهن الباكيات المعولات من النوايح
من ييكم ييك على حزن ويصدق كل مادح
ماذا يبدر فاعقنـقل من مرازية ججاجح
فدافع البرقين فالحنان من طرف الاواشح
شمط وشبان بها ليل مغاوير وحاح
ألا ترون لما أرى ولقد أبان لكل لامح
أن قد تغير بطن مـكة فهى موحشة الاباطح
من كل بطريق لبطـريق نقي القون واضح
دعموص أبواب الملو ك وجائب للخرق فاتح
من السراطة الخلاجة المسلاوثة المناجح
القائلين الفاعلين الأمرين بكل صالح
المطعمين الشحم فوق الخبز شحماً كالانافح
نقل الجفان مع الجفان إلى جفان كالمنافح
ليست بأصفار لمن يعفو ولا رح رحارج
للضيف ثم الضيف بعد الضيف والبسط السلاطح
وهب المثين من المثين إلى المثين من اللوافح

سوق المؤبل للمؤبل صادرات عن بلادح
 لكرامهم فوق السكرام مزية وزن الرواجح
 كشافل الارطال بالقسطاس في الايدى المواثح
 خذلتهم فتنة وهم يحمون عورات الفضائح
 الضاربين التقديمية بالمهنة الصفائح
 ولقد عناني صوتهم من بين مستسق وصائح
 لله در بني ع الى ايم منهم وناكح
 لمن لم يغيروا غارة شعواء تجحر كل نابح
 بالمقربات ، المبعدا ت ، الطامحات مع الطوامح
 مردأ على جرد الى أسد مكالبة كوالح
 ويلاق قسرن قرنه مشى المصافح للبصافح
 بزهاء ألف ثم ألف بين ذى بدن ورامح

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنشدني غير واحد من
 أهل العلم بالشعر بيته :

ويلاق قرن قرنه مشى المصافح البصافح
 وأنشدني أيضاً :

وهب المشين من المشين الى المشين من اللوارجح
 سوق المؤبل للمؤبل صادرات عن بلادح

قال ابن إسحاق : وقال أمية بن أبي الصلت ، يبكى زمعة بن الأسود ، وقتلى بنى أسد :

عين بكى بالمسيلات أبا الحارث لا تذخرى على زمعه
 وابكى عقيل بن أسود أسد البأ من ليوم الهياج والدفعه
 تلك بنو أسد إخوة الجو زاء لاختانة ولا خدعه
 هم الامرة الوسيطه من كه ب وهم ذروة السنام والقمعه
 ألبتوا من معاشر شعر الرأ من وهم الحقوم المنعه
 أمسى بنو عمهم إذا حضر البأ من أكبادهم عليهم وجهه
 وهم المطعمون إذا قحط القحط سر وحالت فلا ترى قرعه

قال ابن هشام : هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة ، ليست بصحيحة البناء ، لكن أنشدني أبو عمرز خلف
 الأحمر وغيره روى بعض ما لم يرو بعض :

عين بكى بالمسيلات أبا الحارث لا تذخرى على زمعه
 وعقيل بن أسود أسد البأ من ليوم الهياج والدفعه

فعلى مثل هلكهم خوت الجو زاء ، لاختاة ولا خدعه
وهم الأسرة الوسيطة من كـ...ب ، وفيهم كذروة القمعة
أنبثوا من معاشر شعر الرأ س ، وهم الحقوقهم المنعة
فبنو عمهم إذا حضر البأ س عليهم أكبادهم وجمعه
وهم المطعمون إذ قحط القطر ر وحالت فلا ترى قزعه

قال ابن إسحاق : وقال أبو أسامة ، معاوية بن زهير بن قيس بن الحارث بن سعد بن ضبيعة بن مازن بن عدى
ابن جشم بن معاوية حليف بني مخزوم قال ابن هشام : وكان مشركا وكان مر بهيرة بن أبي وهب وهم منهزمون يوم
بدر ، وقد أعى هبيرة ، فقام فألقى عنه درعه وحمله فضى به ، قال ابن هشام : وهذه أصح أشعار أهل بدر :

ولما أن رأيت القوم حفوا	وقد شالت نعماتهم لنفر
وأن تركت سراة القوم صرعى	كان خيارهم أذباح عثر
وكانت جمعة وافت حماماً	ولقينا المنيا يوم بدر
نصد عن الطريق وأدركونا	كان زهاءهم غطيان بحر
وقال القائلون : من ابن قيس ؟	فقلت : أبو أسامة ، غير فخر
أبا الجشمى كيما تعرفوني	أبين نسبتى نقرأ بنقر
فإن تك فى الغلاصم من قریش	فإني من معاوية بن بكر
فأبلغ مالكا لما غشيننا	وعندك مال - إن نبات - خبرى
وأبلغ إن بلغت المرء عنا	هبيرة ، وهو ذو علم وقدر
بأنى إذ دعيت إلى أفيد	كررت ولم يضق بالكر صدرى
عشية لا يكر على مضاف	ولا ذى نعمة منهم وصهر
فدونكم بنى لاي أخاكم	ودونك مالكا يأم عمرو
فلولا مشهدى قامت عليه	موقفة القوائم أم أجرى
دفوع للقبور بمنسكبها	كان بوجهها تحميم قدر
فأقسم بالذى قد كان ربي	وأنصاب لدى الجرات مغر
لسوف ترون ماحسى إذا ما	تبدلت الجلود جلود نمر
فما إن خادر من أسد ترج	مدل عنيس فى الغيل مجرى
فقد أحصى الآباء من كلاف	فما يدنو له أحد بنقر
بخل تعجز الحلفاء عنه	يواثب كل ههجة وزجر
بأوشك سورة منى إذا ما	حبوت له بقرقرة وهدر
بييض كالأسنة مرهفات	كان ظلماتهن جسيم جمر
وأكلف جئنا من جلد ثور	وصفراء البراية ذات أزر
وأبيض كالغدير ثوى عليه	عمير بالمداوس نصف شهر

أرقل في حائله وأمشى كمشية خادر ليث سبطر
يقول لي الفقى سعد هدياً فقلت : لعله تقريب غدر
وقلت أبا عدى لا تطهرهم وذلك إن أطعت اليوم أمرى
كدأبهم بفروة إذ أتاهم فظل يقاد مكتوفاً بضفر

قال ابن هشام : وأنشدني أبو محرز خلف الأحمر :

نصد عن الطريق وأدركونا كأن سراعهم تيار بحر

وقوله : مدل عنبس في الغيل مجرى - عن غير ابن إسحاق

قال ابن إسحاق : وقال أبو أسامة أيضاً :

ألا من مبلغ عنى رسولا لم تعلم مردى يوم بدر
وقد تركت سراة القوم صرعى وقد مالت عليك بيطن بدر
فنتجاه من الغمرات عزمى ومنقلبى من الأبواء وحدى
وأنت لمن أراك مستكين وكنت إذا دعانى يوم كرب
فأسمعى ولو أحببت نفسى أرد فأكشف الغمى وأرمى
وفرن قد تركت على يديه دلفت له إذا اختلطوا بحرى
فذلك كان صنعى يوم بدر أخوكم فى السنين كما علمتم
ومقدام لكم لا يزدهينى أخوض الصراة الحما خوضاً

مغللة يثبتها لطيف وقد برقت بجنيك الكفوف
كأن رءوسهم حدج نقيف خلاف القوم داهية خفيف
وعون الله والأمر الحصيف ودونك جمع أعداء وقوف
بجنب كراش مكوم نريف من الأصحاب داع مستضيف
أخ فى مثل ذلك أو حايف إذا كلج المشافر والأنوف
ينوء كأنه غصن قصيف مسححة لعاندا حفيف
وقبل أخو مداراة عزوف وحرب لا يزال لها صريف
جنان الليل والأنس اللفيف إذا ما الكلب ألجأه الشفيف

قال ابن هشام : تركت قصيدة لأبى أسامة على اللام ، ليس فيها ذكر بدر إلا فى أول بيت منها والثانى ،

كراهية الإكثار .

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة تبكى أباهما يوم بدر :

أعبنى جوداً بدمع مرب على خير خندف لم يهتلب
تداعى له رهطه غدوة بنو هاشم وبنو المطلب

يذيقونه حد أسيا فهم يطولونه بعد ما قد عطب
يجرونه وعفير التراب على وجهه عارياً قد سلب
وكان لنا جبلاً راسياً جميل المرأة كثير العشب
وأما برى فلم أعنه فأوتى من خير ما يختسب

وقالت هند أيضاً :

يريب علينا دهرنا فيسوؤنا ويأبى فما نأتى بشيء يغالبه
أبعد قتيل من لؤى بن غالب يراخ امرؤ إن مات أو مات صاحبه
ألا رب يوم قدرزئت مرزءاً تروح وتغدو بالجزيل مواهبه
فأبلغ أبا سفيان عنى مالكا فإن ألقه يوماً فسوف أعاتبه
فقد كان حرب يسر الجرب لانه لكل امرئ في الناس مولى يطالبه

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند .

قال ابن إسحاق : وقالت هند أيضاً :

لله عينا من رأى هلكا كهلك رجالية
يا رب باك لي غدا في النائبات وبا كيه
كم غادروا يوم القليب غداة تلك الواعية
من كل غيث في السنين إذا الكواكب خاوية
قد كنت أحذر ما أرى فالיום حق حذاره
قد كنت أحذر ما أرى فأنا الغداة مواميه
يا رب قائلة غداً يا ويح أم معاويه

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند .

قال ابن إسحاق : وقالت هند أيضاً :

يا عين بكى عتبه شيخاً شديد الرقة
يطعم يوم المسغبة يدفع يوم المغلبة
لأنى عليه حربه ملهوفة مستلبة
لنهبطن يثر به بغارة مشعبة
فيها الخيول مقربة كل جواد سلبية

وقالت صبيحة بنت مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . تبكى أهل القليب الذين أصيبوا

يوم بدر من قريش :

يا من لعين قذاها عائر الرمد حد النهار وقرن الشمس لم يقد
أخبرت أن سراة الأكرمين معاً قد أحرزتهم منايهم إلى أمد
وفر بالقوم أصحاب الركاب ولم تعطف غداً تزد أم على ولد

قومي صفى ولا تنسى قرابتهم وإن بكيت فما تبكين من بعد
كانوا سقوب سماء البيت فانقصفت فأصبح السمك منها غير ذى عمد

قال ابن هشام : أنشدني بيتها : « كانوا سقوب ، بعض أهل العلم بالشعر .

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت مسافر أيضاً :

ألا يا من لعين للـ سبكي دمعها فان
كغربي دالج يسقى خلال الغيث الدان
وما ليك غريف ذو أظافر وأسنان
أبو شبلين وثاب شديد البطش غرثان
كحي إذ تولى و وجوه القوم ألوان
وبالكف حسام صا رم أبيض ذكران
وأنت الطاعن النجلا منها مزيد آن

قال ابن هشام : ويروون قولها : « وما ليك غريف ، إلى آخرها مفصلاً من البيتين الذين قبله .

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت أئمة بن عباد بن المطلب ترثي عبيد بن الحارث بن المطلب

لقد ضمن الصفراء مجداً وسودداً وحلماً أصيلاً وافر اللب والعقل
عبيدة فابكيه لأضياف غربة وأرملة تهوى لاشعث كالجلجل
وبكيه للأفوام في كل شتوة إذا أحر آفاق السماء من المحل
وبكيه للأيتام والريح زفرة وتشيب قدر طالما أزيدت تغلى
فإن تصبح النيران قد مات ضوءها فقد كان يذكين بالخطب الجزل
لطارق ليل أو للمتمس القرى ومستنبح أضحى لديه على رسل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينسكروها لهند .

قال ابن إسحاق : وقالت قتيلة بنت الحارث أخت النضر بن الحارث ، تبكيه :

يا راكباً إن الأئيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بأن تحية ما إن زال بها النجائب تخفق
مضى إليك وعبرة مسفوحة جادت بواكفها وأخرى تخفق
هل يسمعي النضر إن ناديت أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أحمد يا خير ضنء كريمة في قومها والفعل لخل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المنطق
أو كنت قابل فدية فلينفق بأعز ما يغلو به ما ينطق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة وأحقهم إن كان عتق يعتق
ظلمت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقق
صبراً يقاد إلى المنية متعباً رسف المقيد وهو عان موثق

قال ابن هشام : فيقال ، والله أعلم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر ، قال : لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه .

الفرغ من بدر قال ابن إسحاق : وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر في عقب شهر رمضان أو في شوال .

من قتل من المشركين في بدر

فصل : وذكر فيمن قتل من المشركين يوم بدر العاص بن سعيد بن العاصي ، وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب الحديث الذي أسنده أبو عبيد إلى سعد بن أبي وقاص ، قال : قتلت يوم بدر العاصي بن سعيد وأخذت سيفه ذا السكتيفة ، وذكر الحديث ، قال أبو عبيد : وأهل السير يقولون : قتله على رضى الله عنه . قال المؤلف : وبعض أهل التفسير يقولون : قتله أبو اليسر كعب بن عمرو ، وقال أبو عبد الله الزبير بن أبي بكر القاضي أنساب قريش له : والعاصي قتله على بن أبي طالب يوم بدر كافرأ حدث إبراهيم بن حمزة عن إبراهيم بن سعد عن صالح بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب ، قال : بينما عمر بن الخطاب جالس في المسجد إذ مر به سعيد بن العاصي ، فسلم عليه ، فقال له عمر : إني والله يا ابن أخي ما قتلت أباك يوم بدر ، واسكني قتلت خالي العاصي بن هشام ، وما بي أن أكون أعتذر من قتل مشرك ، قال : فقال له : سعيد بن العاصي : لو قتلتك كنت على الحق ، وكان على الباطل قال : فمجب عمر من قوله ، ولوى كفيه ، وقال : قريش أفضل الناس إسلاماً ، وأعظم الناس أمانة ، ومن يرد بقرش سوءا يكبه الله لفيه ، وقال : قال عمى مصعب بن عبد الله : زعموا أن عمر قال : رأيته يبحث التراب كأنه ثور ، فصددت عنه ، وحمل له على فقتله .

وذكر فيمن قتل من المشركين : السائب بن أبي السائب ، واسم أبي السائب صيفي بن عابد ، وأنكر ابن هشام أن يكون السائب قتل كافرأ قال : وقد أسلم وحسن إسلامه ، وذكر أبو عمر عن ابن الزبير أن السائب قتل كافرأ يوم بدر ، قال : وأحسبه انبع في ذلك قول ابن إسحاق ، قال : وقد نقض الزبير ذلك في موضعين من كتابه بعد ذلك ، فقال : حدثني يحيى بن محمد بن عبد الله بن ثوبان عن جعفر بن عكرمة عن يحيى بن كعب عن أبيه كعب مولى سعيد ابن العاصي ، قال : مر معاوية وهو يطوف بالبيت ، وسمعه جنده ، فزحوا السائب بن صيفي بن عابد ، فسقط ، فوقف عليه معاوية وهو يومئذ خليفة فقال : ارفعوا الشيخ ، فلما قام قال : ما هذا يا معاوية ؟ تصرعوننا حول البيت ؟ ! أما والله لقد أردت أن أتزوج أمك ، فقال معاوية : ليتك فعلت ، فجاءت بمثل أبي السائب ، يعني عبد الله ابن السائب ، وهذا واضح في إدراكه الإسلام ، وفي طول عمره ، وقال في موضع آخر : حدثني أبو حمزة أنس ابن عياض الليثي ، قال : كان جدى أبو السائب شريك النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم الشريك كان أبو السائب ، لا يشارى ولا يمارى ، وهذا كله من الزبير مناقضة فيما ذكر أن السائب بن أبي السائب قتل يوم بدر كافرأ : وقال ابن هشام : السائب ابن أبي السائب الذي جاء فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - نعم الشريك أبو السائب لا يشارى ولا يمارى ، كان قد أسلم فحسن إسلامه فيما بلغنا . قال ابن هشام : وذكر ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن السائب بن أبي السائب بن عابد ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن هاجر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين . قال أبو عمر : هذا أولى ما عول عليه في هذا الباب ، وقد ذكرنا أن الحديث فيمن كان شريك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هؤلاء مضطرب جداً ، منهم من يجعل الشركة : للسائب ، ومنهم من يجعلها لأبي السائب

أبيه ، كما ذكرنا عن الزبير ههنا ، ومنهم من يجعلها لقيس بن السائب ، ومنهم من يجعلها لعبد بن أبي السائب ، وهذا اضطراب لا يثبت به شيء ولا تقوم به حجة والسائب بن أبي السائب من المؤلفة قلوبهم ومن حسن إسلامه . هذا آخر كلام أبي عمر في كتاب الاستيعاب حدثني به أبو بكر بن طاهر الاشبيلي عن أبي علي الغساني ههنا ، كذلك اختلفت الرواية في هذا الكلام : كان خير شريك لا يشارى ولا يمارى ، فمنهم من يجعله من قول النبي صلى الله عليه وسلم في أبي السائب ، ومنهم من يجعله من قول أبي السائب في النبي صلى الله عليه وسلم .

وذكر فيمن شهد بدرآ من الانصار : أوس بن خولى أحد بني الحنظلي ، يقال : كان من السكلة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بينه وبين شجاع بن وهب ، والخنزلي في اللغة هو الذي يقوم على الخيل ، ويخدمها وفي الخبر أن جميلا السكلي ، كان خوليا لمعاوية ، وفي هذا ما يدل على أن الياء في الخيل أصلها الواو

وذكر ابن هشام فيمن قتل من المشركين من لم يذكره ابن إسحاق مالك بن عبيد الله بن عثمان وهر أخو طلحة ابن عبيد الله .

وذكر عمرو بن عبد الله بن جدعان التيمي ، وعبد الله بن جدعان هو الجواد المشهور صاحب الجفنة العظيمة التي كان يأكل منها الراكب على البعير ، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يستظل بظلها : ووقع فيها لإنسان ففرق ومات ، وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب حديثه ، والسبب في غناه بعد أن كان صعلوكا ، وسؤال عائشة عنه النبي صلى الله عليه وسلم : هل ينتفع بجوده أم لا .

وذكر ابن هشام فيهم أيضا حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة ، واسم أبي حذيفة هذا مهشم ، وهو أخو هشام وهاشم ابني المغيرة ، وهشام : والد أبي جهل ، وهاشم جد عمر لأمه ، ومهشم هو : أبو حذيفة ، وأما أبو حذيفة ابن عتبة فاسمه قيس ، ولم يقل ذلك ابن إسحاق ولا ابن هشام ، وإنما قالوا فيه مهشم ، وهو عند أهل النسب غاط ، وإنما مهشم أبو حذيفة بن عتبة .

من أسلم من أسرى المشركين بيد : لم يسم ابن إسحاق ، ولا ابن هشام من أسلم منهم ، والحاجة ماسة بقارىء السيرة إلى معرفة ذلك ، فأولهم وأفضلهم العباس عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا خفاء بإسلامه وفضله ، وقد ذكرنا سبب إسلامه في فصل قبل هذا الفصل ، وأن أبا اليسر كعب بن عمرو هو الذي أمره ، وكان قصيرا ذميا ، وفي مسند الزرار أنه قيل للعباس كيف أمرك أبو اليسر ، ولو أخذته بكفك لو سعتك كفك ، فقال : ما هو إلا أن لقيته ، فظهر في عيني كالخندمة ، والخندمة جبل من جبال مكة .

وعقيل بن أبي طالب من أسلم وحسن إسلامه ، أسلم عام الحديبية ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا يزيد إنني أحبك حين حبنا لقرايتك مني ، وحبنا لما أعلم من حب عمي لياك ، سكن عقيل البصرة ، ومات بالشام في خلافة معاوية . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا في الوضوء بالمد والظهور بالصاع ، وحديثا آخر أيضا : لا تقولوا بالرفاء والبنيين ، وقولوا بآرك الله لك ، وبارك عليك . وكان أسن من جعفر بعشر سنين ، وكان جعفر أسن من علي بعشر سنين ، وكان طالب أسن من عقيل بمثل ذلك .

ومنهم : نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، يقال : أسلم عام الخندق ، وهاجر ، وقيل : بل أسلم حين أمر ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : أفد نفسك ، قال : ليس لي مال أفتدي به ، قال : أفد نفسك بأرماحك

التي بجدة ، قال : والله ما علم أحد أن لي بجدة أرماحا غير الله ، أشهد أنك رسول الله وهو بمن ثبت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين وأعان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند الخروج إليها بثلاثة آلاف رجل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : كأنني أنظر إلى أرماحك هذه تقصف ظهور المشركين . مات بالمدينة سنة خمس عشرة وصلى عليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما -

وممنهم أبو العاصي بن الربيع صهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد ذكرنا خبره مع ما ذكر ابن إسحاق من حديثه ، وذكرنا الاختلاف في اسمه قبل هذا

وممنهم أبو عزيز بن عمير العبدي ، وقد ذكرنا اسمه واسم أمه وإخوته ، في أول خبر بدر . ومنهم السائب ابن أبي حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، وهو الذي قال فيه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ذاك رجل لا أعلم فيه عيباً ، وما أحد إلا وأنا أقدر أن أعيبه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد قيل : إن هذه المقالة قالها عمر في ابنه عبد الله بن السائب ، والسائب هذا هو أخو فاطمة بنت أبي حبيش المستحاضة .

وممنهم خالد بن هشام ، ذكره بعضهم في المؤلفات قلوبهم

وممنهم عبد الله بن السائب ، واسم أبي السائب : صيفي ، وقد تقدم قول عمر فيه ، وفي أبيه ، وعنه أخذ أهل مكة القراءة ، وعليه قرأ مجاهد وغيره من قراء أهل مكة .

وممنهم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وبنو عمر بن مخزوم ثلاثة : عبد العزى ، وعابد ، ومن أهل النسب من ذكر فيهم عثمان بن عمر ، وبنو مخزوم ثلاثة : عمر والد هؤلاء الثلاثة ، وعمران ، وعامر ، هؤلاء فيهم العدد ، ويذكر في بني مخزوم أيضاً عمير وعميرة ولم يعقب عميرة إلا بنتاً اسمها : زينب ، ومن حديث المطلب هذا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر من الرأس ، وفي إسناده ضعف .

ومن ولده الحكم بن عبد المطلب بن عبد الله بن المطلب ، وكان أكرم أهل زمانه ، وأسخاهم ، ثم تزهّد في آخر عمره ، ومات بمنبج ، وفيه يقول الرازي يريثه :

سألواعن الجود والمعروف ما فعلا فقلت لأنهما ماتا مع الحكم
ماتنا مع الرجل الموفى بدمته قبل السؤال إذا لم يوف بالدمم

وذكر الدارقطني عن حميد بن معروف قال : حضرت وفاة الحكم بن عبد المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب ، فأصابته من الموت شدة ، فقال قائل في البيت : اللهم هون عليه الموت ، فقد كان ، وقد كان ، يثني عليه فأفاق الحكم ، فقال : من المتكلم ؟ فقال الرجل : أنا ، فقال الحكم : يقول ، لك ملك الموت أنا بكل سخي رفيق ، ثم كأنما كانت فتيلة فطفئت ، وقد ذكر هذا الخبر الزبير بن أبي بكر أيضاً ، وحين سجن الحكم في ولاية وليها ، قال فيه الشاعر :

خليل إن الجود في السجن فابكيا على الجود إذ سدت عليه مرافقه

في أبيات ، فأعطى قائل هذا الشعر ثلاثة آلاف درهم .

وممنهم : أبو وداعة الحارث بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم أسلم هو وابنه المطلب بن أبي وداعة يوم فتح مكة .

ومنهم الحجاج بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم ، ولم يوافق الواقدي ولا غيره لابن إسحاق على قوله سعيد بن سهم ، وقالوا : إنما هو سعد ، وقد تقدم هذا ، وأحسب ذكر الحجاج في هذا الموضع ، وهما فإنه من مهاجرة الحبشة وقدم المدينة بعد أحد ، فكيف يعد في أسرى المشركين يوم بدر .

ومنهم عبد الله بن أبي بن خلف الجمحي أسلم يوم الفتح ، وقتل يوم الجمل ، ومنهم : وهب بن عمير الجمحي أسلم بعد أن جاء أبو عمير في فدائه فأسلما جميعاً ، وقد ذكر خبر إسلامه ابن إسحاق قبل هذا .

ومنهم سهيل بن عمرو أسلم ومات بالشام شهيداً ، وهو خطيب قریش ، وأخباره مشهورة في السيرة وغيرها .

ومنهم : عبد بن زمعة أخو سودة بنت زمعة أسلم ، وهو الذي خاصمه سعد في ابن وليدة زمعة ، واسم الابن الخاصم فيه : عبد الرحمن ، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : هو لك يا عبد بن زمعة .

ومنهم قيس بن السائب المخزومي ، إلیه كان ولاء مجاهد بن جبير ، القاري ، ويقال : فيه مجاهد بن جبر ، وهو قول ابن إسحاق ، وكان مجاهد يقول في مولاى قيس بن السائب أنزل الله سبحانه : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فأفطر وأطعم عن كل يوم مسكيناً ، وهو الذي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - في الجاهلية شريكى ، فكان خير شريك لا يشارينى ولا يمارينى ، وقيل : إن أباه قال هذه المقالة ، وتقدم الاضطراب في ذلك والاختلاف ، وقوله : يشارينى من شرى الأمر بينهم إذا تفاضوا .

ومنهم نسطاس مولى أمية بن خلف ، يقال : إنه بعد أحد ، وكان يحدث عن انهزام المشركين يومئذ ، ودخول المسلمون عليه في القبة وهروب صفوان بن مخبر عجب لم يذكره ابن إسحاق ، فهذه جملة من أسلم من الأسارى الذين أسروا يوم بدر .

من لم يسلم من الأسارى : وذكر فيمن لم يسلم منهم عبد الله بن حميد بن زهير الاسدى ، والمعروف فيه عبيد الله بن حميد ، كذلك ذكره ابن قتبية ، وأبو عمر ، والكلاباذى أبو نصر ، وهو دولى حاطب بن أبى بلتعة . وما ذكره ابن إسحاق في نسب بلى بن فاران بن عمرو ، فإنه عند أكثر أهل النسب فران بنغير ألف غير أن منهم من يشدد الراء ، وهو ابن دريد ، وقال : هو فعلان من الفرار .

وفاة رقية : فصل : وذكر في السيرة تخلف عثمان على امرأته رقية فضرب له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسهمه وأجره ، كان موتها يوم قدم زيد بن حارثة بشيراً بوقعة بدر ، وهذا هو الصحيح في وفاة رقية ، وقد روى البخارى في التاريخ حديث أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شهد دفن بنته ، وقعد على قبرها ، ودمعت عيناه ، فقال أيكم لم يقارف الليلة ؟ فقال أبو طلحة : أنا ، فأمره أن ينزل في قبرها ، ثم أنكر البخارى هذه الرواية ، وخرجه في كتاب الجامع ، فقال فيه : عن أنس شهدنا دفن بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكر الحديث ، ولم يسم رقية ولا غيرها . ورواه الطبرى ، فقال فيه : عن أنس شهدنا دفن أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبين في هذا الحديث ، وهو كله حديث واحد ، ومن قال : كانت رقية ، فقد وهم بلا شك ، وقال في الحديث : أيكم لم يقارف الليلة ، فقال فليح بن سليمان ، وهو راوى الحديث ، يعنى الذنب هكذا وقع في الجامعة ، وهو خطأ لأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذا ، وإنما أراد أيكم لم يقارف أهله ، وكذا رواه غيره بهذا اللفظ ، قال ابن بطلال : أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يحرم عثمان النزول في قبرها ، وقد كان أحق الناس بذلك ، لأنه كان بعلمها ، وفقد منهم علماً لاعتوض منه ، لأنه حين قال عليه السلام :

أيكم لم يقارف الليلة أهله سكت عثمان ، ولم يقل : أنا ، لأنه كان قد قارف ليلة ماتت بعض نسائه ، ولم يشغله الهم بالمصيبة ، وانقطاع صهره من النبي صلى الله عليه وسلم عن المقارفة ، لحرم بذلك ما كان حقاً له ، وكان أولى به من أبي طلحة وغيره ، وهذا بين في معنى الحديث ، ولعل النبي صلى الله عليه وسلم قد كان علم ذلك بالوحى ، فلم يقل له شيئاً ، لأنه فعل فعلاً حلالاً ، غير أن المصيبة لم تبالغ منه مبلغاً يشغله حتى حرم ما حرم من ذلك بتعريض غير تصريح والله أعلم .

أشعار يوم بدر: وقد منا في آخر حديث الهجرة : أنا لانعرض لشرح شيء من الشعر الذى هجى به المسلمون ، وقال فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركون إلا شعراً أسلم صاحبه ، وتكلمنا هنالك على ما قيل في تلك الأشعار ، وذكرنا قول من طعن على ابن إسحاق بسببها هنالك وبيننا الحق والحمد لله .
الشعر المنسوب إلى حمزة فيه :

وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم

أفادهم : أهلكهم ، يقال : فاد الرجل وفاظ ، وفطس ، وفاز ، وفوز إذا هلك ، ولا يقال : فاض بالضاض ، ولا يقال : فاظت نفسه إلا في لغة بني ضبة بن أد .

وقوله : تواص هو تفاعل من الوصية ، وهو الفاعل بأفادهم .

وفيه يجرجم في الجفر . الجفر كل بئر لم تطو ، ومثلها : الجفرة ، ويجرجم : يجعل بعضه على بعض .

وقال في الشعر الذى يعزى إلى على :

بأيديهم بيض خفاف عصوا بها

يقال عصيت بالسيف وعصوت بالعصا ، فإذا أخبرت عن جماعة قلت عصوا بضم الصاد ، كما يقال عموا ، ومن العصا تقول : عصوا ، كما تقول غزوا .

وقوله : مسلبة ، أى قد لبست السلاب ، وهى خرقة سوداء تلبسها التلكى . قال لبيد :

ولانى ملاعب الرماح ومدة الكتيبة الرдах
يضرين حر أوجه صحاح فى السلب السود وفى الامساح

فالسلب : جمع سلاب .

وفى شعر حسان :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة

يحوز أن يكون أراد بالمنام النوم ، وموضع النوم ، ووقت النوم ، لأن مفعلاً يصلح فى هذا كله فى ذوات الواو ، وقد تسمى العين أيضاً مناماً ، لأنها موضع النوم ، وعليه تقول قوله تعالى : لا ذيريكهم الله فى منامك قليلاً ، أى فى عينك ، ويقويه قوله سبحانه : : ويقللكم فى أعينهم . .

ولا فرق عند النحويين بين مفعول فى هذا الباب وفعل ، نحو مضرب وضرب ومنام ونوم ، وكذلك هما فى

التعددية سواء ، نحو ضرب زيد عمرآ ومضرب زيد عمرآ ، وأما في حاكم البلاغة والعلم بجوهر الكلام ، فلا سواء ، فإن المصدر إذا حددته قلت ضربة ونومة ، ولا يقال : مضربة ولا منامة ، فهذا فرق ، وفرق آخر تقول : ما أنت إلا نوم وإلا سير إذا قصدت التوكيد ، ولا يجوز : ما أنت إلا منام وإلا مسير ، ومن جهة النظر أن الميم لم ترد إلا لمعنى زائد كزوائد الأربع في المضارع ، وعلى ما قالوه ، تكون زائدة لغير معنى .

فإن قلت : فما ذاك المعنى الذى تعطيه الميم ؟

قلنا : الحدث يتضمن زمانا ومكانا وحالا ، فالمنذهب عبارة عن الزمان الذى فيه الذهاب ، وعن المكان أيضا ، فهو يعطى معنى الحدث وشيئا زائداً عليه ، وكذلك إذا أردت الحدث مقروناً بالحالة والهيئة التى يقع عليها ، قال الله سبحانه : « ومن آياته منامكم بالليل والنهار ، فأحال على التفكير في هذه الحالة المستمرة على البشر ، ثم قال في آية أخرى « لا تأخذه سنة ولا نوم » ولم يقل منام لهذا الموطن من تلك الحالة ، وتعريفه من ذلك المعنى الزائد في الآية الأخرى ، ومن لم يعرف جوهر الكلام لم يعرف إعجاز القرآن وفي هذا الشعر :

بنيت على قطن أجمل كانه

قطنها : ثبجها ووسطها . وأجمل أى : لا عظام فيه

وقوله : كانه فضلا على الحال ، أى : كأن قطنها إذا كانت فضلا ، فهو حال من الهاء في : كانه ، وإن كان الفضل من صفة المرأة لا من صفة القطن ، ولكن لما كان القطن بعضها صار كانه حال منها ، ولا يجوز أن يكون حالا من الضمير في قعدت لاستحالة أن يعمل ما بعد إذا فيما قبلها ، والفضل من النساء والرجال : المتوشح في ثوب واحد ، والمداك صلامة الطيب [الحجر الذى يستحق غلية] ، وهو مفعول من دكت أدوك ، إذا دقت ، ومنه الدوكة والدوكة . وقوله : مر الدموك يقال : دمكه دمكاً ، إذا طحنه طحناً سريعاً ، وبكرة دموك ، أى : سريعة المر ، وكذلك أيضاً : رحنى دموك ، والمخصد الحبل المحكم القتل ، والرجام : واحد الرجامين ، وهما الحشبتان اللتان تلقى عليهما البكرة ، والرجام أيضاً : جمع رجمة ، وهى حجارة مجتمعة ، جمع رجم وهو القبر ، ومنه قول أبى الطيب :

تمتع من رقاد أو سهاد ولا تأمل كرى تحت الرجام
فإن لثالك الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

وارقدت : أسرع ، ومصدره : ارقداد ، وكذلك ارمدت ، وافعل في غير الألوان والخلق عزيز ، وأما انقض فليس منه فى شيء ، لأنك تقول فى معناه تقضض البناء ، فالقاف : فاء الفعل ، وكذلك تقضى البازى ، لأنه منه ، وغلط النسوى فى الإيضاح ، فجعل يريد أن ينقض من باب احمر ، وإنما هو من باب انقذ وانجر والنون زائدة ، ووزنه : انفعل ، وكذلك غلط القالى فى النوادر فقال فى قوله : وجريها انثرار أنه افعلال من النثر ، كما قال النسوى فى الانقضاض ، وإنما هو انفعال من عين ثرة أى كثيرة الماء .

ودسنه بجوام يعنى : الحوافر ، وما حول الحوافر ، يقال الحامية ، وجمعه حوام

وقول الحارث بن هشام :

حتى علوا مهرى بأشقر مزبد

يعنى : الدم ، ومزبد ، قد علاه الزبد .

وقوله : والأحبه فيهم : يعنى من قتل أو أسر : من رهطه وإخوته .

وقول حسان : بكتيبة خضراء من بالخزرج :

العرب تجعل الاسود أخضر ، فتقول : ليل أخضر كما قال :

قد اعسف النازح المجهول معسفه في ظل أخضر يدعو هامة البوم

وتسمى الاخضر أسود . إذ اشتدت خضرته ، وفي التنزيل : « مدهامتان » ، قال أهل التأويل : سوداوان من شدة الخضرة .

وقوله : بكل أبيض سلجج ، هو السيف الماضى الذى يقطع الضريبة بسهولة ، ومنه المثل : الاخذ سلجان والقضاء ليان ، أى الاخذ سهل يسوغ فى الحلقي بلا عسر ، كما قالوا : الاخذ سريط والقضاء ضريط فمريط من سرطت الشيء إذا بلعته سهلا ، فسلجج من هذا ، إلا أنهم ضاعفوا الجيم ، كما ضاعفوا الدال من مهدد ، ولم يدغموا إلا أنهم ألحقوه بجمعفر .

وقوله : بالخزرج ، أراد : بنى الخزرج ، حذف النون لأنها من مخرج اللام ، وهم يحذفون اللام فى مثل : علماء وظلت ، كراهية اجتماع اللامين ، وكذلك أحست كراهية التضعيف ، وفى حديث عائشة - رضى الله عنها - تربت يمينك وألت ، أرادت : ألت ، أى طعنت من قولهم : ماله آل وغل ، ويروى : ألت فتسكون التاء علما لثانيتها ، أى ألت يدك ، وعندنا فيه رواية ثالثة فى كتاب مسلم ، وهى تربت يداك وألت بكسر التاء وتشديد اللام وهى على لغة من يقول فى رددت ردت فيدغم مع ضمير الفاعل ، وهى لغة حكاها سيويوه . وذكر شعر كعب وفيه :

لعمري أيبكا يا بنى أوى على زهو لديكم وانتحاء

الانتحاء : افتتاع من النخوة ، ويقال نخى الرجل وانتخى . ومن الزهو : زهى وازدهى ، ولا يكون الامر من مثل هذا إلا باللام ، لأن الفعل فيه لغير المخاطب ، وإذا أمر من ليس بمخاطب ، فإنما يؤمر باللام كقولك : لتزه يا فلان ولتغن بحاجتى ، وكان القياس أيضا أن لا يقال من هذا الفعل : ما أفعله ، ولا هو أفعل من كذا ، كما لا يقال فى المركوب : ما أركبه ، ولا فى المضروب ، ما أضربه ، ولكنه قد جاء فى مثل هذه الافعال : ما أزهاه ، وما أغناه بحاجتى ، وقالوا : هو أشغل من ذات النحين ، وهو أزهى من غراب ، والفعل فى هذا كله زهى وشغل فهو مشغول ومزهو . وقيل فى المجنون ما أحنه حكاه أبو عمر الجرمى . وقال سيويوه : واعلم أن العرب تقدم فى كلامها ما هم به أم ، وهم ببيانها أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ، ويعنيانهم ، فقال أم وأعنى ، وهو من مهمهم وهنام ، فهم به معنيون مثل مضروبون ، فجاز فى هذه الافعال ما ترى ، وسبب جوازه . أن المفعول فيها فاعل فى المعنى ، فالزهو مستكبر وكذا المنخو والمشغول مشتغل وفاعل لشغله ، والمعنى بالامر كذلك ، والمجنون كالأحمق ، فيقال : ما أحنه ، كما يقال : ما أحمقه ، وليس كذلك مضروب ، ومركوب ولا مشتوم ، ولا ممدوح ، فلا يقال فى شيء منه : ما أفعله ، ولا هو أفعل من غيره .

فإن قلت : فكان ينبغى على هذا القياس أيضا أن يؤمر فيه بغير اللام كما يؤمر الفاعل لإذن ، وقد قلتم : إنه فاعل

في المعنى فالجواب : أن الأمر إنما هو بلفظ المستقبل ، وهو تضرب وتخرج ، فإذا أمرت حذف حرف المضارعة ، وبقيت حروف الفعل على بنيتها ، وليس كذلك زهيت فأنت تزهى ، ولا شغلت فأنت تشغل ، لأنك لو حذفته منه حرف المضارعة لبقى لفظ الفعل على بنية ليست للغائب ، ولا لل مخاطب ، لأن بنية الأمر للمخاطب أفعّل ، وبنيتها للغائب ، فليفعّل ، والبنية التي قدرناها لا تصلح لواحد منهما ، لأنك كنت تقول أزهى من زهيت ، وكنت تقول من شغلت أشغل ، فتخرج من باب شغلت فأنت مشغول إلى باب شغلت غيرك ، فأنت شاغل ، فلم يستقم فيه الأمر إلا باللام .

وقوله : وميكال فيأطيب الملاء أراد الملاء ، وليس من باب مد المقصور ، إذ لا يجوز في عصي عصاء ، ولا في رحى : رحاء في الشعر ، ولا في الكلام ، وإن كانوا قد أشبعوا الحركات في الضرورة ، فقالوا في الكلكل الكلكال ، وفي الصيارف : الصياريف ، واسكن مد المقصور أبعد من هذا ، لأن زيادة الألف تغير واحد ، ومد المقصور تغييران ، زيادة ألف وهمز ما ليس بمهموز غير أنه قد جاء في شعر طرفة :

وكشحان لم ينقص طواءهما الجبل

لكنه حسنه قليلا في بيت طرفة في أنه لم يرد الطوى الذي هو مصدر ، طوى يطوى : إذا جاع ، وخوى بطنه وإنما أراد : رقة الخصر ، وذلك جمال في المرأة ، وكال في الحلقة ، فجاء باللفظ عل وزن جمال وكال ، وظهر في لفظه ما كان في نفسه ، والعرب تنحو بالكلمة إلى وزن ما هو في معناها ، وقد مضى منه كثير وسيرد عليه ما هو أكثر .

وأما الملاء والخطأ والرشأ والقرأ وما كاه من هذا الباب ، فإن همزته تقلب ألفا في الوقف بإجماع نعم ، وفي الوصل في بعض اللغات ، فيكون الألف عوضا عن الهمزة ، وقد يجمعون بين العوض والمعوض منه ، كما قالوا هراق الماء ، وإنما كانت الهاء بدلا من الهمزة ، فجمعوا بينهما ، وقالوا في النسب إلى فم فوى ، وقالوا في النسب إلى اليمن يمنى ، ثم قالوا : يمان ، فموضوا الألف من إحدى اليامين ، ثم قالوا يمانى بالتشديد فجمعوا بين العوض والمعوض منه ، فيأطيب الملاء من هذا الباب ، وكذلك قولهم الخطأ في الخطأ . قال الشاعر :

فكلهم مستقبح لصواب من يخالفه مستحسن لخطائه

وقد قال ورقة : إلا ما غفرت خطايا فإن قيل : فقد أنشد أبو علي في مد المقصور :

يا لك من تمر ومن شيشاء ينشب في المسهل واللهاء

أراد : جمع لهاء . قلنا : يحتمل أن يكون كلاماً مولداً ، وإن كان عربياً ، ففعل الرواية فيه : اللهاء بكسر اللام ، فيكون من باب أكمة وإكام ، وقد ذكرها أبو عبيد في الغريب المصنف بالكسر والفتح . وذكر شعر أبي أسامة بن زهير الجشمي وفيه : وقد زالت نعماتهم لنفر .

العرب تضرب زوال النعمة مثلاً للفرار ، وتقول : شالت نعمة القوم إذا فروا وهلكوا . قال الشاعر :

يا ليت ما أمنا شالت نعماتها إما إلى جنة إما إلى نار

وقال أمية :

أشرب هذينا فقد شالت نعماتهم

والنعامة في اللغة : باطن القدم ، ومن مات فقد شالت رجله ، أى : ارتفعت ، وظهرت نعماته ، والنعامة

أيضاً الظلمة ، وابن النعامة عرق في باطن القدم ، فيجوز أن يكون قوله زالت نعماتهم ، كما يقال : زال سواده ، وضحا ظله إذا مات ، وجاز أن يكون ضرب النعامة مثلاً ، وهو الظاهر في بيت أبي أسامة ، لأنه قال : زالت نعماتهم لنفر ، والعرب تقول أشرد من نعامة ، وأنفر من نعامة قال الشاعر :

هم تركوك أسلح من حبارى رأت صقراً وأشرد من نعام

وقال آخر : وكنت نعماً عند ذاك منفراً

فإذا قلت : زالت نعماته ، فعناه : نفرت نفسه التي هي كالنعامة في شرودها وقوله :

وأن تركت سراة القوم صرعى

سراة كل شيء : ما علا منه ، وسراة الفرس : ظهره لأنه أعلاه . قال الشاعر يصف حمراً :

بسرائه ندب لها وكوم

وقولهم : سراة القوم ، كما تقول : كاهل القوم ؛ وذروة القوم ، قال معاوية : إن مضر كاهل العرب ، وتميم كاهل مضر ، وبنو سعد كاهل تميم . وقال بعض خطباء بني تميم : لنا العز الأفعس ، والعدد الهبضل ، ونحن في الجاهلية القدم ، ونحن الذروة والسنام ؛ وهذا معنى صحيح بين ، فليس لأحد أن يقول في الذروة ، ولا في السنام ، ولا في الكاهل إنه جمع أى من أبنية الجمع ، ولا اسم للجمع ، فكذلك ينبغي أن لا يقال في سراة القوم ، إنه جمع سرى ، لا على القياس ، ولا على غير القياس ، كما لا يقال ذلك في كاهل القوم ، وسنام القوم ، والعجب كيف خفي هذا على النحويين ، حتى قلد الخائف منهم السالف ، فقال : سراة جمع سرى ، ويا سبحان الله ! كيف يكون جمعاً له ، وهم يقولون في جمع سراة سروات ، مثل قطاة وقطوات ، يقال : هؤلاء من سروات الناس ، كما تقول : من رموس الناس ، قال قيس بن الخطيم :

وعمرة من سروات النساء . تنفخ بالمسك أردانها

ولو كان السراة جمعاً ما جمع لأنه على وزن فعلة ، ومثل هذا البناء في الجوع لا يجمع ، وإنما سرى فعيل من السرو ، وهو الشرف ، فإن جمع على لفظه ، قيل سرى وأسرياء ، مثل غنى وأغنياء ، ولكنه قليل وجوده وقلة وجوده لا يدفع القياس فيه ، وقد حكاه سيبويه .

وقوله : أذباح عتر : جمع ذبح ، وعتر بكسر العين : الصنم الذي كان يعتزله في الجاهلية ، أى : تذبح له العتائر ، جمع : عتيرة ، وهى الرجبية ، وقد ذكرنا في نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - أول من سن العتيرة ، وأنه بور ابن صحورا ، وأن أباه سن رجبا للعرب ، فكان يقال له : سعد رجب ، ولو قال : أذباح عتر بفتح العين لجاز لأنه مصدر .

وقوله : وكانت جمّة . الجمّة : السواد ، والجمّة : الفرقة ، فإن كان أراد بالجمّة سواد القوم وكثرتهم ، فله وجه ، وإن كان أراد الفرقة منهم ، فهو أوجه ، وقد ذكره صاحب العين .

وقوله : غيطان بحر : فيضانه .

وقوله : أبين نسبتي نقرأ بنقر . النقر : الطعن في النسب وغيره ، يقول : إن طعنتم في نسبي ، وعبتموه يئنت الحق ونقرت في أنسابكم ، أى عبثها ؛ وجازيت على النقر بالنقر ، وقالت جارية من العرب : مروا بي على بني

نظري يعنى الفتيان الذين ينظرون إلى ولا تمرؤا بى على بنات نقرى ، يعنى النساء اللواتى ينقرن أى : يعبن .
وقوله : دعيت إلى أفيد ، تصغير وفد ، وهم المتقدمون من كل شئ من ناس أو خيل أو لابل ، وهو اسم للجمع مثل : ركب ، ولذلك جاز تصغيره ، وقيل : أفيد : اسم موضع .
وقوله : على مضاف . المضاف : الخائف المضطر .

وقوله : فدونسكم بنى لآى أخاكم

هذا شاهد لما ذكرناه فى نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - واشتقاق تلك الأسماء ، وقد فى لؤى : إنه تصغير لآى ، واختارنا هذا القول على قول ابن الأنبارى وقطرب ، وحكىنا قوله ، وشاهده ، وإنما أراد ههنا بنى لآى بنى لؤى ، فجاء به مكبراً على ما قلناه .

وقوله : موقفة القوائم أم أجر

يعنى الضبيع ، وموقفة من الوقف ، وهو الخلخال ، لأن فى قوائمها سواداً . قال الشاعر :

وخائف لحم شاكا براشته كأنه قاطم وقفين من عاج

وأم أجر : جمع جر ، وكما تقول : دلو وأدل ، وهذا كقول الهذلى :

وغودر ثاوبيا وثاوبته موقفة أميم لها قليل

والفليل : عرفها ، وكقول الآخر :

يا لطف من عرفاء ذات فليلة جاءت إلى على ثلاث تخمخ

وتظل تشططنى وتلحم أجرياً وسط العرين ، وليس حى يدفع

لو كان سيفى باليمن دافعتها عنى ولم أركل وجنبى الأضبع

فوصفها أنها تخمخ ، كما قال ابن المهلب : الضبعة العرجاء ، ولحن فى قوله : الضبعة . وقال آخر :

فلومات منهم من جرحنا لأصبحت ضباع بأكتاف الشريف عرائسا

وذلك أن الضبع يقبل القتل على قتلاه فيما ذكر ، وتستعمل كمرته ، لأنها أشيق البهائم ، ولذلك يقال لها حين تصطاد : أبشرى أم عامر بجراد عضال وكر رجال ، يخذعونها بذلك ، وهى تسكنى أم عامر ، وأم عمرو ، وأم الهنبر ، وأم خنور وأم خنور [بتشديد الميم وسكونها] وما وتسمى : حضاجر وجمار وقثام وجيال وعيشوم ، وقثام أيضاً اسم للغنيمة الكثيرة يقال أصاب القوم قثاماً ، قاله الزبير ، وحيشل وعيشوم ، وأما الذكر منها فعيلا وعشيان وذبيخ .

وقوله فى وصف الأسد فى الغيل : بجر ، أى : ذو أجراء ، والاباءة : الالجة التى هو فيها ، وكذلك الغيل والخدر والعرين والمريسة .

وقوله أحمى الاباءة ، أى : حماها ، وأحمى لغة فى حمى لكنها ضعيفة ، ولعله أراد : أحمى الاباءة ، أى جعلها كالنار الحامية ، يقال : أحميت الحديد فى النار ؛ يعنى : إن أباءته قد حميت به فلا تقرب .

وقوله : من كلاف ، لعله أراد من شدة كلف بما يحميه ، فجاء به على وزن : فعال ، لأن الكلف إذا اشتد : كاهيام والعطاش ، وفى معنى الشعار ، ولعل كلافاً اسم موضع ، وقال أبو حنيفة : الكلاف : اسم شجر والله أعلم .

وقوله بخل ، هو الطريق في الرمل . والهجهجة من قولك : هجمجت بالذئب إذ زجرته . قال الشاعر :

لم ينجه منها صياح الهجيج

وقوله : بقرقة وهدر . القرقة صوت شديد منقطع ، وجاء في صفة عامر الحداء أنه كان قراقرى للصوت ، فلما كبر وضعف صوته ، قال :

أصبح صوت عامر صيّا أبكم لا يكلم المطايا

وهو عامر بن ربيعة الحداء التغلبي ، وإليه ينسب بنو الحداء ، وذكر أهل اللغة أن الكشيش أول رغاء الهل ، ثم الكتيث : ثم الهدر ، ثم القرقة ، ثم الزغد ، ويقال زغد يزغد ثم القلاخ إذا جعل كأنه يتقلع .

وقوله : وأكفف بجناء ، يعني : الترس ، وهو من أجنات الشيء إذا جنينته فهو بجنأ ، ويعني بصفراء البراية : القوس ، وبرائتها : ما برى منها ، وجعلها صفراء لجدهتها وقوتها . وقوله : وأبيض كالغدير : أراد السيف ، وعمر امم صانع والمداموس : جمع مدوس ، وهي الآلة التي يدوس بها الحداد ، والصيقل ما يصنعه ، ووصفه ، ووصفه لإياها بالمغر ، المغر : جمع أمغر ، وهو الأحمر ، والحادر : الداخل في الحدر ومسبط : غير منقبض .

وقوله : يقول لي الفتى سعد هديا . الهدى : ما يهدى إلى البيت ، والهدى أيضاً العروس تهدي إلى زوجها ، ونصب هديا هنا على إضمار فعل ، كأنه أراد اهد هديا .

وقوله في الشعر الفاوى : كأن رءوسهم حدج نقيف . الحدج : جمع حدجة ، وهي الخنظلة ، والنقيف : المنقوف ، كما قال امرؤ القيس :

كأنى غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقد حنظل

وهو المستخرج حب الحنظل .

وقوله داهية خصيف ، أى : متراكمة من خصفت النعل أو من خصفت الليف ، إذا نسجته ، وقد يقال كتيبة خصيف ، أى : منسوجة ، بعضها ، ببعض ، متكاثفة ، وفي كتاب سيديويه : كتيبة خصيف أى : سوداء .

وقوله : ومنقلبى من الأبواء ، هو : الموضع الذي فيه قبر آمنة أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسمى الأبواء ، لأن السيول تتبوأه ، وفي الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زار قبر أمه بالأبواء في ألف مقنع فبكى وأبكى ، ووجدت على البيت المتقدم الذى فيه . حدج نقيف في حاشية الشيخ ، قال أبو حنيفة الحنظل : من الأعلاث وهو ينبت شرياً ، كما ينبت شرى القثاء ، والشرى : شجره ، ثم يخرج فيه زهر ، ثم يخرج في الزهر جراء مثل جراء البطيخ ، فإذا ضخم وسم حبه سموه الحدج واحده حدجة ، فإذا وقعت فيه الصفرة سموه : الخطيان ، وزاد أبو حنيفة أن الخنظلة إذا اسودت بعد الخضرة ، فهي قهقرة ، وذكر في القثاء الحدج والجراء كما ذكر في الحنظل ، وكذلك الشربة اسم لشجرتيها ، وفي القثاء قبل أن يكون بطيخاً القح ، وقبل القح يكون خضفاً ، وأصغر من ذلك القشعر والشعور والشعور : ونقيف معناه : مكسور ، لأنه يقال نفقت رأسه عن دماغه ، أى كسرتة .

وقوله : أخوض الصرة الحما . الصرة : الجماعة ، والصرة : الصياح ، والصرة : شدة البرد ، وإياها هنى ، لأنه ذكر الشفيف في آخر البيت ، وهو برد وريح ، ويقال له : الشفان أيضاً ، أنشد ابن الأنباري :

غزوة بنى سليم بالكدر

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لم يبق بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه ، يريد بنى سليم

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عرفة الغفاري ، أو ابن أم مكتوم .

قل للشمال التي هبت مرعزة تدرى مع الليل شفاناً بصراد
أقرى السلام على نجد وساكنه وحاضر باللوى إن كان أو باد
سلام مقرب ففقدار منزله إن أنجد الناس لم يهجم بإنجاد

وفي شعر هند : جميل المرأة ، أرادت : امرأة العين ، فنقلت حركة الهمزة إلى الساكن ، فذهبت الهمزة ، وإنما تذهب الهمزة إذا نقلت حركتها ، لأنها تبقى في تقدير ألف ساكنة ، والساكن الذي قبلها باق على حكم السكون لأن الحركة المنقولة إليه عارضة ، فكانه قد اجتمع ساكنان ، فحذفت الألف لذلك ، هذا معنى كلام ابن جني .

وقول هند : فأما برى فلم أعنه ، فهو تصغير البراء اسم رجل ، وقولها :

قد كنت أحذر ما أرى فأنا الغداة موامية

قوله : موامية ، أى : ذليلة ، وهو مؤامية بهمزة ، ولكنها سهلت ، فصارت واواً ، وهى من لفظ الأمة ، تقول : تأميت أمة : أى اتخذتها ، ويجوز أن يكون مقولاً من المواءمة ، وهى الموافقة ، فيكون الأصل موائمة ، ثم قلب فصار موامية على وزن مفاعلة ، تريد أنها قد ذلت ، فلاتأبى ، بل توافى العدو على كره ، ومنه اشتقاق التوأم لأن وزنه فوعل مثل التولج والتناء فيهما جميعاً بدل من : واو ، قاله صاحب العين .

وقولها ملهوفة مستلبة . الأجود فى مستلبة أن يكون بكسر اللام من السلاب وهى الخرقعة السوداء التى تخمر بها للإكلى ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لاسماء بنت عميس حين مات عنها جعفر : تسابى ثلاثاً ، ثم اصنعى ماشئت ، وهو حديث منسوخ بالإحداد ، وسأول ، ذكره الطبري .

وذكر ابن هشام شعر قتيلة بنت الحارث ترى أخاها النضر بن الحارث ، والصحيح أنها بنت النضر لا أخته كذلك قال الزبير وغيره ، وكذلك وقع فى كتاب الدلائل ، وقتيلة هذه كانت تحت الحارث بن أبي أمية الأصغر ، فهى جدة الثريا بنت عبد الله بن الحارث التى يقول فيها عمر بن أبي ربيعة حين خطبها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف :

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمان

وربط الثريا هذه يقال لهم : العبلات ، لأن أمهم عبلة بنت عبيد بن جاذب .
فى شعر قتيلة :

أحمد ها أنت ضئى نخبة

قال قاسم : أرادت يا محمداه على الندبة . قال : والضئى الولد ، والضئى الأصل ، يقال ضئت المرأة واضئنت ضئت تضنو وإذا ولدت .

قال ابن إسحاق : فبلغ ماء من مياههم ، يقال له السكدر ، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وأفدى في إقامته تلك جل الأسارى من قريش .

غزوة السويق

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المظلي ، قال : ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق في ذي الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة ، فكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، ويزيد بن رومان ومن لا أنهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الانصار ، حين رجع إلى مكة ، ورجع فل قريش من بدر ، نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج في مئتي راكب من قريش ، ليبر يمينه ، فسلمك النجدية ، حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له : ثيب ، من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل ، حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأتى حيي بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له بابه وخافه ، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم ، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك ، وصاحب كزهم ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، فقراه وسقاه ، وبطن له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة ، فأتوا ناحية منها ، يقال لها : العريض . فحرقوا في أصوار من يخل بها ، ووجدوا بها رجالاً من الانصار وحليفاً له في حرث لها ، فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونذر بهم الناس . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، واستعمل على المدينة بشير ابن عبد المنذر ، وهو أبو لبابة ، فيما قال ابن هشام ، حتى بلغ قرقرة السكدر ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها في الحرث يتخفون منها للنجاء ، فقال المسلمون : حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أتعلم لنا أن تكون غزوة؟ قال : نعم . قال ابن هشام : وإنما سُميت غزوة السويق ، فيما حدثني أبو عبيدة : أن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق ، فهجم المسلمون على سويق كثير ، فسميت غزوة السويق .

قال ابن إسحاق : وقال أبو سفيان بن حرب عند منصرفه ، لما صنع به سلام بن مشكم :

ولاني تخيرت المدينة واحداً	لحلف فلم أندم ولم أتولم
سقاني فرواني كيتاً مدامة	على عجل مني سلام بن مشكم
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن	لافرحة : أبشر بعز ومغنم
تأمل فإن القوم سر ولأنهم	صريح لأوى لا شاطئ جرم
وما كان إلا بعض ليلة راكب	أنى ساعياً من غير خلة معدوم

غزوة ذي امر

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً ، يريد غطفان ، وهي غزوه ذي امر واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً فلبث بها شهر ربيع الأول كله ، أو إلا قليلاً منه .

غزوة الفرع من بحران

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد قريشاً ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام . قال ابن إسحاق : حتى بلغ بحران ، معدنا بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

امر بن قينقاع

قال : وقد كان فيما بين ذلك ، من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بن قينقاع ، وكان من حديث بني قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بني قينقاع ، ثم قال : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة ، وأسلوا ، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل . تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم ، قالوا : يا محمد ، إنك ترى أنا قومك لا يفرئك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلن أنا نحن الناس .

قال ابن إسحاق : لحدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير ، أو عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . » قد كان لكم آية في فئتين التقتا ، : أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقريش ، ففئة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

قال ابن هشام : وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخزومة ، عن أبي عون ، قال : كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها ، فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها ، فصاحت . فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فهاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول ، حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالى ، وكانوا حلفاء الخزرج ، قال : فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد أحسن في موالى ، قال : فأعرض عنه ، فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وكان يقال لها : ذات الفضول .

قال ابن إسحاق : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلني ، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجه ظلالاً ، ثم قال : ويحك ! أرسلني ، قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالى ، أربع مائة حاصر

وثلاث مائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدكم في غداة واحدة ، إني والله امرؤ أخشى الدوائر ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في محاصرته إياهم بشير بن عبد المنذر ، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول ، وقام دونهم . قال : ومضى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد بني عوف ، لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي ، فخلعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وتبرأ إلى الله عز وجل ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم ؛ وقال : يا رسول الله ، أتولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ولايتهم . قال : فضيه وفي عبد الله بن أبي نزلت هذه القصة من المائدة : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض ، أي لعبد الله بن أبي وقوله : إني أخشى الدوائر ، يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فصى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ، فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ، ثم القصة إلى قوله تعالى : ولما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، للذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . وذكر لتولى عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا ، وتبرئه من بنى قينقاع وحلفهم ولايتهم : من يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

قال ابن إسحاق : وسرية زيد بن حارثة التي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، حين أصاب غير قريش ، وفيها أبو سفيان بن حرب ، على القردة ماء من مياه نجد . وكان من حديثها : أن قريشاً خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام . حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضة كثيرة ، وهي عظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل ، يقال له : فرات ابن حيان يدلهم في ذلك على الطريق .

قال ابن هشام : فرات بن حيان ، من بني عجل ، حليف لبني سهم .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلقبهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال حسان بن ثابت بعد أحد في غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشاً لاخذهم تلك الطريق :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها	جلاد كأفواه المخاض الأوارك
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم	وأناضله حقا وأيدي الملائك
إذا سلكت للفر من بطن عالج	فقلوا لها ليس الطريق هنالك

قال ابن هشام: وهذه الآيات لحسان بن ثابت، نقضها عليه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وسند كرها ونيقضتها إن شاء الله في موضعها .

مقتل كعب بن الأشرف

قال ابن إسحاق وكان من حديث كعب بن الأشرف: أنه لما أصيب أصحاب بدر، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بشيرين، بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه، وقتل من قتل من المشركين، كما حدثني عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الظفري، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعاصم بن عمر بن قتادة، وصالح بن أبي أمامة بن سهل، كل قد حدثني بعض حديثه، قالوا: قال كعب بن الأشرف، وكان رجلاً من طيء، ثم أحد بني نهبان، وكانت أمه من بني النضير، حين بلغه الخبر: أحق هذه؟ أنزول محمدًا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان - يعني زيداً وعبد الله بن رواحة - هؤلاء أشرف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها .

فلما تبين عدو الله الخبر، خرج حتى قدم مكة، فنزل على عبد المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي، وعنده عائكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فأزله وأكرمه، وجعل يحرص على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينشد الأشعار، ويهكي أصحاب القليب من قريش، الذين أضيوا ببدر، فقال:

طلحت رحي بدر لمهلك أهله	ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم	لا تبعدوا إن الملوكة تصرع
كم قد أصيب به من أبيض ماجد	ذى بهجة يأوى إليه الغنيع
طلق اليمين إذا الكوكب أخلفت	حمل أثمان يسود ويربع
ويقول أقوام أسر بسخطهم	إن ابن الأشرف ظل كعبا يجزع
صدقوا فليت الأرض ساعة قتلتوا	ظلت تسوخ بأهلها وتصدع
صار الذي أثر الحديث بطعنه	أو عاش أعمى مرعشاً لا يسمع
نبئت أن بني المغيرة كلهم	خشعو القتل أبي الحكيم وجدعوا
وابننا ربيعة عنده ومنبه	مانال مثل المهاكين وتبع
نبئت أن الحارث بن هشامهم	في الناس يبنى الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجنوع ولأنا	يحمي على الحسب الكريم الأروع

قال ابن هشام: قوله «تبع»، «وأسر بسخطهم». عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري، فقال:

أبكي لكعب ثم عل بعبرة	منه وعاش مجدداً لا يسمع
ولقد رأيت بطن بدر منهم	قتلى تسح لها العيون وتدمع
فأبكي فقد أبكيت عبداً راضعاً	شبه الكليب إلى الكلبية يتبع

ولقد شفى الرحمن منا سيداً وأهان قوماً قاتلوه وصرعوا
ونجا وأفلت منهم من قلبه شغف يظل لخوفه يتصدع

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وقوله « أبكى لكعب » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقالت امرأة من المسلمين من بنى مرید ، بطن من بلى كانوا حلفاء فى بنى أمية بن زيد ، يقال لهم : الجعادرة ، تجيب كعباً - قال ابن إسحاق : اسمها ميمونة بنت عبد الله ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الآيات لها ، وينكر نقيضتها لكعب بن الأشرف :

تحن هذه العبد كل تحن يبكى على قتلى وليس بناصر
بكت عين من يبكى لبدر وأهله وعلت بمثلها أوى بن غالب
فليت الذين ضرجوا بدمائهم يرى ما بهم من كان بين الأخشاب
فيعلم حقاً عن يقين ويبصروا مجرم فوق اللحي والحواجب

فأجابها كعب بن الأشرف ، فقال :

ألا فازجروا منكم سفيهاً لتسلوا عن القول بأنى منه غير مقارب
أتشتمنى أن كنت أبكى بعبرة لقوم أتانى ودم غير كاذب
فإنى لبك ما بقيت وذاكر مآثر قوم مجدهم بالجباب
لعمري لقد كانت مرید بمنزل عن الشر فاحتالت وجوه الثعالب
فحق مرید أن تجد أنوفهم بشتهم حي أوى بن غالب
وهبت نصيبى من مرید لجعدر وفاء وبيت الله بين الأخشاب

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة من لى بابن الأشرف ؟ فقال له محمد بن مسلمة ، أخو بنى عبد الأشهل : انا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ؛ قال : فافعل إن قدرت على ذلك . فرجع محمد بن مسلمة فكف ثلاثاً لاياً كل ولا يشرب إلا ما يعلق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه ، فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال يا رسول الله ، قلت لك قولاً لا أدري هل أفين لك به أم لا ؟ فقال : لانما عليك الجهد ؛ فقال : يا رسول الله ، إنه لا بد لنا من أن نقول ، قال : قولوا ما بدا لكم ، فأنتم فى حل من ذلك . فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة ، وسليمان بن سلام بن وقش ، وهو أبو نائلة ، أحد بنى عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاة ، وعباد بن بشر بن وقش ، أحد بنى عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ، أحد بنى عبد الأشهل ، وأبو عبس بن جبر ، أحد بنى حارثة ، ثم قدموا إلى عدو الله كعب بن الأشرف ، قبل أن يأتوه ، سلكان بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه ، فتحدث معه ساعة ، وتناشدا شعراً ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ، ثم قال : ويحك يا ابن الأشرف ! إنى قد جئت لك حاجة أريد ذكرها لك ، فأكرم عنى ، قال : أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا به العرب ، ورمتنا عن قوس واحد ، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال ، وجهدت الأنفس ، وأصبحنا قد جمدنا وجهد عيالنا ، فقال كعب : أنا بن الأشرف ، أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول ، فقال له سلكان : إنى قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونزهنك ونوثق لك ،

ونحس في ذلك ، فقال : أترهنوني أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحننا ، إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم ، فتبيعهم وتحسن في ذلك ، وزهنك من الحلقة مافيه وفاء ، وأراد سلك أن لا ينسرك السلاح إذا جاءوا بها ، قال : إن في الحلقة وفاء ، قال : فرجع سلك إلى أصحابه فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : ويقال : أترهنوني نساءكم قال : كيف زهنك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعطوهم ، قال : أترهنوني أبناءكم ؟ .

قال ابن إسحاق : حدثني ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم ، فقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، وهو في ليلة مقمرة وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بعرس ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة ، قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدني نائماً لما أيقظني ، فقالت : والله إنني لأعرف في صوته الشر ، قال يقول لها كعب : لو يدعي الفتى لطعنة لأجاب . فزول فتحدث معهم ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قال : هل لك يا ابن الأشرف أن تنبأني إلى شعب العجوز ، فتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يتأشون ، فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ، ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثما حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثما ، فأخذ بفود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله ، فضربوه ، فاختلفت عليه أسيافهم ، فلم تنف شيئاً .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولا في سيفي ، حين رأيت أسيافنا لا تنف شيئاً ، فأخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا وقد أوقدت عليه نار ، قال : فوضعت في ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ ، فخرج في رأسه أو في رجله ، أصابه بعض أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بعث حتى أسندنا في حرة العريض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ، وزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أنانا يتبع آثارنا . قال : فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل ، وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدو الله وتفل على جرح صاحبنا ، فرجع ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه .

قال ابن إسحاق : فقال كعب بن مالك :

فغودر منهم كعب صريعاً	فذللت بعد مصرعه النضير
على الكافرين ثم وقد علته	بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلاً	إلى كعب أخا كعب يسير
فاكره فأزله بمكر	ومحمود أخو ثقة جسور

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير ، سأذكرها إن شاء الله في حديث ذلك اليوم .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبي الحقيق .

لله در عصابة لاقيتهم يا بن الحقيق وأنت يا بن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم مرحاً كاسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم فسقوكم حتفاً ببيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم مستنصرين لكل أمر مجحف

قال ابن هشام : وسأذكر قتل سلام بن أبي الحقيق في موضعه إن شاء الله .

وقوله : « ذفف » عن غير ابن إسحاق .

غزوة قرقرة الكدر

القرقرة : أرض ملساء ، والكدر : طير في ألوانها كدر ، عرف بها ذلك الموضع ، وقد كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يذكر مسيره مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تلك الغزوة ، فقال لعمران بن سودة حين قال له : إن رعبتك تشكو منك عنف السياق ، وقهر الرعية فدقر على الدرة ، وجعل يمسح سيورها ، ثم قال : قد كنت زميل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرقرة الكدر ، فكنت أرتع فأشبع وأسقي فأروى ، وأكث الزجر ، وأقل الضرب ، وأرد العنود ، وأزجر العروض ، وأضم اللقوت ، وأشهر العصا ، وأضرب باليد ، ولولا ذلك لا غدرت أي : لضيعت فتركت ، يذكر حسن سياسته ، فيما ولي من ذلك . والعنود : الخارج عن الطريق ، والعروض المستصعب من الناس والدواب .

وذكر أن أبا سفيان كان نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة ، حتى يغزو محمداً . في هذا الحديث أن الغسل من الجنابة كان معمولاً به في الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل ، كما بقي فيهم الحج والنسكاح ، ولذلك سموها جنابة ، وقالوا : رجل جنب وقوم جنب ، لمجانبتهم في تلك الحال البيت الحرام ، ومواضع قربانهم ، ولذلك عرف معنى هذه الكلمة في القرآن أعنى قوله « وإن كنتم جنباً فاطهروا » فكان الحدث الأكبر معروفاً بهذا الاسم ، فلم يحتاجوا إلى تفسيره ، وأما الحدث الأصغر ، وهو الموجب للوضوء ، فلم يكن معروفاً قبل الإسلام ، فلذلك لم يقل فيه : وإن كنتم محدثين ، فتوضئوا كما قال : « وإن كنتم جنباً فاطهروا » بل قال « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق » فبين الوضوء وأعضائه وكيفيته : والسبب الموجب له كالقيام من النوم والمجيء من الغائط ، وملامسة النساء ، ولم يحتج في أمر الجنابة إلى بيان أكثر من وجوب الطهارة ، منها : الصلاة .

وقوله : أصوار نخل ، هي : جمع صور . والصور : نخل مجتمعة .

سلام بن هشكم : وذكر سلام بن مشكم ، ويقال فيه سلام ، ويقال : إنه ولد شعشاء التي يقول فيها حسان :

لشعشاء التي قد تيمته فليس لعقله منها شفاء

وقول أبي سفيان : شمايط جرم . الشمايط : الخيل المتفرقة ، ويقال للأخلاق من الناس أيضاً شمايط ، وأصله من الشميط ، وهو اختلاط الظلام بالوضوء ، ومنه الشمط في الرأس .

وقوله : ولم أكن لأفرحه ، والمفرح : الذي قد أثقله الدين ، وقد تقدم شرحه .

وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى بجران معدنا بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام به شهر ربيع

الآخر . وجمادى الاولى . الفرع بضمين ، يقال : هى أول قرية مارت لإسماعيل وأمه التمر بمكة ، وهى من ناحية المدينة ، وفيها عينان يقال لهما الربض والنخيف يستميان عشرين ألف نخلة كانت لحزة بن عبد الله بن الزبير . وتفسير الربض : منابت الأراك في الرمل . والفرع بفتحين موضع بين الكوفة والبصرة . قال سويد بن أبي كاهل :

حل أهلى حيث لا أطلبها جانب الحضر وحلت بالفرع

ثم رجع إلى المدينة . وقول ابن إسحاق : أقام شهر ربيع وجمادى لأن الربيع مشترك بين اسم الشهر ، وزمن الربيع ، فكان في لفظ الشهر بيان لما أراد ، وجمادى اسم علم ليس فيه اشتراك ، وقد قدمنا قول سيدييه ، وما لا يكون العمل إلا فيه كله المحرم وصفر يعنى هذه الأسماء كلها ، وكذلك أسماء الأيام ، لا تقول : سرت الخيس ولا مشيت الأربعاء إلا والعمل فيه كله حتى تقول يوم الأربعاء ، أو يوم كذا ، وفي الشهور شهر كذا ، فحينئذ يكون ظرفا لا يدل على وقوع العمل فيه كله .

خبر بنى قينقاع

وقد تقدم منه طرف قبل غزوة بدر .

وفيه أن عبد الله بن أبي قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أحسن في موالى وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم - غضب حتى رأوا لوجه ظللا ، هكذا في نسخة الشيخ مصححا عليه ، وفي غيرها ظللا جمع ظلة ، وقد تجمع فعلة على فعال نحو برمة وبرام وجفرة وجفار فعنى الروايتين إذن واحد ، والظلة ما حجب عنك ضوء الشمس وصحو السماء ، وكان وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مشرقا بساما ، فإذا غضب تلون ألوانا فكانت تلك الألوان حائلة دون الإشراق والطلاقة والضياء المنتشر عند تبسمه ، وقد روى أنه كان يسطع على الجدار نور من ثغره إذا تبسم ، أو قال : تكلم ، ينظر في الشائل للترمذى

وذكر فيه الآية التي نزلت فيهم : « قد كان لكم آية في فتنين » الفتن على وزن فعة من فأوت رأسه بالعصا إذا شققته ، أو من العاو ، وهى جبال مجتمعة ، وبينهما فسحة من الأرض ، فحقيقة الفتن الفرقة التي كانت مجتمعة مع الأخرى ، فافترقت .

سرية زيد

ذكر فيها فرات بن حيان العجلي منسوب إلى عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، واللجيم : تصغير لجم وهى دويبة تطير بها العرب ، وأنشدوا :

لها ذنب مثل ذيل العرو س إلى سبة مثل جحر اللجم

وكان عين قريش ودليل أبي سفيان ، أسلم فرات وحسن إسلامه ، وقال فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن منكم رجلا نسلكهم إلى إسلامهم ، منهم فرات ، وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثمامة بن أثال في شأن مسيلة ، وردته ، ومر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مع أبي هريرة ، والرجال بن عنفوة ، فقال : ضرس أحدكم في النار مثل أحد ، فما زال فرات وأبو هريرة خائفين حتى بلغتهما ردة الرجال ، ولإيمانه بمسيلة ، نفرا ساجدين ، واسم الرجال : نهار بن عنفوة ، والعنفوة ضرب من الثبت ، يقال له الصليان .

وفيهما يقول حسان :

دعوا فليجات الشام قد حال دونها

العلجات : جمع فليج ، وهى العين الجارية ، يقال : ماء فليج ، وعين فليج ، وذكره أبو حنيفة : فليحات بالحاء المهملة ، وقال : الفليحة المزرعة .

نغويات : وقوله : جلاد كأفواه المخاض الأوارك .

أى : التى أكلت الأراك ، فدميت أفواهها ، والمخاض واحدتها خلفة من غير لفظها ، وهى الحامل ، وقد قيل فى الواحد ماخض ، ومنه قول الطائى :

وأخرتها عن وقتها وهى ماخض

وعندى أن المخاض فى الحقيقة ليس بجمع ، إنما هو مصدر ، ولذلك وصف به الجميع ، وفى التنزيل : « فأجاءها المخاض » ، وقولهم . ناقة ماخض ، كفولهم : حامل ، أى : ذات مخاض ، وذات حمل ، وقد يقول الرجل لنسائه أمتن الطلاق ، فليس الطلاق بجمع ، وإنما معناه : ذوات طلاق ، وكذلك معنى المخاض ، أى ذوات مخاض ، غير أنه قيل للواحدة : ماخض ، ولم يقل : ناقة مخاض ، أى : ذات مخاض ، كما يقال : امرأة زور وصوم ، لأن المصدر إذا وصف به فإنما يراد به الكثير ولا تكثير فى حمل الواحدة ، ألا ترى أنك تقول هى أصوم الناس ، وما وأصومها ، ولا يقال إذا حملت : ما أحبلها ، لأنه شئ واحد ، كما لا يقال فى الموت : ما أموتها ، فلما عدم قصد التكثير والمبالغة لم توصف به ، كما لا توصف بالسير إذا قلت : ما هى إلا سير ، فإذا كانت إبلا كثيرة حصل معنى الكثرة ، فوصفت بالمخاض ، وهو المصدر لذلك ، فإن قلت : فقد يقول الرجل : أنت الطلاق ، وأنت الفراق قلنا : فيه معنى التكثير والمبالغة ، ولذلك جاز لأنه شئ يتبادى ويدوم ، لاسيما إن أراد بالطلاق الطلاق كله لا واحدة ، وليس كذلك المخاض والحمل ، فإن مدته معلومة ومقداره مؤقت .

وقوله : بأيدى الملائك ، هو جمع ملك على غير لفظه ، ولو جمعوه على لفظه لقالوا : أملاك ، ولكن الميم من ملك زائدة فيما زعموا ، وأصله مالك من الألوك ، وهى الرسالة ، قال لبيد :

وغلام أرسلته أمه بألوك فبذلنا ما سأل

وقال الطائى :

من مبلغ الفتيان عنى مألكا أنى متى يتثلوا أتهدم

والطائى وإن كان متولداً ، فإنما يحتج به لتلقى أهل العربية له بالقبول وإجماعهم على أنه لم يلحن ، إذا كان الأصل فيه مألكا فإنما قلبوه إرادة إلغاء الهمزة ، إذا سهلوا ولو سهلوا مألكا ، والهمزة مقدمة لم تسقط ، وإنما تسقط إذا سكن قبلها ، فقالوا ملك ، فإذا جمعوا عادت الهمزة ، ولم تعد إلى موضعها لتلا ترجع كجمع مألكة . وهى الرسالة ولو قيل : إن لفظ ملك مأخوذ من الملائكوت ، فلذلك لم يهمز ، لأن أكثر الملائكة ليسوا برسل ، ولو أريد معنى الرسالة لقالوا مؤلك ، كما تقول : مرسل ، ولضمت الميم فى الواحد ، وتكون الهمزة على هذا زائدة فى الجميع كما زادوها فى شمال وهى من شملت الريح ، لكان هذا وجهاً حسناً ، وسر زيادة الهمزة فى شمال ، وهى من شملت الريح ، فأطلعت الهمزة رأسها لذلك ، إذ قد اجتمع فيها أنها من عن شمال البيت ، وأنها شامية ، وكذلك

الملائكة هم من ملكوت الله ، وفيهم رسل ، والواحد منهم من ملكوت الله فقط ، لأنه لا يتبع بعض كما يتبع بعض
الجملة منهم فأما قول الشاعر :

فأست لآسى ولكن لما لك تنزل من جو السماء يصوب

فهزم مالمكا ، وهو واحد ، والبيت مجهول قائله ، وقد نسبته ابن سيده إلى علقمة ، وأنكر ذلك عليه ، ومع
هذا فقد وصف مالمكا بالرسالة لقوله : تنزل من جو السماء يصوب ، فحسن الهمز لتضمنه معنى الألوك ، كما حسن
في جملة الملائكة ، إذ للجملة بعض هم إرسال ، والكل من ملكوت الله سبحانه ، وليس في الواحد إلا معنى
الملكوية فقط حتى يتخصص بالرسالة ، كما في هذا البيت المذكور ، فيتضمن حينئذ المعنيين ، فتطالع الهمزة في
اللفظ ، لما في ضمنه معنى الألوك ، وهى الرسالة .

مقتل كعب بن الأشرف

ذكر فيه أنه شب بنساء المسلمين ، وآذاهم ، وكان قد شبب بأمر الفضل زوج العباس بن عبد المطلب فقال :
أراحل أنت لم ترحل لمنقبتك وتارك أنت أم الفضل بالحرم
في أبيات رواها يونس عن ابن إسحاق .

وذكر فيه قوله عليه السلام : من لكعب ، فقد آذى الله ورسوله . فيه من الفقه : وجوب قتل من سب النبي
- صلى الله عليه وسلم - وإن كان ذا عهد ، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله فإنه لا يرى قتل الذي في مثل هذا ، ووقع
في كتاب شرف المصطفى أن الذين قتلوا كعب بن الأشرف حملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة ، فقيل : إنه أول رأس
حمل في الإسلام ، وقيل : بل رأس أبي عزة الجهمي الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر
مرتين ، فقتله واحتمل رأسه في رمح إلى المدينة فيما ذكر ، وأما أول مسلم حمل رأسه في الإسلام ، فعمرو بن الحق ،
وله صحبة .

وفيه من قول حسان في كعب : بكى كعب ثم على بعبرة فيه دخول زحاف عل زحاف ، وذلك أن أول الجزء
سبب ثقيل وسبب خفيف فإذا دخل فيه الزحاف الذي يسمى الإضمار صاراً سببين خفيفين ، فيعود متفاعلاً إلى
وزن مستعلن ، ومستعلن يدخله الخن والطى ، وهو حذف الرابع منه ، فشبه حسان متفاعلاً في الكامل
بمستعلن لما صار إلى وزنه ، لحذف الحرف الساكن وهو الرابع من متفاعلاً إلى وزن مفتعلن ، وهو غريب في
الزحاف فإنه زحاف آخر ، ولولا الزحاف الذي هو الإضمار ، ما جاز البتة حذف الرابع من متفاعلاً .

وذكر في الذين قتلوا كعباً أبا عيس بن جبر ، واسمه : عبد الرحمن ، وذكر سلمان بن سلامة ، واسمه : سعد .
وذكر في شعر حسان الفارسي ، وفيه ، ببيض ذفف . الذفف : جمع ذفيف وهو الحقيف السريع ، وهو جمع
على غير قياس ، وإنما فعل جمع فاعل ولكن الزفيف من السيوف في معنى القاطع والصارم .

وفيه : في عرين مغرف . العرين : أجمة الأسد ، وهو الغريف أيضاً ، والغريف أيضاً الكثير ، فيحتمل لأنه
أراد بمغرف مكثر من الأسد ، ويحتمل أنه أراد تأكيد معنى الغريف ، كما يقال : خبيث مخبث .

أمر محيصة وحويصة

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب محيصة ابن مسعود - قال ابن هشام : ويقال : محيصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس - على ابن سنيته - قال ابن هشام : ويقال سنيته - رجل من تجار يهود ، كان يلبسهم ويبيعهم فقتله ، وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم ، كان أسن من محيصة ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ، ويقول : أى عدو الله ، أفتلته ، أما والله لرب شحم فى بطنك من ماله . قال محيصة : فقلت : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك ، قال : فوالله إن كان لأول إسلام حويصة ، قال : والله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربت بها ! قال : والله إن ديننا بلغ بك هذا لمعجب . فأسلم حويصة .

وذكر قول امرأة كعب : والله إنى لأعرف فى صوته الشر ، وفى كتاب البخارى : إنى لاسمع صوتاً يقطر منه الدم .

وفيه : ما رأيت عطراً كالسيوم ، معناه : عند سيبويه : ما رأيت كمطر أراه اليوم عطراً : كذلك قال العرب : لم أر كالسيوم رجلاً ، أى : كرجل أراه اليوم رجلاً ، فحذف ما دخلت عليه الكاف ، وحذف الفعل ، وهو أرى ، وفاعله ومفعوله ، وهذا حذف كثير لاسيما ، وقد يقال : ما رأيت كالسيوم ، ولا تذكر بعده شيئاً إذا تعجبت ، فدل على أنهم لم يحذفوا هذا الحذف الكثير ، ولكنهم أوقعوا التعجب على اليوم ، لأن الأيام تأتى بالأعاجيب ، والعرب تدمها وتمدحها فى نظمها ونثرها ، ويعلم المخاطب أن اليوم لم يذم لنفسه ولا يعجب منه لنفسه ، فيلتمس منك البيان والتفسير لما تعجبت منه ، فتأتى بالتميز لتبين . فعطراً منصوب على التمييز ، والدليل على ذلك أنه يحسن خفضه بمن ، لأنه متعجب منه ، فتقول : لم أر كالسيوم من رجل .

ووقع فى رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق بعد قوله : فمشوا ساعة ، قال فجعل كعب يشد :

رب خال لى لو أبصرته	سبط المشية أباء أنف
لبن الجانب فى أفربه	وعلى الأعداء كالسم الذعف
وكرام لم يشنهم حسب	أهل عز وحفاظ وشرف
يبدلون المال فيما نابهم	لحقوق تعترهم وعرف
وليوث حين يشتد الوغى	غير أنسكاس ولا ميل كشف
فهم أهل سماج وقرى	وحفاظ لم يعانوا بصلف
سكنوا من يثرب كل ربي	وسهول حيث حلوا فى أنف
وهم أهل مشاريب بها	وحصون ونخيل وغرف
ولها بئر رواء جمه	من يردھا بإناء يغترف
ونخيل فى تلاع جمه	تخرج التمر كأمشال الأكف
وصرير من محال خلته	آخر الليل مھاريج ندف
تدلج الجون على أكتافها	بدلاء ذات أركان صدف
كل حاجاتى قد قضيتها	غير حاجاتى فى بطن الجرف

قال ابن إسحاق : حدثني هذا الحديث مولى لبني حارثة ، عن ابنة محيصة ، عن أبيها محيصة .
فقال محيصة في ذلك :

يلوم ابن أمي لو أمرت بقتله لطبقت ذفره بأبيض قاضب
حسام كلون الملح أخلص صقله متى ما أصوبه فليس بكاذب
وما مرني أني قتلتك طائعا وأن لنا ما بين بصرى ومارب

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو المدني ، قال : لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة أخذ منهم نحواً من أربع مائة رجل من اليهود ، وكانوا حلفاء الأوس على الخزرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تضرب أعناقهم ، فجعلت الخزرج تضرب أعناقهم ويسرهم ذلك ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخزرج ووجوههم مستبشرة ، ونظر إلى الأوس فلم يرد ذلك فيهم ، فظن أن ذلك للحلف الذي بين الأوس وبين بني قريظة ولم يكن بق من بني قريظة إلا اثنا عشر رجلاً ، فدفعهم إلى الأوس ، فدفع إلى كل رجلين من الأوس رجلاً من بني قريظة وقال : ليضرب فلان وليذفف فلان ، فكان بمن دفع إليهم كعب بن يهوذا ، وكان عظيماً في بني قريظة ، فدفعه إلى محيصة بن مسعود ، وإلى أبي بردة بن نيار - وأبو بردة الذي رخص له رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يذبح جذعاً من المعز في الأضحية - وقال ليضربه محيصة وليذفف عليه أبو بردة ، فضربه محيصة ضربة لم تقطع ، وذفف أبو بردة فأجهر عليه . فقال حويصة : وكان كافراً ، لآخيه محيصة : أقتلت كعب ابن يهوذا ؟ قال : نعم ، فقال حويصة : أما والله لرب شحم قد نبت في بطنك من ماله ، إنك للثيم يا محيصة ، فقال له محيصة : لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك ، فعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجباً . فذكروا أنه جعل يتيقظ من الليل : فيعجب من قول أخيه محيصة . حتى أصبح وهو يقول : والله إن هذا لدين . ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال محيصة في ذلك أبيتاً قد كتبناها .

قال ابن إسحاق : وكانت إقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد قدومه من بحران ، جمادى الآخرة ورجباً وشعبان وشهر رمضان ، وغزته قريش غزوة أحد في شوال سنة ثلاث

غزوة أحد

وكان من حديث أحد ، كما حدثني محمد بن مسلم الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدثت بعض الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد قالوا ، أو من قاله منهم :

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع فلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بغيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش ، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وأخوانهم يوم بدر ، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمداً قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، فعلنا ندرك منه ثأراً بمن أصاب منا ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ففيهم ، كما ذكر لي بعض أهل العلم ، أنزل الله تعالى : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فيسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون ، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون . »

اجتماع قريش للحرب : فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب ، وأصحاب العير بأحاديثها ، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة . وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان في الأسارى فقال : إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلى الله عليك وسلم ، فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، فأخرج معنا ، فقال : إن محمداً قد من علي فلا أريد أن أظاهر عليه ، قال فأعنا بنفسك ، فلك الله على إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي ، يصيين ما أصابهن من عسر ويسر . فخرج أبو عزة في تهامة ، ويدعو بني كنانة ويقول :

إيهما بنى عبد مناة الرزام أنتم حماة وأبوكم حام
لا تعدوني نصركم بعد العام لا تسلموني لا يحل لإسلام

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة ، يحرضهم ويدعو إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا مال ، مال الحسب المقدم أنشد ذا القربي وذا التذمم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم الحلف وسط البلد المحرم

عند حطيم الكعبة المعظم

ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له : وحشى ، يقذف بحبوبة له قذف الحبشة ، قلما يخطئ بها ، فقال له :
أخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى ، فأنت عتيق .

فخرجت قريش بمجدها وحديدها وأحاديثها ، ومن تابعها من بني كنانة ، وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظعن ، التماس الحفيظة ، وألا يفروا فخرج أبو سفيان بن حرب ، وهو قائد الناس ، بهند بنت عتبة ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية ، وهى أم عبد الله بن صفوان ابن أمية .

قال ابن هشام : ويقال : رقية .

قال ابن إسحاق : وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهى أم عبد الله بن عمرو ، وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، بسلافة بنت سعد بن شهيد الانصارية وهى أم بني طلحة : مسافع والجلال وكلاب ، قتلوا يومئذ هم وأبوهم ، وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك بن حسل مع ابنتها أبي عزي بن عمير ، وهى أم مصعب بن عمير ، وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة . وكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشى أو مر بها ، قالت : وبها أبا دسمة أشف واستشف ، وكان وحشى يكنى بأبي دسمة ، فأقبلوا حتى نزلوا بعينين ، بجبل بطن السبخة من قناة على شفير الوادى ، مقابل المدينة .

رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ومشاورته القوم : فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون

قد نزلوا حيث نزلوا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إني قد رأيت والله خيراً ، رأيت بقرأ ، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، فأولتها : المدينة .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت بقرأ لي تذبح ، قال : فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي ، فهو رجل من أهل يدي يقتل .

قال ابن إسحاق : فإين رأيت أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان رأى عبد الله بن أبي بن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى رأيه في ذلك ، وألا يخرج إليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج ، فقال رجال من المسلمين ، ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ، ممن كان فاته بدر : يا رسول الله اخرج بنا إلى أهدائنا ، لا يرون أننا جئنا عنهم وضعفنا . فقال عبد الله بن أبي بن سلول ، يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلنا علينا إلا أصابنا منه ، فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته فلبس لامته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . وقد مات في ذلك اليوم وجل من الانصار يقال له : مالك بن عمرو ، أحد بني النجار ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لنا ذلك . فلما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا يا رسول الله : استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فان شئت فاقعد صلى الله عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ينبغي لني إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس

انخذال المنافقين : قال ابن إسحاق : حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد ، انخزل عبد الله بن أبي بن سلول بثلك الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندى علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، أخو بني سلبة ، يقول يا قوم ، أذكركم الله ألا تحذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم ، فقالوا لو نعلم أنكم تقتلون لما أسلناكم ، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال ، قال : فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغفر الله عنكم نبيه .

قال ابن هشام : وذكر زياد ، عن محمد بن إسحاق عن الزهري : أن الانصار يوم أحد ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ألا نستعين بمخلفائنا من يهود ؟ فقال : لا حاجة لنا فيهم .

تقاؤل الرسول : قال زياد : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرة بني حارثة ، فذب فرس بذنبه ، فأصاب كلاب سيف فاستله .

قال ابن هشام : ويقال : كلاب سيف .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان يحب الفأل ولا يعتاف لصاحب السيف : شيم سيفك ، فإني أرى السيوف ستسل اليوم .

ما كان من مربع المنافق حين سلك المسلمون حائطه : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : من رجل يخرج بنا على القوم من كئيب : أى من قرب ، من طويق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فنفذ به فى حرة بنى حارثة ، وبين أموالهم ، حتى سلك فى مال لمربع بن قيطى ، وكان رجلاً منافقاً ضريّر البصر ، فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين ، قام يحثى فى وجوههم التراب ، ويقول : إن كنت رسول الله فأنى لا أحل لك أن تدخل حائطى ، وقد ذكر لى أنه أخذ حفنة من تراب فى يده ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الاعى أعمى القلب ، أعمى البصر ، وقد بدر إليه سعد بن زيد ، أخو بنى عبد الأشهل ، قبل نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فضربه بالقوس فى رأسه ، فشهجه .

قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فى عدوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلن أحد منكم حتى تأمره بالقتال ، وقد مرحت قريش الظهر والكرارح فى زروع كانت بالصمغة ، من قناة للسيلين : فقال رجل من الانصار حين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال : أترعى زروع بنى قبيلة ولما تضارب ! وتبى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال ، وهو فى سبع مائة رجل ، وأمر على الرماة عبد الله بن جبير ، أخا بنى عمرو بن عوف وهو معلم يوهئ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً ، فقال انضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، وإن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك لا تؤتين من قبلك ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، أخى بنى عبد الدار .

الرسول يجيز من هم فى الخامسة عشرة : قال ابن هشام : وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سمرة ابن جندب الفزارى ، ورافع بن خديج ، أخا بنى حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردهما ، فقيل له : يا رسول الله إن رافعاً رام ، فأجازه ، فلما أجاز رافعاً ، قيل له : يا رسول الله ، فإن سمرة يصرع رافعاً فأجازه ، ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب . وزيد بن ثابت ، أحد بنى مالك بن النجار ، والبراء بن عازب ، أحد بنى حارثة ، وعمر بن حزم ، أحد بنى مالك بن النجار ، وأسيد بن ظهير ، أحد بنى حارثة ، ثم أجازهم يوم الخندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة .

قال ابن إسحاق : وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مئتا فرس قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل .

أبو دجانة وشجاعه : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سأك بن خرشة ، أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به العدو حتى ينحنى ، قال : أنا أخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه ، وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختل عند الحرب ، إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصاة له حراء ، فاعتصب بها على الناس أنه سيقاقل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك ، فعصب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفين .

قال ابن إسحاق : لخدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الانصار من بنى سلهة : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين رأى أبا دجانة يتبختر : إنها لمشية يبغضها الله ، إلا فى مثل هذا الموطن .

أبو عامر الفاسق : قال ابن إسحاق ، وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن أبا عامر ، عبد عمرو بن صفي بن مالك بن النعمان ، أحد بني ضبيعة ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه خمسون غلاماً من الأوس ، وبعض الناس كان يقول : كانوا خمسة عشر رجلاً ، وكان يعد قريشاً أن لو قتلني قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق - وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية : الراهب ، فسمياه رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفاسق - فلما سمع ردهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدى شر ، ثم قاتلهم قتالا شديداً ، ثم راضخهم بالحجارة .

أبو سفيان وهند يحرضان قريشاً : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدار ، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فهموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ، مستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك أراد أبو سفيان .

فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذت الدفوف يضربن بها خلف الرجال ، ويحرضنهم فقالت هند فيما تقول :

ويها بنى عبد الدار ويها حماة الأديار
ضرباً بكل يتار

وتقول :

إن تقبلوا نفاق وفسرش الفارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : أمت أمت ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فاقتتل الناس حتى حيت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمتن في الناس .

قال ابن هشام : حدثني غير واحد ، من أهل العلم ، أن الزبير بن العوام قال : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فتمنيه وأعطاه أبا دجانة ، وقلت : أنا ابن صفية عمته ، ومن قريش ، وقدقت إليه فسأله إياه قبله ، فأعطاه إياه وتركني ، والله لا نظرنما يصنع ، فاتبعته ، فأخرج عصاة له حراء ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصاة الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها . فخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول

قال ابن هشام : ويروي في الكيول .

قال ابن إسحاق : فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله . وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلا ذفف عليه ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه . فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك

أبا دجاجة ، فاتقاه بدر قته ، فعضت بسيفه . وضربه أبو دجاجة فقتله ثم رأيت أنه قد حل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها . قال الزبير : فقلت : الله ورسوله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو دجاجة سمالك بن خرشة : رأيت إنساناً يمشي الناس خمشاً شديداً ، فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

وقاتل حمزة بن عبدالمطلب حتى قتل أوطاة بن عبد بن شرجيل بن هاشم بن عبدمناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني ، وكان يكنى بأبي نيار ، فقال له حمزة : هلم إلى يابن مقطعة البظور - وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي .

قال ابن هشام : شريق بن الأخنس بن شريق . وكانت ختانة بمكة - فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

قال وحشى ، غلام جبير بن مطعم : والله إنى لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه ما يليق به شيئاً : مثل الجمل الأورق إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى ، فقال له حمزة : هلم إلى يابن مقطعة البظور فضربه ضربة ، فكان ما أخطأ رأسه ، وهزئت حربى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، ف وقعت في ثلثه حتى خرجت من بين رجله ، فأقبل نحوى ، فقلب فوقع ، وأمهله حتى إذا مات جدت فأخذت حربى ، ثم تنحيت إلى العسكر ، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر ابن عمرو بن أمية الضمري قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدى بن الحيار ، أخو بني نوفل بن عبد مناف ، في زمان معاوية بن أبى سفيان ، فأدربنا مع الناس ، فلما قفلنا مررنا بمحصر - وكان وحشى ، مولى جبير بن مطعم ، قد سكنها ، وأقام بها - فلما قدمناها ، قال لى عبيد الله بن عدى : هل لك فى أن تأتى وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له . إن شئت . فخرجنا نسأل عنه بمحصر ، فقال لنا رجل ، ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجداه صاحباً تجدان رجلاً عربياً ، وتجداه عنده بعض ماتريدان ، وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به ، فانصرفا عنه ودعاه . قال : فخرجنا نمشى حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسة له ، فإذا شيخ كبير مثل البغاث .

قال ابن هشام : البغاث ضرب من الطير يميل إلى السواد .

فإذا هو صاحب لا بأس به . قال : فلما انتهينا إليه سلينا عليه ، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدى ، فقال : ابن لعدى بن الحيار أنت ؟ قال : نعم ، قال : أما والله ما رأيتك منذنا ولتلك أمك السمديّة التى أَرْضَعْتَكَ بذى طوى ، فإنى ناولتكها وهى على بعيرها ، فأخذتك بعرضك . فلبعت لى قدماك حين رفعتك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقعت على فعرقتهما . قال : فجلسنا إليه ، فقلنا له : جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة ، كيف قتلته ؟ فقال : أما إنى سأحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألتنى عن ذلك ، كنت غلاماً لجبير بن مطعم ، وكان عمه طعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد ، قال لى جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق . قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة ، فلما أخطىء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأنصره ، حتى رأيت فى عرض الناس مثل الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هذا ، ما يقوم له شيء ، فوالله إنى لأنهى له ، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منى إذ تقدمنى إليه

سباع بن عبد العزى ، فلما رآه حمزة قال له : هلم إلى يابن مقطعة البظور . قال : فضربه ضربة كأنه أخطأ رأسه . قال : وهزئت حربى ، حتى إذا رضيت منها ، دفعتها عليه ، فوقع في ثلته ، حتى خرجت من بين رجله ، وذهب لينوء نحوى ، فغلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيتها فأخذت حربتى ، ثم رجعت إلى العسكر ، فمعدت فيه ، ولم يكن لي غيره حاجة ، وإنما قتلت لاعتق . فلما قدمت مكة أعتقت ، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت إلى الطائف ، فكثت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلوا تعيت على المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام ، أو اليمن ، أو ببعض البلاد ، فوالله لئن لقي ذلك من همى ، إذا قال لي رجل : ويحك إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه ، وتشهد شهادته

فلما قال لي ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يرعه إلا بى قائماً على رأسه أشهد بشهادة الحق ؛ فلما رآنى قال : أوحشى ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : أقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة ، قال : فحدثته كما حدثتك ، فلما فرغت من حديثى قال : ويحك ! غيب عنى وجهك ، فلا أرينك . قال : فكنت أنتك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان ثللا يرانى ، حتى قبضه الله - صلى الله عليه وسلم .

فلما خرج المسلمون إلى مسيلة المكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم ، وأخذت حربتى التى قتلت بها حمزة ؛ فلما التقى الناس رأيت مسيلة المكذاب قائماً في يده السيف ، وما أعرفه ، فتهيات له ، وتيأله رجل من الانصار من الناحية الاخرى ، كلانا يريد فبرزت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقع فيه ، وشد عليه الانصارى فضربه بالسيف ، فربك أعلم أينما قتله ، فإن كنت قتلت ، فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قتلت شر الناس .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد الله بن الخطاب ، وكان قد شهد اليمامة ، قال : سمعت يومئذ صارخاً يقول : قتله العبد الأسود .

قال ابن هشام : فبلغنى أن وحشياً لم يزل يحذ فى الخمر حتى خلع من الديوان ، فكان عمر بن الخطاب يقول : قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة .

استشهداد مصعب : قال ابن إسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل ، وكان الذى قتله ابن قمئة اللبى ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمداً . فلما قتل مصعب بن عمير أخطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على بن أبى طالب ، وقاتل على بن أبى طالب ورجال من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدثنى مسيلة بن علقمة المازنى ، قال : لما اشتد القتال يوم أحد ، جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الانصار ، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على بن أبى طالب رضوان الله عليه : أن قدم الاية . فتقدم على ، فقال : أنا أبو القصم ، ويقال : أبو القصم ، فيما قال ابن هشام - فناداه أبو سعد بن أبى طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين : أن هل لك يا أبا القصم فى البراز من حاجة ؟ قال : نعم : فبرز بين الصفين ، فاختلفا ضربتين فضربه على فصرعه ، ثم انصرف عنه ولم يجز عليه ، فقال له أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبانى بعورته ، فعطفتنى عنه الرحم ، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله .

ويقال : إن أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصنفين ، فنأدى أنا قاصم من يبارز برازاً ، فلم يخرج إليه أحد ، فقال : يا محمد ، زعمتم أن قتلاكم في الجنة ، وأن قتلاتنا في النار . كذبتم واللوات لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إلى بعتكم ، فخرج إليه علي بن أبي طالب ، فاختلفا ضربتين . فضربه على فقتله .

قال ابن إسحاق : قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص خبر عاصم بن ثابت : وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يشعره سهماً . فبأنى أمه سلافة . فيضع رأسه في حجرها فتقول : يا بني من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين رماني وهو يقول : خذها وأنا ابن أبي الأفلح : فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر . وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركاً أبداً . ولا يمسه مشرك . وقال عثمان بن أبي طلحة يومئذ ، وهو يحمل لواء المشركين :

إن على أهل اللواء حقاً أن يخضبوا الصعدة أو تندقا

فقتله حمزة بن عبد المطلب .

حنظلة غسيل الملائكة : والتقى حنظلة بن عامر الغسيل وأبو سفيان ، فلما استعلاه حنظلة بن أبي عامر رآه شداد بن الأسود ، وهو ابن شعوب ، قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم ، يعني حنظلة لتغسله الملائكة : فسألوا أهله ما شأنه ؟ فسنلت صاحبه عنه . فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاقة .

قال ابن هشام : ويقال : الهاقة . وجاء في الحديث : « خير الناس رجل أمسك بعنان فرسه ، كلما سمع هبة طار إليها » قال الطرماح بن حكيم الطائي ، والطرماح : الطويل من الرجال :

أنا ابن حماة المجدد من آل مالك إذا جعلت خور الرجال تبيع

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسلته الملائكة .

شعر الأسود وأبو سفيان في قتل حنظلة : قال ابن إسحاق : وقال شداد بن الأسود في قتله حنظلة :

لأحمين صاحبي ونفسي بطانة مثل شعاع الشمس
وقال أبو سفيان بن حرب ، وهو يذكر صبره في ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شعوب إياه على حنظلة :

ولو شئت نجحتي كمين طمرة ولم أحمل النعماء لابن شعوب

وما زال مهري مزجر الكلب منهم لدن غدوة حتى دنت لغروب

أفانلتهم وأدعى بالغالب وأدفعهم عن بركن صليب

فبكي ولا ترعى بقالة عاذل ولا تسأمني من عبرة ونجيب

أباك وإخواناً له قد تابعا وسلي الذي قد كان في النفس أنفي

ومن هاشم قرماً كريماً ومصعباً وكنانة

ولو أنني لم أشف نفسي منهم فكانوا وقد أودى الجلابيب منهم

أصابهم من لم يكن لدمائهم بهم خذب من معطب وكثير

كفاء ولا في خطه بضرب

حسان والخارث يردان على أبي سفيان : فأجاب حسان بن ثابت ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم ولست لزور قلته بمصيب
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم نجياً وقد سميت به بنجيب
ألم يقتلوا عمراً وعتبة وابنه وشية والحجاج وابن حبيب
غداة دعا العاصي علياً فراه بضربة عضب بله بخضيب

قال ابن إسحاق : وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبي سفيان فيما دفع عنه ، فقال :
ولولا دفاعي يابن حرب ومشهدى لالفت يوم النعف غير مجيب
ولولا مكري المهر بالنعف قررت ضباع عليه أو ضراء كليب

قال ابن هشام : قوله « عليه أو ضراء » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال الخارث بن هشام يجيب أبا سفيان :

جزيتهم يوماً بيدرك كئله على سابح ذي مية وشبيب
لدى صحن بدر أو أقت نوانحاً عليك ولم تحفل مصاب حبيب
ولأنك لو عاينت ما كان منهم لابت بقاب ما بقيت نجيب

قال ابن هشام : وإنما أجاب الخارث بن هشام أبا سفيان لأنه ظن أنه عرض به في قوله :
وما زال مهري مزجر السكب منهم

لفرار الخارث يوم بدر .

الزبير يذكر سبب الهزيمة : قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده ، فحسبهم
بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الحارثية لا شك فيها .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ،
أنه قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ، ما دون أخذهن قليل
ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر ، حين كشفنا القوم عنه وخلصوا ظهورنا للخيال ، فأتيننا من خلفنا ، وصرخ
صارخ : ألا إن محمداً قد قتل ، فانسكفنا وانسكفنا علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد
من القوم .

قال ابن هشام : الصارخ : أذب العقبة ، يعني الشيطان .

حسان يذكر شجاعة صواب : قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن اللواء لم يزل صريماً حتى أخذته
عمرة بنت علقمة الحارثية ، فرفعته قريش ، فلائوا به . وكان اللواء مع صواب ، غلام لبني أبي طلحة ، حبشي
وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يده ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه ،
وهو يقول : اللهم هل أعزرت - يقول : أعذرت - فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فخرتم باللواء وشر فخر لواء حين رد إلى صواب
جعلتم فخركم فيه بعبد وآلام من يطا عفر التراب

ظننتم ، والسفيه له ظنون وما إن ذاك من أمر الصواب
بأن جلادنا يوم التقينا بمكة بيعكم حجر العياب
أقر العين أن عصبت يداها وما إن تعصبان على خضاب

قال ابن هشام : آخرها بيت يروى لأبي خراش الهذلي ، وأنشدني له خلف الأحمر :

أقر العين أن عصبت يداها وما إن تعصبان على خضاب

في أبيات له . يعنى امرأته ، في غير حديث أحد . وتروى الآيات أيضاً لمعقل بن خويلد الهذلي .

شعر حسان في شجاعة عمرة الحارثية : قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في شأن عمرة بنت علقمة
الحارثية ورفعه اللواء :

إذا عضل سيقت إلينا كأنها جداية شرك معلبات الحواجب
أقننا لهم طعناً مبيراً منكلاً وحزنناهم بالضرب من كل جانب
فلولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق يسع الجلائب

قال ابن هشام : وهذه الآيات له .

ما أصاب الرسول يوم أحد : قال ابن إسحاق : وانكشف المسلمون ، فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بلاء
وتمحيص ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلاص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحدث
بالحجارة التي وقع لشقته ، فأصابت رباعيته ، وشج في وجهه ، وكلمت شفته ، وكان الذي أصابه عتبة ابن أبي وقاص .

قال ابن إسحاق : فحدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال :

كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد . وشج في وجهه ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح
الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعوهم إلى ربهم ! فأنزل الله عز وجل في ذلك :
« ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

قال ابن هشام : وذكر ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري : أن عتبة
ابن أبي وقاص روى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأن
عبد الله بن شهاب الزهري شجّه في جبهته ، وأن ابن قميّة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ،
ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليوقع فيها المسلمون ، وهم لا يعلمون ،
فأخذ على بن أبي طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، ومص
مالك بن سنان ، أبو أبي سعيد الخدري ، الدم : عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ازدردّه ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مس دمي دمه لم تصبه النار .

قال ابن هشام : وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردي : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أحب أن ينظر
إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فليُنظر إلى طلحة بن عبيد الله .

وذكر ، يعنى عبد العزيز الدراوردي ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، عن عيسى بن طلحة ، عن عائشة ، عن

أبي بكر الصديق : أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الخلاقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقطت ثنيته ، ثم نزع الأخرى ، فسقطت ثنيته الأخرى ، فكان ساقط الثنيتين .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبي وقاص :

إذا الله جازى معشراً بفعالهم وضرهم الرحمن رب المشارق
فأخزأك ربى يا عتيب بن مالك ولقائك قبل الموت إحدى الصواعق
بسطت يميننا للنبى تعمداً فأدميت فاه ، قطعت بالبوارق
فهبلا ذكرت الله والمنزل الذى نصير إليه عند إحدى البوائق

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أفرع فيها .

من شجاعة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين غشيه القوم : من رجل يشرى لنا نفسه ؟ كما حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو ، قال : فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار - وبعض الناس يقول : إنما هو عمارة ابن يزيد بن السكن - فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجلاً ثم رجلاً ، يقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم قامت فئة من المسلمين ، فأجهضوهم عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه منى ، فأدنوه منه ، فوسده قدمه ، فمات وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وقالت أم عمارة ، نسبية بنت كعب المازنية يوم أحد .

فذكر سعيد ابن أبي زيد الأنصارى : أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلت على أم عمارة ، فقلت لها : يا خالة ، أخبريني خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعنى سقاء فيه ماء ، فأنهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو وأصحابه ، والدولة والريح للمسلمين . فلما انهزم المسلمون ، انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت أباهر القتال ، وأذب عنه بالسيف ، وأرمى عن القوس ، حتى خلصت الجراح إلى قالت : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور . فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة ، أقماه الله المساءلى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجى ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربنى هذه الضربة ، ولكن فقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .

قال ابن إسحاق : وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجاجة بنفسه ، يقع النبل في ظهره ، وهو منحن عليه ، حتى كثر فيه النبل . ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيته يناولنى النبل وهو يقول : ارم ، فذاك أبى وأمى ، حتى إنه ليناولنى السهم ماله نصل . فيقول : ارم به .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رعى عن قرسه حتى اندفعت سيتها ، فأخذها قتادة بن النعمان ، فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان ، حتى وقعت على وجنته . قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما .

قال ابن إسحاق : وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدى بن النجار ، قال : انتهى أنس بن النضر ،

عم أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، في رجال من المهاجرين والانصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فإذا تصنعون بالحياة بعد ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقبل القوم ، فقاتل حتى قتل ، وبه سمى أنس بن مالك .

قال ابن إسحاق : فحدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة ، فما عرفه إلا أخته ، عرفته ببنانه .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم : أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فمتم ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فمخرج .

قال ابن إسحاق : وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وقول الناس : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر لي ابن شهاب الزهري كعب بن مالك ، قال : عرفت عينيه تزهران من تحت المذفر ، فنأديت بأعلى صرقي : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أنصت .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشعب ، معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، رضوان الله عليهم ، والحارث بن الصمة ، ورهط من المسلمين .

قتل محيصة اليهودي

محيصة بن مسعود كان أصغر من أخيه حويصة ، لكن سبقه إلى الإسلام ، كما ذكر ابن إسحاق ، وشهد أحداً والخنديق ، وأرساه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل فدك يدعوهم إلى الإسلام ، وهو الذي استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم - في أجرة الحجام ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : بعد ما ألح عليه في المسألة : اعلفه ناضحك واجعله في كرشك ، وذلك أن أبا طيبة الحجام كان عبد آله ، وقد تقدم اسم أبي طيبة .

وقوله : ما بين بصرى ومارب - بصرى بالشام ، ومارب باليمن ، حيث كان السد ، ومارب : اسم قصر كان لسبأ ، وقال المسعودي : مارب اسم كل ملك ولي أمر سبأ ، كخاقان في الترك ، وكسرى في الفرس وقصر في الروم ، والنجاشي في الحبشة .

وحويصة : تصغير حوصة من حصت الثوب إذا خطته .

وفي حديثهما ذكر سنيئة المقتول ، كأنه تصغير سن - وقال ابن هشام في اسمه : سنيئة بالباء كأنه مصغر تصغير الترخيم من سنيئة ، قال صاحب العين : السنيئة ضرب من النباتات ، وأما سنيئة بالشين المنقوطة . فوالد صقلاب ابن سنيئة قرأ على نافع بن أبي نعيم ، وقال : قال لي نافع : يا صقلاب بين النون عند الحاء والحاء والعين والغين والهاء والآلف .

غزوة أحد

وأحد الجبل المعروف بالمدينة ، سمى بهذا الاسم لتوحده وانقطاعه عن جبال آخر هنالك ، وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم - هذا جبل يحبنا ونحبه ، وللعلماء في معنى هذا الحديث أقوال . قيل أراد أهله ، وهم

الانصار ، وقيل أراد أنه كان يبشره إذا رآه عند القدوم من أسفاره بالقرب من أهله ولقائهم ، وذلك فعل المحب ، وقيل : بل حبه حقيقة ، وضع الحب فيه كما وضع التسليم في الجبال المسبحة مع داود ، وكما وضعت الخشية في الحجارة التي قال الله فيها : « وإن منها لما يهبط من خشية الله » ، وفي الآثار المسندة أن أحداً يوم القيامة عند باب الجنة ، وذكره ابن سلام في تفسيره ، وفي المسند من طريق أبي عبيس بن جبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أحد يحبنا ونحبه ، وهو على باب الجنة ، قال : وعير يبغضنا ونبغضه ، وهو على باب من أبواب النار ، ويقويه قوله صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب ، مع قوله : يحبنا ونحبه ، فتناست هذه الآثار ، وشدد بعضها بعضاً .

موافقة اسم جبل أحد للتوحيد : وقد كان عليه السلام يحب الاسم الحسن ولا أحسن من اسم مشتق من الأحدية ، وقد سمي الله هذا الجبل بهذا الاسم ، تقدم لما أراده سبحانه من مشاكلة اسمه ومعناه ، إذ أهله وهم الانصار نصروا التوحيد والمبعوث بدين التوحيد ، عنده استقر حياً وميتاً ، وكان من عادته عليه السلام أن يستعمل الوتر ويحبه في شأنه كله استشعاراً للأحدية ، فقد وافق اسم هذا الجبل لاغراضه عليه السلام ومقاصده في الاسماء ، فقد بدل كثيراً من الاسماء استقباحاً لها من أسماء البقاع وأسماء الناس ، وذلك لا يحصى كثرة ، فاسم هذا الجبل من أوفق الاسماء له ، ومع أنه مشتق من الأحدية ، فحركات حروفه الرفع ، وذلك يشعر بارتفاع دين الاحد ، وعلوه ، فتعلق الحب من النبي صلى الله عليه وسلم به اسماً ومسمى ، فخص من بين الجبال بأن يكون معه في الجنة ، إذ ابست الجبال بساً ، فكانت هباء منبثاً وفي أحد قبر هارون أخى موسى عليهما السلام ، وفيه قبض ، وثم واره موسى عليه السلام ، وكانا قد مرا بأحد حاجين ، أو معتمرين ، روى هذا المعنى في حديث أسنده الزبير عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كتاب فضائل المدينة .

وذكر ابن إسحاق مسير قريش بالظعن التماس الحفيظة ، والحفيظة . الغضب للحرم . ويقال أحفظ الرجل إذا أغضب .

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فصل : وذكر رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى بقرأ تنحر حوله ، وثلة في سيفه وفي غير السيرة قال رأيت بقرأ تنحر والله خير ، فأولت الخير ما جاء الله به من الخير يوم بدر ، وقد كانت بدر قبل أحد ، ولكن نفع الله بذلك الخير الذي كان في يوم بدر ، وكان فيه تأسية وتعزية لهم ، فلذلك تضمنته الرؤيا بقول الله تعالى « أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها ، وفي البخاري : ما جاء الله به من الخير بعد بدر . وفي مسلم : وإذا الخير ما جاء الله به بعد وثواب الصدق الذي أمانا الله به يوم بدر ، وهذه أقل الروايات إشكالا .

قال المؤلف أبو القاسم السبيل : أما البقر فعبارة عن رجال مسلحين يتناطحون وقد رأت عائشة - رضى الله عنها - مثل هذا ، فكان تأويله قتل من قتل معها يوم الجمل .

وقوله : والله خير ، أى : رأيت بقرأ تنحر ، ورأيت هذا الكلام ، لأن الراى قد يمثل له كلام في خلده ، فيراه بوجهه ، كما يرى صورة الأشياء ، ومن خبر أحوال الرؤيا عرف هذا من نفسه ، ومن غيره ، لكن الصور المرئية في النوم تكون في الغالب أمثالا مضروبة ، وقد تكون على ظاهرها ، وأما الكلام الذى يسمعه بسمع

الوهم ممثلاً في الخلد ، فلا يكون إلا على ظاهره ، مثل أن يسمع : أنت سالم أو الله خير لك ، أو ما أشبه هذا من الكلام ، فليس له معنى سوى ظاهره .

وذكر أن فرساً ذُبح بذيله ، فأصاب كلاب سيف فاستله . قال ابن هشام : كلاب السيف هي الحديدة العقفاء ، وهي التي تلي الغمد ، وفي كتاب العين : الكلب مسبار في قائم السيف .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفأل ، ولا يعتاف ، يفتأل : يفعله من العيافة . وظاهر كلامه أن العيافة في المكروه خاصة ، والفأل في المحبوب ، وقد يكون في المكروه ، والطيرة تكون في المحبوب والمكروه ، وفي الحديث أنه نهى عن الطيرة ، وقال : خيرها الفأل ، فدل على أنها تكون على وجوه والفأل خيرها . ولفظها يعطى أنها تكون في الخير والشر ، لأنها من الطير ، تقول العرب : جرى له الطائر بخير ، وجرى له بشر ، وفي التنزيل : « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه » .

وقوله في هذا الحديث : فإني أرى السيوف ستسلم اليوم ، يقوى ما قدمناه من التوسم والزرجر المصيب ، وأنه غير مكروه لكنه غير مقطوع به إلا أن يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قدمنا فيه قولاً مقنعاً في حديث زمزم ونقرة الغراب الأعصم ، والله في كل شيء حكمة ، ولأعمال الفكر في الوقوف على حكمة الله عبادة .

الصبية الذين منعوا من الخروج يوم أحد : وذكر المستصغرين يوم أحد الذين أرادوا الخروج مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرد أصغرهم ، منهم البراء بن عازب وأسيد بن ظهير وزيد بن ثابت إلى آخرهم ، ولم يذكر فيهم عرابة بن أوس بن قيطي ، وقد ذكرته طائفة فيهم ، ومن ذكره فيهم القتيبي في كتاب المعارف ، وهو الذي يقول فيه الشماخ :

إذا ماراية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمن

والعرابة أخ اسمه : كبائة ، له حجة ومن المستصغرين يوم أحد سعد بن حبة ، عرف بأمه ، وهي حبة بنت مالك أنصارية ، وهو سعد بن بجير من بجيلة ، رده النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد لصغر سنه ، فلما كان يوم الخندق رآه يقاتل قتلاً شديداً ، فدعاه ومسح على رأسه ، ودعا له بالبركة في ولده وئسله ، فكان عملاً لربعين ، وخلاً لربعين ، وأباً لعشرين ، ومن ولده أبو يوسف القاضي يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد ابن حبة

شعر هند بنت عتبة : وذكر قول هند بنت عتبة :

ويهاً بني عبد الدار

ويهاً كلمة معناها الإغراء .

قال الراجز :

وهو إذا قيل له ويهاً فل فإنه مواشك مستعجل

وأما واهاً ، فإن معناها التعجب ، وإليها معناها : الأمر بالسكف .

وقولها : إن تقبلوا نعايق ، فيقال ، إنها تمثلت بهذا الرجز ، وإنه لهند بنت طارق بن بياضة الإيادية ، قالتها في حرب الفرس لإباد ، فعلى هذا يكون إنشاده : بنات طارق ، بالنصب على الاختصاص ، كما قال :

نحن بنى ضبة أصحاب الجمل

وإن كانت أرادت النجم فبنات مرفوع ، لأنه خير مبتدأ أى : نحن شريفات رفيعات كالنجوم ، وهذا التأويل عندى بعيد ، لأن طارقاً وصف للنجم لطروقه ، فلو أرادته لقالت : بنات الطارق إلا أنى وجدت للزبير ابن أبى بكر أنه قال فى كتاب أنساب قريش له أول هذا الرجز الذى قالتها هند يوم أحد :

نحن بنات طارق نمشى على الطارق مشى القضا النواثق

إلى آخر الرجز ، قال : وحديثى يحيى بن عبد الملك الهديرى ، قال : جلست ليلة وراء الضحاك بن عثمان الجذامى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأنا متقنع فذكر الضحاك وأصحابه قول هند يوم أحد : نحن بنات طارق ، فقالوا : ما طارق ؟ فقلت : النجم ، فالتفت الضحاك ، فقال : أبا زكريا ، وكيف بذلك ؟ فقلت : قال الله تبارك وتعالى : « والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق . النجم الناقب » : فإنها قالت : نحن بنات النجم ، فقال : أحسنت .

أبو دجاجة : وذكر أبا دجاجة ، ولبسه المشهرة ، وأبو دجاجة الساعدى من دافع عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وحذا عليه يوم أحد وترس عليه بنفسه ، حتى كثرت النبل فى ظهره ، واستشهد يوم البصرة ، بعد أن شارك فى قتل مسيلة ، اشترك فى قتله هو ووحشى وعبد الله بن زيد ، وسندكر ما قاله سيف بن عمر فى قاتل مسيلة فى آخر الباب إن شاء الله .

وذكر قول أبى دجاجة :

إنى امرؤ عاهدنى خليلي

يعنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكذلك كان أبوهريرة يقول حديثى خليلي ، وأنكره عليه بعض الصحابة ، وقال له : متى كان خليلك ، وإنما أنكر عليه المنكر هذا لقوله عليه السلام : « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام . » وليس فى هذا الحديث ما يدفع أن يقول الصحابى حديثى خليلي ، لأنهم يريدون به معنى الحبيب ، وإنما فيه عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقولها لأحد من أصحابه ، ولا خص بها أحداً دون أن يمنع غيره من أصحابه أن يقولها له ، وما كان فى قلوبهم من المحبة له يقتضى هذا ، وأكثر منه ، ما لم يكن الغلو والقول المسكروه ، فقد قال عليه السلام : لا تطرونى ، كما أطرت النصارى المسيح ، فإنما أنا عبد الله ورسوله . وقال لرجل قال له : أنت سيدنا وأطولنا طولاً ، وأنت الجفنة الغراء ، فقال : « قولوا بقولكم ، ولا يستجربكم الشيطان » أى : قولوا بقول أهل دينكم وأهل ملتكم ، كذا فسرته الخطابى ، ومعناه عندى : قولوا بقولكم ، لا بقول الشيطان . لأنه قد جعلهم جرياً له ، أى : وكيلاً ورسولاً ،

وإذا كانوا جرياً له، وقالوا: ما يرضيه من الغلو في المنطق، فقد قالوا بقوله ويستجربنيكم من قولهم جريت جرياً، أى: وكلت وكيلاً، وقال له رجل آخر: أنت أشرفنا حسباً وأكرمنا أما وأباً. فقال: كم دون لسانك من طبق؟ فقال: أربعة أطباق، فقال: أما كان فيها ما يزع عنى غرب لسانك. رواه ابن وهب في جامعه.

وقول أبي دجاجة:

ألا أقوم الدهر في السكيول

قال أبو عبيد: السكيول آخر الصفوف، قال: ولم يسمع إلا في هذا الحديث، وقال الهروي مثل ما قال أبو عبيد، وزاد في الشرح، وقال سمي بكبول الزند، وهى سواد ودخاو يخرج منه آخراً، بعد القدح إذا لم يور ناراً، وذلك شيء لا غناء فيه، يقال منه كال الزند يكول، فالسكيول فيقول من هذا، وكذلك كبول الصفوف لا يوقد نار الحرب، ولا يزيكها، هذا معنى كلامه لا لفظه. وقال أبو حنيفة نحواً من هذا إلا أنه قال: كال الزند بكيل بالياء لا غير.

وقوله: رأيت رجلاً يحمش النار حمشاً شديداً، يروى بالشين وبالسین، فالمعنى بالسین غير معجمة في هذا المكان المشددة، كأنه قال: يشدهم ويشجعهم، لأنه يقال: رجل أحمس، أى: شجاع شديد، والمعنى فيه بالشين معجمة الإيقاد والإغضاب، لأنه يقال أحمشت للنار أوقدتها وحمشت الرجل، وأحمشته: أغضبته، فيكون أفعلت من ذلك للإيقاد والإغضاب، وفعلت للإغضاب.

حديث وحشى: قال فيه: فإذا شيخ كبير، كالبعث، قال أبو عبيد: البعث الطير الذى لا يصاد به مثل الرخم، والحداء، واحديثها بعائته، ويقال: بعائى وجمعه بعائ وبعثان؛ وقال ابن إسحاق في رواية يونس عند ذكر البعث، البعث هو ذكر الرخم إذا هرم أسود.

وقال وحشى لعبيد الله: ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية، ولم يذكر اسمها، وأم عبيد بن عدى هى أم قتال بنت أبي العيص بن أمية ذكرها البخارى في هذا الخبر، ولم يقل السعدية فهى إذن قرشية أموية لا سعدية إلا أن يريد بها مرضعته إن كانت سعدية، وأما عبيد الله بن عدى، فولد في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومات في خلافة الوليد بن عبد الملك، وله دار بالمدينة عند دار على بن أبي طالب - رضى الله عنه - يروى عن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وغيره، وله حديث في الموطأ في كتاب الصلاة.

وقوله: بنى طوى: موضع بمكة، وقد قدمنا الفرق بينه وبين ذى طواء بالهمز والمد، وبين طوى بالضم والقصر فأغنى عن إعادته هنا.

وقول وحشى: يهذ الناس بسيفه، ما يليق شيئاً، مثل الجمل الأورق، يريد - والله أعلم - ورقة الغبار، وأنه قد نافع به إذا الأورق من الأبل ليس بأفواها، ولكنه أطيبها لحماً فيما ذكروا.

وقوله: يهذ الناس، هو بالذال المنقوطة، ذكره صاحب الدلائل، وفسره من الهذ وهى السرعة وأما الهذم بالميم، فسرعة القطع، يقال: سيف مهذم، والهذام: الكثير الأكل، وهو الشجاع أيضاً، وفي الحديث أكثروا: من ذكر هاذم اللذات، يروى بالذال المنقوطة أى قاطعها، وما ذكر غير ابن إسحاق في خبر وحشى، قال: نخرجت حين قال لى سيدى ما قال، فنظرت فإذا رجل ععب عليه درع قضاء وإذا هو على، فقلت له: ليس هذا من شأنى، وإذا رجل حلابس، أيهم غشمشم يهذ الناس، كأنه جمل أورق، فكمننت له إلى صخرة كأنها فسطاط،

وقلت : هذا الذى أريد ، وهزرت حربته لى عراصة ، فرميتها بها ، فأصبت ثلثته ، وذكر باقى الحديث . الععب : الشاب ، والدرع القضاء : المحركة النفسج ، والأيهم : الذى لا يردده شئ . وفى الحديث : أعوذ بالله من شر الأيهمين ، يعنى السيل والحربق ، والعراصة : التى تضطرب من اللين .

وقوله فى قتل مسيلة : سبقنى إليه رجل من الأنصار ، وسبأنى ذكر مسيلة ونسبه ، وطرف من حديثه فى آخر الكتاب . وأما الرجل الذى من الأنصار الذى ذكره وحشى ، ولم يسمه ابن إسحاق ، فذكر محمد بن عمر الواقدى - رحمه الله - فى كتاب الردة ، أن الرجل الذى شارك وحشيا ، فى قتل مسيلة هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازنى من الأنصار ، وذكر سيف بن عمر فى كتاب الفتوح أنه عدى بن سهل ، وأنشد له :

ألم تر أنى ووحشيم قتل مسيلة المفتن
ويسألنى الناس عن قتله فقلت : ضربت ، وهذا طعن

فى أبيات له ، وقد ذكرنا قبيل هذا الحديث : أن أبا دجانة أيضا شارك فى قتل مسيلة ، وذكره أبو عمر النفرى ، والله أعلم أى هؤلاء الثلاثة أراد وحشى . وفى رواية يونس عن ابن إسحاق زيادة فى إسلام وحشى ، قال : لما قدم المدينة ، قال الناس : يا رسول الله هذا وحشى ، فقال : دعوه فلاسلام رجل واحد أحب إلى من قتل ألف رجل كافر .

وذكر قول أبى سعد بن أبى طليحة : أنا قاصم من يبارزنى ، فبرز لى عليه على ، فقال أبو القصم بالقاف ، قاله ابن هشام ، وهو أصح ، وإنما قال على - عليه السلام - أنا أبو القصم ، لقول أبى سعد أنا قاصم من يبارزنى ، فالقصم : جمع قصمة ، وهى العضلة المملكة ، ويجوز أن يكون جمع القصمى ، أى : الداهية التى تقصم . والدواهى القصم على وزن الكبر ، وهذا المعنى أصح ؛ لأنه لا يعرف قصمة ، ولكنه لما قال أبو سعد أنا قاصم ، قال على : أنا أقصم منك ، بل أنا أبو القصم ، أى أبو العضلات القصم والدواهى العظم ، والقصم كسر بيشونة ، والقصم : كسر يغير بيشونة ككسر القضيب الرطب ونحوه ، وفى التنزيل : « وكم قصمنا من قريه ، وفيه د لا انفصام لها ، وقول ابن إسحاق : قتل أبا سعد بن أبى طلحة سعد بن أبى وقاص ، كذلك رواه الكشى فى تفسيره عن سعد ، قال لما كف عنه على طعنته فى حنجرته ، فدلع لسانه إلى ، كما يصنع الكلب ثم مات .

وذكر ابن إسحاق أيضا هذا فى غير رواية ابن هشام ، وقول على إنه اتقانى بعورته ، فأذكرنى الرحم ، فعطفتنى عليه الرحم ، وقد فعلها على مرة أخرى يوم صفين ، حمل على بشر بن أرطاة ، فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته ، فأنصرف عنه . ويروى أيضا مثل ذلك عن عمرو بن العاصى ، مع على - رضى الله عنه - يوم صفين ، وفى ذلك يقول الحارث بن النضر السهمى ، رواه ابن الكلبى وغيره :

أفى كل يوم فارس غير منته وعورته وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه على سناناه ويضحك منه فى الخلاء معاوية

مقتل حنظلة غسيل الملائكة : فصل : وذكر مقتل حنظلة بن أبى عامر الغسيل ، واسم أبى عامر : عمرو ، وقيل عبد عمرو بن صديق ، وذكر شداد بن الأسود بن شبيب حين قتله ، بعد ما كان علا حنظلة أبا سفيان ليقتله ، وذكر الحميدى فى التفسير مكان شداد جمونة بن شبيب الليثى ، وهو مولى نافع بن أبى نعيم الفارى . وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم - إن صاحبكم لتغسله الملائكة يعنى : حنظلة ، وفى غير السيرة ، قال :

رأيت الملائكة تغسله في صحاف الفضة بماء المزن بين السماء والأرض، قال ابن إسحاق، فسئلت صاحبه، فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاقة . صاحبه يعنى امرأته ، وهى جميلة بنت أبى بن سلول أخت عبد الله بن أبى ، وكان ابتنى بها تلك الليلة ، فكانت عروساً عنده ، فرأت فى النوم تلك الليلة كأن باباً فى السماء فتح له فدخله ، ثم أغلق دونه ، فعلمت أنه ميت من غده ، فدعت رجلاً من قومها حين أصبحت فأشهدتهم على الدخول بها خشية أن يكون فى ذلك نزاع ، ذكره الواقدي فيما ذكر لى ، وذكر غيره أنه التمس فى القتل ، فوجدوه يقطر رأسه ماء ، وليس بقرية ماء تصديقاً لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى هذا الخبر متعلق لمن قال من الفقهاء إن الشهيد يغسل إذا كان حنبياً ، ومن الفقهاء من يقول لا يغسل كسائر الشهداء ، لأن التكليف ساقط عنه بالموت .

شعر أبى سفيان : وقول أبى سفيان :

وما زال مهرى مزجر الكلب منهم لدن غدوة حق دنت لغروب

يروى بخفض غدوة ، ونصبها ، فن خفضه فأعرا به بين ، لأن لدن بمنزلة : عند ، لا يكون ما بعده إلا مخفوضاً ، وأما نصبه فقريب ، وشئ خصت العرب به غدوة ، ولا يقاس عليها ، وكثيراً ما يذكرها سيديويه ، ويمنع من القياس عليها ، وذلك أن لدن يقال فيها : لدن ولد ، فلما كانت تارة تنون ، ولا تنون أخرى ، شهبوها إذا نونت باسم الفاعل فنصبوا غدوة بعدها ، تشبيهاً بالمفعول ، ولولا أن غدوة تنون إذا نكرت ، وتنون ضرورة إذا كانت معرفة ما عرف نصبها لأنها اسم غير منصرفة للعلمية والتأنيث ، فخفضها ونصبها سواء ، فإذا نونت للضرورة ، كما فى بيت أبى سفيان أو أردت غدوة من الغدوات تبين حينئذ أنهم قصدوا النصب والتشبيه بالمفعول ، ووجه آخر من البيان ، وهو أنهم قد رفعوها ، فقالوا : لدن غدوة غير مصروفة ، كما يرفع الاسم بعد اسم الفاعل إذا كان فاعلاً وينصب إذا كان مفعولاً إذا نون اسم الفاعل ، كذلك غدوة بعد لدن . لا يكون هذا فيها إلا إذا نونت لدن ، فإن قلت : لدغدوة ، لم يكن إلا خفض إن نونتها ، وإن تركت صرفها للتعريف ، فالفتحة علامة خفضها . ولا تكون غدوة علماً إلا إذا أردتها ليوم بعينه ، وبكرة مثلاً فى العلية ، وليست مثلاً مع لدن وضحة وعشية مصروفة ، وإن أردتها ليوم بعينه . وقد فرغنا من كشف أسرار هذا الباب فى « نتائج الفكر » وأوضحنا هنالك بدائع وعجائب لم يبينها أحد إلا أنها منتزعة من غوى كلام سيديويه ، ومن قواعده التى أصل ، والحمد لله .

وقول أبى سفيان فى هذا الشعر : بهم خذب . الخذب الموح : وفى الجمهرة طعنة خدباء إذا هجمت على الجوف ، وهذا هو الذى أراد أبو سفيان بالخذب .

وأما قول حسان :

إذا عضل سيقت إلينا كأنها جدابة شرك معلمات الحواجب

شرك : جمع شرك .

والجدابة : جدابة السرج ، على أن المعروف جدبة السرج ، لا جدابته فى أقرب من هذا المعنى أن يريد الجدابة من الوحش ، وبالشرك الأشرار التى تنصب لها ، ولذلك قال داميأت الحواجب . وهذا أصح فى معناه ، فقد ذكر أبو عبيد أن الجدابة يقال للواحد والجميع والذكر والأنثى من أولاد الظباء ، ويبعد أن تكون الجدابة جمع جدبة ، وهى جدبة السرج والرحل ، وإن كان قد يقال فى الجمع فعال وفعالة نحو جمال وجمالة ، ولكنه ما هنا بعيد من طريق المعنى والله اعلم .

ويروى شرك بكسر الشين ، وأقرب ما يقال في معنى هذا البيت : أنه أراد الجدابة من الوحش ؛ وهي أولاد الظباء ونحوها ، وقد ذكر أبو عبيد أنه يقال جدابة للواحد والجمع والذكر والأنثى ، فيكون الشرك على هذا في معنى الأشراك التي يصاد بها ، وقد قيل : إن شركا اسم موضع ، والله أعلم ، وعضل قبيلة من خزيمة غادرة ، وسيأتي ذكر غدر عضل والقارة . وقوله : معلمات الحواجب ، يعنى بالدماء ، ويجوز أن يريد سوادها ما بين أعينها ، كما أنشد سيبويه :

وكأنه لهُق السراة كأنه ما حاجبيه معين بسواد

الصارخ بمقتل الرسول عليه السلام : فصل وذكر الصارخ يوم أحد بقتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقول ابن هشام : الصارخ لأزب العقبة : هكذا قيد في هذا الموضع بكسر الهمزة وسكون الزاي ، وذكرنا في بيعة العقبة ما قاله ابن ماكولا في أم كرز بنت الأزب بن عمرو بن بكيل ، وأنه قال : لا يعرف الأزب في العرب إلا هذا ، وأزب العقبة ، وذكرنا حديث ابن الزبير الذي ذكره القتيبي إذ رأى رجلا طوله شبران على بردعة رحله ، فنفضها منه ، ثم عاد إليه ، فقال : ما أنت ؟ قال : أنا أزب ، قال وما أزب قال : رجل من الجرب وذكر باقي الحديث ، ففي هذا الحديث ما يدل على أنه أزب مع قول يعقوب في الألفاظ : الأزب : الرجل القصير ، والله أعلم هل الأزب : والأزب شيطان واحد أو اثنان ، ويقال : الموضع الذي صرخ منه الشيطان جبل عينين ، ولذلك قيل لعثمان رضي الله عنه : أفررت يوم عينين ، وعينان أيضاً : بلد عند الحيرة ، وبه عرف خليلد عينين الشاعر .

من رموا النبي عليه السلام : فصل : وذكر ابن قتيبة ، واسمه عبد الله - وهو الذي قتل مصعب بن عمير ، وجرح وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعتبة بن أبي وقاص أخو سعد ، هو الذي كسر رباعيته - عليه السلام - ثم لم يولد من نسله ولد ، فبلغ الحلم إلا وهو أبحر أو أهتم يعرف ذلك في عقبه .

ومن رماه يومئذ عبد الله بن شهاب جد شيخ مالك محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب ، وقد قيل لابن شهاب أكان جدك عبد الله بن شهاب من شهد بدرأ ؟ قال : نعم ، ولكن من ذلك الجانب يعنى مع الكفار ، وعبد الله هذا هو عبد الله الأصغر ، وأما عبد الله بن شهاب ، وهو عبد الله الأكبر ، فهو من مهاجرة الحبشة ، توفي بمكة قبل الهجرة ، وقد اختلف فيهما أيهما كان المهاجر إلى أرض الحبشة ، فقيل : الأكبر ، وقيل الأصغر ، وكان أحدهما جد الزهري لأبيه ، والآخر لأمه ، وقد أسلم الذي شهد أحداً مع الكفار ، وجرح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فآله ينفعه بإسلامه .

أسماء أجزاء الليل : وذكر مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري من ببي خدرة ، وهو الحارث بن الخزرج ، والخدرة في اللغة : نحو من خمس الليل ، وبعده اليعفور ، وهو خمس آخر من الليل ، وبعده الجمجمة والسدة ، والذي قبل الخدرة يقال له الهزيع ، كل هذا من كتاب كراع

من مص دم رسول الله صلى الله عليه وسلم : وذكر أن مالك بن سنان مص دم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأزدرده ، وقد فعل مثل ذلك ابن الزبير ، وهو غلام حزور حين أعطاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دم حياجه ليدفنه فشربه . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم - كما قال لمالك حين ازدرد دم جرحه : من مس دمه دى ، لم تصبه النار . لكنه قال لابن الزبير ويل لك من الناس وويل للناس منك ، ذكره الدارقطني في السنن ، وفي هذا من الفقه أن دم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخالف دم غيره في التحريم وكذلك بوله قد

مقتل أمية بن خلف : فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أي محمد ، لا نجوت إن نجوت ، فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ؟ فلما دنا ، تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة يقول بعض القوم ، فيما ذكر لي فلما أخذها رسول الله - صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة . تطايرنا عنه ، تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها - قال ابن هشام : الشعراء : ذباب له ادغ - ثم استقبله فطعن في عنقه طعنة تدأ منها عن فرسه مراراً .

قال ابن هشام : تدأ ، يقول : تقالب عن فرسه ، فجعل يتدحرج .

قال ابن إسحاق : وكان أبي بن خلف ، كما حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فيقول : يا محمد إن عندى العوذ ، فرساً أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة ، أقتلك عليه ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، فقال : قتلني والله محمد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك من بأس ؛ قال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك ، فوالله لو بصق على لقتلني ، فأت عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

لقد ورث الضلالة عن أبيه	أبي يوم بارزه الرسول
أتيت إليه تحمل رم عظم	وتوعده وأنت به جهول
وقد قتلت بنو النجار منكم	أمية إذ يغوث : يا عقيل
وتب ابنا ربيعة إذ أطاعا	أبا جهل ، لأمهما المبول
وأفأت حارث لما شغلنا	بأسر القوم ، أسرته فإيل

قال ابن هشام : أسرته : قبيلته :

وقال حسان بن ثابت أيضاً في ذلك :

ألا من مبلغ عنى أيباً	لقد ألقيت في سحق السعير
تمنى بالضلالة من بعيد	وتقسم أن قدرت مع النذور

شربته أم أيمن حين وجدته في إناء من عيدان تحت سريره ، فلم ينكر ذلك عليها ، وذلك والله أعلم للمعنى الذى بيناه في حديث نزول الملكين عليه حين غسل جوفه بالشالج في طست الذهب ، فصار بذلك من المتطهرين ، وبيننا أيضاً هنالك أنه من المتطهرين كأمته لتطهره من الأحداث ، والحمد لله ، إلا أن أبا عمر النخعي ذكر في الاستيعاب أن رجلاً من الصحابة اسمه : سالم حجج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم ازدرد دمه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما علمت أن الدم كله حرام ؟ غير أنه حديث لا يعرف له إسناد والله أعلم وحديث ابن الزبير الذى تقدم ذكره روى الزبير بن أبي بكر ما يشده ويتمم معناه . قال في حديث أسنده : لما ولد عبد الله بن الزبير نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هو هو ، فلما سمعت بذلك أسماء أمه ، أمسكت عن إرضاعه ، فقال لها - عليه السلام : أرضعيه ، ولو بماء عينيك ، كبش بين ذئاب ، وذئاب عليها ثياب لينعن البيت . أو ليققتلن دونه .

تمنيك الاماني من بعيد وقول الكفر برجع في غرور
فقد لافتك طعنة ذي حفاظ كريم البيت ليس بذى فجور
له فضل على الاحياء طراً اذا نابت ملبات الامور

انتهاء الرسول إلى الشعب : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قم الشعب خرج على بن أبي طالب ، حتى ملأ درفته ماء من المهراس ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجده له ريحاً ، فعافه ، فلم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم ، وصب على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من رمى وجه نبيه .

ابن أبي وقاص يحرض على قتل عتبة : قال ابن إسحاق : فحدثني صالح بن كيسان عن حدثه عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول : والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصتي على قتل عتبة بن أبي وقاص ، وإن كان ما علمت لسيء الخلق مبغضاً في قومه ، ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غضب الله على من دى وجهه رسوله .

عمر يصعد إلى قريش الجبل : قال ابن إسحاق : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب ، معه أولئك نفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل قال ابن هشام : كان على تلك الخيل خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا ! فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

معاونة طلحة للرسول : قال ابن إسحاق : ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظاهر بين درعين ، فلما ذهب لينهض صلى الله عليه وسلم لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به ، حتى استوى عليها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني يحيى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول أوجب طلحة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع .

قال ابن هشام : وبلغني عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنية في الشعب .

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غفرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً

مقتل اليمان وابن وقش وابن حاطب : قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهمزوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضهم إلى المنقى ، دون الأعوص

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، رفع حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان ، وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهم لصاحبه ، وهما شيخان كبيران : لا أبالك ، ما تنتظر ؟ فوالله لا بقي لواحد منا من عمره إلا ظم حمار ، إنما نحن هامة اليوم أو غد ، أفلا نأخذ أسيافتنا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله

يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذنا أسيافهما ثم خرجا ، حتى دخلا في الناس ، ولم يعلم بهما ، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبى . فقالوا : والله إن عرفناه ، وصدقوا . قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين ، فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

قال ابن إسحاق : ومحدثي عاصم بن عمر بن قتادة : أن رجلاً منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحة يوم أحد ، فأثى به إلى دار قومه وهو بالموت ، فاجتمع إليه أهل الدار ، فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أبشر يا بن حاطب بالجنة ، قال : وكان حاطب شيخاً قد عسا في الجاهلية ، فنجم يومئذ نفاقه ، فقال : بأى شيء تبشرونه ؟ بجنة من حرمل ! غررتم والله هذا الغلام من نفسه .

مقتل قزمان منافقاً : قال ابن إسحاق : ومحدثي عاصم بن عمر بن قتادة ، قال . كان فينا رجل أنى لا يدري من هو ، يقال له قزمان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، إذا ذكر له : لأنه لمن أهل النار ، قال : فلما كان يوم أحد قاتل قتلاً شديداً ، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظفر ، قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان ، فأبشر ، قال : بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته ، فقتل به نفسه .

قتل مخيريق : قال ابن إسحاق : وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق ، وكان أحد بنى ثعلبة بن الفطيون ، قال : لما كان يوم أحد ، قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال لا سبت لكم .

فأخذ سيفه وعدته ، وقال : إن أصبت فإلى محمد يصنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل معه حتى قتل : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - مخيريق خير يهود .

الحارث بن سويد : قال ابن إسحاق . وكان الحارث بن سويد بن صامت منافقاً ، فخرج يوم أحد مع المسلمين ، فلما التقى الناس ، عدا على المجذر بن زياد البلوى ، وقيس بن زيد ، أحد بنى ضبيعة ، فقتلها : ثم لحق بمكة بقريش ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكر - قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، فقاته ، فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه الجلاس بن سويد يطلب التوبة ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغني ، عن ابن عباس : « كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم ، وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات ، والله لا يهدي القوم الظالمين » ، إلى آخر القصة .

قال ابن هشام : حدثني من أثق به من أهل العلم : أن الحارث بن سويد قتل المجذر بن زياد ، ولم يقتل قيس ابن زيد ، والدليل على ذلك : أن ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أحد ، وإنما قتل المجذر لأن المجذر بن زياد كان قتل أباه سويداً في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في نفر من أصحابه . إذ خرج الحارث بن سويد من بعض حواطط المدينة ، وعليه ثوبان مضر جان ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ، فضرب عنقه ، ويقال : بعض الأنصار .

قال ابن إسحاق: قتل سويد بن الصامت معاذ بن عفراء غيلة، في غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بعثت. أمر أصيرم: قال ابن إسحاق: وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان، مولى ابن أبي أحمد، عن أبي هريرة قال: كان يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط، فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟ فيقول: أصيرم، بنى عبد الأشهل، عمرو بن ثابت بن وقش. قال الحصين: فقلت لمحمد بن أسد: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه، فلما كان يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد، بدا له في الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه، فعدا حتى دخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، قال: فبينما رجال من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه ولأنه لمنكر لهذا الحديث، فسألوه ما جاء به، فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت، ثم أخذت سبني: ففدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه لمن أهل الجنة.

عمرو بن الجموح: قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن أشياخ من بنى سلة: عمرو بن الجموح كان رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسد، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه، وقالوا له: إن الله عز وجل: قد عذرك، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إن بنى يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه في الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك، وقال لبنيه: ما عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة، فخرج معه فقتل يوم أحد.

هند وتمثيلها بحمزة: قال ابن إسحاق: وقعت هند بنت عتبة، كما حدثني صالح بن كيسان، والنسوة اللاتي معها، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يمدعن الأذان والآنف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً وقلانداً، وأعطت خدماً وقلانداً وقرطناً وحشياً، غلام جبير بن مطعم، وبقرت عن كبده حمزة، فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها، فلفظتها، ثم علت على صخرة مشرفة، فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزيناكم يوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لى من صبر ولا أخى وعمه وبكرى
شفيت نفسى وقضيت نذرى شفيت وحشى غليل صدرى
فشكر وحشى على عمرى حتى ترم أعظمى فى قبرى

فأجابتها هند بنت أئمة بن عباد بن المطلب، فقالت:

خزيت فى بدر وبعد بدر يا بذت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر ملهاشمين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى حمزة لى وعلى صقرى
إذا رام شيب وأبوك غدرى فخصباً منه ضواحى النحر
ونذكرك السوء فشر نذكر

قال ابن هشام: تركنا منها ثلاثة أبيات أفدعت فيها.

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة أيضاً :

شفيت من حمزة نفسى بأحد حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عني ذاك ما كنت أجد من لذعة الحزن الشديد المعتمد
والحرب تعلوكم بشؤبوب برد تقدم لإقداماً عليكم كالأسد

قال ابن إسحاق : خُذْنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ أَنَّهُ حَدَّثَ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ : يَا ابْنَ الْفَرِيعةِ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْفَرِيعةُ بِنْتُ خَالِدِ بْنِ خَنْسِيسَ ، وَيُقَالُ : خَنْسِيسَ : ابْنُ حَارِثَةَ بْنِ لَوْذَانَ بْنِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ - لَوْ سَمِعْتَ مَا تَقُولُ هُنْدُ ، وَأَرَيْتَ أَشْرَها قَائِمَةً عَلَى صَخْرَةٍ تَرْتَجِزُ بِنَا ، وَتَذْكُرُ مَا صَنَعْتَ بِحَمْزَةٍ ؟ قَالَ لَهُ حَسَّانُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا نَظُرُ إِلَى الْحَرْبَةِ تَهْوِي وَأَنَا عَلَى رَأْسِ فَارِجٍ - يَعْنِي أَطْمَةَ - فَقُلْتُ : وَاللَّهِ إِنْ هَذِهِ لَسِلَاحُ مَا هِيَ بِسِلَاحِ الْعَرَبِ ، وَكَأَنَّمَا إِنَّمَا تَهْوِي إِلَى حَمْزَةٍ وَلَا أُدْرِي ، لَكِنْ أَسْمَعُنِي بَعْضَ قَوْلِهَا أَكْفِكُوهَا ، قَالَ : فَأَنْشَدَهُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَعْضَ مَا قَالَتْ ، فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

أشرت لسكاع وكان عاداتها لوماً إذا أشرت مع السكفر

قال ابن هشام : وهذا البيت في أبيات له تركناها ، وأبياتاً أيضاً له على الدال . وأبياتاً آخر على الذال ، لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحاق : وقد كان الحليس بن زبآن ، أخو بني الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، قد مر بأبي سفيان ، وهو يضرب في شدة حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول : ذق هق ، فقال الحليس : يا بني كنانة ، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ماترون لحماً ؟ فقال : ويحك ! اكتمها عني ، فإنها كانت زلة .

أبو سفيان يشمت بالمسلمين : ثم إن أبا سفيان بن حرب ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته فقال : أنعمت فعال ، وإن الحرب سجال يوم بيوم ، أعل هبل ، أي : أظهر دينك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عمر فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجل ، لا سواء ، قتلاتنا في الجنة ، وقتلاك في النار . فلما أجاب عمر أبا سفيان ، قال له أبو سفيان : هلم إلى يا عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : انته فانظر ماشأنه ، فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، ولأنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر ، لقول ابن قمئة لهم : إنني قد قتلت محمداً .

قال ابن هشام : واسم ابن قمئة عبد الله .

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبو سفيان : لأنه قد كان في قتلاك مثل ، والله ما رضيت ، وما شخطت ، وما نهيت ، وما أمرت .

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه ، نادى : إن موعدكم بدر للعام المقبل ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرجل من أصحابه : قل : نعم . هو بيننا وبينكم موعد .

على يخرج في آثار قريش : ثم بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علي بن أبي طالب ، فقال : اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل ، وامتنطوا الإبل ، فانهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فانهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده إن أرادوها لاسيرن إليهم فيها ،

ثم لانا جزئهم قال على: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون؛ فجنبوا الخيل، وامتطوا الإبل، ووجهوا إلى مكة. سعد بن الربيع: وقرخ الناس لقتلهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صهصعة المازني، أخو بني النجار: من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظرك يا رسول الله ما فعل سعد، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق. قال: فقلقت له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر، أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جراك الله عنا خير ماجزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: لأنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عين تطرف. قال: ثم لم أبرح حتى مات، قال: فنجت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره.

قال ابن هشام: وحدثني أبو بكر الزبيري: أن رجلاً دخل على أبي بكر الصديق وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشفها ويقبلها، فقال له الرجل: من هذه؟ قال هذه بنت رجل خير مني، سعد بن الربيع كان من النقباء يوم العقبة، وشهد بدرأ، واستشهد يوم أحد.

الرسول يحزن على حمزة ويتوعد المشركين بالمثلثة: قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما بلغني، يتلمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده يبطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به، فجدع أنفه وأذناه.

حدثني محمد بن جعفر بن الزبير: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى ما رأى: لولا أن تحزن صفيّة، ويسكون سنة من بعدى تركته، حتى يكون في بطون السباع، وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قریش في موطن من المواطن لأمثان بثلاثين رجلاً منهم. فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغیظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لئن أظهرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب.

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال: لن أصاب بمثلك أبداً! ما وقفت موقفاً قط أغیظ إلى من هذا! ثم قال: جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسود رسوله.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وأبو سلبة بن عبد الأسد، إخوة من الرضاعة، أرضعتهم مولاة لابن لهب.

قال ابن إسحاق: وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني من لا أنهم عن ابن عباس: أن الله عز وجل أنزل في ذلك، من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول أصحابه: «وإن عاقبتكم فعاقبوا بمثل ما عوقبتكم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين». واصبر وما صبرك إلا بالله، ولا تحزن عليهم، ولا تأكل في ضيق مما يمكرون»، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصبر ونهى عن المثلثة.

قال ابن إسحاق: وحدثني حميد الطويل، عن الحسن، عن شمرة بن جندب، قال: ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام قط ففارقه، حتى يأمرنا بالصدقة، وينهانا عن المثلثة.

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أنهم عن مقسم، مولى عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسجى ببردة ثم صلى عليه، فكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى فيوضون إلى حمزة، فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة.

قال ابن إسحاق : وقد أقبلت فيما بلغني ، صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه وكان أخاها لآبيها وأما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهأ الزبير بن العوام : القها فأرجعها ، لا ترى ما بأخيها ، فقال لها : يا أمه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي ، قالت : ولم ؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي ، وذلك في الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لا تحسبن ولا صبرن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خل سبيلها ، فأتته ، فنظرت إليه ، فصلت عليه ، واسترجعت ، واستغفرت له ، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن .

دفن الشهداء : قال : فزعم لي آل عبد الله بن جحش - وكان لأميمة بنت عبد المطلب ، حمزة خاله ، وقد كان مثل به كما مثل بحمزة ، إلا أنه لم يقر عن كبده - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفنه مع حمزة في قبره ولم أسمع ذلك إلى عن أهله .

قال ابن إسحاق : وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فدفنهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنهم حيث صرخوا .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري ، حليف بني زهرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على القتلى يوم أحد ، قال : أنا شهيد على هؤلاء ، إنه مامن جريح يجرح في الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه ، اللون لون دم والريح ريح مسك ، وانظروا أكثر هؤلاء جمعا للقرآن ، فاجعلوه أمام أصحابه في القبر - وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد .

قال : وحدثني عمي موسى بن يسار ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : مامن جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بني سلة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ ، حين أمر بدفن القتلى : انظروا إلى عمرو بن الجوح ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا ، فاجعلوهما في قبر واحد .

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة ، فلقيته حمزة بنت جحش ، كما ذكر لي ، فلما لقيت الناس نعى إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة ابن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن زوج المرأة منها لمسكان ! لما رأى من تشبها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : لكن حمزة لا يواكي له ! فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزن ، ثم يذهبن فيسكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثني حكيم بن حكيم عن عباد بن حنيفة ، عن بعض رجال بني عبد الأشهل ، قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يسكين عليهن ، فقال : ارجعن يرحمكن الله ، فقد آسيتن بأنفسكن .

قال ابن هشام : ونهى يومئذ عن النوح .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بكاء هن ، قال : رحم الله الأنصار ! فإن المواساة منهم ما عتمت لقديمة ، مروهن فليصرفن .

المرأة الدينارية : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل بن محمد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نعوها لها ، قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أروني حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ! تريد صغيرة .

قال ابن هشام : الجلل : يكون من القليل ، ومن الكثير ، وهو هنا من القليل . قال امرؤ القيس في الجلل القليل :

لقتل بنى أسد ربهم ألا كل شيء سواه جلل

قال ابن هشام : وأما قول الشاعر ، وهو الحارث بن وعة الجرمي :

ولئن عفوت لأعفون جللاً ولئن سطوت لأوهن عظمى

غسل السيوف : قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقني اليوم ، وناولها على بن أبي طالب سيفه ، فقال : وهذا أيضاً ، فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة .

قال ابن هشام : وكان يقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذو الفقار .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن ابن أبي نجيح قال : نادى مناد يوم أحد :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعلي بن أبي طالب : لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا .

قال ابن إسحاق : وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال .

غزوة حراء الاسد

قال : فلما كان الغد يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو . فأذن مؤذنه أن لا يخرج من معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالامس . فكلمه جابر بن عبد الله ابن عمرو بن حرام ، فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان خلفني على أخوات لي شبيع ، وقال : يا بني ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذي أوترك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ، فتخلف على أخواتك ، فتخلف عليهن ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه . وإنما خرج

رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدو ، وإيلافهم أنه خرج في طلبهم ، ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يرههم عن عدوهم .

قال ابن إسحاق . لخدمى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان : أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من بنى عبد الأشهل . كان شهد أحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : شهدت أحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا وأخى ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو ، قلت لأخى أو قال لى : أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل ، نخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسر جرحاً ، فكان إذا غلب حملته عقبة ، ومشى عقبة ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فأقام بها الاثني والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

قال : وقد مر به كما حدثنى عبد الله بن أبي بكر ، معبد بن أبي معبد الخزاعى ، وكانت خزاعة ، مسلمهم ومشرِكهم عيبة نصيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتهامة ، صفقتهم معه ، لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حد أصحابه وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ! لنسكن على بقيتهم ، فلنفرغ منهم ، فلما رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، ونددوا على ما صنعوا ، فيهم من الحق عليكم شيء لم أر مثله قط ، قال : ويحك ! ما تقول : قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصى الخيل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم ، لنستأصل بقيتهم : قال : فإنى أنهارك عن ذلك ، قال : والله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيهم أحياناً من شعر ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كادت تهد من الأصوات را حلقى	إذ سالت الأرض بالجرد الأبا بيل
تردى بأسد كرام لا تنابلة	عند اللقاء ولا ميل معاذيل
فظلت عدواً أظن الأرض مائلة	لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت : ويل ابن حرب من لقائكم	إذا تنظمت البطحاء بالخيل
إنى نذير لاهل البسل ضاحية	لكل ذى إربة منهم ومعقول

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه

ومر به ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ؟ قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم هذه غداً زيبياً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا نعم ، قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ، فر الكركب

برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد ؛ فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال : حسـبنا الله ونعم الوكيل .

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد ، أراد الرجوع إلى المدينة ، ليستأصل بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صفوان بن أمية بن خلف : لا تفعلوا ، فإن القوم قد حربوا ، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان ، فارجعوا ، فرجعوا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بحمراء الاسد ، حين بلغه أنهم هموا بالرجعة : والذى نفسى بيده ، لقد سومت لهم حجارة ، لو صبـحوا بها لكانوا أكاسم الزاهب .

قال أبو عبيدة : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهة ذلك ، قبل رجوعه إلى المدينة ، معاوية بن المغيرة ابن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك بن مروان ، أبو أمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزة الجحى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسره بيد ، ثم من عليه ، فقال : يا رسول الله ، أفلنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا تسمح عارضيك بمكة بعدها وتقول : خدعت محمداً مرتين ، اضرب عنقه يا زبير . فـضرب عنقه .

قال ابن هشام : وبلغنى عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت ، فـضرب عنقه .

قال ابن هشام : ويقال : إن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلوا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الاسد ، كان لجأ إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ، على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعثهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : لانسكا ستجدانه بموضع كذا وكذا ، فوجداه فقتلاه .

شأن عبد الله بن أبى بعد غزوة أحد : قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان عبد الله بن أبى بن سلول ، كما حدثنى ابن شهاب الزهري ، له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر ، شرفاً له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ؛ فانهروه وعزروه ، وأسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس ، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بليابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أى عدو الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت ، فخرج يتخطى رقاب للناس وهو يقول : والله لكانما قلت بجرأ أن قت أشدد أمره . فلقى رجل من الانصار بياب المسجد ، فقال مالك ؟ وملك ! قال : قت أشدد أمره ، فوثب على رجال من أصحابه يهذبوننى ويعنفوننى ، لكانما قلت بجرأ أن قت أشدد أمره ، قال وملك ! ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والله ما أتبغى أن يستغفر لى .

تمحيص المؤمنين يوم أحد : قال ابن إسحاق : كان يوم أحد يوم بلاء ومصيبة وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ونحن به المنافقين من كان يظهر الإيمان بلسانه ، وهو مستخف بالكفر في قلبه . ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته .

قتل الرسول لأبي بن خلف

فصل : وذكر قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ، وفيه : تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير . الشعراء : ذباب صغير له لدغ ، تقول العرب في أمثالها : قيل للذئب : ما تقول في غنيمة تحرشها جويرية ؟ قال : شحيمة في حلقي ، قيل : فما تقول في غنيمة يحرسها غليم ؟ قال : شعراء في لبطل أخشى خطواته الخطوات : سهام من قضبان لينة يتعلم بها الغلمان الرمي وهي الجراح أيضاً قال الشاعر :

أصاب حبة القلب بسهم غير جماح

من كتاب أبي حنيفة ، ورواه القتيبي : تطاير الشعر ، وقال : هي جمع شعراء ، وهي ذباب أصغر من القمع ، ولي الحديث من غير رواية ابن إسحاق فزجله بالحربة ، أي رماه بها .

عين قتادة : وذكر قتادة بن النعمان بن زيد ، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه ، وهو الرجل الذي سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقرأ : قل هو الله أحد ، يرددتها ، فقال وجبت ، وحديثه في الموطأ ، وذكر أن عينه أصيبت يوم أحد ، روى عن جابر بن عبد الله ، قال : أصيبت عين رجل منا يوم أحد ، وهو قتادة بن النعمان ، حتى وقعت على وجنته ، فأثينا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : إن لي امرأة أحبها ، وأخشى إن رأيتني أن تفقدني ، فأخذها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده ، ورددتها إلى موضعها ، وقال : اللهم اكسبه جمالا ، فكانت أحسن عينيه ، وأحدهما نظراً ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى ، وقد وفد على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - رجل من ذريته ، فسأله عمر من أنت ؟ فقال :

أنا ابن الذي سألت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أيما رد
فعمادت كما كانت لأول أمرها فيا حسن ما عين ويا حسن ماخذ

فقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

تلك المكارم لأقربان من لبن شيئا بماء فعادا بعد أبوالا

فوصله عمر ، وأحسن جائزته ؛ وقد روى أن عينيه جميعاً سقطتا ، فردهما النبي - صلى الله عليه وسلم - رواه محمد بن أبي عثمان عن مالك بن أنس عن محمد بن عبد الله بن أبي صمصمة عن أبيه عن أبي سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان قال : أصيبت عيناى يوم أحد ، فسقطتا على وجنتي ، فأثيت بهما النبي - صلى الله عليه وسلم - فأعادهما النبي - صلى الله عليه وسلم - مكانهما ، وبصق فيهما ، فعادتا تبرقان ، قال الدارقطني : هذا الحديث غريب عن مالك ، تفرد به عمار بن نصر ، وهو ثقة ورواه الدارقطني عن إبراهيم الحربي عن عمار بن نصر .

أنساب وثقة : فصل : وذكر ثابت بن وقش ، والوقش : الحركة ، وحسيل بن جابر والد حذيفة بن اليمان ، وسمى حسيل بن جابر اليماني ، لأنه من ولد جرورة بن مازن بن قطيمة بن عيس ، وكان جرورة قد بعد عن أهله في اليمن زمناً طويلاً ، ثم رجع إليهم فسموه اليماني ، وحذيفة بن اليمان يكنى أبا عبد الله حليف بن عبد الأشهل أمه الرباب بنت كعب . قال ابن إسحاق : فاختلفت عليه : يعنى اليماني أسياف المسلمين . وفي تفسير ابن عباس : أن الذي قتله منهم خطأ هو عتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود ، وجد عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الفقيه ، ذكره عبد بن حميد في التفسير ، وعتبة هو أول من سمى المصحف مصحفاً ، فيما روى ابن وهب في الجامع .

وقول ثابت بن وقش وحسيل : إنما نحن هامة اليوم أو غد ، يريد : الموت ، وكان من مذهب العرب في الميت أن روحه تصير هامة ، ولذلك قال الآخر :

وكيف حياة أصداء وهام

وقوله : لم يبق من عمرنا إلا ظم حمار . إنما قال ذلك ، لأن الحمار أقصر الدواب ظمئاً ، والإبل أطولها أظماء .

وذكر قزمان ، وهو اسم مأخوذ من القزم ، وهو رذال المال ، ويقال : القزمان الرديء من كل شيء .

وذكر الأصيرم ، وهو عمرو بن ثابت بن وقش ، ويقال فيه وقش بتجريك القاف .

وقول حاطب المنافق : الجنة من حرمل ، يريد الأرض التي دفن فيها ، وكانت تذبث الحرمل أى : ليس له جنة إلا ذاك .

فصل : وذكر خبر عمرو بن الجوح حين أراد بنوه أن يمنعوه من الخروج إلى آخر القصة ، وزاد غير ابن إسحاق أنه لما خرج قال : اللهم لا تردني ، فاستشهد ، فجعله بنوه على بعير ، ليحملوه إلى المدينة ، فاستصعب عليهم البعير ، فكان إذا وجهوه إلى كل جهة سارع إلا جهة المدينة ، فكان يأبى الرجوع إليها ، فلما لم يقدرُوا عليه ذكروا قوله : اللهم لا تردني إليها ، فدفنوه في مصرعه .

فصل : وقول هند بنت أئانة :

مل هاشمين الطوال الزهر

يحذف النون من حرف من لالتقاء الساكنين ، ولا يجوز ذلك إلا في من وحدها لكثرة استعمالها ، كما خصت نونها بالفتح إذا التقت مع لام التعريف ، ولا يجوز ذلك في نون ساكنة غيرها ، كرهوا توالي الكسرتين مع توالي الاستعمال ، فإن التقت مع ساكن غير لام التعريف نحو من ابنك ، ومن اسمك ، كسرت على الأصل ، والقياس المستتب . قال سيبويه : وقد فتحها قوم فصحاء يعني مع غير لام التعريف .

وقول حسان في هند : أشرت لكع ، جعله اسماً لها في غير النداء ، وذلك جائز ، وإن كان في النداء أكثر ، نحو يا غدار ويا فاسق ، وكذلك لكع ، قد استعمل في غير النداء ، نحو قوله عليه السلام : أين لكع يعني : الحسن أو الحسين مازحاً لهما . فإن قيل : إن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يمزح ، ولا يقول إلا حقاً ، فكيف يقول : أين لكع وقد سماه سيداً في حديث آخر ؟ فالجواب : أنه أراد التشبيه بالكع الذي هو الفلأ أو المهر لأنه طفل كما أن الفلأ والمهر كذلك ، وإذا قصد بالكلام قصد التشبيه ، لم يكن كذباً ، ونحو قوله عليه السلام : لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس في الدنيا لكع بن لكع ، والكع في اللغة : وسخ الغرلة ، وهو أيضاً الفلأ الصغير ، فمن أجل هذا جاز أن يستعمل في غير النداء ، لأنه على هذا الوجه غير معدول كما عدل خبت عن خبيث ، وفسق عن فاسق ، وقال ابن الأنباري في ازهار : اشتقاقه من الملاكع ، وهو ما يخرج مع المولود من ماء الرحم ودمها ، وأنشد :

رمت الفلاة بمعجل متسريل غرس السلي وملاكع الامشاج

قال : ويقال في الواحد بالكع ، وفي الاثنين يا ذوى لكعبة ولكاعة ، ولا تصرف لكعبة ، ولكن تصرف لكاعة لانه مصدر وفي الجميع - يا ذوى لكعبة ولكاعة وفي المأثوث على هذا القياس .

قال المؤلف : ولا يقال بالكاعان ، ولا فسقان ، لسر شرحناه في غير هذا الكتاب . وتلخيص معناه : أن العرب قصدت بهذا النبأ في النداء قصد العلم ، لأن الاسم العلم ألزم للسمى من الوصف المشتق من الفعل نحو فاسق وغادر ، كما قالوا عمر ، وعدلوا عن عامر الذي هو وصف في الاصل تحقيقاً منهم للعلبية ، ثم إن الاسم العلم لا يثنى ولا يجمع وهو علم ، فإذا ثنى زال عنه تعريف العلية ، فمن أجل ذلك لم يثنوا يافسق وياغدر ، لأن في ذلك نقضاً لما قصدوه من تفريله منزلة الاسم العلم ، أى : لانه مستحق لأن يسمى بهذا الاسم ، فهذا أبلغ من أن يثولوا : يافاسق ، فيجشوا بالاسم ، الذي يجرى مجرى الفعل والفعل غير لازم ، والعلم ألزم منه ، والتثنية والجمع تبطل العلية كما ذكرنا فافهمه ، ووقع في الموطأ من رواية يحيى في حديث عبد الله بن عمر أنه قال لمولاه له : أقعدى لكع ، وقد عيب هذه الرواية على يحيى ، لأن المرأة إنما يقال لها : لكاع ، وقد وجدت الحديث كما رواه يحيى في كتاب الدارقطني ، ووجهه في العربية أنه منقول غير معدول فجاز أن يقال للامة بالكع كما يقال لها إذا سبت : يا ذيل ويا وسخ إذ لكع ضرب من الوسخ ، كما قدمناه وهو في كتاب العين .

الرسول يسأل عن الربيع : فصل : وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا ، وذكر الحديث . الرجل : هو محمد بن مسلمة ، ذكره الواقدي ، وذكر أنه نادى في القتلى : يا سعد بن الربيع مرة بعد مرة ، فلم يجبه أحد ، حتى قال يا سعد إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرسلني أنظر ما صنعت ، فأجابه حينئذ بصوت ضعيف ، وذكر الحديث ، وهذا خلاف ما ذكره أبو عمر في كتاب الصحابة ، فإنه ذكر فيه من طريق ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده أن الرجل الذي التمس سعداً في القتلى هو أبي بن كعب .

حميد الطويل : وذكر عن حميد الطويل عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم - في النهي عن المثلة ، وحميد الطويل هو حميد بن تيرويه ، ويقال : ابن تيرى يكنى أبا حميدة مولى طلحة الطاححات ، وهو حديث صحيح في النهي عن المثلة . فإن قيل : فقد مثل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالعرنيين ففقط أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ، وتركهم بالحرة .

قلنا : في ذلك جوابان : أحدهما : أنه فعل ذلك قصاصاً لأنهم قطعوا أيدي الرعاء وأرجلهم وسملوا أعينهم ، روى ذلك في حديث أنس ، وقيل : إن ذلك قبل تحريم المثلة . فإن قيل : فقد تركهم يستسقون فلا يسقون ، حتى ماتوا عطشاً ، قلنا عطشهم لأنهم عطشوا أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم - تلك الليلة ، روى في حديث مرفوع أنه عليه السلام لما بقي وأهله تلك الليلة بلا لبن ، قال : اللهم عطش من عطش أهل بيت نبيك . وقع هذا في شرح ابن بطلال ، وقد خرجه النسوى .

حول الصلاة على الشهداء : وروى ابن إسحاق عن لا يهتم عن مقسم عن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى على حمزة ، وعلى شهداء يوم أحد ، ولم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعي لوجبين : أحدهما ضعف إسناد هذا الحديث ، فإن ابن إسحاق قال : حدثني من لا أتهم ، يعنى : الحسن بن عماره - فما ذكروا - ولا خلاف في ضعف الحسن بن عماره عند أهل الحديث ، وأكثرهم لا يروونه شيئاً ، وإن كان الذي قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم غير الحسن ، فهو مجهول ، والمجهول يوبقه .

والوجه الثاني : أنه حديث لم يصحبه العمل ، ولا يروى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه إلا هذه الرواية في غزوة أحد ، وكذلك في مدة الخلفيتين إلا أن يكون الشهيد مرتباً مع المعركة ، وأما ترك غسله ، فقد أجمعوا عليه ، وإن اختلفوا في الصلاة إلا رواية شاذة عند بعض التابعين ، والمعنى في ذلك - والله أعلم - تحقيق حياة الشهداء وتصديق قوله سبحانه : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، الآية مع أن في ترك غسله معنى آخر ، وهو أن دمه أثر عبادة ، وهو يحى يوم القيامة وجرحه يشعب دماً ويربحة ريح المسك ، فكيف يطهر منه وهو طيب وأثر عبادة ، ومن هذا الأصل انتزع بعض العلماء كراهية تجفيف الوجه من ماء الوضوء ، وهو قول الزهري ، قال الزهري : وبلغني أنه يوزن ، ومن هذا الأصل انتزع كراهية السواك بالعشى للصائم لئلا يذهب خلوف فمه ، وهو أثر عبادة ، وجاء فيه ما جاء في دم الشهداء أنه أطيب عند الله من ربيع المسك ، ويروى أطيب يوم القيامة من ربيع المسك . زواه مسلم باللفظين جميعاً ، والمعنى واحد ، وجاءت الكراهية للسواك بالعشى للصائم عن علي وأبي هريرة ، ذكر ذلك الدارقطني .

عبد الله بن جحش : وذكر عبد الله بن جحش بن أخت حمزة ، وأنه مثل به كما مثل بحمزة ، وعبد الله هذا يعرف بالمجدع في الله ، لأنه جدع أنفه وأذناه يومئذ ، وكان سعد بن أبي وقاص يحدث أنه لقيه يوم أحد أول النهار ، غلابة ، وقال له عبد الله : يا سعد هلم فلندع الله وليذكر كل واحد منا حاجته في دعائه ، وليؤمن الآخر ، قال سعد : فدعوت الله أن ألقى فارساً شديداً بأسه شديداً حرده من المشركين ، فأقتله ، وأخذ سلبه ، فقال عبد الله آمين ثم استقبل عبد الله القبلة ، ورفع يديه إلى السماء ، وقال اللهم لقني اليوم فارساً شديداً بأسه شديداً حرده ، يقتلني ويجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك غداً نقول لى : يا عبدى : فمجدع أنفك وأذنك ، فاقول : فيك يارب ، وفي رسولك ، فتقول لى : صدقت ، قل يا سعد : آمين قال فقلت : آمين ، ثم مررت به آخر النهار قتيلاً مجدوع الأنف والأذنين ، وأن أذنيه وأنفه معلقان بخيط ولهيئت أنا فلاناً من المشركين ، فقتلته ، وأخذت سلبه ، وذكر الزبير أن سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم أحد فأعطاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عرجوناً ، فعاد في يده سيفاً ، فقاتل به ، فكان يسمى ذلك السيف العرجون ، ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغاء التركي بمائتي دينار ، وهذا نحو من حديث عكاشة الذي تقدم إلا أن سيف عكاشة ، كان يسمى العون ، وكلفت قصة عكاشة يوم بدر ، وكان الذي قتل عبد الله بن جحش أبو الحكم بن الأخنس بن شريق وكان عبد الله حين قتل ابن بضج وأربعين سنة ، فيما ذكروا ودفن مع حمزة في قبر واحد .

عمر وأبو سفيان : فصل : وما وقع في هذه الغزوة من الكلام الذي يسأل عنه قول أبي سفيان حين قال : اعل هبل ، أى زد علوا ، ثم قال : أنعمت ، فعال ، قالوا : معناه الأزالام ، وكان استقسم بها حين خرج إلى أحد فخرج الذي يحب وقوله : فعال : أمر أى عال عنها وأفصر عن لومها ، تقول للعرب : اعل عني ، وعال عني بمعنى : أى ارتفع عني ، ودعني . ويروى أن الزبير قال لأبي سفيان يوم الفتح : أين قولك : أنعمت ، فعال ؟ فقال : قد صنع الله خيراً ، وذهب أمر الجاهلية .

وقول عمر لا سواء ، أى لآنحن سواء ولا يجوز دخول لا على اسم مبتدأ معرفة إلا مع التكرار نحو لا زيد قائم ، ولا عمرو خارج ، ولكنه جاز في هذا الموضع ، لأن القصد فيه إلى نفي الفعل ، أى لا يستوى ، كما جاز لا نولك ، أى : لا ينبغي لك ، وقد بينا هذا في أول الكتاب حيث تكلمنا على قوله :

فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

أول وقف في الاسلام : وما يليق ذكره بهذه الغزاة حديث بخيريق ، وهو أحد بني النضير ، وقوله : إن أصبت فالى محمد يصنع فيه ماشاء ، فأصيب يوم أحد ، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين انصرف ماله أوقافاً ، وهو أول حبس حبس في الإسلام ، روى ذلك عن محمد بن كعب القرظي ، وقال الزهري : كانت سبع حوائط ، وأسمائها : الأعراف ، والأعواف والصفافية والدلال وبرقة ، وحسنى ومشربة أم إبراهيم ، وإنما سميت مشربة أم إبراهيم ، لأنها كانت تسكنها ، وقد ذكر ابن إسحاق حديث بخيريق ، وهذا الذي ذكرناه تكملة له ؛ وزيادة فائدة فيه .

وذكر : لا سيف إلا ذو الفقار ، بفتح الفاء جمع فقارة ، وإن قيل ذو الفقار بالكسر ، فهو جمع فقرة ، وقد تقدم شرحه . ووقع في غير هذه الرواية أن ربحاً هبت يوم أحد ، فسمعوا قائلاً يقول :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على

في أبيات ذكرها ، وذكر ابن إسحاق أيضاً من غير رواية البكائي قول على لفاطمة حين غسلت سيفه من الدم .
أفاطم هاتي السيف غير ذميم فلست برعديد ولا بلنيم

غزوة حمراء الاسد

قصيدة معبد الخزاعي : ذكر شعر معبد الخزاعي وفيه :

إذا تنظمت البطحاء بالخيـل

لفظ مستعار من الخطمة ، وهو صوت غليان القدر .

قوله بالخيـل جعل الردف حرف لين ، والايات كلها مردفة الروى بحرف مد ولين ، وهذا هو السناد الذي بيناه أول الكتاب عند قول ابن إسحاق فسواند بين القبائل ، ونظيره قول عمرو بن كلثوم .

ألا هي بصحنك فاصبحينا

تصفقها الرياح إذا جرينا

ثم قال :

وتسمية هذا سناد عربية لاصناعية ، قال عدى بن الرقاع :

وقصيدة قد بت أجمع بيـنها حتى أقوم ميلها وسنادها

نظر المثقف في كعوب قناته كـما يقيم ثقافه منادها

وقوله : لا تنابلة . التنابلة : القصار ، وأحدهم : تنبال ، تفعال من النبل ، وهي صغار الحصى .

أبو عزة الجهمي : وذكر أبا عزة ، وكان الذي أسره عمير بن عبد الله ، كذا ذكر بعضهم ، وأحسبه عبد الله بن عمير أحد بني خدارة ، أو عبد الله بن عمير الخطمي ومن خبر أبي عزة ما ذكر الزبير عن ابن جعدبة والضحاك بن عثمان . والجعدبة في اللغة واحدة الجعادب ، وهي التفاحات التي تكون في الماء . قالوا : برص أبو عزة الجهمي ، فكانت قريش لا تؤاكله ولا تجالسـه فقال الموت خير من هذا ، فأخذ حديثه ، ودخل بعض شعاب

ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلي ، قال : فكان لما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران ، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ، ومعاقبة من عانب منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « ولإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مقاعد للقتال ، والله سميع عليم » .

قال ابن هشام : تبوء المؤمنون : تتخذ لهم مقاعد ومنازل . قال السكيت بن زيد : ليتنى كنت قبلة قد تبوأ مضجعا وهذا البيت في أبيات له .

أى سميع بما تقولون ، علم بما تخفون

« إذ هم طائفتان منكم أن تفشلا » : أن تتخاذلا ، والطائفتان : بنو سلة بن جشم بن الخزرج ، وبنو حارثة ابن النبيت من الأوس ، وهما الجناحان . يقول الله تعالى : « والله وليهما » : أى المدافع عنهما ما همتا به من فشلها ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما غير شك في دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائده ، حتى سلبتا من وهنهما وضعفهما ولحقتهما بنبيهما صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : حدثني رجل من الأسد من أهل العلم ، قال : قالت الطائفتان ما نحب أنا لم نهم بما هممنا به ، لتولى الله إيانا في ذلك .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » : أى من كان به ضعف من المؤمنين

مكة فطعن بها في معدة ، والمعد موضع عقب الراكب من الدابة ، وقال ابن جعدبة : فارت الحديدة وقال الضحاك : بين الجلد والصفاق فسال منه أصفر فبرى ، فقال :

اللهم رب وائل ونهد والتمعات والجبال الجرد
ورب من يرعى بأرض نجد أصبحت عبداً لك وابن عبد
أبرأتني من وضع بجلد من بعد ما طعنت في معدى

رسالة أبي سفيان : وذكر إرسال أبي سفيان مع الركب بالوعيد ، وكان الموصل مقالته للمؤمنين نعيم بن مسعود ، فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، كذلك جاء في التفسير .

قول عبد الله بن أبي : وذكر قول عبد الله بن أبي حين أخرج من المسجد : لكانما قلت بجرأ . البحر : الأمر العظيم والبحارى : الدواهي ، وفي وصية أبي بكر : يا هادي الطريق جرت ، إنما هو الفجر أو البحر قال الخطابي معناه الداهية .

وذكر ابن إسحاق في غير هذه الرواية قول النبي صلى الله عليه وسلم في قتلي أحد : يا ليتني غودرت مع أصحاب نحص الجبل ، نحص الجبل أسفله ، قاله صاحب العين .

فليتوكل على ، وليستعن بي ، أعنه على أمره ، وأدفع عنه ، حتى أبلغ به ، وأدفع عنه ، وأقويه على نيته . . ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلمكم تشكرون ، : أى فاتقوني ، فإنه شكر نعمتي . . ولقد نصركم الله ببدر ، وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة . إذ تقول المؤمن أن يكفكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . . بلى إن تصبروا وتيقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، : أى إن تصبروا لعدوى ، وتطيعوا أمرى ، ويأتوكم من وجههم هذا ، أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

قال ابن هشام : مسومين : معلين . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : أعلموا على أذناب خيلهم ونواصيها بصوف أبيض ، فأما ابن إسحاق فقال : كانت سيماهم يوم بدر عمام بيضاء . وقد ذكرت ذلك فى حديث بدر . والسيما : العلامة . وفى كتاب الله عز وجل : « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » : أى علامتهم . و « حجارة من سجيل منضوذة مسومة » ، يقول : معلية . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : عليها علامة ، أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها من حجارة العذاب ، قال رؤبة بن العجاج :
فالآن تبلى بى الجياد السهم ولا تجاريفى إذا ما سوموا
وشخصت أبصارهم وأجذموا

وهذه الأبيات فى أرجوزة له : والمسومة أيضاً المرعية ، وفى كتاب الله تعالى : « والخيل المسومة » ، و « شجر فيه تسيمون » ، تقول العرب : سوم خيله وإبله ، وأسماها : إذا رعاها ، قال الكيث بن زيد :

راعياً كان مسجحاً ففقدنا ه وفقد المسيم هلك السوام

قال ابن هشام . مسجحا : سلس السياسة محسن إلى الغنم ، وهذا البيت فى قصيدة له .

« وما جعله الله إلا بشرى لكم ، ولتطمئن قلوبكم به ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » : أى ما سميت لكم من سميت من جنود ملائكتى إلا بشرى لكم ، ولتطمئن قلوبكم به ، لما أعرف من ضعفكم ، وما النصر إلا من عندى ، لسلطاني وقدرتي ، وذلك أن العز والحكم لى ، لا إلى أحد من خلقى . ثم قال : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » : أى ليقطع طرفاً من المشركين بقتل ينتقم به منهم ، أو يردم خائبين : أى ويرجع من بقى منهم فلا خائبين ، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون .

قال ابن هشام : يكبتهم : يغمم أشد الغم ، ويمغمم ما أرادوا . قال ذو الرمة :
ما أنس من شجن لا أنس موقفنا فى حيرة بين مسرور ومسكوت

ويكبتهم أيضاً : يصرعهم لوجوههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس لك من الأمر شيء ، أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم فإنهم ظالمون » : أى ليس لك من الحكم شيء فى عبادى ، إلا ما أمرت به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتى ، فإن شئت فعلت : أو أعذبهم بذنوبهم فبحقنى « فإنهم ظالمون » : أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم لأبى « والله غفور رحيم » ، أى يغفر الذنب ويرحم العباد ، على ما فيهم .

ثم قال : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضاعافاً مضاعفة » ، أى لا تأكلوا فى الإسلام ، إذ هذا كم الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره ، مما لا يحل لكم فى دينكم « واتقوا الله لعلمكم تفلحون » : أى فأطيعوا الله

لعلكم تنجون مما حذركم الله من عذابه ، وتدركون ما رغبكم الله فيه من ثوابه ، « واتقوا النار التي أعدت للكافرين » : أي التي جعلت داراً لمن كفر بي .

ثم قال : « وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » ، معاتباً للذين عصوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم به في ذلك اليوم وفي غيره . ثم قال : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » ، أي داراً لمن أطاعني وأطاع رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، والذين ينفقون في السراء والضراء ، والكواظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » : أي وذلك هو الإحسان ، وأنا أحب من عمل به ، « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظالموا أنفسهم فكروا الله فاستغفروا لذنوبهم . ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » : أي إن أتوا فاحشة ، أو ظالموا أنفسهم بمعصية ذكروا نهي الله عنها ، وما حرم عليهم ، فاستغفروه لها ، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو . « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » : أي لم يقيموا على معصيتي كفعل من أشركني فيما غلوا به في كفرهم ، وهم يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيري . « أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنت تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها » ، ونعم أجر العاملين » : أي ثواب المطيعين .

ثم استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم ، والبلاء الذي أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذهم الشهداء منهم ، فقال : تعزية لهم . وتعريفاً لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذابين » : أي قد مضت مني وقائع نكبة في أهل التكذيب لرسلي والشرك في عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، فأروا مثلات قد مضت مني فيهم ، ولئن هو على مثل ما هم عليه من ذلك مني ، فإني أمليت لهم : أي لئلا يظنوا أن نكمتي انقطعت عن عدوكم وعدوي للدولة التي أدلتهم بها عليكم ، لئبتيكم بذلك ، ليعلمكم ما عندكم .

ثم قال تعالى : « هذا بيان للناس وهدى ووعظة للمتقين » ، أي هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى « وهدى وموعظة » : أي نور وأدب للمتقين ، أي من أطاعني وهرب أمري ، « ولا تمننوا ولا تحزنوا » : أي لا تضعفوا ولا تبتسوا على ما أصابكم ، « وأنتم الاعلون » ، أي لكم تكون العاقبة والظهور ، إن كنتم مؤمنين ، « أي إن كنتم صدقتم نبيي بما جاءكم به عنى » ، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله : أي جراح مثلاً « وتلك الأيام نداولها بين الناس » : أي نصرها بين الناس بالبلاء والتمحيص « وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء » ، والله لا يحب الظالمين : أي يميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة « والله لا يحب المنافقين » : أي الذين يظهرون بالسنن الطاعة وقلوبهم مصرة على المعصية « وليحص الله الذين آمنوا » ، أي يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذي نزل بهم ، وكيف صبرهم ويقينهم « ويمحق الكافرين » : أي يبطل من المنافقين قلوبهم بالسنن ما ليس في قلوبهم ، حتى يظهر منهم كفرهم الذي يستترون به .

ثم قال تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » : أي حسبتم أن تدخلوا الجنة ، فتصيبوا من ثوابي الكرامة ، ولم أختبركم بالشدة ، وأبتليكم بالمكاره ، حتى أعلم صدق ذلك منكم بالإيمان بي ، والصبر على ما أصابكم في ، ولقد كنتم تمنون الشهادة على الذي أتتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم ، يعني الذين استنهضوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خروجه بهم إلى عدوهم ، لما فاتهم من حضور اليوم الذي كان قبله يبدد ، ورغبة في الشهادة التي فاتتهم بها ، فقال : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه » ، يقول :

« فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » : أى الموت بالسيوف فى أيدى الرجال قد خلى بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم ، ثم صدمهم عنكم « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزى الله الشاكرين » : أى لقول الناس : قتل محمد صلى الله عليه وسلم ، وانهمزامهم عند ذلك ، وانصرفهم عن عدوهم « أفإن مات أو قتل ، رجعتكم عن دينكم كفاراً كما كنتم ، وتركتكم جهاد عدوكم ، وكتاب الله . وما خلف نبيه صلى الله عليه وسلم من دينه معكم وعندكم وقد بين لكم فيما جاءكم به عنى أنه ميت ومفارقكم ، « ومن ينقلب على عقبيه » : أى يرجع عن دينه « فلن يضر الله شيئاً » : أى ليس ينقص ذلك عز الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قدرته ، « وسيجزى الله الشاكرين » : أى من أطاعه وعمل بأمره .

ثم قال : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً » : أى أن لمحمد صلى الله عليه وسلم أجل هو بالغة ، فإذا أذن الله عز وجل فى ذلك كان . « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » : وسيجزى الشاكرين : أى من كان منكم يريد الدنيا ، ليست له رغبة فى الآخرة ، نؤته منها ما قسم له من رزق ، ولا يعدوه فيها ، وليس له فى الآخرة من حظ « ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » ما وعده به ، مع ما يجزى عليه من رزقه فى دنياه ، وذلك جزاء الشاكرين ، أى المتقين .

ثم قال : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين » : أى وكأين من نبي أصابه القتل ، ومعه ربيون كثير : أى جماعة ، فما وهنوا لفقدهم نبيهم ، وما ضعفوا عن عدوهم ، وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم ، وذلك الصبر والله يحب الصابرين « وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين » .

قال ابن هشام : واحد : الربيين : ربي ، وقولهم : الرباب ، لولد عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس ، ولضبة لأنهم تجمعوا وتحالفوا ، من هذا ، يريدون الجماعات . وواحدة الرباب : ربه وهى جماعات قداح أو عصى ونحوها ، فشبهوها بها . قال أبو ذؤيب الهذلى :

وكأنهم ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

وهذا البيت فى أبيات له . وقال أمية بن أبى الصلت :

حول شياطينهم أبابيل ربيون شدوا سنوراً مرسوراً

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن هشام : والربابة أيضاً الخرقه التى تلف فيها القداح .

قال ابن هشام : والسنور : الدروع والدر : هى المسامير التى فى الخلق ، يقول الله عز وجل « وحملناه على ذات ألواح ودسر » .

قال الشاعر ، وهو أبو الأخرز الحناني ، من تميم :

دسراً بأطراف القنا المقوم

قال ابن إسحاق : أى فقولوا مثل ما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم ، واستغفروه كما استغفروه ،

وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ، ولا تتردوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم ، واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم قد كان ؛ وقد قتل نبيهم ، فلم يفعلوا كما فعلتم ، فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظهور على عدوهم وحسن ثواب الآخرة وما وعد الله فيها ، والله يحب المحسنين .

« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين » ، أى عن عدوكم ، فتذهب دنياكم وآخرتكم « بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » ، فإن كان ما تقولون بالسنتكم صدقاً فى قلوبكم فاعتصموا به ، ولا تستنصروا بغيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينه . « سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب » : أى الذى به كنت أنصرم عليهم بما أشركوا بى مالم أجعل لهم من حجة ، أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمت بى ، واتبعتم أمرى ، البصية التى أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى بالعصية ، وعصيت بها النبى صلى الله عليه وسلم . « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر ، وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين ، أى وقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم ، إذ تحسونهم بالسيوف ، أى القتل ، بإذنى وتسليطى أيديكم عليهم ، وكفى أيديهم عنكم .

قال ابن هشام : الحس : الاستئصال : يقال : حست الشيء : أى استأصلته بالسيوف وغيره . قال جرير :

تحسهم السيوف كما تسامى حريق النار فى الأجم الحصيد
وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رؤبه بن العجاج :
إذا شكونا سنة حسوسا نأكل بعد الأخضر البييسا
وهذان البيتان فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : « حتى إذا فشلتم » : أى تخاذلتم « وتنازعتم فى الأمر » ، أى اختلفتم فى أمرى ، أى تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة « وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون » : أى الفتح ، لاشك فيه ، وهزيمة القوم عن نساءهم وأموالهم ، « منكم من يريد الدنيا » : أى الذين أرادوا النهب فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة « ومنكم من يريد الآخرة » : أى الذين جاهدوا فى الله ، ولم يخالفوا ما نهوا عنه لعرض من الدنيا ، رغبة فيها ، رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة ؛ أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه ، لعرض من الدنيا ، ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، أن لا يهلككم بما أتيتهم من معصية نبيكم ، ولكفى عدت بفضل عليكم ، وكذلك « من الله على المؤمنين » ، أن عاقب ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدباً وموعظة ، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم ، بما أصابوا من معصيته ، رحمة لهم ، وعائدة عليهم ، لما فيهم من الإيمان .

ثم أنبههم بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وهم يدعون لا يعطون عاينهم إياهم ، فقال : « إذ تصعدون

ولا تلون على أحد ، والرسول يدعوكم في أخراكم ، فأثابكم ، غما بغم ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ، : أى كرباً بعد كرب ، بقتل من قتل من إخوانكم ، وعلو عدوكم عليكم ، وبما وقع في أنفسكم من قول من قال : قتل نبيكم فكان ذلك مما تتابع عليكم غما بغم ؛ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ، من ظهوركم على عدوكم ، بعد أن رأيتموه بأعينكم ، ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم ، حتى فرجت ذلك الكرب عنكم ، والله خير بما تعملون . وكان الذي فرج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذي أصابهم ، أن الله عز وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا بين أظهرهم ، هان عليهم ما فاتهم من القوم بعده الظهور عليهم ، والمصيبة التي أصابهم في إخوانهم ، حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاماً يغش طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شيء ؟ إن قل الأمر كله لله ، يخفون في أنفسهم ما يبدون لك ، يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحس ما في قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور ، فأنزل الله النعاس أمانة منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، تخوف القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، فذكر الله عز وجل تلاومهم وحسرتهم على ما أصابهم ، ثم قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لو كنتم في بيوتكم ، لم تحضروا هذا الموطن الذي أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سرائركم ، لبرز ، لأخرج ، الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، إلى موطن غيره يصعرون فيه ، حتى يبتلى به ما في صدورهم ، وليمحس ما في قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور ، : أى لا يخفى عليه ما في صدورهم مما استخوا به منكم .

ثم قال : يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذ ضربوا في الأرض وكانوا غزى لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ، ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت ، والله بما تعملون بصير ، : أى لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله ، والضرب في الأرض في طاعة الله عز وجل ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون إذا ماماتوا أو قتلوا : لو أطاعونا ماماتوا وماقتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ، ، لقلة اليقين بربهم ، ، والله يحيي ويميت ، : أى ويعجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته . قال تعالى : ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم . لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ، : أى إن الموت لكائن لا بد منه ، فوف في سبيل الله ، أو قتل خير لو علموا وأيقنوا مما يجمعون من الدنيا التي لها يتأخرون عن الجهاد ، ، تخوف الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادة في الآخرة ، ولئن متم أو قتلتم ، أى ذلك كان ، لإلى الله تحشرون ، : أى أن إلى الله المرجع ، . فلا تفرنكم الدنيا ، ولا تغفروا بها . وليكن الجهاد وما رغبكم الله فيه من ثوابه أثر عندكم منها .

ثم قال تبارك وتعالى : فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، : أى لتركوك فاغف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر ، فإذا عزم فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين ، فذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم لينه لهم ، وصبره عليهم ، لضعفهم وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه عليهم في

كل ما خالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم . ثم قال تبارك وتعالى : « فاعف عنهم ، أى تجاوز عنهم ، « واستغفر لهم ، ذنوبهم ، من قارف من أهل الايمان منهم « وشاورهم فى الامر » : أى لترتيب أنك تسمع منهم ، وتستعين بهم ، وإن كنت غنيا عنهم ، تألفاً لهم بذلك على دينهم « فإذا عزمت » : أى على أمر جاءك منى وأمر من دينك فى جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أمرت به ، على خلاف من خلافك ، وموافقة من وافقك ، « وتوكل على الله » ، أى ارض به من العباد ، « إن الله يحب المتوكلين » . إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وإن يخذلكم فخذلكم فن ذا الذى ينصركم من بعده . : أى لئلا تترك أمرى للناس ، وارفض أمر الناس إلى أمرى ، « وعلى الله » لاعلى الناس ، « فليتوكل المؤمنون » .

ثم قال : « وما كان لنبى أن يغفل ، ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » : أى ما كان لنبى أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم ، عن رهبة من الناس ولا رغبة ، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به ، ثم يجزى بكسبه ، غير مظلوم ولا معتدى عليه « أفن اتبع رضوان الله ، على ما أحب الناس أو سخطوا » كمن باء بسخط من الله ، لرضا الناس أو لسخطهم . يقول : أفن كان على طاعنى ، فتوابه الجنة ورضوان من الله كمن باء بسخط من الله واستوجب سخطه ، فكان « مأواه جهنم وبئس المصير » أسواء المثلان ! فاعرفوا . « هم درجات عند الله ، والله بصير بما يعملون » لكل درجات مما عملوا فى الجنة والنار : أى إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .

ثم قال : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » : أى لقد من الله عليكم يا أهل الإيمان ، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم ، وفيما عملتم ، فيعلمكم الخير والشر ، لتعرفوا الخير فتعملوا به ، والشر فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته ، لتتخلصوا بذلك من نقمته ، وتدرکوا بذلك ثوابه من جنته « وإن كنتم من قبل لفى ضلال مبين » : أى لفى عمياء من الجاهلية ، أى لاتعرفون حسنة ولا تستخفرون من سيئة ، صم عن الخير ، بكتم عن الحق ، عمى عن الهدى .

ثم ذكر المصيبة التى أصابتهم ، فقال : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ، إن الله على كل شئ قدير ، أى إن تك قد أصابتكم مصيبة فى إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثليها قبل من عدوكم ، فى اليوم الذى كان قبله ببدر ، قتلا وأسرا ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم أنتم أحللتهم ذلك بأنفسكم « إن الله على كل شئ قدير » : أى إن الله على ما أراد بعباده من نعمة أو عفو قدير « وما أصابكم يوم التقي الجمعان فبإذن الله ، وليعلم المؤمنون » : أى ما أصابكم حين التقت أنتم وعدوكم فبإذنى ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصرى ، وصدقتكم وعدى ، لئيم بين المؤمنين والمنافقين ، « وليعلم الذين نافقوا » منكم أى ليظهر ما فيهم : « وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا » يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد ، وقولهم : لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ، ولدفعنا عنكم ، ولكننا لا نظن أنه يكون قتال . فأظهر

منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم . يقول الله عز وجل : « هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، أى يظهرون لك الإيمان وليس في قلوبهم » والله أعلم بما يكتُمون ، أى ما يخفون » الذين قالوا لإخوانهم ، الذين أصيبوا معكم من عشائركم وقومهم : « لو أطاعونا ما قتلوا ، قل فادروا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين » : أى إنه لا بد من الموت ، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا ، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله ، حرصاً على البقاء في الدنيا ، وفراراً من الموت .

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يرغب المؤمنين في الجهاد ، ويهون عليهم القتل : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » : أى لا تظنن الذين قتلوا في الله أمواتاً : أى قد أحيتهم : فهم عندى يرزقون في روح الجنة وفضلها ، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، أى ويسرون بلحقهم من لحقهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قد أذهب الله عنهم الخوف والحزن . يقول الله تعالى : « يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » لما عاينوا من وفاء الموعود ، وعظيم الثواب

مصير قتلى أحد : قال ابن إسحاق : وحدثني إسماعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قتاديل من ذهب ، في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم وما كلهم وحسن مقيلم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلون ما صنع الله بنا ، لئلا يزهّدوا في الجهاد ، ولا ينسكلوا عن الحرب فقال الله تعالى : فأنا أباهم عنكم ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات : « ولا تحسبن... » قال ابن إسحاق : وحدثني الحارث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق نهر بياب الجنة ، في قبة خضراء ، يخرج رزقهم من الجنة بكرة وعشياً .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أنهم ، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هؤلاء الآيات : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » فقال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قتاديل من ذهب في ظل العرش ، فيطلع الله عز وجل عليهم لإطلاعة فيقول : يا عبادى ، ما تشتهون فأزيدكم ؟ قال : فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا اقال : ثم يطلع الله عليهم لإطلاعة ، فيقول : يا عبادى ، ما تشتهون ، فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا . قال : ثم يطلع عليهم لإطلاعة ، فيقول : يا عبادى ، ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا . إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ، ثم نرد إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أبشرك يا جابر ؟ قال : قلت : بلى يا نبي الله ، قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله عز وجل ، ثم قال له : ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أى رب ، أحب أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل فيك ، فأقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ، ما من مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد ، فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا ، فيقاتل في سبيل الله ، فيقتل مرة أخرى .

من خرجوا مع الرسول إلى حمراء الأسد : قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، أى الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد على ما بهم من ألم الجراح : « للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم » الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا ، النفر من عبد القيس ، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ، قالوا إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم . يقول الله عز وجل ، « فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم » لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم « إنما ذلكم الشيطان ، أى لأولئك الرهط وما أتى الشيطان على أفواههم » يخوف أوليائه ، : أى يرهبك بأوليائه : « فلا تجافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ، : أى المنافقون « لأنهم لن يضروا الله شيئاً ، يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة ، ولهم عذاب أليم » ولا يحسن الذين كفروا إنما نمل لهم خيراً لأنفسهم ، إنما نمل لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مبين » ما كان الله ليزر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، : أى المنافقين « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » أى فيما يريد أن يبتليكم به ، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه « ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ، أى يعمله ذلك » فآمنوا بالله ورسله ، وإن تؤمنوا وتتقوا ، أى ترجعوا وتنبوا « فلكم أجر عظيم » .

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش ، ثم من بني هاشم بن عبد مناف : حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، رضى الله عنه ، قتله وحشى ، غلام جبير بن مطعم . ومن بنى أمية بن عبد شمس : عبد الله بن جحش ، حليف لهم من بنى أسد بن خزيمه .

ومن بنى عبد الدار بن قصي : مصعب بن عمير ، قتله ابن قنثة الليثي .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : شماس بن عثمان ، أربعة نفر

ومن الانصار ، ثم من بنى عبد الأشهل : عمرو بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعمارة بن زياد بن السكن .

قال ابن هشام : السكن : ابن رافع بن امرئ القيس ، ويقال : السكن .

قال ابن إسحاق : وسلة بن ثابت بن وقش ، وعمرو بن ثابت بن وقش ، رجلان .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لي عاصم بن عمر بن قتادة : أن أباهما ثابتاً قتل يومئذ ، ورفاعة بن وقش ، وحسيل ابن جابر ، أبو حذيفة وهو النعمان ، أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون ، فتصدق حذيفة بديته على من أصابه ، وصيفي بن قيطي ، وحباب بن قيطي ، وعباد بن سهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ، اثنا عشر رجلاً .

ومن أهل راتج : إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم بن زعوراء بن جشم بن عبد الأشهل ،
وعبيد بن التيهان .

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن التيهان .

وحبيب بن يزيد بن تيم . ثلاثة نفر .

ومن بنى ظفر : يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع ، رجل .

ومن بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى ضبيعة بن زيد : أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد ، وحنظلة بن
أبي عامر بن صيفي بن نعمان بن مالك بن أمة ؛ وهو غسيل الملائكة ، قتلة شداد بن الأسود بن شعوب الليثي ، رجلان .

قال ابن هشام : قيس : ابن زيد بن ضبيعة ، ومالك : ابن أمة بن ضبيعة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن زيد : أنس بن قنادة ، رجل .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبو حية ، وهو أخو سعد بن خيشمة لأمه

قال ابن هشام : أبو حية : ابن عمرو بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جبير بن النعمان ، وهو أمير الرماة ، رجلان .

ومن بنى السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس : خيشمة أبو سعد بن خيشمة ، رجل .

ومن خلفائهم من بنى العجلان : عبد الله بن سلبة ، رجل .

ومن بنى معاوية بن مالك : سبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة ، رجل .

قال ابن هشام : ويقال : سويق بن الحارث بن حاطب بن هيشة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى النجار ، ثم من بنى سواد بن مالك بن غني : عمرو بن قيس ، وابنه قيس بن عمرو .

قال ابن هشام : عمرو بن قيس : ابن زيد بن سواد .

قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مخلد ، أربعة نفر .

ومن بنى مبذول : أبو هيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك بن مبذول ، وعمرو بن مطرف

ابن علقمة بن عمرو ، رجلان .

ومن بنى عمرو بن مالك : أوس بن ثابت بن المنذر ، رجل .

قال ابن هشام : أوس بن ثابت ، أخو حسان بن ثابت .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عدى بن النجار : أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر

ابن غنم بن عدى بن النجار ، رجل

قال ابن هشام : أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك : خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى مازن بن النجار : قيس بن مخلد ، وكيسان ، عبد لهم ، رجلان .

ومن بنى دينار بن النجار : سليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو ، رجلان

ومن بنى الحارث بن الخزرج خارجة بن زيد بن أبي زهير ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير . دفنا في قبر واحد ، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب ، ثلاثة نفر .
ومن بنى الأبحر ، وهم بنو خدرة : مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبحر ، وهو أبو أبي سعيد الخدري .

قال ابن هشام : اسم أبي سعيد الخدري : سنان ، ويقال : سعد .
قال ابن إسحاق : وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبحر ، وعتبة بن ربيع بن معاوية بن عبيد ابن ثعلبة بن عبيد بن الأبحر ، ثلاثة نفر .

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وثقف بن فروة بن البدي ، رجلان .
ومن بنى طريف ، رهط سعد بن عبادة : عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف ، وضمرة ، حليف لهم من بنى جهينة ، رجلان .

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى سالم ، ثم من بنى مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم : نوفل ابن عبد الله ، وعباس بن عبادة بن فضلة بن مالك بن العجلان ، ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر بن غنم بن سالم ، والمجذر بن زياد ، حليف لهم من بلي ، وعبادة بن الحسحاس .
دفن النعمان بن مالك ، والمجذر ، وعبادة في قبر واحد ، خمسة نفر .

ومن بنى الحبل : رفاعة بن عمرو ، رجل .
ومن بنى سلة ، ثم من بنى حرام ، عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ، وعمرو بن الجموح بن زيد ابن حرام ، دفن في قبر واحد ، وخلاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، وأبو أيمن ، مولى عمرو بن الجموح . أربعة نفر .

ومن بنى سواد بن غنم ، سليم بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عنبرة ، وسهل بن قيس بن أبي كعب بن القين ، ثلاثة نفر .

ومن بنى رزيق بن عامر : ذكوان بن عبد قيس ، وعبيد بن المعلب بن لوزان ، رجلان .
قال ابن هشام : عبيد بن المعلب ، من بنى حبيب .
قال ابن إسحاق : لجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، خمسة وستون رجلاً .

قال ابن هشام : ومن لم يلفه كرام ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا ، من الأوس ، ثم من بنى معاوية ابن مالك : مالك بن نميلة ، حليف لهم من مزينة .
ومن بنى خطمة - واسم خطمة : عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس - الحارث بن عدي بن خرشة بن أمية ابن عامر بن خطمة .

ومن الخزرج ، ثم من بنى سواد بن مالك : مالك بن إياس .

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار : إياس بن عدى .

ومن بنى سالم بن عوف : عمرو بن إياس .

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقتل من المشركين يوم أحد من قريش ، ثم من بنى عبد الدار بن فصى من أصحاب اللواء : طلحة بن أبي طلحة ، واسم أبي طلحة : عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، قتله على بن أبي طالب ، وأبو سعيد بن أبي طلحة ، قتله سعد بن أبي وقاص .

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبي طالب

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبي طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة ، والجلال بن طلحة ، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . وكلاب بن طلحة ، والحارث بن طلحة ، قتلهما قزمان ، حليف لبني ظفر . قال ابن هشام : ويقال : قتل كلاهما عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وأرطاة بن عبد شرجيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قزمان ، وصوآب : غلام له حبشى ، قتله قزمان . قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبي طالب ، ويقال : سعد بن أبي وقاص ، ويقال : أبو دجانة .

قال ابن إسحاق : والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله قزمان . أحد عشر رجلاً . ومن بنى أسد بن عبد العزى بن فصى : عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد . قتله على بن أبي طالب . رجل . ومن بنى زهرة بن كلاب : أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ، حليف لهم ، قتله على ابن أبي طالب ، وسباع بن عبد العزى - واسم عبد العزى : عمرو بن فضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفضى - حليف لهم من خزاعة ، قتله حمزة بن عبد المطلب . رجلان .

ومن بنى مخزوم بن يقظة ، هشام بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله قزمان ، والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله قزمان ، وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ، قتله على بن أبي طالب ، وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ؛ قتله قزمان . أربعة نفر .

ومن بنى جمح بن عمرو : عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح ، وهو أبو عزة ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً ، وأبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده . رجلان .

ومن بنى عامر بن أوى : عبيدة بن جابر ، وشيبة بن مالك بن المضر بن قزمان . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : قتل عبيدة بن جابر عبد الله بن مسعود .

قال ابن إسحاق : فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أحد من المشركين ، اثنتان وعشرون رجلاً .

تفسير ما نزل من القرآن فى أحد

قد ذكر ابن إسحاق ما يحتاج إليه قارئ السيرة من تفسير ذلك ، وذكر قوله سبحانه « ليس لك من الأمر

شيء أو يتوب عليهم ، الآية لم يرد على ما في الكتاب منه وفي تفسير الترمذي حديث مرفوع أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو على أبي سفيان والحارث بن هشام وعمرو بن العاصي ، حتى أنزل الله تعالى : ليس لك من الأمر شيء ، أو يتوب عليهم ، قال فتأبوا وأسلموا ، وحسن إسلامهم ، وهذا حديث ثابت في حسن إسلام أبي سفيان خلافاً لمن زعم غير ذلك ، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف في حسن إسلامه وفي موته شهيداً بالشام ، وأما عمرو بن العاصي ، فقد قال فيه النبي عليه السلام : أسلم الناس وآمن عمرو ، وقال في حديث جرى : ما كانت هجرتي للبال ، وإنما كانت لله ورسوله ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - نعم بالمال الصالح للرجل الصالح ، فسماه : رجلاً صالحاً ، والحديث الذي جرى : أنه كان قال له إني أريد أن أبشك وجهاً يسلك الله فيه ، ويغنمك ، وأزعب لك زعبة من المال ، وستأني نكت وعيون من أخبار الحارث ، وأبي سفيان - فيما بعد - إن شاء الله .

وذكر قوله سبحانه : ويتخذ منكم شهداء ، وفيه فضل عظيم للشهداء وتنبية على حب الله إياهم حيث قال : ويتخذ منكم شهداء ، ولا يقال : اتخذت ولا أتخذ إلا في مصطفى محبوب ، قال سبحانه : وما اتخذ الله من ولد ، وقال : ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، فالأخذ إنما هو اقتناء واجتباء ، وهو افتعال من الأخذ ، فإذا قلت : اتخذت كذا . فمعناه : أخذته لنفسى ، واخترت لها ، فالتاء الأولى بدل من ياء ، وتلك الياء بدل من همزة أخذت ، فقلبت تاء . إذ كانت الواو تنقلب تاء في مثل هذا البناء ، نحو أتمد وأتزر والياء أخت الواو ، فقلبت في هذا الموضع تاء ، وكثر استعمالهم لهذه الكلمة ، حتى قالوا : اتخذت بحذف إحدى التاءين اكتفاء بأحديهما عن الأخرى ، ولا يكون هذا الحذف إلا في الماضي خاصة . ولا يقال تتخذ كما يقال تتخذ ، لأن المستقبل ليس فيه همزة وصل ، وإنما فروا في الماضي من ثقل الهمزة في الابتداء ، واستغنوا بحركة التاء عنها ، وكسروا الخاء من تتخذت لأنه لا مستقبل له مع الحذف ، فحركوا عين الفعل بالحركة التي كانت له في المستقبل . وكلامنا هذا على اللغة المشهورة ، وإلا فقد حكى يتخذ في لغة ضعيفه ذكرها أبو عبيد ، وذكرها النحاس في إعراب القرآن .

وذكر قوله سبحانه : أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، إلى قوله : وسيجزى الله الشاكرين ، ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب أهل الردة على أعقابهم ، فلم يضر ذلك دين الله ، ولا أمة نبيه ، وكان أبو بكر يسمي : أمير الشاكرين لذلك ، وفي هذه الآية دليل على صحة خلافته ، لأنه الذي قاتل المتقلبين على أعقابهم حين ردهم إلى الدين الذي خرجوا منه ، وكان في قوله سبحانه : وسيجزى الله الشاكرين ، دليل على أنهم سيظفرون بمن ارتد ، وتكمل عليهم النعمة ، فيشكرون ، فتحريضه إياهم على الشكر - والشكر لا يكون إلا على نعمه - دليل على أن بلاء الردة لا يطول ، وأن الظفر بهم سريع ، كما كان .

وكذلك قوله سبحانه : وقل للخلفين من الأعراب ، فيه أيضاً : التصحيح لخلافة أبي بكر ، لأنه الذي دعا الأعراب إلى جهاد حنيفة ، وكانوا أولى بأس شديد ، ولم يقاوتوا الجزية ، وإنما قوتوا ليسلوا ، وكان قتالهم بأمر أبي بكر ، وفي سلطانه ، ثم قال : فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً ، فأوجب عليهم الطاعة لأبي بكر ، فكان في الآية كالنص على خلافته .

وكذلك قوله : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وكانوا مع الصادقين ، وقد بين في سورة الحشر من الصادقون

وهم المهاجرون بقوله : « أولئك هم الصادقون » ، فأمر الذين تبوءوا الدار والإيمان أن يكونوا معهم ، أى : تبعاً لهم فحصلت الخلافة في الصادقين بهذه الآية ، فاستحقوا بهذا الاسم ، ولم يكن في الصادقين من سماه الله الصديق إلا أبو بكر ، فكانت له خاصة ، ثم للصادقين بعده .

وذكر قوله تعالى : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، ارتفع ربيون على تفسير ابن إسحاق بالابتداء ، والجملة في موضع الحال من الضمير في قتل ، وهذا أصح التفسيرين ، لأنه قال : فما وهنوا لما أصابهم ، ولو كانوا هم المقتولون ما قال فيهم : ما وهنوا لما أصابهم أى : ما ضعفوا ، وقد يخرج أيضاً قول من قال : ربيون مفعول لم يسم فاعله بقتل على أن يكون معنى قوله : فما وهنوا أى ما وهن الباقون منهم ، لما أصيبوا به من قتل لإخوانهم ، وهذا وجه ، ولكن سبب نزول الآية يدل على صحة التفسير الأول .

وقوله : ربيون ، وهم الجماعات في قول أهل اللغة ، وقال ابن مسعود : ربيون ألوف ، وقال أبان بن تغلب الربي عشرة آلاف .

وقوله تعالى : « فأتابكم غما بنم » ، وعلى : تفسير ابن إسحاق غما بعد غم الباء متعلقة بمحذوف ، التقدير : غم مقرون بنم ، وعلى تفسير آخر متعلقة بأتابكم ، أى أتابكم غما بما غمتم نبيه حين خالفتم أمره .

وقوله « ومنكم من يريد الآخرة » ، قال ابن عباس : هو عبد الله بن جبير الذى كان أميراً على الرماة ، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم ، وألا يخالفوا أمر نبيهم ، فثبت معه طائفة ، فاستشهد ، واستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة ، وأقبلت طائفة على المغنم ، وأخذ السلب ، فسكر عليهم العدو ، وكانت المصيبة ، وفى الخبر : لقد رأيت خدام هند وصواحبها ، وهن مشمرات فى الحرب والخدم : الخلاخيل ، وكذلك قوله حين ذكر هنداً ، وأنها اتخذت من أذان الشهداء وأنفهم خدماً وفلائد ، وأعطت خدماً وفلائدها وقرطتها وحشياً ، معناه : الخلاخل أيضاً .

وقوله سبحانه : « لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناه » ، فى صحيح التفسير أن عتاب بن قشير هو قاتل هذه المقالة ، وكان منبوذاً بالنفاق .

وقوله « يظنون بالله غير الحق » ، أى : يظنون أن الله خاذل دينه ونبيه .

وقوله « ظن الجاهلية » ، أى : أهل الجاهلية كآبى سفيان وأصحابه .

وذكر قوله : « وشاورهم فى الأمر » ، وفسره ، وقد جاء عن ابن عباس أنه قال : نزلت فى أبى بكر وعمر أمر بشاورتهما .

وذكر قوله : « وما كان لنبى أن يغفل » ، وفسره أن يكتم ما أنزل الله ، وأكثر المفسرين يقولون : نزلت فى الغلول ، وفى بعض الآثار أنهم فقدوا قطيفة من المغنم ، فقال قاتل : لعن النبى - صلى الله عليه وسلم - أخذها ، فأنزل الله الآية ، ومن قرأ يغفل بضم الياء ، وفتح العين فعنائه أن يلقى غالا ، تقول : أجبت الرجل إذا ألفتته جباً ، وكذلك أغلته : إذا وجدته غالا ، وقد قال عمرو بن سعد يكره لبنى سليم : قاتلناكم ، فما أجبنناكم ، وسألناكم فما أبجناكم . وتفسير ابن إسحاق خارج عن مقتضى اللغة فمن كتم فقد غل أى : ستر ، وكذلك من خان فى شيء وأخذه خفية ، فقد ستره وكتمه ، وأصل الكلمة : الستر والإخفاء ، ومنه الغلالة والغلل للباء

الذى يغطيه الشجر والنبات ، وقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - في بعض المغازى بإحراق متاع الغال ، وأخذت به طائفة من الفقهاء ، منهم أحمد وإسحاق .

فصل : وذكر قوله سبحانه : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ، الآيات وهؤلاء سماهم الله شهداء بقوله : « ويتخذ منكم شهداء » ، وهذا الاسم مأخوذ من الشهادة أو من المشاهدة ، فإن كان من الشهادة فهو شهيد بمعنى مشهود ، أي مشهود عليه ، ومشهود له بالجنة ، أما مشهود عليه فلأن النبي - صلى الله عليه وسلم - حين وقف على قتلى أحد ، قال : هؤلاء الذين أشهد عليهم ، أي : أشهد عليهم بالوفاء ، وقال : عليهم ، ولم يقل : لهم ، لأن المعنى : أجي . يوم القيامة شهيداً عليهم ، وهي ولاية وقيادة ، فوصلت بحرف على ، ويجوز أن يكون من الشهادة وتكون فعلاً بمعنى فاعل ، لأن الله تعالى يقول : « وتكونوا شهداء على الناس » ، أي : تشهدون عليهم ، وهذا ، وإن كان عاماً في جميع أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - فالشهداء أولى بهذا الاسم ، إذ هم تبع للصدقين والنبين . قال الله سبحانه : « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء » ، فهذا وجهان في معنى الشهيد ، إذا جعلته مشتقاً من الشهادة ، وإن كان من المشاهدة ، فهو فعيل بمعنى فاعل أيضاً ، لأنه يشاهد من ملكوت الله ، ويعاين من ملائكته ما لا يشاهد غيره ، ويكون أيضاً بمعنى مفعول ، وهو من المشاهدة : أي : إن الملائكة تشاهد قبضه ، والعروج بروحه ، ونحو ذلك ، فيكون فعلاً بمعنى مفعول . وأولى هذه الوجوه كلها بالصحة أن يكون فعلاً بمعنى مفعول ، ويكون معناه : مشهوداً له بالجنة ، أو يشهد عليه النبي عليه السلام كما قال : هؤلاء أنا شهيد عليهم ، أي : قيم عليهم بالشهادة لهم ، وإذا حشروا تحت لوائه ، فهو وال عليهم ، وإن كان شاهداً لهم ، فن هاهنا اتصل الفعل بعل ، فتقوى هذا الوجه من جهة الخبر ، ومن وجه آخر من العربية ، وهو أن النبي - صلى الله عليه وسلم - حين ذكر الشهداء قال : والمرأة تموت بجمع شهيد ، ولم يقل شهيدة ، وفي رواية أخرى قال : والنساء شهيد يجرها جنينها بسرره إلى الجنة ، ولم يقل : شهيدة وفعيل إذا كان صفة لماؤث كان بغير هاء إذا كان بمعنى مفعول ، نحو امرأة قتيل وجريح ، وإن كان بمعنى فاعل ، كان بالهاء كقولهم : امرأة عليمه ورحيمة ، ونحو ذلك ، فدل على أن الشهيد مشهود له ، ومشهود عليه ، وهذا استقرار من اللغة صحيح ، واستنباط من الحديث بديع ، فقف عليه .

وذكر ابن إسحاق حديث ابن عباس المرفوع : وفيه أن الله جعل أرواحهم في أجواف طير خضر ، وعن قتادة قال : ذكر لنا أن أرواح الشهداء تتعارف عند السدرة في أجواف طير بيض ، وقد أنكر هذه الرواية قوم ، وقالوا : لا يكون روحان في جسد واحد ، وإن ذلك محال ، وهذا جهل بالحقائق ، فإن معنى الكلام بين ، فإن روح الشهيد الذي كان في جسده في الدنيا : يجعل في جسد آخر كأنه صورة طائر . فيكون في هذا الجسد الآخر ، كما كان في الأول ، إلى أن يعيده الله يوم القيامة كما خلقه ، وهذه الرواية لا تعارض ما رووه من قوله : في صرر طير خضر ، والشهداء طير خضر ، وجميع الروايات كلها متفقة المعنى ، وإنما الذي يستحيل في العقل قيام حياتين بجوهر واحد ، فيحيا الجوهر بهما جميعاً ، وأما روحان في جسد فليس بمحال إذا لم نقل بتداخل الأجسام ، فهذا الجنين في بطن أمه وروحه غير روحها ، وقد اشتمل عليهما جسد واحد وهذا أن لو قيل لهم : إن الطائر له روح غير روح الشهيد ، وهما في جسد واحد ، فكيف ، وإنما قال : في أجواف طير خضر ، أي صورة طير خضر ، كما تقول : رأيته ملكاً في صورة إنسان ، وكذلك قوله عليه السلام : إنما نسمة المؤمن طائر

يعلق في ثمر الجنة تأوله بعضهم مخصوصاً بالشهيد ، وقال بعضهم : إنما الشهيد في الجنة يأكل منها حيث شاء ، ثم يأوى إلى قناديل معلقة في العرش ، وغير الشهيد ، من المؤمنين نسخته ، أى : روحه طائر ، لا أن روحه جعل في جوف طائر ، ليأكل ويشرب ، كما فعل بالشهيد لكن الروح نفسه طائر يعلق بشجر الجنة ، يعلق بفتح اللام ينشرب بها ، ويرى مقعده منها ، ومن رواه : يعلق فعنائه يصيب العلقه ، أى ينال منها ما هو دون نيل الشهيد ، فضرب العلقه مثلاً ، لأن من أصاب العلقه من الطعام والشراب فقد أصاب دون ما أصاب غيره من أدرك الرغد ، فهو مثل مضروب يفهم منه هذا المعنى .

وإن كان أراد يعلق الأكل نفسه ، فهو مخصوص بالشهيد ، فتكون رواية من رواه بالضم للشهداء ، ورواية الفتح لمن دونهم ، فأنه أعلم بما أراد رسوله من ذلك .

وقوله ثم تأوى إلى قناديل يصدقه قوله تعالى عز وجل : « والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم » وإنما تأوى إلى تلك القناديل ليلاً وتسرح نهاراً ، فتعلم بذلك الليل من النهار ، وبعد دخول الجنة في الآخرة ، لا تأوى إلى تلك القناديل - والله أعلم - وإنما ذلك مدة البرزخ هذا ما يدل عليه ظاهر الحديث . وقال مجاهد : الشهداء يأكلون من ثمر الجنة وليسوا فيها ، وقد أنكر أبو عمر قول مجاهد ، وردّه وليس بمنكر عندي ، ويشهد له ما وقع في مسند ابن أبي شيبه وغيره عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال الشهداء بنهر أو على نهر يقال له : بارق عند باب الجنة في قباب خضر يأتيهم رزقهم منها بكرة وعشيا ، فهذا يبين ما أراد مجاهد ، والله أعلم .

وبما وقع في السيرة أيضاً ، ولم يذكره ابن هشام حديث رواه ابن إسحاق ، قال حدثني إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال : حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : الشهداء ثلاثة ، فأدنى الشهداء عند الله منزلة رجل خرج مسوداً بنفسه ورحله ، لا يريد أن يقتل ولا يقتل أنه سهم غرب فأصابه ، قال : فأول قطرة تقطر من دمه ، يغفر الله بها ما تقدم من ذنبه ، ثم يهبط الله إليه جسداً من السماء ، فيجعل فيه روحه ، ثم يصعد به إلى الله ، فأمر بسماء من السماوات إلا شيعته الملائكة ، حتى ينتهى به إلى الله ، فإذا انتهى به إليه وقع ساجداً ، ثم يؤمر به فيكسى سبعين زوجاً من الإستبرق ، ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كأحسن ما رأيتم من شقائق النعمان وحدث كعب الأحبار عن قول - رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال كعب الأحبار : أجل كأحسن ما رأيتم من شقائق النعمان ، ثم يقول : اذهبوا به إلى إخوانه من الشهداء ، فأجعلوه معهم ، فيؤتى به إليهم في قبة خضراء في روضة خضراء عند باب الجنة يخرج عليهم حوت ونور من الجنة لغنائهم ، فيلبعانهم حتى إذا كثر عجبهم منها طعن الثور الحوت بقرنه ، فبقره لهم عما يدعون . ثم يروحان عليهم لعنائهم ، فيلبعانهم ، حتى إذا كثر عجبهم منهمما ضرب الحوت الثور بذنبه فبقره لهم عما يدعون ، فإذا انتهى إلى إخوانه سألوا الراكب يقدم عليكم بلادكم ، فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقول : أفلس ، فيقولون : فما أهلك ماله فوالله إن كان لكيساً جموعاً تاجراً ! فيقال لهم : إنما لانعد الفلاس ماتعدون ؛ وإنما نعد الفلاس من الأعمال ، فما فعل فلان وامراته فلانة ؟ فيقول : طلقها ، فيقولون : فما الذى نزل بينهما ، حتى طلقها فوالله إن كان بها لمعجباً ؟ فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقولون : مات أيهاة قبل بزمان ، فيقولون : هلك والله ما سمعنا له بذكر ، إن لله طريقين ، أحدهما : علينا ، والآخر : يخالف بها عنا ، فإذا أراد الله بعبد خيراً أمر به علينا ، فعرفناه ، وعرفنا متى مات ، وإذا أراد الله بعبد شراً خولف به عنا ، فلم نسمع له بذكر ، هلك والله فلان ، فإن هذا لادنى الشهداء عند الله منزلة ، وإن

الآخر رجل خرج مسوداً بنفسه ورحله يجب أن يقتل ، ولا يقتل ، أناه سهم غرب فأصابه ، فذلك رفيق إبراهيم خليل الرحمن يوم القيامة يحك ركبته ركبتاه ، وأفضل الشهداء : رجل خرج مسوداً بنفسه ورحله يجب أن يقتل وأن يقتل ، وقاتل حتى قتل قعصاً فذلك يبعثه الله يوم القيامة شاهراً سيفه ، يتمنى على الله ، لا يسأله شيئاً إلا أعطاه إياه وقع في هذا الحديث ذكر الحوت ولعبه مع الثور وقد خرج به هناد بن السرى بإسناد حسن في كتاب الرقاق له بأكثر مما وقع هاهنا ، وفي الصحيحين منه ذكر أكل أهل الجنة من كبدة الحوت أول ما يأكلون ، ثم ينحر لهم ثور الجنة ، وفي هذا الحديث من باب التفسر والاعتبار أن الحوت لما كان عليه قرار هذه الأرض ، وهو حيوان سابع ليستشعر أهل هذه الدار أنهم في منزل قلعة ، وليس بدار قرار ، فإذا نحر لهم ، قبل أن يدخلوا الجنة ، فأكلوا من كبده ، كان ذلك إشعار لهم بالراحة من دار الزوال ، وأنهم قد صاروا إلى دار القرار ، كما يذبح لهم الكبش الأملح على الصراط ، وهو صورة الموت ليستشعروا أن لا موت ، وأما الثور فهو آله الحرث ، وأهل الدنيا لا يخلون من أحد الحرثين ، حرث لدينهم ، وحرث لأخراهم ، ففي نحر الثور لهم هنالك إشعار بإراحتهم من الكدين وترفيههم من نصب الحرثين ، فاعتبر ، والله المستعان .

نسب عبيد بن التيهان : فصل : وذكر ابن إسحاق فيمن استشهد يوم أحد عبيد بن التيهان . واسم التيهان : مالك ، ولم يرفع نسبه ، وكذلك فعل في هذا النسب حيث وقع في هذا الكتاب ، وهو نسب مختلف فيه ، وقد رفعناه عند ذكر أبي الهيثم ، وذكرنا الخلاف فيه هنالك .

وقول كعب بن مالك : ولا مثل أضياف الأراشي معشرا

يعنى : أبا الهيثم ، فجعله إرشيا ، وليست إراشة من الانصار ، ونسبه موسى بن عقبة في جماعة معه إلى بلي ، وقالوا هو حليف الانصار ، وليست من أنفسهم ، وقال ابن إسحاق والواقدي في المستشهد يوم أحد : عبيد بن التيهان ، وقال ابن عقبة ، وأبو معشر ، وابن عمارة : هو عتيك بن التيهان .

أبو حبة أو أبو حنة : وذكر فيهم أبا حبة الانصارى البدرى ، وقال ابن هشام أبو حنة بن ثابت بالنون ، وكذلك قال الواقدي ، قال : ليس فيمن شهد يوم بدر من اسمه أبو حبة بالباء . وكذلك روى موسى بن عقبة عن ابن شهاب : أبو حنة بالنون شهد بدرأ ، واستشهد يوم أحد ، وهو من الاوس ، واسمه ثابت ، وقيل : عمرو ابن ثابت ، والاختلاف في اسمه ، وفي كنيته كثير . وأما أبو حبة المستشهد يوم اليمامة ، فهو أبو حبة بن غزية بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل ، ولم يخالف في ذلك إلا من لا يؤبه بقوله ، واسمه : زيد بن غزية بن عمرو ، وهو من الخزرج ، والاول من الاوس ، وقد قيل في الاول : أبو حية بياء معجمة باثنتين فالثاني أعلم .

وحنة بالنون : دير حنة معروف بالشام ، وحنة أم مريم بنت عمران ، وخنة بخاء منقوطة بنت يحيى بن أكرم القاضي ، وهى أم محمد بن نصر المروزي الفقيه وجنة بالجيم لا يعرف إلا أبو حنة خال ذى الرمة الشاعر ، قاله ابن ماكولا .

عبد الله بن سلمة : وذكر فيمن استشهد يوم أحد عبد الله بن سلمة العجلاني ، بفتح اللام تقييد في الاصل ، وفي الاصول الصحاح من رواية ابن هشام ، وذكره الدارقطني في باب سلمة بكسر اللام ، وأخبر أنها رواية لإبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكر أبو عمر أيضاً أنها رواية لإبراهيم بن سعد ، والله أعلم .

ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد

قال ابن إسحاق : وكان بما قيل من الشعر في يوم أحد ، قول هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد ابن عمران بن مخزوم - قال ابن هشام : عائذ : ابن عمران بن مخزوم :

ما بال هم عميد بات يطرقتني
باتت تعاتبني هند وتعذلني
مهلا فلا تعذليني إن من خلقي
مساعف لبني كعب بما كلفوا
وقد حملت سلاحى فوق مشرف
كأنه إذ جرى غير بشفدة
من آل أعوج يرتاح الندى له
أعدده ورقاق الحد منتخلا
هذا ويبضاء مثل النهى محكة
سقتنا كنانة من أطراف ذى يمن
نالت كنانة أنى تذهبون بنا ؟
نحن الفوارس يوم الجر من أحد
هابوا ضراباً وطعناً صادفاً خذماً
ثم رحنا كأننا عارض برد
كأن هامهم عند الوغى فلق
أو حنظل ذعذعته الريح في غصن
قد نبذل المال سحاً لا حساب له
وليلة يصطلى بالفرث جازرها
وليلة من جمادى ذات أندية
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة
أوقدت فيها لدى الضراء جاجة
أورثنى ذاك عمـرو ووالده
كانوا يبارون أنواء النجوم فا

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

سقتم كنانة جهلا من سفاهتكم
أوردتموها حياض الموت ضاحية
جمعتموها أحابيشاً بلا حسب
أمة الكفر غرتكم طواغيتا
إلى الرسول لجند الله مخزيتا
فالنار موعدها ، والقتل لاقيتها

ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت أهل القلب ومن ألقينه فيها
كم من أسير فكسكناه بلا ثمن وجز ناصية كنا مواليها
قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك .

قال ابن هشام : ويذكر هبيرة بن أبي وهب الذي يقول فيه :
وليلة يصطلي بالفرث جازرها يختص بالنقري المثرين داعيها
يروى لجنوب ، أخت عمرو ذى الكلب الهذلي ، في أبيات لها في غير يوم أحد
قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يحجب هبيرة بن أبي وهب أيضاً :

ألاهل أنى غسان عنا ودونهم	من الأرض خرق سيره متنعن
صحار وأعلام كان قتامها	من البعد نفع هامد متقطع
تظل به البزل العراميس رزحاً	ويخلو به غيث السنين فيمرع
به جيف الحسرى يلوح صليها	كما لاح كتان التجار الموضع
به العين والآرام يمشين خلفه	وبيض نعام قيضه يتقلع
مجالدنا عن ديننا كل نخمة	مذربة فيها القوائس تلغ
وكل صموت في الصوان كأنها	إذا لبست تهى من الماء مترع
ولكن يبدر سائلوا من لقيم	من الناس والانباء بالغيث تنفع
ولما بأرض الخوف لو كان أهلها	سوانا لقد أجلوا بليل فأقشعوا
إذا جاء منا راكب كان قوله	أعدوا لما يرحى ابن حرب ويجمع
فمهما بهم الناس مما يكيدنا	فنحن له من شائر الناس أوسع
فلو غيرنا كانت جميعاً تكيده الـ	برية قد أعطوا يداً وتوزعوا
تجالد لاتبى علينا قبيلة	من الناس إلا أن يهابوا ويفزعوا
ولما ابينوا بالعرض قال سراتنا	علام إذا لم تمنع العرض نزع ؟
وفينا رسول الله نتبع أمره	إذا قال فينا القول لانتطلع
تدلى عليه الروح مع عنده	ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصرنا	إذا ما انتهى أمانا نطيع ونسمع
وقال رسول الله لما بدوا لنا	ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
وكونوا كن يشرى الحياة تقرباً	إلى ملك يحيا لديه ويرجع
ولكن خذوا أسيا فكم وتوكلوا	على الله إن الأمر لله أجمع
فسرنا إليهم جهرة في رحالهم	ضحيا علينا البيض لانتخشم
بملومة فيها السنور والقنا	إذا ضربوا أقدامها لاتوزع
فجئنا إلى موج من البحر وسطه	أحايش منهم حامر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نصية	ثلاث مئين إن كثرنا وأربع

نغاورهم تجرى المنية بيننا
 نهادى قسى النبع فينا وفيهم
 ومنجوفة حرمية صاعدية
 تصوب بأبدان الرجال وتارة
 وخيل تراها بالفضاء كأنها
 فلما تلاقينا ودارت بنا الرحي
 ضربناهم حتى تركنا سراهم
 لدن غدوة حتى استفقنا عشية
 وراحوا مراعاة موجفين كأنهم
 ورحنا وأخرانا بظلم كأننا
 فعلنا ونال القوم منا وربما
 ودارت رحانا واستدارت رحاهم
 ونحن أناس لا نرى القتل سبة
 جلاد على ريب الحوادث لا نرى
 بنو الحرب لا نعيأ بشيء نقوله
 بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش
 وكنا شهاباً يتقى الناس حره
 غرت على ابن الزبيرى وقد سرى
 فسل عنك في عليا معد وغيرها
 ومن هو لم ترك له الحرب مفخراً
 شددنا بحول الله والنصر شدة
 تكرر القنا فيكم كأن فروعا
 عمدنا إلى اهل اللواء ومن يطر
 نغانوا وقد أعطوا يداً وتخاذلوا

نشارعهم خوض المنايا ونشرع
 وما هو إلا اليربى المقطع
 يذر عليها السم ساعة تصنع
 تمر بأعراض البصار تقمع
 جراد صباً في قرة يتربع
 وليس لأمر حه الله مدفع
 كأنهم بالقاع خشب مصرع
 كأن ذكائنا حر نار تلمع
 جهام هراقت مائه الريح مقلع
 أسود على لحم ببشة ظلع
 فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع
 وقد جعلوا كل من الشر يشبع
 على كل من يحمى الذمار ويمنع
 على هالك عيناً لنا الدهر تدمع
 ولا نحن بما جرت الحرب نجزع
 ولا نحن من أظفارها نتوجع
 ويفرج عنه من يليه ويسفع
 لكم طلب من آخر الليل متبع
 من الناس من أخزى مقاماً وأشنع
 ومن خذه يوم الكريهة أضرع
 عليكم وأطراف الاسنة شرع
 عزالى مزاد ماؤها تهزع
 بذكر اللواء فهو فى الخد أمرع
 أبى الله إلا أمره وهو أصنع

قال ابن هشام : وكان كعب بن مالك قد قال :

بجالدنا عن جدمنا كل نخمة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيا صلح أن تقول : بجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهو أحسن ، فقال كعب : بجالدنا عن ديننا .
 قال ابن إسحاق ، وقال عبد الله بن الزبيرى فى يوم أحد :

يا غراب البين أسمعت فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل
 إن للخير وللشر مدى وكلا ذلك وجه وقبل

والعطيات خمساً بينهم
كل عيش ونعيم زائل
أبلغن حسان عنى آية
كم ترى بالجر منى جمجمة
وسرايل حسان مريت
كم قتلنا من كريم سيد
صادق النجدة قرم بارع
فسل المهراس من ساكنة ؟
ليت أشيأخي بيدر شهدوا
حين حكى بقاء بركهـا
ثم خفوا عند ذا كم رقصاً
فقتلنا الضعف من أشرافهم
لا ألوم النفس إلا أننا
بسيوف الهند تعلو هامهم
وسواء قبر مثر ومقل
وبنات الدهر يلعبن بكل
فقريض الشعر يشفى ذا الغل
وأكف قد أترت ورجل
عن كفاة أهلكوا فى المنزل
ماجد الجدين مقدم بطل
غير ملتأ لدى وقع الأسـل
بن أقحاف وهام كالحجل
جزع الخزرج من وقع الأسـل
واستحر القتل فى عيد الأشـل
رقص الحفان يعلو فى الجبل
وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لو كررنا لنفعلنا المقتل
عللا تعلموهم بعد نهـل

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه ، قال :

ذهبت يابن الزبـرى وقعة
ولقد نلتـم ولننا منكم
نضع الأسـياف فى أكتافكم
نخرج الأصبع من أستاذكم
إذ تولون على أعقابكم
إذ شددنا شدة صادة
يخناطيل كأشراف الملا
ضاق عنا الشعب إذ نجـوعه
برجال لستم أمثالهم
وعلونا يوم بدر بالتقى
وقتلنا كل رأس منهم
وتركنا فى قریش عورة
ورسول الله حقاً شاهد
فى قریش من جموع جمعوا
نحن لا أمثالكم ولد استـها
كان منا الفضل فيها لو عدل
وكذاك الحرب أحياناً دول
حيث نهوى عللا بعد نهـل
كسـلاح النيب يا كن العـصل
هربا فى الشعب أشباه الرسل
فأجأناكم إلى سفح الجبل
من يلاقوه من الناس يـهل
وملأنا الفرط منه والرجل
أيدوا جبـريل نصرأ فنزل
طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل جحجـاح رفل
يوم بدر وأحاديث المثل
يوم بدر والتنايل الهبل
مثل ما يجمع فى الخصب الهمل
نحضر الناس إذا البأس نـزل

قال ابن هشام : وأنشدني أبو زيد الأنصاري : « وأحاديث المثل ، والبيت الذي قبله ، وقوله : » في فريش من جموع جمعوها ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب وقتل أحد من المسلمين :

نشجت وهل لك من منسج	وكنت متى تذكر تلجج
تذكر قوم أنا في لهم	أحاديث في الزمن الأعوج
فقلبك متى ذكرهم خافق	من الشوق والحزن المنضج
وقتلهم في جنان النعيم	كرام المداخل والخرج
بما صبروا تحت ظل اللواء	لواء الرسول بذى الأضوج
غداة أجابت بأسياها	جميعاً بنو الأوس والخزرج
وأشباع أحمد إذ شابعوا	على الحق ذى النور والمنهج
فما برحوا يضربون الكماة	ويمضون في القسطل المرهج
كذلك حتى دعاهم ملك	إلى جنة دوحة الموج
فكلهم مات حر البلاء	على ملة الله لم يخرج
كحمزة لما وفي صادقاً	بذى هبة صارم سلجج
فلاقاه عبد بن نوفل	يربر كالجمل الأدعج
فأوجره حرية كالشهاب	تلب في اللهب الموهج
ونعمان أوفى بميثاقه	وحظلة الخير لم يحنج
عن الحق حتى غدت روحه	إلى منزك فاخر الزبرج
أولئك لا من ثوى منكم	من النار في الدرك المرتج

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهري ، فقال :

أيجزع كعب لأشباعه	ويبكى من الزمن الأعوج
عجيج المذكي رأى لفته	تروح في صادر حنج
فراح الروايا وغادرته	يعجمج قسراً ولم يحجج
فقولاً لكعب يثنى البكا	وللفى من لحمه ينضج
لمصرع إخوانه في مكر	من الخيل ذى قسطل مرهج
فياليت عمراً وأشباعه	وعتبه في جمعنا السورج
فيشفوا النفوس بأوتارها	بقتلى أصيبت من الخزرج
وقتل من الأوس في معرك	أصيبوا جميعاً بذى الأضوج
ومقتل حمزة تحت اللواء	بمطرده ، مارن ، مخالج
وحيت اثنتى مصعب ثاويأ	بضربة ذى هبة سلجج

بأحد وأسيافنا فيهم تلهب كالمهب الموهج
غداة لقيناكم في الحديد كأسد الريح فلم تهنج
بكل مجلحة كالعقاب وأجرد ذى ميعه مسرج
فدسناهم ثم حتى انثنوا سوى زاهق النفس أو محرج

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينسكروا لضرار ، وقول كعب : « ذى النور والمنهج ، عن أبي زيد الأنصاري .

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبير في يوم أحد ، يبكي القتلى :

ألا ذرفت من مقلتيك دموع وقد بان من جبل الشبان قطوع
وشط بمن تهوى المزار وفرقت نوى الحى دار بالحبيب لجوع
وليس لما ولى على ذى حرارة وإن طال تذرأف الدموع رجوع
فذرذا ولكن هل أتى أم مالك أحاديت قوى والحديث يشيع
ومجننا جرداً إلى أهل يثرب عناجج منها متلد ونزيع
عشية مرنا فى هام يقودنا ضرور الاعادى للصديق نفوع
نشد علينا كل زغف كأنها غدير بضوج الوادين نقيع
فلما رأونا خالطتهم مهابة وعانينهم أمر هناك فظيع
وودوا لوان الأرض ينشق ظهرها بهم وصبور القوم ثم جزوع
وقد عربت بيض كان وميضها حريق ترقى فى الالباء سريع
بأيماننا نعلو بها كل هامة ومنها سمم للعدو ذريع
فغادرن قتلى الأوس غاضبة بهم ضبايع وطير يعتفين وقوع
وجمع بنى النجار فى كل تلة بأبدانهم من وقعن نجيع
ولولا علو الشعب غادرن أحمدا ولكن علا والسمرى شروع
كما غادرت فى الكرم حمزة ثاوياً وفى صدره ماضى الشبابة وقيع
ونمان قد غادرن تحت لوائه على لخم طير يحفن وقوع
بأحد وأرماع السكاة يردنهم كما غال أشطان الدلاء نزوع

فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

أشأقك من أم الوليد ربوع بلاقع ما من أهلن جميع
عفان صيني الرياح وواكف من الدلورجاف السحاب هموع
فلم يبق إلا موقد النار حوله رواكد أمثال الحمام كنوع
فدع ذكر دار بددت بين أهلها نوى لمئينات الجبال قطوع
وقل إن يكن يوم بأحد يعد سفيه فإن الحق سوف يشيع

فقد صابرت فيه بنو الأوس كلهم
وحامى بنو النجار فيه وصابروا
أمام رسول الله لا يخذلونه
وفوا إذا كفرتم يأسخين بربكم
بأيديهم بيض إذا حمش الوغى
كما غادرت في النقع عتبة ثاورياً
وقد غادرت تحت العناجة مسنداً
يكف رسول الله حيث تنضبت
أولئك قوم سادة من فروعكم
بين نعر الله حتى يعزنا
فلا تذكروا قتلى وحمزة فيهم
فإن جنسان الخلد منزلة له
وقتلكم في النار أفضل رزقهم

وكان لهم ذكر هناك رفيع
وما كان منهم في اللقاء جزوع
لهم ناصر من ربهم وشفيع
ولا يستوى عبد وفي ومضيع
فلا بد أن يردى لمن صريع
وسعداً صريعاً والوشيع شروع
أبياً وقد بل القميص نجيع
على القوم بما قد يثرون نقوع
وفي كل قوم سادة وفروع
وإن كان أمر يأسخين فظيع
قتيل ثوى لله وهو مطيع
وأمر الذي يقضى الأمور سريع
حميم معاً في جوفها وصريع

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينسكروها لحسان وابن الزبير وقوله : « ماضى الشبابة ، وطير يجفن ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن العاص يوم أحد :

خرجنا من النيفا عليهم كأننا
تمنت بنو النجار جهلاً لقاءنا
فأراعهم بالشر إلا لجاة
أرادوا لئكما يستيحيوا قبائنا
وكانت قبائلاً أومنت قبل ما ترى
كان رؤوس الخزرجين غدوة

مع الصبح من رضوى الحبيك المنطق
لدى جنب سلع والاماني تصدق
كراديس خيل في الأزقة تمرق
ودون القباب اليوم ضرب محرق
إذا رامها قوم أيحوا وأحنقوا
وأيمانهم بالمشرقية بروق

فأجابه كعب بن مالك ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ألا أبلغنا فها على نأى دارها
بأنا غداة السفح من بطن يثرب
صبرنا لهم والصبر منا سجية
على عادة تلصكم جرينا بصبرنا
لنا حومة لا تستطاع يقودها
ألا هل أتى أفناء فها بن مالك

وعندهم من علينا اليوم مصدق
صبرنا ورايات المنية تخفق
إذا طارت الأبرام نسمو ونزرق
وقدماً لدى الغايات نجرى فنسبق
نبي أتى بالحق عف مصدق
مقطع أطراف وهام مفاق

قال ابن إسحاق : وقال ضرائر بن الخطاب :

إني وجدك لولا مقدى فرسى
لذجالت النخيل بين الجزع والقاع

ما زال منكم بجنب الجزع من أحد
وفارس قد أصاب السيف مفرقه
إني وجدك لا أنفك منتطقاً
على رحالة ملواح مشابة
وما انتميت إلى خور ولا كشف
بل ضاربين حبيلك البيض إذ لحقوا
شم بهاليل مسترخ حائلهم
أصوات هام تراقي أمرها شاعى
أفلاق هامة كفروة الراعى
بصارم مثل لون الملح قطاع
نحو الصريخ إذا ما ثوب الداعى
ولا لثام غداة البأس أوراغ
شم العرائن عند الموت لذاع
يسعون للوت سعياً غير دعداع

وقال ضرار بن الخطاب أيضاً :

لما أنت من بنى كعب مزينة
وجردوا مشرفيات مهندة
فقلت يوم بأيام ومعركة
قد عودوا كل يوم أن تكون لهم
خيرت نفسى على ما كان من وحل
أكرهت مهرى حتى خاض غمرتهم
فظل مهرى وسربالى جسيدهما
أيقنت أنى مقيم فى ديارهم
لا تجزعوا يا بنى مخزوم إنى لكم
صبراً فدى لكم أمى وما ولدت
والخزرجية فيها البيض تأتلق
وراية كجناح النسر تختلفق
تنبى لما خلفها ما هزهز الورق
ريح القتال وأسلاب الذين لقوا
منها وأيقنت أن المجد مستبق
وبله من نجيع عانك علق
نفخ العروق رشاش الطعن والورق
حتى يفارق ما فى جوفه الحديق
مثل المغيرة فيكم ما به زهى
تعاوروا الضرب حتى يدبر الشفق

وقال عمرو بن العاصى :

لما رأيت الحرب ينزو شرها بالرصف نورا
وتناولت شهباء تلحو الناس بالضراء لحوا
أيقنت أن الموت حق والحياة تكون لغوا
حملت أثوابى على عتد يبيذ الخيل رهوا
سلس إذا نكبت فى السبيداء يعلو الطرف علواً
وإذا تنزل مأواه من عطفه يزداد زهواً
ربذ كيعفور الصريسة راعه الرامون دحوا
شنج نساء ضابط للخيل إرخاء وعدوا
فقدى لهم أمى غداة الروع إذ يمشون قطوا
سيراً إلى كبش الكتيدية إذ جلته الشمس جلوا

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينسكوها لعمرو .

قال ابن إسحاق : فأجابهما كعب بن مالك ، فقال :

أبلغ قريشاً وخير القول أصدقه
أن قد قتلنا بقتلنا مرانكم
ويوم بدر لقيناكم لنا مدد
إن تقتلونا فدين الحق فطرتنا
وإن تروا أمرنا في رأيكم سفها
فلا تمنوا لقاء الحرب واقعدوا
إن لكم عندنا ضرباً تراح له
إنا بنو الحرب نمرها وننتجها
إن ينج منها ابن حرب بعد ما بلغت
فقد أفادت له حلاً وموعظة
ولو هبطتم ببطن السيل كالغكم
تلقاكم عصب حول النبي لهم
من جدم غسان مسترخ حائلهم
يمشون تحت حمايات القتال كما
أو مثل مشى أسود الظل ألقها
في كل سابعة كالنهي محكمة
ترد حد قرام النبل خاسئة
ولو قد فتم بسلع عن ظهوركم
ما زال في القوم وتر منكم أبدأ
عبد وحر كريم موثق قنصاً
كنا نؤمل أخراكم فأعجلكم
إذا جنى فهم الجاني فقد علوا
ما نحن لا نحن من لائم مجاهرة

والصدق عند ذوى الالاباب مقبول
أهل اللواء فقيماً يكثر القيل
فيه مع النصر ميكال وجبريل
والقتل في الحق عند الله تفضيل
فراى من خالف الاسلام تضليل
إن أخا الحرب أصدى اللون مشغوك
عرج الضباع له خدم رعايل
وعندنا لذوى الاضفان تنكيل
منه التراقى ، وأمر الله مفعول
لمن يكون له لب ومعقول
ضرب بشاكلة البطحاء ترعيل
بما يعدون للبيجا سرايل
لا جنباء ولا ميل معازيل
تمشى المصاعبة الأدم المراسيل
يوم رذاذ من الجوزاء مشمول
قيامها فلج كالسيف بهلول
ويرجع السيف عنها وهو مفلول
وللحياة ودفع الموت تأجيل
تعفو السلام عليه وهو مطلول
شطر المدينة مأسور ومقتول
منا فوارس لا عزل ولا ميل
حقاً بأن الذى قد جر محمول
ولا ملوم ولا فى الغرم مخدول

وقال حسان بن ثابت ، يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد :

— قال ابن هشام : هذه أحسن ما قيل —

منع النوم بالعشاء الموموم
من حبيب أضاف قلبك منه
يا لقوى هل يقتل المرء مثلى
لو يدب الحولى من ولد الذ
شأنها العطر والفراش ويعلو
لم تفتها شمس النهار بشىء
إن خالى خطيب جابية الجو

وخيال إذا تغور النجوم
سقم فهو داخل مكتوم
واهن البطش والعظام سؤوم
ر عليها لاندبتها الكوم
ها لجين ولؤلؤ منظوم
غير أن الشباب ليس يدوم
لان عند النعمان حين يقوم

وأنا الصقر عند باب ابن سلبى يوم نعمان فى الكبول سقيم
وأبى وواقد أطلقا لى يوم راحا وكبلهم مخطوم
ورهننت اليدى عنهم جميعا كل كف جزء لها مقسوم
وسطت لسبى الذوائب منهم كل دار فيها أب لى عظيم
وأبى فى سميحة القائل الفا صل يوم التقت عليه الخصوم
تلك أفعالنا وفعل الزبعرى حامل فى صديقه مذموم
رب حلم أضاعه عدم الما ل وجهل غطا عليه النعيم
إن دهرأ يبور فيه ذوو العلم لدهر هو العتو الزنيم
لا تسبني فليست بسبي إن سبي من الرجال الكريم
ما أبالى أنب بالحزن تيس أم لحانى بظهر غيب لثيم
ولى البأس منكم إذ رحلتم أسرة من بنى قصى صميم
تسعة تحمل اللواء وطارت فى رعاى من القنا مخزوم
وأقاموا حتى أبيحوا جميعاً فى مقام وكلهم مذموم
بدم عانك وكان حفاظاً أن يقيموا إن الكريم كريم
وأقاموا حتى أزيروا شعوباً والقنا فى نخورهم مخطوم
وقريش تقر منا لوأذاً أن يقيموا وخف منها الخلوم
لم تطق حمله العواتق منهم إنما يحمل اللواء النجوم

قال ابن هشام : قال حسان هذه للقصيد :

منع النوم بالعشاء المهموم

ليلا ، فدعا قومه . فقال لهم : خشيت أن يدركنى أجلى قبل أن أصبح ، فلا ترووها عني .

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة للحجاج بن علاط السلى يمدح أبا الحسن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ويذكر قتله طلحة بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، صاحب لواء المشركين يوم أحد :

لله أى مذنب عن حرمة أعنى ابن فاطمة المعمر الخولا
سبقت يدالك له بعاجل طعنة تركت طليحة للجبين مجدلا
وشددت شدة باسل فكشفتمهم بالجر إذ تهوون أخول أخولا

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكى حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد :

يا ميمى قسوى فاندبن بسحيرة شيجو النوائح
كالخاملات الوقر بال شغل الملحات الدوالح
المعولات الحامشا ت وجوه حرات صحائح

وكان سيل دموعها ال أنصاب تخضب بالذبايح
 ينقضن أشعاراً لمن هنالك بادية المسائح
 وكأنها أذنان خيل بالضحي شمس روامح
 من بين مشزور ومجزور يذدعع بالبوارح
 يسكن شجواً مسلماً ت كدحتن الكواح
 ولقد أصاب قلوبها مجل له جلب قوارح
 إذ أقصد الحدان من كنا نرجى إذ نشايح
 أصحاب أحد غاظم دهر ألم له جوارح
 من كان فارسنا وحا مينا إذا بعث المسالخ
 يا حمر ، لا والله لا أنساك ماصر اللقائح
 لمناخ أيتام وأضياف وأرملة تلامع
 ولما ينوب الدهر في حرب لحرب وهي لاقح
 يا فارساً يا مدرها يا حمر قد كنت المصامح
 عنا شديداً الخطو ب إذا ينوب لمن فادح
 ذكرتني أسد الرسو ل ، وذاك مدرها المنايح
 عنا وكان يعد إذ عند الشريفون الجحاجح
 يعلو القامم جهرة سبط اليدن أغر واضح
 لا طائش رعش ولا ذو علة بالجل آنح
 بحر فليس يغب جا رأ منه سيب أو منادح
 أودى شباب أولى الحفا نظ والثقيلون المراجع
 المطعمون إذا المشا قى ما يصفقن ناضح
 لحم الجلال وفوقه من شحمه شطب شرائح
 ليدافعوا عن جارهم ما رام ذل الضغن المكاشح
 لهن لشبان رزء ناهم كأنهم المصاييح
 شم ، بطارقة ، غطا رقة ، خضارمة ، مسامح
 المشترون الحمد بال أموال إن الحمد رابح
 والجامزون بلجهم يوماً إذا ما صاح صائح
 من كان يرمى بالنوا قر من زمان غمر صالح
 ما إن تزال ركابه يرسم في غير صحاصح
 راحت تبارى وهو في ركب صدورهم رواشح
 حتى تنوب له المعأ لى ليس من فوز السفائح
 يا حمر قد أوحدتى كالعود شد به الكوافح
 أشكو إليك وفوقك ال ترب المكور والصفائح

من جندل نلقيه فو قك إذ أجاد الضرح ضارح
في واسع يخشونه بالترب سوته الماسح
فمزاونا أنا فهو ل وقولنا برج بوارح
من كان أمسى وهو عم ا أوقع الحدثان جانح
فليأتنا فلتبك عيه ناه لملكانا التوافح
الفائلين الفاعلين ذوى السباحة والمباح
من لا يزال ندى يديه طوال الدهر مائع

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان، وبيته : « المطعمون إذا المشاق » وبيته : « الجامزون بلجمهم » ، وبيته : « من كان يرمى بالنواقر ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكى حمزة بن عبد المطلب :

أنعرف الدار عفا راسها بعدك صوب المسبل الهاطل
بين السرايخ فأدمانة فدفع الروحاء في حائل
ساملتها عن ذاك فاستعجمت لم تدر ما مرجوعة السائل ؟
دع عنك داراً قد عفا رسمها رابك على حمزة ذى النائل
المالئ الشيزى إذا أعصفت غرباء في ذى الشيم الماحل
والتارك القرن لدى لبدة يعثر في ذى الخرص الذابل
واللابس الخيل إذ أجمعت كاليث في غابته الباسل
أبيض في الفروة من هاشم لم يمر دون الحق بالباطل
مال شهيداً بين أسيافكم شلت يدا وحشي من قاتل
أى امرئ غادر في ألة مطرورة مارنة العامل
أظلمت الأرض لفقدانه وأسود نور القمر الناصل
صلى عليه الله في جنة عالية مكرمة الداخل
كنا نرى حمزة حرزاً لنا في كل أمر نابنا نازل
وكان في الإسلام ذا تدرأ يكفيك فقد القاعد الخاذل
لا تفرحى يا هند واستحلبى دمعاً وأذرى عبرة الشاكل
وابكى على عتبة إذ قطه بالسيف تحت الريح الجائل
إذ خر في مشيخة منكم من كل عات قلته جاهل
أرداهم حمزة في أسرة يمشون تحت الخلق الفاضل
غداة جبريل وزير له نعم وزير الفارص الحامل

وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب :

وجزعف أن سلخ الشباب الأغيد
فهواك غورى وصحوك منجد
قد كسنت في طلب الغواية تفند
أو تستفيق إذا نماك المرشد
ظلت بنات الجوف منها ترعد
لرأيت رأسى صخرها يتبسدد
حيث النبوة والسدى والسودد
ربيع يكاد الماء منها يجمد
يوم الكريمة والقنا يتقصد
ذو لبدة شئ البرائن أربد
ورد الحمام قطاب ذاك المورد
نصروا النبي ومنهم المستشهد
لتميت داخل غصة لا تبرد
يوماً تغيب فيه عنها الأسعد
جبريل نحمه لوائنا ومحمد
قسمين : يقتل من لشاء ويطرد
سبعون : عتبة منهم والأسود
فوق الوريد لها رشاش مزبد
عضب بأيدى المؤمنين مهتد
والخيل تشقهم نعام شرد
أبدأ ومن هو في الجنان مخلد

طرقت هومك فالرقاد مسهد
ودعت فؤادك للهوى ضمرية
فدع التمادى في الغواية سادراً
ولقد أتى لك أن تناهى طائماً
ولقد هددت لفقد حمزة هدة
ولو انه لجمعت حراء بمثله
قرم تمكن في ذؤابة هاشم
والعافر الكوم الجلاد إذا غدت
والتارك القرن الكمي مجدلاً
وتراه يرفل في الحديد كأنه
عم النبي محمد وصفيه
وأنى المنية معلماً في أسرة
ولقد إخال بذاك هنداً بشرت
بما صبحنا بالمعتقل قومها
وبيتر بدر إذ يرد وجوههم
حقى رأيت لدى النبي سراتهم
فأقام بالطعن المطعن منهم
وابن المغيرة قد ضربنا ضربة
وأمية الجمحى قوم ميله
فأتاك فل المشركين كأنهم
شتان من هو في جهنم ثاويأ

وقال كعب أيضاً يبكى حمزة :

وبكى النساء على حمزة
على أسد الله في الهزة
وليث الملاحم في البزة
ورضوان ذى العرش والعزة

صفية قومي ولا تعجزى
ولا تسامى أن تطلي البكا
فقد كان عزاً لايتامنا
يريد بذاك رضا أحمد

وقال كعب أيضاً في أحد :

م أن تسأل عنك من يجتدينا
يخبرك من قد سألت اليقيننا
م كنا ثمالاً لمن يعترينا
من الضر في أزمت السنينا
وبالصبر والبذل في المعدميننا

إنك عمر أيبك الكري
فإن تسأل ثم لا تكذبى
بأنا ليلالى ذات العظا
تلوذ النجوم بأذرائنا
بجدوى فضولى أولى وجدنا

وأبقت لنا جلمات الحرو
معاطن تهوى إليها الحقو
نخيس فيها هتاق الجنا
ودفاع رجل كموج الفرا
ترى لونها مثل لون النجو
فإن كنت عن شأننا جاهلا
بنا كيف نفعل إن قلصت
ألسنا نشد عليها العصا
ويوم له رهج دائم
طويل شديد أوار الفتا
تخال الكماة بأعراضه
تعاور أيمانهم بينهم
شهدنا ككنا أولى بأشه
بخرس الحسيس حسان رواء
فا ينفلان وما ينعنين
كبرق الخريف بأيدي الكماة
وعلينا الضرب آباؤنا
جلاد الكماة ، وبذل التلا
إذا مر قرن كفى نسله
نشب وتهلك آباؤنا
سألت بك ابن الزبعرى فلم
خبيثا تطيف بك المنديات
تبجست تهجو رسول الملية
تقول الخنائم ترمى به

ب من نوازي لدن أن برينا
ق يحسبها من رأها الفتينا
ل محمدا دواجن حرا وجونا
ت يقدم جاواء جولا طحونا
م رجراجة تبرق الناظرينا
فسل عنه ذا العلم عن يلينا
عوانا ضروسا عضوضا حجونا
ب حق تدر وحق تلينا
شديد التهاول حامى الارينا
ل تنفى قواحه المقرينا
ثملا على لذة منزفينا
كتوس المنايا بحد الظينا
وتحت العاية والمعلينا
وبصرية قد أجمن الجفونا
وما ينتهين إذا ما نهينا
يفجمن بالظل هاما سكونا
وسوف نعلم أيضا بنينا
د، عن جل أحسابنا ما بقينا
وأورثه بعده آخرينا
وبينا نرى بنينا فنيينا
أنباك فى القوم إلا همينا
مقيا على اللؤم حيننا فحيننا
ك قاتلك الله جلفا لعينا
تقى الثياب تقيا أميننا

قال ابن هشام : أنشدنى بيته : « بنا كيف نفعل » ، والبيت الذى يليه ، والبيت الثالث منه ، وصدر الرابع منه ، وقوله « نشب وتهلك آباؤنا » ، والبيت الذى يليه ، والبيت الثالث منه ، أبو زيد الانصارى .

وقال ابن إسحاق ، وقال كعب بن مالك أيضا ، فى يوم أحد :

سائل قريشا غداة السفح من أحد
كنا الأسود وكانوا النمر إذ زحفوا
فكم تركنا بها من سيد بطل
فينا الرسول شباب ثم يتبعه
الحق منطلقه والعدل سيرته

ماذا لقينا وما لاقوا من الهرب
ما إن نراقب من آل ولا نسب
حامى الذمار كريم الجد والحسب
نور مضى له فضل على الشهب
فمن يجبه إليه ينجم من قتب

نجد المقدم ، ماضى الهم ، معتزم
يمضى ويذمرنا عن غير معصية
بدا لنا فاتبعناه نصده
جالوا وجلنا فما قاموا وما رجعوا
ليسوا سواء وشقى بين أمرهما
حين القلوب على رجف من الرعب
كأنه البدر لم يطبع على الكذب
وكذبوه فكنا أسعد العرب
ونحن نشفقهم لم نأل فى الطلب
حزب الإله وأهل الشرك والنصب

قال ابن هشام : أنشدنى من قوله : « يمضى ويذمرنا » إلى آخرها ، أبو زيد الأنصارى .
قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن رواحة يبكى حمزة بن عبد المطلب : قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد
الأنصارى لسكعب بن مالك :

بكت عيني وحق لها بكاهما
على أسد الإله غداة قالوا
أصيب المسلمون به جميعاً
أبا يعلى لك الأركان هدت
عليك سلام ربك فى جنان
ألا يا هاشم الأخيار صبراً
رسول الله مصطبر كريم
ألا من مبلغ عفى لؤيا
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا
نسيتم ضربنا بقلوب بدر
غداة ثوى أبو جهل صريعاً
وعتبه وابنه خرا جميعاً
ومتركنا أمية مجلبعاً
وهام بنى ربيعة سائلوها
ألا يا هنا فابكى لا تملى
ألا يا هند لا تبدى شمتاً

وما يغنى البكاء ولا العويل
أحمزة ذاكم الرجل القليل
هناك وقد أصيب به الرسول
وأنت الماجد البر الوصول
مخالطها نعيم لا يزول
فكل فمالمكم حسن جميل
بأمر الله ينطق إذ يقول
فبعد اليوم دائلة تدول
وقائنا بها يشنى الفليل
غداة أناكم الموت العجيل
عليه الطير حائمة تجول
وشية عضه السيف الصقيل
وفى حيزومه لدن نبيل
ففى أسيفنا منها فلول
فأنت الواله العبزي الهول
بحمزة إن عزكم ذليل

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك :

أبلغ قریشاً عن نايها
غرتهم بقتلى أصابتهم
خلوا جناناً وأبقوا لكم
تقاتل عن دينها وسطها
رمته معد بعور الكلام
قال ابن هشام : أنشدنى قوله : « لم تلى » ، وقوله : « من نعم المفضل » أبو زيد الأنصارى .

أنفخر منا بما لم تلى
فواضل من نعم المفضل
أسوداً تحامى عن الأشبل
نبى عن الحق لم ينكل
ونبل العداوة لا تأتلى

قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطاب في يوم أحد :

ما بال عينك قد أزرى بها السهد
أمن فراق حبيب كنت تألفه
أم ذاك من شغب قوم لا جداء بهم
ما يفتنون عن الغى الذى ركبوا
وقد نشدناهم بالله قاطبة
حق إذا ما أبوا إلا محاربة
سرنا إليهم بجيش في جوانبه
والجرد ترفل بالأبطال شازية
جيش يقودهم صخر ويرأسهم
فأبرز الحين قوما من منازلهم
فغودرت منهم قتلى مجدلة
قتلى كرام بنو النجار وسطهم
وحمة القرم مصروع تطيف به
كانه حين يكبو في جديته
حوار ناب وقد ولى صحابته
بجراحين ولا يلوون قد ملثوا
تبكى عليهم نساء لا يعول لها
وقد تركناهم للطير ملحمة

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار .

قال ابن إسحاق : وقال أبو زعنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة ، أخو بني جشم بن الخزرج ، يوم أحد :

أنا أبو زعنة يعدو بنى الهزم لم تمنع المخزاة إلا بالالم
يحمى الذمار خزر جى من جشم

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب - قال ابن هشام : قالوا رجل من المسلمين يوم أحد غير على ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحدا منهم يعرفها على :

لا هم إن الحارث بن الصمة كان وفياء وبنا ذا ذمة
أقبل في مهامه مهمة كلية ظلياء مدلهمة
بين سيوف ورماح جمة يبغي رسول الله فيما ثمة

قاله ابن هشام : قوله : « كلية » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن أبي جهل في يوم أحد :

كلهم يزجره أرحب هلا ولن يروه اليوم إلا مقبلا
يحمل رحا ورئيسا جحفلا

وقال الاعشى بن زرارۃ بن النباش التميمي - قال ابن هشام : ثم أحد بن أسد بن عمرو بن تميم - يبكي قتلى بن عبد الدار يوم أحد :

حي من حي على نأيهم بنو أبي طلحة لا تصرف
يمر ساقبهم عليهم بها وكل ساق لهم يعرف
لا جارهم يشكو ولا ضيفهم من دونه باب لهم يصرف

وقال عبد الله بن الزبير يوم أحد :

قتلنا ابن جحش فاغتبطنا بقتله وحزة في فرسانه وابن قوقل
وأفلتنا منهم رجال فأسرعوا فليتهم عاجوا ولم تمعجل
أقاموا لنا حتى تمض سيوفنا مراتهم وكلنا غير عزل
وحق يكون القتل فينا وفيهم ويلقوا صبراً شره غير منجلي

قال ابن هشام : وقوله : « وكلنا » وقوله « ويلقوا صبراً » : عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب :

أسائلة أصحاب أحد مخافة بنات أبي من أعجم وخبير
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى وزير رسول الله خير وزير
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة إلى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجى ونرتجي لحزة يوم الحشر خير نصير
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا بكاء وحزناً محضى ومسيرى
على أسد الله الذى كان مدرها يذود عن الإسلام كل كفور
فيا ليت شلوى عند ذاك وأعظمى لدى أضيع تعادنى ونسور
أقول وقد أعلى النعمى عشيرتى جزى الله خيراً من أخ ونصير

قال ابن هشام : وأشدنى بعض أهل العلم بالشعر قولها :

بكاء وحزناً محضى ومسيرى

قال ابن إسحاق : وقالت نعم ، امرأة شماس بن عثمان ، تبكي شماساً ، وقد أصيب يوم أحد :

يا عين جودى بفيض غير لباس على كريم من الفتيان أباس
صعب البديهة ميمون نقيبته حال ألوية ركاب أفراس
أقول لما أتى الناعى له جزعاً أودى الجواد وأودى المطعم الكاسى
وقلت لما خلت منه مجالسه لا يبعد الله عنا قرب شماس

فأجابها أخوها ، وهو أبو الحكم بن سعيد بن يربوع ، يعزبها ، فقال :

إاقى حياءك فى ستر وفى كرم فإنما كان شماس من الناس
لا تقتلى النفس إذ حانت منيته فى طاعة الله يوم الروح والباس

قد كان حمزة ليث الله فاصطبرى فذاق يومئذ من كأس شماس
وقالت هند بنت عتبة ، حين انصرف المشركون عن أحد :
رجعت وفي نفسى بلابل جمعة وقد فأتنى بعض الذى كان مطلبى
من أصحاب بدر من قريش وغيرهم بنى هاشم منهم ومن أهل يثرب
ولسكننى قد نأت شيئاً ولم يكن كما كنت أرجو فى مسيرى ومركبى
قال ابن هشام : وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قولها :
وقد فأتنى بعض الذى كان مطلبى
وبعضهم ينكرها لهند ، والله أعلم .

شرح ما وقع فى غزوة أحد من الأشعار

وقد شرطنا الإضراب عن شرح شعر الكفرة والمفاخرين بقتال النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا من آمن منهم
لكنه ذكر فى شعر هبيرة الذى بدأ به بيتين ليسا من شعره ، فلذلك ذكرتهما ، وهما :
وليلة يصطلى بالفرث جازرها يختص بالنفري المثرين عيها
فى ليلة من جمادى ذات أندية جربا جمادية قد بت أسريها
قوله : يصطلى بالفرث ، أى : يستدفى به من شدة البرد .

وقوله يختص بالنفري المثرين ، يريد يختص الاغنياء طلباً لمكافأته ، ولياً كل عندهم ، يصف شدة الزمان ،
قوله يعقوب فى الالفاظ ، ونسبهما للهدلى ، وكذلك قال ابن هشام فى هذين البيتين أنهما ليسا لهبيرة ونسبهما لجنوب
أخت عمرو ذى الكلب الهذلى .

وقوله : ذات أندية : جمع ندى على غير قياس ، وقد قيل : إنه جمع الجمع كأنه جمع ندى على مثل جمل وجمال ،
ثم جمع الجمع على أفعله ، وهذا بعيد فى القياس ، لأن الجمع الكثير لا يجمع ، وفعال من أبنية الجمع الكثير ، وقد
قيل هو جمع ندى والندى المجلس ، وهذا لا يشبه معنى البيت ، ولكنه جمع جاء على مثال أفعله ، لأنه فى معنى
الاهوية والاشتية ونحو ذلك ، وأقرب من ذلك أنه فى معنى الرذاذ والرشاش ، وهما يجمعان على أفعله ، وأراد
بجمادى الشهر ، وكان هذا الاسم قد وقع على هذا الشهر فى زمن جمود الماء ، ثم انتقل بالاهلة وبقى الاسم عليه ،
وإن كان فى الصيف والقيظ ، وكذلك أكثر هذه الشهور العربية سميت بأسماء مأخوذة من أحوال السنة الشمسية ،
ثم لزمتهما ، وإن خرجت عن تلك الاوقات .

وذكر شعر كعب بن مالك يحيب هبيرة وأوله : ألا هل أتى غسان . وقد افتتح قصيدة أخرى فى أشعار بدر
بهذا اللفظ ، فقال :

ألا هل أتى غسان فى نأى دارها

ولمّا يذكر غسان لأنهم بنو عم الانصار . والانصار بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .
والذين بالشام بنو جفنة بن عمرو بن عامر ، والكل غسان ، لأن غسان ماء شربوا منه حين ارتحالهم لليمن
فسموا به .

وقوله : سيره متنعج ، أى : مضطرب . وقوله : العراميس : جمع عرمس ، وهى الناقة القوية على السير .

وقوله : قيصه يتفلع ، أى يتشقق ، والقيض : قشور البيض ، والقوانس جمع قونس ، وهى بيضة السلاح .
وقوله : وكل ضموت فى الصوان ، يعنى الدرع جعلها صموتاً لشدة نسيجها وإحكام صنعها ، والنهى والنهى :
الغدير ، سمي بذلك لأن ماءه قد منع من الجريان بارتفاع الارض ، فغادوه السيل ، فسمى غديراً ، ونهقه
الارض فسمى نهياً .

وقوله : ومنجوفة ، مفعولة من نجفت : إذا حفرت ، ويكون أيضاً من نجفت العز إذا شددتها بالجفاف
وهو الجبل ، فإن كان أراد الرماح . فعنى قوله : منجوفة ، أى : مشدودة مثقفة ، وإن كان أراد أسننها ، فهى
أيضاً منجوفة ، من نجفت إذا حفرت ، لأن ثعلب الرمح داخل فى الحديد ، فهى منجوفة له ، وإن كان أراد
السيوف ، فمنجوفة ، أى كالحفورة ، لأن متونها مدوسة مضروبة بمطارق الحديد ، فهى كالحفورة .

وقوله : تصوب بأبدان الرجال وتارة تمر بأعرض البصار فتقعع
يقول : تشق أبدان الرجال حتى تباه البصار فتقعع فيها ، وهى جمع بصرة ، وهى حجارة لينة ، ويحوزأن
يكون أراد جمع بصيرة مثل كريمة ، وكرام ، والبصيرة الدرع ، وقيل : الترس ، والبصيرة أيضاً : طريقة الدم
فى الارض ، فإن كانت فى الجسد ، فهى جدية ، ولا معنى لها فى هذا البيت :
وقول ابن الزبيرى :

يا غراب البين أسمع ، فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل
لإقرار الجاهلية بالقدر : قوله : قد فعل : أى : قد فرغ منه ، وقد كانوا فى الجاهلية يقرون بالقدر ، وقال لبيد
فى الجاهلية :

إن تقوى ربنا خير نفل وبأذن الله ريثى والعجل
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البسال ومن شاء أضل

وقال راجزهم :

يا أيها اللائم لى ، أو فذر إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر

وقوله : غير ملثات ، هو مفتعل من اللوثة كما قال الضبي :

عند الحفيظة إن ذى لؤثة لانا

والمهراس : حجر منقور يمسك الماء ، فيتوضأ منه ، شبه بالمهراس الذى هو الهاون ، وهم المبرد ، فجعل
المهراس اسماً علماً للمهراس الذى بأحد خاصه ، وإنما هو اسم اسكل حجر نقر فأمسك الماء . وورى ابن عبدوس
عن مالك أنه سئل عن رجل يمر بمهراس فى أرض فلاة كيف يغتسل منه ؟ فقال مالك : هلاقت مر بغدير ، ومن
يجعل له مهراساً فى أرض فلاة ؟ فهذا يبين لك أن المهراس ليس مخصوصاً بالمهراس ، الذى كان بأحد ، وكذلك
وقع فى غريب الحديث أن النبى - صلى الله عليه وسلم - مر بقوم يتجاذون مهراساً أى : يرفعونه .

قول حسان يحميه : هربا فى الشعب أشباه الرسل

يعنى : الغم إذا أرسلها الراعى ، يقال لها جبتئذ رسل

وقوله كإشراف الملا ، الإشراف : جمع شرف ، وهو الشخص ، والملا : ما اتسع من الارض ، ويريد
بالإشراف هاهنا أشخاص الشجر وأصولها .

وقوله : يهل ، أراد : فيها ثم جزم للشرط ، فاحذفت الألف لالتقاء الساكنين ، وهو من الهول يقال هالني هو لا إذا أفرعك .

وقوله : وملانا الفرط ، أراد : الفرط بتعريك الراء ، وهى الأكمة وما ارتفع من الأرض ، والرجل : جمع رجلة ، وهو المطمس من الأرض ، والرجلة أيضا فى معنى الراجل من الجراد ، قال الشاعر :
وتحت نحر الخيل حرشف رجلة

يريد بالحرشف جماعة الربا ، وهم صغار الجراد ، ضربهم مثلا للرجالة والرماة ، وجمع الفرط أفراط .
وقوله : ولد استها : كلمة تقولها العرب عند السب ، تقول : يابنى استها ، والولد : بمعنى الأولاد وكتب أهل دمشق إلى أهل مزة وهى على فرسخ من دمشق وكانوا أمسكوا عنهم الماء فكتبوا إليهم : من أهل دمشق إلى بنى استها .

وبعد : فأما أن يمسينا الماء وإلا صبحتكم الخيل . ذكره الجاحظ

حذف حرف الجر : وقوله فى المؤمنين : أيدوا بجبريل ، أى : أيدوا بجبريل ، وحذف الجار فتعدى الفعل فنصب ، ولا يضر هذا الحذف إلا أن يكون الفعل المتعدى بحرف جر متضمنا لمعنى فعل آخر ناصب ، كقولهم : أمرتك الخير أى كلفتك الخير وأزمتكه ، ولا يستقيم نهيتك الشر إذ ليس فى معنى نهيتك فعل . ناصب وقوله : أيدوا جبريل ، أى أصحبوه ، ونحو هذا ، فحسن حذف الباء لهذا
وقوله حسان :

نخرج الأصبح من استاهم

رواه أبو حنيفة : نخرج الاضياح ، وهو اللبن الممزوج بالماء ، وهو فى معنى الاصبح ، لأن الصبغة بياض غير خالص ، فجعله وصفاً للبن الممدوق المخرج من بطونهم .

وقوله : كسلاح النيب يا كن العصل

العصل : نبات كالرفلين يصلح الابل إذا أكلته ، ويكثر شربها للشاء ، وهو من الحمض ، وينبت فى السباخ ، قاله أبو حنيفة .
وقول كعب بن مالك :

لواء الرسول بذى الاضوج

الاضوج : جمع ضوج ، والضوج : جانب الوادى .

وقوله : فى القسطل المريج . القسطل : الغبار ، وكذلك المريج ، وقد شرحنا السليج فيما مضى ، والجل الادعج : يعنى الاسود ، ومنه الحديث فى صفة النبى - صلى الله عليه وسلم - فى عيذه دعج ، وفى أشفاره وطف .
وقوله : وحظلة الخير لم يحنحج ، أى لم يمله شئ عن الطريق المستقيم ، يقال حنحت الشئ إذا أملتته وعدلته عن وجهه ، ويقال أيضا : أحنجته فهو محنحج ، وسيأتى فى الشعر بعد هذا ما يدل عليه .
وقوله :
عن الحق حق عدت ووحه

أنت الروح لانه في معنى النفس ، وهى لغة مشهورة معروفة . أمر ذو الرمة عند موته أن يكتب على قبره :
يا نازع الروح من جسمى إذا قبضت وفارج الكرب أنفذنى من النار
فكان ذلك مكتوباً على قبره .

وقوله : فاخر الزبرج ، أى : فاخر الزينة ، أى ظاهرها .

وقوله : فى الدرج المرتج ، أى المغلق ، يقال : ارتجت الباب إذا أغلقته ، وهو الرتاج ، قالت جارية من العرب ماتت أمها ، وتزوج أبوها :

ولكن قد أنى من دون ودى وبين فواده غلق الرتاج
ومن لم يؤذه ألم برأسى وما الرتمان إلا بالتتاج

ومنه قيل : ارتج على الخطيب ، إذا أغلق عليه باب القول

وفى شعر ضرار : من جمعنا السورج ، وهو فوعل من السراج يريد المضىء .

وفى شعر حسان : وفوا إذ كفرتم يا سخين بربكم

إراد سخينة ، فرخم وعنى قريشاً لأنها كانت تلقب بذلك ، وفى أشعار ضرار فى العينية منها أمرها شاع ،
أراد : شائع ، فقلبت ، كما قال الآخر :

لا ث به الاشاء والعبرى

أراد : لاث ، وكما جاء فى الحديث : لا يحتكر الطعام إلا طاع أو باع أو زاغ أراد : زائغ .

وفى شعره القافى : رشاش الطعن والورق

الورق : ما تعقد من الدم ، قاله ابن دريد وغيره ، وفيه ما به رهق ، أى عيب ، والمرهق من الرجال المعيب .
وفى شعر عمرو بن العاصى : يمشون قطوا . القطر والاقطيطاء : مشى القطا .

وفى شعر كعب : خذم رعايل . الخدم : القطع بالاسنان ، ورعايل : قطع متمزقة ، يقال خباء مرعبل ،
أى متمزق .

وقوله : إنا بنو الحرب نمر بها ونتنجها

مستعار من مريت الناقة إذا استدرت لبنها ، ونتجتها إذا استخرجت منها ولداً ، يقال : نتجت الناقة ،
ونتجها أهلها ، وأما أنتجت نتج فإذا دنا نتاجها .

وقوله : يوم رذاذ من الجوزاء مشمول

يريد : من أيام أنواء الجوزاء ، وهو نوء الهفعة ، أو الهنعة ، وذلك فى الشتاء فى شهر كانون الأول ومشمول
من الريح الشمال .

وقوله : اللثا من اللثق ، وهو البلل والطين اليسير ، والرذاذ معروف ، وهو أكثر من الطش والبغش ، والطل
نحو مته ، أو أقوى منه قليلاً ، يقال : أرض مطلوثة ومبغوشة ، ولا يقال : مرذوذة ، ولكن يقال : مرذة ومرذ
عليها قاله الخطابي .

وذكر شعر حسان . قال ابن هشام : هذه أجود ما قال ، هذه القصيدة التي قالها حسان ليلا ، ونادى قومه أنا أبو الحسام أنا أبو الوليد ، وهما كنييتان له ، ثم أمرهم أن يرووها عنه قبل النهار ، مخافة أن يعوقه عائق ، ففخر فيها على ابن الزبير بمقامات له عند ملوك الشام من أبناء جفنة ، أفتك فيها عناية من قومه .

وذكر مقام خالد عند النعمان الغساني من آل جفنة ، وليس بالنعمان بن المنذر ، وقال فيها .

رب حلم أضاعه عدم الما ل وجهـ غطا عليه النعيم
غطا بتخفيف الطاء أنشده يونس بن حبيب ، وهكذا كان في حاشية الشيخ المذكوراً عن يونس ، وغطا معناه ارتفع وعلا ، وأنشد القتيبي :

ومن تعاجيب خلق الله غاطية يعصى منها ملاحى وغريب
ملاحى بتخفيف اللام ، ويقال : ملاحى كما قال :

كعنقود ملاحية حين نورا

وقال أبو حنيفة : من قال ملاحية بالتشديد شبهه بالملاح وهو ثمر الأراك وفيه ملوحة ، وقال : والغريب اسم لنوع من العنب ، وليس بنعت . قال المؤلف : وإذا ثبت هذا فذلك أن تفهم منه معنى قرله سبحانه : وغرايب سود ، حين وصف الجدد وسود عندى بدل ، لانتعت ، وإنما يتم شرح الآية لمن لحظه من هذا المطلع فإن أبا حنيفة زعم أن الغرايب إذا أطلق لفظه ، ولم يقيد بشئ . موصوف به فإنما يفهم منه العنب الذي هذا اسمه خاصة ، والله الموفق للصواب وفهم الكتاب .

وذكر فيه حماة اللواء من بنى عبد الدار ، وأنهم صرعوا حوله حتى أخذته امرأة منهم وهى عمرة بنت علقمة ، فلذلك قال :

لم تطق حمله العواتق منهم إنما يحمل اللواء النجوم

وقال فى شعر حجاج بن علاط يمدح علياً رضى الله عنه :

لله أى مذهب عن حرمة

ألفيت فى حاشية الشيخ أبى بحر على هذا البيت فى حاشية الأصل يعنى أصل أبى الوليد ، قال إبراهيم أى نصب لأنه مدح والمدح نصب فى أى حاله ، فأما ابن هشام فرفع أى . قال المؤلف : وهذا الذى ذكره من نصب أى على المدح ، لا يستقيم إلا أن تقدر حذف المبتدأ قبله ، كأنه قال الله أنت لأنه لا ينصب على المدح إلا بعد جملة تامة . وأما الرفع على أن تجعل خبره لله : ففحيح لأنها وإن كانت خبراً ، فأصلها الاستفهام فلها صدر الكلام كما كان ذلك فى كم خبرية كانت . أو استفهامية ، فالتقدير إذا : لله دره أى مذهب عن حرمة هو ، ألا ترى أنه يقبح أن يقول : جاءنى أى فقى ، فإن جعلته وصفاً جارياً على ما قبلها ، فقلت جاءنى رجل أى رجل جاز ذلك ، لأنه إذا كان وصفاً لم تله العوامل اللفظية ، فكانه لم يخرج عن أصله ، إذ المبتدأ لا تليه العوامل اللفظية .

وقوله : أخول أخولا ، أى : متفرقين ، ووقع تفسيره فى بعض النسخ من قول ابن هشام . وكان أصله من الخال وهو الخيلاء والكبر ، تقول : فلان أخول من فلان ، أى أشد كبراً منه ، واختيالا ، فعنى قولهم : إذا جاء القوم

أخول أخولا ، أى انفرد كل واحد منهم بنفسه ؛ وازدهاه الحال أن يكون تابعا لغيره ، فكلما رأيت أحدا منهم ، قلت : هذا أخول من الآخر ، هذا هو الأصل ، ثم كثر حتى استعمل في التفرق مثلا ، وإن لم يكن هناك من معنى الحال شيء ، وقد قيل في أخول : إنه من تخولت بالموعظة ، ونحوها إذا فعلت ذلك شيئا فشيئا ، وفي الحديث : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتخولنا بالموعظة ، مخافة السأمة علينا .
وذكر شعر حسان الخثمي وقال فيه :

كالحاملات الوقر بالثقل الملحات الدوالج

الدوالج : جمع دالحة وهي المثقلة ، وكذلك الدلوح من السحاب ، وهي المثقلة بالماء وفيه :
ينقض أشعارا لمن هناك بادية المسائح

المسائح : جمع : مسيحة ، وهو ما لم يمشط من الشعر بدهن ، ولا شيء ، والمسيحة أيضا القطعة من الفضة والمسيحة الفرس .

وقوله : من بين مشرور : أى مفرق ، ويقال شررت الملح إذا فرقته ، والمجل كالجرح ، تقول : مجلت يدي من العمل .

وقوله : نشائج ، أى نحاذر ، كما قال الآخر :

وشايحت قبل اليوم إنك شيخ

وقوله : قد كنت المصامح ، وفي الحاشية عند الشيخ المصافح بالفاء في رواية أخرى ، وأما المصامح بالميم ، فيجوز أن يكون من صمحت الشيء إذا أذبت . قاله صاحب العين . قال : الصمصح من الرجال : الشديدا العصب ، وسنه ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، والصماح فيما ذكر أبو حنيفة المنتنة .

وقوله : سبب أو منادح ، ويجوز أن يكون جمع : مندوحة ، وهي السعة ، وقياسه : مناديع بالياء ، وحذفها ضرورة ، ويجوز أن يكون من الندح ، فيكون مفاعلا بضم الميم . مكائرا ، ويكون بفتح الميم فيكون جمع مندوحة مفعلة من الكثرة والسعة ، وأما قولهم : أنا في مندوحة من هذا الأمر ، فهي مفعولة من الندح ، وهم أبو عبيد فجعله من انداح بطنه إذا اتسع ، والنون في مندوحة أصل وهي نداح زائدة ، لأن وزنه انفع ، والالف في انداح أصل وهي بدل من واو كأنه مندوحة الشج ، والميم في مندوحة زائدة ، والدال عين الفعل ، وهو في انداح فاء الفعل ، ومن هاهنا قال الخطابي : يا عجباً لابن قتيبة يترك مثل هذا من غلط أبي عبيد ، ويعنف في الرد عليه ، فيما لا بال له من الغلط .

وقوله : خضارمة : جمع خضرم ، وهو الكثير العطاء .

وقوله : يرسمن من الرسم في السير . والصحاصح : جمع صحصح ، وهي الأرض الملساء .

وقوله : ليس من فوز السفائح ، والسفائح : جمع سفيحة ، وهي كالجوالق ونحوه .

وقال في القصيدة اللامية : ذى الحرص الذابل ، يريد : الرمح ، والحرص سنانه وجمعه خرصان . وفيه : شلت

يدا وحشى من قاتل .

ترك التنوين للضرورة : ترك التنوين للضرورة لما كان اسماً علماً ، والعلم قد يترك صرفه كثيراً ، ومنع من ذلك البصريون ، واحتج الكوفيون في إجازته بأن الشاعر قد يحذف الحرف والحرفين نحو قول علقمة :
كان لإبريقهم ظبي على شرف مقدم بسبا الكتان ملثوم

أى بسائب . وقول لييد :

كالخاليج بأيدي التلام

أى التلاميذ .

وقال ابن السراج محتجاً عليهم : ليس التنوين من هذا في شيء لانه زائد لمعنى ، وما زيد لمعنى لا يحذف .
وفي شعر كعب :
طرفت همومك فالرقاد مسهد .

أراد الرقاد مسهد صاحبه ، فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ، وهو الضمير المخفوض ، فصار الضمير مفعولاً لم يسم فاعله ، فاستتر في المسهد . ومنه :
وجزعت أن سألخ الشباب الاغيد

أى الاغيد صاحبه ، وهو الناعم

وقوله : والخييل تشفهم : أى : تتبع آثارهم ، وأصله من ثغفات البهير ، وهو ما حول الخف منه .
وقول كعب في الشعر الزائى :
وليك الملاحم في البزة

البزة للشارة الحسنه ، والبزة السلاح أيضاً ، وهو من يزرت ارجل ، إذا سلبته بزته ، يقال : من عز بز ، أى :
من غلب سلب ، والبزاز : الرجل الشديد .

وقال أيضاً في القصيدة النونية .
تلوذ البجود ، بأذرائنا

البجود : جمع بجد ، وهم جماعة من الناس ، ويروى النجود بالنون ، وهى المرأة المكروبة والنجود من الإبل : القوية وقوله : بأذرائنا ، جمع ذرا من قولهم : أنا فى ذرا فلان ، أى فى ستره ، وتقول العرب : ليس فى الشجر أذرى من السلم ، أى : أدفا ذراً منه ، لانه يقال ، مامات أحد صرداً قط فى ذرا سلة

وقوله . جلبات الحروب : من قولك جلبت الشيء . وجرشته إذا قطعته . ومنه : الجلبان . وقوله لدن أن برينا أى خلقنا ، والبارى : الخالق سبحانه ، أى هذا حالنا من لدن خلقنا .

وقوله : يحسبها من رآها الفتيما ، وهى الصخور السود ، سميت بذلك لأنها تشبه ما فتن بالار ، أى : أحرق . وفى التنزيل : دعى النار يفتنون ، وأصل الفتن الاختبار ، وإنما قيل : فتن الحديد بالنار ، لانه تختبر طيبها من خبيثها .

وقوله : دواجن حرأ وجونا ، أى : حرأ وسودأ ، وقوله : جاواء ، أى كتيبة لونها لون الحديد
وقوله : جولاً طحونا : الجول . : جانب البشر .

وقوله : إن قلصت ، يعنى الحرب ، ثم وصفها فقال : عضوذا حجونا من العض ، وحجونا من حجت العود
إذا لويته ، وقوله :

ألسنا نشد عليها العصا ب حق تدر وحتى تلينا

هذا كله من صفة الحرب ، شبهها بناقة صعبة قلصت ، أى صارت قلوفاً ، أى إنما نذل صعبها ، ونلين من ضراسها . وقوله : ويوم له رهج دائم الراج : الغبار .

وقوله : شديد التهاول : جمع تهويل ، والتهويل : ألوان مختلفة ، قال الشاعر يصف روحاً :

وعازب قد علا التهويل جنبته لا تنفع النعل في ررقاه الحافي

وقوله : حامي الارينا : جمع إرة ، وهو مستوقد النار ، يجوز أن يكون وزنها علة من الاوار ، وهو الحرق ، خذفت الهمزة ، وهزمت الواو لانكسارها ، وجائز أن يكون وزنها فعة من تأريت بالمسكان ، لانهم يتأرون حولها ، وهذا الوجه هو الصحيح ، لانهم جمعوها على إرين مثل سنين ، ولا يجمع هذا الجمع المسلم كجمع من يعقل إلا إذا حذف لامه ، وكان مؤثراً ، وكان لام الفعل حرف علة ، ولم يكن له مذكر كالامة ، إذا اجتمعت فيه هذه الشروط الأربعة جمع بالواو والنون في الرفع . والياء والنون في الخفض والنصب ، كسنين وعصين ، غير أنهم قد قالوا رقين في جمع الرقة وهي الورق وقد تكلمنا على سر هذا الجمع وسر أرضين في نتائج الفكر ، بما فيه جلاء والحمد لله .

وقوله : كنار أبى حباحب والضيينا يقال أبو حباحب ذباب يلبع بالليل ، وقيل كان رجلاً لثيماً لا يرفع ناره خشية الاضياف ؛ ولا يوقدها إلا ضعيفة ، وترك صرفه ولم يخفض ، وهو في موضع الخفض ، لما قدمناه من أن الاسم إذا ترك صرفه ضرورة أو غير ضرورة ، لم يدخله الخفض كما لا يدخله التنوين ، لثلاً يشبه ما بضيفه المتكلم إلى نفسه ، وقال أبو حنيفة : لا أدري ما حباحب ولا أبو حباحب ، ولا بلغني عن العرب فيه شيء ، وقال في الإرة عن قوم حكى قولهم : هو من أريت الشيء إذا عملته ، وقال : الأرى هو عمل النحل وفعلها ، ثم سمي العسل أرياً لهذا كما يسمى مزجاً وأنشد :

وجاءوا بمزج لم ير الناس مثله هو الضحك إلا أنه عمل النحل

قال : والضحك : الزبد الأبيض ، وقيل الثغر ، وقيل الطلع ، وقيل : العجب .

وقوله : والظيينا : جمع ظبة ، جمعها على هذا الجمع المسلم ، لما قدمناه في الارين والسنين ، غير أنه لم يكسر أول الكلمة كما كسرت السين من سنين إشعاراً بالجمع ، لأن ظبين لا يشبه أن يكون واحداً ، إذ ليس في الأسماء فعيل ، وكسروا أول سنين إيداناً بأنه جمع كي لا يتوهم أنه اسم على فعول ، إذ ليس في الأسماء فعول ولا فعيل ولم يبلغ سيديويه أن ظبة تجمع على ظبين ، وقد جاء في هذا الشعر ، وفي غيره كما تراه .

وقوله : قواحره : جمع قاحز وهو الوثاب القلق ، يقال : قحز قحزاناً ، إذا وثب وقلق . وقوله : بخرس الحسيس ، يصف السيوف بالخرس لوقوعها في الدم واللحم .

وقوله : حسان رواء : من الدم ، وقوله : بصرية : منسوبة إلى مشارف من أرض الشام ، لانها تصنع فيها .

وقوله : قد أجمن الجفونا ، أى كرهن المقام فيها ، ومللته ، ومنه قول هشام لسالم بن عبد الله : ما طعامك ؟ قال : الخبز بالزيت ، قال : أما تأجمها ؟ قال : إذ أجمتها تركتها حتى أشتيهما .

وقوله : وتحت العماية والمعلينا ، بإسقاط الواو من أول القسم الثاني وقع في الأصل وفي الحاشية ، وتحت العماية بواو العطف وقع في الأصلين ، وبها يكمل الوزن ولا يجوز إسقاطها إلا على مذهب الأخفش الذي يجيز الخرم في أول القسم الثاني من البيت ، كما يجيزه العروضيون في أول البيت .

وقوله : تطيف بك المنديات : أى الأمور الشنيعة .

وقوله : تبجست ، من تبجس الماء ، إذا انفجر .

وقول ضرار في قصيدته الدالية يكبو في حديثه ، أى : فى دمه

وقوله : ثعلب جسد ، يريد ثعلب الرمح ، وجسد من الجساد وهو الدم .

وقوله : الاضغان والحقد ، حرك القاف بالكسر ضرورة ، ولو وقف على الدال بالسكون ، وكان الاسم محفوظاً كان الكسر أحسن فى الوقف ، كما قال : واصطفافاً بالرجل ، أى : الرجل .

وقوله : العوصاء والسكود ، يريد الرملة العويص مثلسها ، والسكود جمع عقبة كثود وهى الشاقة .

وقول عكرمة : أرحب هلا ، هو من زجر الخيل ، وكذلك هقط وهقط وهب وسقب . وذكر قول نعيم :

يا عين جودى بفيض غير إبساس

الإبساس : أن تستدر لبن الناقة بأن تسمح ضرعها ، وتقول لها : بس بس فاستعارت هذا المعنى للدمع الفائض بغير تكلف ولا استدلال .

وقولها : صعب البديهة ، أى : بديهة لا تعارض ولا نطاق ، فكيف رويته واحتفاله .

وفى شعر كعب : بكى عيني وحق لها بكاء وما يغنى البكاء ولا العويل

وضع المقصور فى موضعه ، والممدود فى موضعه ، لأن البكاء مقصور بمعنى الحزن والغم ، وإن كان ممدوداً فهو الصراخ ، وكذلك قياس الاصوات أن تكون على فعال ، فقوله : حق لها بكاء ، أى حق لها حزنها ، لأنه الذى يحق دون الصراخ . ثم قال : وما يغنى البكاء ولا العويل ، أى : ليس ينفى الصياح ولا الصراخ ، ولا يجدى على أحد ، فتزلت كل كلمة منزلتها .

وقوله : حق لها ، أى : حق ، والأصل : حقق على فعل ، فبكاءها : فاعل لا مفعول ، وكل فعل إذا أردت المبالغة فى الأمر ومعنى التعجب نقلت الضمة من عين الفعل إلى فائه ، فتقول : حسن جداً ، فإن لم ترد معنى التعجب لم يحز إلا الضم أو التسكين ، تقول : كبر زيد وكبر ، ولا تقول كبر إلا مع قصد التعجب . قال الشاعر :

فقلت : اقتلوا عنكم بمزاجها وحب بها مقتولة حين تقتل

يعنى الخمر . وقال آخر :

لم يمنع القوم منى ما أردت ولم أعطيهم ما أرادوا حسن ذأديا

أى حسن ، وقال آخر :

ألا حب بالبيت الذى أنت زائره

ذكر يوم الرجيع

مقتل خبيب وأصحابه : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زيد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال : حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة .

قال ابن هشام : عضل والقارة ، من الهون بن خزيمة بن مدركة .

قال ابن هشام : ويقال : الهون ، بضم الهاء .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا لإسلاماً ، فابعث معنا نفرأ هن أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرؤونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرأ ستة من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، حليف حمزة بن عبد المطلب ، وخالد بن البكير الليثي ، حليف بني عدي بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وخبيب بن عدي ، أخو بني جهم بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة بن معاوية ، أخو بني بياضة بن عمرو بن زريق بن عبد حارثة ابن غضب بن جشم بن الحزرج ، وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر بن الحزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي فخرج مع القوم . حتى إذا كانوا على الرجيع ، ماء لهذيل بناحية الحجاز ، على صدور الهدأة غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلاً ، فلم يرع القوم ، وهم في رحالهم ، إلا الرجال بأيديهم السيوف ، قد غشوم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلهم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا تقتلكم .

فأما مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهداً أبداً ، فقال عاصم بن ثابت :

ما عاقى وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عناول
تزل عن صفحتها المعابل الموت حق والحياة باطل
وكل ما حم الإله نازل بالمرء والمرأ إليه آئل
إن لم أقاتلكم هابل

قال ابن هشام : هابل : ثاكل :

وقال : بالبيت ، لأن معناه كعفى أحجب بالبيت تعجباً . وقول كعب :

أبا يعلى لك الأركان هدت

كان حمزة يكنى أبا يعلى بابنه يعلى ، ولم يعيش لحزة ولد غيره وأعقب يعلى خمسة من البنين ، ثم انقرض عقبهم فيما ذكر مصعب ويكنى حمزة أيضاً أبا عمارة ، وقد تقدم ذكره في المبعث ، بهذه السكنية ، قيل : إن عمارة بنت له كنى بها ، وهي التي وقع ذكرها في السنن للدارقطني . أن مولد لحزة مات ، وترك بنتاً فورثت منه النصف ، وورثت بنت حمزة النصف الآخر ، ولم يسمها في السنن ، ولكنه جاء اسمها في كتاب أحكام القرآن لبكر بن العلاء والله أعلم ، وقد روى أن الولاء كان لها ، وأنها كانت المعتقة لا حمزة .

وقال عاصم بن ثابت أيضاً :

أبو سليمان وریش المقعد وضالة مثل الجحيم الموقد
إذا النواجی افترشت لم أرعد ومجنأ من جلد ثور أجرد
ومؤمن بما على محمد

وقال عاصم بن ثابت أيضاً :

أبو سليمان ومثلي رامی وكان قومی معشراً كراما

وكان عاصم بن ثابت يكتنى : أبا سفيان : ثم قاتل القوم حتى قتل وقتل صاحبه .

فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ، لبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر ، فنعته الدبر ، فلما حالت بينه وبينهم الدبر قالوا : دعوه يمسى فتذهب عنه ، فأنأخذه . فبعث الله الوادى ، فاحتمل عاصم ، فذهب به ، وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركاً أبداً ، تنجسا ، فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : حين بلغه أن الدبر منعت : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركاً أبداً في حياته ، فنعته الله بعد وفاته ، كما امتنع منه في حياته

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدى ، وعبد الله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة ، لبيعهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران انزع عبد الله بن طارق يده من القرآن ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره ، رحمه الله ، بالظهران ، وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشام : فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيباً حجيراً بن أبى إهاب التميمى ، حليف بنى نوفل ، لعقبه بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه لقتله بأبيه .

قال ابن هشام : الحارث بن عامر ، خال أبى إهاب ، وأبو إهاب ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، ويقال : أحد بنى عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، من بنى تميم

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ، أمية بن خلف ، وبعث به صفوان ابن أمية مع مولى له ، يقال له : نسطاس ، إلى التميم ، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه . واجتمع رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أشدك الله يا زيد أحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه ، وأنت في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكه تؤذيه ، وأنى جالس فى أهلى ، قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحد يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ، ثم قتله نسطاس ، رحمه الله .

وأما خبيب بن عدى ، فحدثني عبد الله بن أبى نجيج ، أنه حدث عن معاوية ، مولاة حجير بن أبى إهاب ،

وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خبيب عندي . حبس في بيتي ، فلقد اطلمت عليه يوماً ، وإن في يده لفعلها من عنب ، مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنبا يؤكل .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيح جميعاً أنها قالت : قال لي حين حضره القتل : ابهي إلى بحديدة أظهر بها للقتل ، قالت : فأعطيت غلاماً من الحى موسى ، فقلت : ادخل بها على هذا الرجل البيت : قالت : والله ما هو إلا أن ولي الغلام بها إليه ؛ فقلت : ماذا صنعت ! أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلاً رجلاً ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعمرك ، ما خافت أهلك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إلى ! ثم خلى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لو لا أن تظنوا أني إنما طولت جزءاً من القتل لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خبيب بن عدى أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للسليدين . قال : ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه ، قال اللهم إنا قد بلغنا رسالتك رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدءاً ولا تغادر منهم أحداً . ثم قتلوه رحمه الله . فكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان ، فلقد رأيته يلقى إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون إن الرجل إذا دعى عليه ، فاضطجع لجنبه زالت عنه .

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عقبة بن الحارث ، قال سمعته يقول : ما أنا والله قتلت خبيداً ، لأنني كنت أصغر من ذلك ، ولكن أبا ميسرة ، أخا بني عبد الدار ، أخذ الحربة فجعلها في يدي ، ثم أخذ بيدي وبالحربة ، ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستعمل سعيد بن عامر ابن حذيم الجهمي على بعض الشام . فكانت تصيبه غشية ، وهو بين ظهري القوم ، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب ، وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر في قدمه قدمها عليه ، فقال : يا سعيد ، ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ، ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قط إلا غشى على ، فزادته عند عمر خيراً .

قال ابن هشام : أقام خبيب في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم ، ثم قتلوه .

ما نزل في سرية الرجيع من القرآن : قال : قال ابن إسحاق : وكان مما نزل من القرآن في تلك السرية ، كما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت . عن غكرمة مولى ابن عباس ، أنه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس .

قال : قال ابن عباس : لما أصيبت السرية التي كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع ، قال رجال من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا ، لاهم قعدوا في أهليهم ، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم ! فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين ، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذي أصابهم ، فقال سبحانه : ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، : أي لما يظهر من الإسلام بلسانه ، : ويشهد الله على ما في قلبه ، : وهو مخالف لما يقول بلسانه ، : وهو ألد الخصام ، : أي ذو جدال إذا كلمك وراجعتك .

قال ابن هشام : الاله الذي يشغب ، فقتلته خصومته ؛ وجمعه : لد ، وفي كتاب الله عز وجل : « وتنبذ به قوما
لدا » وقال المبال بن ربيعة التغلبي ، واسمه امرؤ القيس ، ويقال : عدى بن ربيعة :
إن تحت الأحجار حداً ولينا وخصيماً ألد ذا معلاق
ويروى ذا معلاق ، فيما قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له . وهو الألبدد . قال الطرماح بن حكيم
الطائي يصف الحرباء :

يوفي على جذم الجذول كأنه خصم أبر على الخصوم الندد
وهذا البيت في قصيدة له

قال ابن إسحاق : قال تعالى : « وإذا تولى » : أي خرج من عندك « سعى في الأرض ليفسد فيها ، ويهلك
الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد » ، أي لا يحب عمله ولا يرضاه . « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم
فحسبه جهنم ولبئس المهابة ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله : والله رءوف بالعباد » : أي قد شروا
أنفسهم من الله بالجهاد في سبيله ، والقيام بحقه ، حتى هلكوا على ذلك ، يعني تلك السرية .
قال ابن هشام : يشري نفسه : يبيع نفسه : وشروا : باعوا . قال يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري :
وشريت برداً ليتسنى من بعد جود كنت هامه
برد : غلام له باعه : وهذا البيت في قصيدة له . وشري أيضاً : اشترى .
قال الشاعر :

فقلت لها لا تجزعي أم مالك على ابنك إن عبد لثيم شراهما
قال ابن إسحاق : وكان بما قيل في ذلك من الشعر ، قول خبيب بن عدى ، عين بلغه أن القوم قد اجتمعوا الصلبة
قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلمهم مبدى العداوة جاهد على لاني في وثاق بمصيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم وقربت من جذع طويل ممنع
إلى الله أشكر غربتي ثم كربتي وما أصد الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش صبرني على ما يرادني فقد بضعوا الحمي وقد يأس مطمعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو مزع
وقد خيروني الكفر والموت دونه وقد هملت عيناى من غير مجزع
وما بي حذار الموت إنى لميت ولكن حذارى جهنم نار ملقع
فوالله ما أرجو إذا مت مسلماً على أى جنب كان في الله مصرعي
فلمست بمبدى العدو نخشعاً ولا جزعاً لاني إلى الله مرجعي

وقال حسان بن ثابت يبيكي خبيباً :

ما بال عينك لا ترقا مدامعها سحا على الصدر مثل اللؤلؤ القاق
على خبيب ففى الفتيان قد علموا لا فشل حين تلقاه ولا نزق

فاذهب خبيب جزاك الله طيبة وجنة الخلد عند الحور في الرفق
 ماذا تقولون إن قال النبي لكم حين الملائكة الأبرار في الأفق
 فيم قتلتم شهيد الله في رجل طاغ قد أوعث في البلدان والرفق
 وقال ابن هشام : و يروى : د الطرق ، وتركنا ما بقي منها ، لأنه أقذع فيها .
 قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكى خبيلاً :

يا عين جودي بدمع منك منسكب وابكى خبيلاً مع الفتيان لم يؤب
 صقراً توسط في الأنصار منصبه سمح السجية محضاً غير مؤتشب
 قد هاج عيني على علات عبرتها إذ قيل نص إلى جذع من الخشب
 يا أيها الراكب الغادى لطيفه أبلغ لديك وعيد أليس بالكذب
 بني كهيبة أن الحرب قد لقحت مخلوبها الصاب إذ تمرى لمحتلب
 فيها أسود بني النجار تقدمهم شهب الاسنة في معصو صب لجب

قال ابن هشام : وهذه القصيدة مثل التي قبلها ، وبعض أهل العلم بالشعر يشكرهما لحسان ، وقد تركنا أشياء في أمر خبيب لما ذكرت .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

لو كان في الدار قرم ماجد بطل ألقى من القوم صقر خاله أنس
 إذ ن وجدت خبيلاً مجلساً فسحاً ولم يشد عليك السجن والحرس
 ولم تسقك إلى التنعيم زعنفة من القبائل منهم من نفت عدس
 دلوك غدرأ وهم فيها أولو خلف وأنت ضم لها في الدار محتبس

قال ابن هشام : أنس : الأصم السامي : خال مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف . وقوله : د من نفت عدس ، يعني حجيرة بن أبي إهاب ، ويقال الأعشى بن زرارة بن النباش الاسدي ، وكان حليفاً لبني نوفل بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : وكان الذين أجلبوا على خبيب في قتله حين قتل من قريش : عكرمة بن أبي جهل ، وسعيد بن عبد الله بن أبي قيس بن عبدود . والآخر بن شريق الثقفي ، حليف بني زهرة ، وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السامي ، حليف بني أمية بن عبد شمس ، وأميرة بن أبي عتبة ، وبنو الحضرمي .

وقال حسان أيضاً يهجو هذيل فيما صنعوا بخبيب بن عدى :

أبلغ بني عمرو بأن أخام شراه امرؤ قد كان للغدر لازما
 شراه زهير بن الأغر وجامع وكانا جميعاً يركبان المحارما
 أجزتم فلما أن أجزتم غدرتم وكنتم بأكتاف الرجيع لهاذما
 فليت خبيلاً لم تخنه أمانة وليت خبيلاً كان بالقوم عالماً

قال ابن هشام : زهير بن الاغر وجامع : الهذليان اللذان باعا خبيبا .

وقال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت ايضا :

إن مراك الغدر صرفا لا مزاج له
قوم تواصوا بأكل الجار بينهم
لو ينطق التيس يوما قام يخطبهم
فأت الرجيع فسل عن دار لحيان
فالكلب والقرد والإنسان مثلان
وكان ذا شرف فيهم وذا شان

قال ابن هشام : وأنشدني أبو زيد الأنصاري قوله :

لو ينطق التيس يوما قام يخطبهم
وكان ذا شرف فيهم وذا شان

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيل :

سالت هذيل رسول الله فاحشة
سألو رسولهم ما ليس معطيهم
ولن ترى لهذيل داعيا أبدا
ضلت هذيل بما سألت ولم تصب
حق الممات ، وكانو سبة العرب
يدعو لمكرمة هن منزل الحرب
لقد أرادوا خلال الفعش ويحهم
وأن يحلوا حراما كان في السكتب

قال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيل :

لعمري لقد شانت هذيل بن مدرك
أحاديث لحيان صلوا بقيبيحها
أناس هم من قومهم في ضميمهم
هم غدروا يوم الرجيع وأسأت
رسول رسول الله غدر أولم تكن
فسوف يرون النصر يوما عليهم
أبايل دبر شمس دون لحمه
لعل هذيل أن يروا بمصابه
ونوقع فيهم وقعة ذات صولة
بأمر رسول الله إن رسوله
قبيلة ليس الوفاء بهمهم
إذا الناس حلوا بالقضاء رأيتهم
حلهم دار البوار ورأيهم
أحاديث كانت في خبيب وعاصم
ولحيان جرامون شر الجرائم
بنزلة الزمعان دبر القوادم
أما انتهم ذا عفة ومكارم
هذيل توفي منكراة المحارم
بقتل الذي تحميه دون الجرائم
حت لحم شهاد عظام الملاحم
مصارع قتلى أو مقاما لماتم
يوافي بها الركبان أهل المواسم
رأى رأى ذى حزم بلحيان عالم
وإن ظلوا لم يدفعوا كف ظالم
بمجرى مسيل الماء بين المخارم
إذا ناههم أمر كراى البهائم

وقال حسان بن ثابت يهجو هذيل :

لحى الله لحياننا فليست دماؤهم
همو قتلوا يوم الرجيع ابن حرة
فلو قتلوا يوم الرجيع بأسرهم
لنا من قتيل غدره بوفاء
أخا ثقة في وده وصفاء
بذى الدبر ما كانوا له بكفاء

قتيل حمة الدبر بين يوتهم لدى أهل كفر ظاهر وجفاء
فقد قتلت لحيان أكرم منهم وباعوا خبيبا ويلهم بلفاء
فأف للحيان على كل حالة على ذكرهم في الذكر كل عفاء
قبيلة باللؤم والغدر تغترى قلم تمس يخفى لؤمها بخفاء
فلو قتلوا لم توف منه دماؤهم بلى إن قتل القاتليه شفاء
فالا أمت أذعر هذيلًا بمارة كمادى الجهام المغتدى بافاء
بأمر رسول الله والامر أمره يبيت للحيان الخنا بفناء
يصبح قوماً بالرجيع كأنهم جداء شتاء بتن غير دفاء

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلًا :

فلا والله ، ما تدري هذيل أصاف ماء زمزم أم مشوب
ولا لهم إذا اهتمروا وحجوا من الحجرين والمسمى نصيب
ولكن الرجيع لهم عل به اللؤم المبين والعيوب
كأنهم لدى الكنات أصلا تيوس بالحجاز لها نيت
هم غروا بذمتهم خبيبا فبئس العهد عهدهم الكذوب

قال ابن هشام : آخرها بيتا عن أبي زيد الأنصاري .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبيخ خبيبا وأصحابه :

صلى الإله على الذين تنابعوا يوم الرجيع فأكرموا وأثبتوا
رأس السرية مرثد وأميرهم وابن البكير لإمامهم وخبيب
وابن لطارق وابن دثنة منهم واقاه ثم حمامه المكتوب
والعاصم المقتول عند رجيعهم كسب المعالي إنه لكسوب
منع المقادة أن ينالوا ظهره حتى يجالد إنه لنجيب

قال ابن هشام : ويروى : حتى يجدل إنه لنجيب .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينسكروا لحسان .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والمحرم ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بشر معونة في صفر ، على رأس أربعة أشهر من أحد .

حديث بشر معونة

وكان من حديثهم ، كما حدثني أبي إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله

ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، ، وغيره من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ؟ ودعاه إليه ، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام ، وقال : يا محمد لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد ، فدعهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبيوا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء : أنا لهم جار ، فابشروهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو ، أخا بني ساعدة ، المنعق ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ؛ منهم : الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان أخو بني عدي بن النجار ، وعروة بن أسامة بن الصلت السلمي ، ونافع بن ورقاء الخزاعي ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق - في رجال مسلمين من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين أرض بني عامر وحررة بني سليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهى إلى حررة بني سليم أقرب .

فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا فأبوا الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامر ، على أن ينجيوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا لن نخضر أبا براء ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم من عصابة ورعل وذكوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلهم حتى قتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعب بن زيد ، أخا بني دينار بن النجار ، تركوه وبه رمق ، فارت من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الحندق شهيداً ، رحمه الله .

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضميرى ، ورجل من الانصار ، أحد بني عمرو بن عوف .

وقال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح .

قال ابن إسحاق : فلم ينبتسما بمصائب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً ، فأقبلتا لينظرا ، فإذا القوم في دماثهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة . فقال الانصارى لعمرو بن أمية : ما ترى ؟ قال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره الخبر ، فقال الانصارى : لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ، ثم قاتل القوم حتى قتل ، وأخذوا عمرو ، ابن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل ، وجز ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

فخرج عمرو بن أمية ، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ، أقبل رجلاً من بني عامر .

قال ابن هشام : ثم من بني كلاب ، وذكر أبو عمرو المدنى أنهما من بني سليم .

قال ابن إسحاق : حتى نزلوا معه في ظل هو فيه ، وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزل ، بمن أتيا ؟ فقالا : من بني عامر ، فأملهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما نورة من بني عامر ، فلما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلت قتيلين ، لأدينهما !

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً . فبلغ ذلك أبا براء ،

فشق عليه إخفار عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره ، وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة .

قال ابن إسحاق : لحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطفيل كان يقول : من رجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فهيرة .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض بني جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، قال - وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم - فكان يقول : إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعتة يقول : فزت والله ! فقلت في نفسي : ما فاز ! ألسنت قد قتلت الرجل ! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : للشهادة ، فقلت : فاز لعمر والله .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يحرض بني أبي براء على عامر بن الطفيل :

بني أم البنين ألم يرعكم وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبي براء ليخفره وما خطأ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي فما أحدثت في الحدثنان بعدى
أبوك أبو الحروب أبو براء وخالك ماجد حكم بن سعد

قال ابن هشام : حكم بن سعد : من القين بن جسر ، وأم البنين : بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهي أم أبي براء .

قال ابن إسحاق : فحمل ربيعة بن مالك على عامر بن الطفيل ، فطعنه بالرمح ، فوقع في نخذه ، فأشواه ، ووقع عق فرسه . فقال : هذا عمل أبي براء . إن أمت فدمي لعمى ، فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيي فيما أتى إلى

وقال أنس بن عباس السلمي ، وكان خال طعيمة بن عدى بن نوفل ، وقتل يومئذ نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي :

تركك ابن ورقاء الخزاعي ثاوياً بمعترك تسفى عليه الاعاصير
ذكرت أبا الزيان لما رأيته وأيقنت أنى عند ذلك نائر

وأبو الزيان : طعيمة بن عدى .

وقال عبد الله بن رواحة يبكي نافع بن بديل بن ورقاء :

رحم الله نافع بن بديل رحمة المبتغى ثواب الجهاد
صابر صادق وفى إذا ما أكثر القوم قال قول السداد

وقال حسان بن ثابت يبكي قتلى بشر معونة ، ويخص المنذر بن عمرو :

على قتلى معونة فاستهلى بدمع العين سحا غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا منايهم ولاقتهم بقدر

أصابهم الفناء بعقد قوم نخون عقد جبلهم بغدر
فيا لحنى لمنذر إذ تولى وأعتق في منيته بصبر
وكائن قد أصيب غداة ذاكم من ابيض ماجد من سر عمرو

قال ابن هشام : أنشدني آخرها بيتاً أبو زيد الانصارى .

وأشددني لسكعب بن مالك في يوم بئر معونة ، يعير بنى جعفر بن كلاب :
تركتم جاركم لبنى سليم مخافة حربهم عجزاً وهونا
فلو حبلاً تناول من عقيل لمد بحبلها حبلاً متيناً
أو القرطاء ما إن أسلبوه وقدا ما وفوا إذ لا تقونا

قال ابن هشام : القرطاء : قبيلة من هوازن ، وىروى « من نفيل » ، مكان « من عقيل » ، وهو الصحيح ، لأن
القرطاء من نفيل قريب .

مقتل خبيب واصحابه

وذكر غدر عضل والقارة ، وهما بطنان من بنى الهون ، والهون هم بنو الريش ويثيع ابني الهون بن خزيمه ،
وقد تقدم التعريف بمعنى القارة ، وبالمثل الذى جرى فيهم ، والقارة الحرّة ، وذكرنا السبب في تسميتهم بها .
وذكر أن أصحاب خبيب كانوا ستة ، وفي الجامع الصحيح للبخارى أنهم كانوا عشرة ، وهو أصح ، والله أعلم .
وذكر أسماء الستة ، وقد نسبهم فيما تقدم ، فأما خبيب فهو من بنى جحجج بن كلفة بن عمرو بن عوف بن مالك
ابن الاوس ، وزيد بن الدثنة بن معاوية مقلوب من الدثنة والتدثنة استرخاء اللحم .

وذكر فيهم عاصم بن ثابت وقوله :

ما علنى وأنا جلدنايل والقوس فيها وتر عنابيل

والعنابيل : الشديد ، وكأنه من العباله ، وهى القوة ، والنون زائدة والعبالة أيضاً : شجرة صلبة ، وفي الخبر أن
عصا موسى كانت من عبالة ، وقد روى أن عصا موسى كانت من عين ورقة آس الجنة ، ويجوز أن يكون منحوهاً
من أصلين : من العن والنبل ، كأنه يسبب ما عن له بذله .

وذكر قوله : أبو سليمان وريش المقعد .

قوله : أبو سليمان ، أى : أنا أبو سليمان قد عرفت في الحروب ، وعندى نبل رایشا المقعد ، وكان رائشاً صانعاً ،
وريش : السهم المحمود فيه اللوام ، وهو أن تكون الريشة بطنها إلى ظهر الاخرى ، واللغاب بعكس ذلك ، أن
يكون ظهر واحدة إلى ظهر الاخرى ، وهو الظهار أيضاً ، ومن اللوام أخذ اللأم وهو السهم المريش قال امرؤ القيس :
كرك لامين على نابل

وسئل رؤبة عن معنى هذا البيت ، فقال : حدثني أبى عن أبيه ، قال حدثني عمى ، وكانت في بنى دارم قالت :
سألت امرأ القيس ، وهو يشرب طلاء له مع علقمة بن عبدة : ما معنى قولك : كرك لامين على نابل ؟ فقال : مررت
بنابل وصاحبه يتناول الريش لؤاما وظهاراً ، فما رأيت شيئاً أصرع منه ، ولا أحسن فشبهت به ، ذكر هذا

أبو حنيفة ، وقوله : وضالة ، أى : سهام قد أحبا من الضال ، وهو السدر ، قال الشاعر :
قطعت إذا تخوفت المواطى ضروب السدر عبريا وضالا

فالعبرى منها ما كان على شطوط الأنهار ، والضال ما كان في البرية ، والمواطى هى الماشية تعطو أى تتناول ،
أطراف الشجر في الصيف ، فمعناه : قطعت هذه الصحراء في هذا الوقت ، وتخوفت : أى تنقصت من قوله سبحانه :
« أو يأخذهم على تخوف » ، وذكر أن حجير بن أبى إهاب هو الذى اشترى خبيبا ، وكان خبيب قد قتل الحارث
ابن نوفل ، لأنه قتل أباهم يوم بدر ، والمعنى قريب عما ذكر ابن إسحاق .

وقوله ماوية بنت حجير بالواو ، رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، ورواه غيره عن ابن إسحاق :
مارية بالراء ، وبالواو وقع في النسخ العتيقة من رواية ابن مشام ، كما رواه ابن بكير ، وقد تكلمنا عن اشتقاق
هذا الاسم في صدر هذا الكتاب ، فأغنى عن إعادته ، وذكرنا أن المارية بالتخفيف هى البقرة ، وبتشديد الياء :
القطاة النساء . وأما الغلام الذى أعطته المدينة ، فقيل : هو أبو عيسى بن الحارث بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ،
قال الزبير : وهو جد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين الذى يروى عنه مالك في الموطأ .

وذكر أن أبا ميسرة هو الذى طعن خبيبا في الحشبة ، وهو أبو ميسرة بن عوف بن السباق بن عبد الدار ،
والذى طعنه معه عقبة بن الحارث يكى أبا سروعة ، ويقال : إن أبا سروعة وعقبة أخوان أسليا جميعاً ولعقة بن
الحارث حديث واحد في الرضاع ، وشهادة امرأة واحدة فيه ، وحديثه مشهور في الصحاح ، فيه أنه قال : توجت
بنت أبى إهاب بن عزيز ، فجاءت امرأة ، سوداء ، فقالت : إني قد أرضعتكما ، وذكر الحديث وزاد فيه
الدارقطني قال : جاءت امرأة سوداء تسأل ، فلم نعطها شيئا ، فقالت : إني والله أرضعتكما ، فذكر ذلك للنبي -
صلى الله عليه وسلم - وقال لها كاذبة يا رسول الله ، فقال له عليه السلام : كيف ، وقد قيل ؟ فطلقتها ، ونكحت
ضريب بن الحارث ، فولدت له أم قتال ، وهى امرأة جبير بن مطعم ، وابنه محمد ، ونافع ابنا جابر ، واسم هذه
المرأة التى طلقها عقبة : غنية ، وتكنى أم يحيى ، ذكر اسمها أبو الحسن الدارقطني في المؤتلف والمختلف ، ولم
يذكره أبو عمر في كتاب النساء ، ولا كثير عن ألف في الحديث .

وذكر قصة عاصم حين حتمه الدبر ، الدبر ها هنا : الزناير ، وأما الدبر فصغار الجراد ، ومنه يقال ماء دبر
قاله أبو حنيفة ، قال : وقد يقال للنحل أيضاً دبر بفتح الدال واحدها دبرة ، قال : ويقال له : خشرم ، ولا واحد
له من لفظه ، هذه روايه أبى عبيد عن الأصمعي ، ورواية غيره عنه أن واحده : خشرمة : والثول جماعة النحل
أيضا ، ولا واحد لها ، وكذلك النوب واللوب ، ومن اللوب : حديث زبان بن قسور ، قال : رأيت النبي -
صلى الله عليه وسلم - وهو نازل بوادى الشموح فكلمته ، فقالت : يا رسول الله إن معنا لوباً لنا - يعنى نحلا -
كانت في عيلم لنا به طرم وشمع ، فجاء رجل ف ضرب ميتين فانتج حيا . وكفنه بالتام ، يعنى نارا من زغدين ،
ونحسه يعنى : دخنه ، فطار اللوب هاربا ، ودلى مشواره في العيلم فاشتار العسل ، فضى به ، فقال النبي - صلى الله
عليه وسلم - ملعون من سرق شروقهم ، فأضربهم ، أفلا انبعم أثره ، وعرفتم خبره ؟ قال : قلت : يا رسول الله
لأنه دخل في قوم لهم منعة ، وهم جيراننا من هذيل ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - صبرك صبرك ترد نهر الجنة ،
وإن سمته كما بين القيفة والسحيفة يتسبب جريا بعسل صاف من قذاه ما تقياه لوب ، ولا بجه ثوب ، فالعيلم البئر ،
وأراد بها ما هنا قبة النحل أو الخلية ، وقد يقال لموضع النحل إذا كان صدعاً في جبل : شيق ، وجمعه : شيقان ، ويقال
لكل دخان نحاس ، ولا يقال أيام إلا لدخان النحل خاصة ، يقال : آمها يشوها إذا دخنها ، قاله أبو حنيفة .

صلاة ركعتين عند القتل : فصل : وذكر أن خبيباً أول من شن الركعتين عند القتل . قوله هذا يدل على أنها سنة جارية ، وكذلك فعلهما حجر بن الأديب حين قتله معاوية - رحمه الله - وذلك أن زياداً كتب من البصرة إلى معاوية يذكر أن حجراً وأصحابه ، قد خرجوا على السلطان ، وشقوا عصا المسلمين ، ووجه مع الكتاب صكا فيه شهادة سبعين رجلاً فيهم الحسن بن أبي الحسن البصري وابن سيرين والربيع بن زياد وجماعة من عليّة التابعين ذكرهم الطبري يشهدون بما قال زياد من خروج حجر بن عدى عليه ، وكان حجر شديد الإنكار للظلم ، غليظاً على الأمراء ، وأنكر على زياد أموراً من الظلم ، فخرج عليه ، ولم يكن قصده الخروج على معاوية ، فلما حمل حجر إلى معاوية في خمسة من أصحابه ، قال له : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال له معاوية : أو أنا للؤمنين أمير ؟ ثم أمر بقتله ، فعند ذلك صلى حجر الركعتين ، ثم لقي معاوية عائشة بالمدينة ، فقالت له : أما اتقيت الله يا معاوية في حجر بن عدى وأصحابه ، فقال : أو أنا قتلتهم ، إنما قتلهم من شهد عليهم ، فلما أكرت عليه ، قال لها : دهيني وحجراً فأني ملاقيه غداً على الجادة ، قالت : فأين عزب عنك حلم أبي سفيان ؟ فقال : حين غاب عني مثلك من قومي .

ولما صار فعل خبيب سنة حسنة والسنة إنما هي أقوال من النبي - صلى الله عليه وسلم - وأفعال وإقرار ، لأنه فعلها في حياته عليه السلام ، فاستحسن ذلك من فعله ، واستحسنه المعلنون ، مع أن الصلاة خير ما ختم به عمل العبد ، وقد صلى هاتين الركعتين أيضاً زيد بن حارثة مولى النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك في حياته عليه السلام ، حدثنا أبو بكر بن طاهر بن ظاهر الإشبيلي ، قال : أخبرنا أبو علي الفسافي ، قال : أخبرنا أبو عمر النري ، قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان بن جبرون ، قال : أخبرنا أبو محمد قاسم بن أصبغ ، قال : أخبرنا أبو بكر ابن أبي خيثمة : أخبرنا بن معين : أخبرنا قال : أخبرنا يحيى بن عبد الله بن بكير المصري ، قال : أخبرنا الليث بن سعد ، قال : بلغني أن زيد بن حارثة أكثرى من رجل جعلاً من الطائف استرط عليه الكرى أن ينزله حيث شاء ، قال قال به إلى خربة ، فقال له : انزل فنزل ، فإذا في الخربة قتلى كثيرة ، قال ، فلما أراد أن يقتله ، قال دعني أصلي ركعتين ، قال : صل ، فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً ، قال : فلما صليت أتاني ، ليقتلني ، قال : فقلت : يا أرحم الراحمين ، قال : فسمع صوتاً : لا تقتله ، قال : فهاب ذلك فخرج يطلب أحداً ، فلم ير شيئاً ، فرجع إلى ، فناديت : يا أرحم الراحمين ، ففعل ذلك ثلاثاً ، فإذا أنا بفارس بيده حربة حديد في رأسها شعلة من نار فقطعنها بها ، فأنفذه من ظهره ، فوقع ميتاً ، ثم قال لما دعوت المرة الأولى يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة ، فلما دعوت المرة الثانية يا أرحم الراحمين ، كنت في السماء الدنيا ، فلما دعوت المرة الثالثة يا أرحم الراحمين أتيتك .

ما أنزل الله من القرآن في حق خبيب وأصحابه : فصل : وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله تعالى في خبر خبيب وأصحابه من قول المنافقين فيهم « ومن الناس من ينجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه ، وأكثر أهل التفسير على خلاف قوله وأنها نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي ، رواه أبو مالك عن ابن عباس ، وقاله مجاهد ، وقال ابن الكلبي : كنت بمكة ، فسئلت عن هذه الآية فقلت : نزلت في الأخنس بن شريق ، فسمعني رجل من ولده ، فقال لي : يا هذا إنما أنزل القرآن على أهل مكة ، فلا تسم أحداً ما دمت فيها ، وكذلك قالوا في قوله : « ومنهم الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » نزلت في صهيب بن سنان حين هاجر ، وترك جميع ماله

لقريش ويدعونه يهاجر بنفسه إلى الله ورسوله ، واستشهد ابن هشام على تفسير الالذ بقول مهلهل ، قال : واسمه امرؤ القيس ، ويقال عدى ، وقد صرح مهلهل باسم نفسه فى الشعر الذى استشهد به ابن هشام ، فقال :
ضربت صدرها إلى وقالت يا عديا لقد وقتك الاواقى
وفيه البيت الذى ذكر ابن هشام :

إن تحت الاحجار حدأ ولينا وخصيما ألد ذا معلاق

ويروى : مغلاق بالغين المعجمة ، والمغلاق : اللسان ، وأما المغلاق بالغين معجمة ، فالقول الذى يغلق فم الخصم ويسكته . وبعده :

حية فى الوجار اربد لا ينفع منها السليم نفث الراق
وسمى مهلهلا بقوله :

لما توكل فى الكراع هجينهم هلمت أثار جابراً أو صنبلا

هلمت : أى كدت وقاربت ، وأما الالذ ، فهو من اللدين ، وهما جانبى العنق ، فالالذ الذى يريد الحجة من جانب إلى جانب ، يقال : تركته يتلدد . وقال الزجاج : الخصام جمع فى هذه الآية ، ولا يستقيم أن يكون معناه المخاصمة ، لأن أفعل الذى يراد به التفضيل إنما يكون بعض ما أضيف إليه ، تقول : زيد أفصح الناس ، ولا تقول : زيد أفصح الكلام .

قال الشيخ الحافظ رضى الله عنه : وهذا الذى قاله حسن إن كان ألد من هذا الباب الذى مؤنثة الفعل ، أما إن كان من باب أفعل الذى مؤنثة فعلاء نحو : أكرس وأخرس ، فالخصام مصدر خاصته ، وهو ظاهر قول المفسرين ، فإنهم فسروه بالشديد الخصومة ، فاللدد إذا من صفة المخاصمة ، وإن وصف به الرجل مجازاً ، ويقوى هذا قوله : وخصيما ألد ، ولم يصفه ، ولا قال ألد من كذا ، فجعله من باب أصم وأشم ونحوه ، ويقويه أيضاً قولهم فى الجمع : قوم لد ، روت عائشة عن النبى - صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أبغض الخلق إلى الله الخصم الالذ » ، وقرأ ابن محيصن « ويشهد الله على ما فى قلبه » بفتح الياء والهاء ، ورفع الهاء من اسم الله تعالى ، أى : ويعلم الله ما فى قلبه .

وذكر شعر حسان فى قصة خبيب ، وقوله فيه :

من القبائل منهم من نفث عدس

قوله : من نفث عدس ، يعنى حجير بن أبى إهاب بن عرين ، وهو ينتسب إلى بنى عدس بن زيد بن عبد الله ابن دارم بن مالك بن حنظلة ، ويقال : بل هو من بنى ربيعة بن مالك بن حنظلة ، ومن هاهنا ذكر نفي بنى عدس له ، من أجل الاختلاف فى نسبه . وعدس بضم الدال فى تميم ، وهو هذا ، وكل عدس فى العرب سواه فهو بفتح الدال ، وهو من عدس فى الأرض إذا ذهب فيها ، والله أعلم ، فن المفتوح الدال عدس بن عبيد فى الانصار ، ثم فى بنى النجار ، وهو جد أبى أمامة أسعد بن زرارة وقد قال بعض النسابين فى عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الذى تقدم ذكره : عدس بفتح الدال ، والاول أعرف وأشهر .

وذكر قول خبيب حين رفعوه فى الخشبة : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، فن رواه بدداً بكسر الباء ،

فهو مصدر بمعنى التبديد ، أى : ذوى بدد . فإن قيل : فهل أجيبت فيهم دعوة خبيب ، والدعوة على تلك الحال من مثل ذلك العبد مستجابة ؟

قلنا : أصابت منهم من سبق في علم الله أن يموت كافراً ، ومن أسلم منهم فلم يعنه ولا قصده بدعائه ، ومن قتل منهم كافراً بعد هذه الدعوة ، فإنما قتلوا بدداً غير معسكين ولا مجتمعين كاجتماعهم في أحد ، وقبل ذلك في بدر ، وإن كانت الخندق بعد قصة خبيب فقد قتل منهم آحاد فيها متبددون ، ثم لم يكن لهم بعد ذلك جمع ولا معسكر غزوا فيه ، فنفذت الدعوة على صورتها وفيمن أراد خبيب - رحمه الله - وحاشا له أن يكره لإيمانهم وإسلامهم .
فصل : وذكر أشعار حسان في خبيب وأصحابه ، وليس فيهم معنى خفي ، ولا لفظ غريب وحشى ، فيحتاج إلى تفسيره ، لكن في بعضها :

بنى كهيبة أن الحرب قد لقت

جعل كهيبة كأنه اسم علم لامهم ، وهذا كما يقال : بنى ضوئرى وبنى الغبراء وبنى درزة قال الشاعر :

أولاد درزة أسلوبك وطاروا

وهذا كله اسم لمن يسب ، وعبرة عن السفلة من الناس ، وكهيبة من الكهبة وهى الغبرة ، وهذا كما قالوا : بنى الغبراء ، وأكثر أشعار حسان فى هذه القصة ، قال فيها من هذيل ، لأنهم إخوة القارة ، والمشاركون لهم فى الغدر بخبيب وأصحابه ، وهذيل وخزيمة أبناء مدركة بن إلياس وعضل والقارة من بنى خزيمة .

لغويات : وقوله : وابن لطارق ، وابن دثنة منهم ، حذف التنوين كما تقدم فى قوله شلت يدا وحشى من قاتل ، ولو أنه حين حذف التنوين نصب ، وجعله كالاسم الذى لا ينصرف ، وهو فى موضع الخفض مفتوح ، لكان وجهاً وقياساً صحيحاً ، لأن الخفض تابع التنوين ، فإذا زال التنوين زال الخفض ، لئلا يلتبس بالمضاف إلى ضمير المتكلم ، وإن كان ياء فقد يحذف ، ويكتفى بالاكسرة منه ، وزوال التنوين فى أكثر ما لا ينصرف إنما هو لاستثناء الاسم عنه ، إذ هو علامة الانفصال عن الإضافة ، فكل اسم لا يتوهم فيه الإضافة لا يحتاج إلى التنوين ، لكنه إذا لم ينون لم يخفض ، لما ذكرناه من التباسه بالمضاف إلى المتكلم ، وقد تقدم فى أشعار أحد : كنار أبى حباحب والطيبنا يفتح الباء من حباحب فى موضع الخفض ، وكان حق كل علم ألا ينون ، لأنه مستغن عن الإضافة كما لم ينون جميع أنواع المعارف ، ولكنه نون ما نون منه للسرى الذى بيناه فى أسرار ما لا ينصرف من الأسماء ، وقد أملينا فى ذلك جزءاً . واسكن الخفض فى طارق ووحشى مروى ، ووجه أنه لما كان ضرورة شعر ، ولم يكن فى كلامهم لم يتبعوا الخفض فيه التنوين إذ لا يتوهم إضافته إلى المتكلم ، إذ لا يقع إلا نادراً فى شعر ، فاللبس فيه بعيد .

اشتقاق اسم خبيب وهذيل : وقوله : وابن الكبير إمامهم وخبيب ، أردف حرف الروى بـ اسم مفتوح ما قبلها ، وقد تقدم القول فيه مرتين . وخبيب فى اللغة تصغير خب ، وهو الماكر من الرجال الخداع ، ويجوز أن يكون تصغير خاب من الخبيب ، فيكون من باب تصغير الترخيم ، وهو الذى يذبى على حذف الزوائد ، وأما هذيل فقالوا فيه : إنه مصغر تصغير الترخيم ، لأنه هو ذل الرجل ببوله إذا باعد به ، فكأنه تصغير مهو ذل على حذف الزوائد ، ويجوز أن يكون تصغير هذلول ، وهو التل الصغير من الرمل على تصغير الترخيم أيضاً ،

سالت بتسهيل الهمزة : وقوله : سالت هذيل رسول الله فاحشة ، ليس على تسهيل الهمزة في سالت ، ولكنها لغة بدليل قولهم : تسابل القوم ، ولو كان تسبيلا ، لكانت الهمزة بين بين ، ولم يستقم وزن الشعر بها ، لأنها كالمتحركة ، وقد قلب ألفا ساكنة كما قالوا : المنساء ، ولكنه شيء لا يقاس عليه ، وإذا كانت سال لغة في سال فيلزم أن يكون المضارع يسيل ، ولكن قد حكى يونس : سلت تسال مثل خفت تخاف ، هو عنده من ذوات الواو ، وقال الزجاج : الرجلان يتسايلان ، وقال النحاس والمبرد : يتساولان ، وهو مثل ما حكى يونس .

خبر بئر معونة : قال ابن إسحاق : وكانوا أربعين رجلا ، والصحيح أنهم كانوا سبعين ، كذا وقع في صحيح البخاري ومسلم .

وذكر أبا براء ملاعب الاسنة ، وأنه أجار أصحاب بئر معونة من أهل نجد . وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن زبيعة بن عامر بن صعصعة ، سمي ملاعب الاسنة في يوم سوبان ، وهو يوم كانت فيه وقعة في أيام جيلة ، وهي أيام حرب كانت بين قيس وتميم ، وجيلة اسم لهضبة عالية ، وقد تقدم طرف من هذا الحديث في أول الكتاب ، وكان سبب تسميته في يوم سوبان ملاعب الاسنة أن أخاه الذي يقال له فارس قرزل ، وهو طفيل بن مالك ، وقد ذكرنا في أول الكتاب معنى قرزل ، كان أسله في ذلك اليوم ، وفر فقال عمر :

فررت وأسلت ابن أمك عامراً يلاعب أطراف الوشيح المزعزع

فسمى ملاعب الاسنة ، وملاعب الرماح ، قال لييد :

ولاني ملاعب الرماح ومدره للكتيبة الرдах

وهو عم لييد بن ربيعة ، وكانوا إخوة خمسة : طفيل فارس قرزل ، وعامر ملاعب الاسنة ، وربيعه المقترين وهو والد لييد ، وعبيدة الوضاح ، ومعاوية معوذ الحكماء وهو الذي يقول :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيته وإن كانوا غضابا

وفي هذا الشعر يقول :

يعوذ مثلها الحكماء بعدى إذا ما الأمر في الحدثان نابا

وبهذا البيت سمي معوذ الحكماء .

ولما هم عن لييد حين قال بين يدي النعمان بن المنذر :

نحن بنى أم البنين الأربعة المطعمون الجفنة المددعة

والضاربون الهام تحت الخيضة يارب هيجاهي خير من دعه

ثم ذكر الربيع بن زياد فقله :

مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه

إلى آخر الرجز في خبر طويل ، إنما قال : الأربعة ، وهم خمسة ، لأن أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك ، لا كما قال بعض الناس ، وهو قول يعزى إلى الفراء أنه قال إنما قال أربعة ، ولم يقل خمسة من أجل القوافي ، فيقال له : لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن ، وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل قاسد تأوله في قوله سبحانه : ولمن خاف مقام ربه جنتان ، وقال : أراد جنة واحدة ، وجاء بلفظ التنزية ، لتتفق ردوس الآي ، أو كلاماً هذا معناه ، فصمى صمام ما أشنع هذا الكلام ، وأبعده عن العلم ، وفهم

القرآن : وأقل هيبة قائله من أن يتبوأ مقعده من النار ، فحذار منه حذار ، وبما يدلك أنهم كانوا أربعة حين قال لبيد هذه المقالة أن في الخبر ذكر يتم لبيد وصغر سنه ، وأن أعلامه الأربعة استصغروه أن يدخلوه معهم على النعمان حين همهم ما فاولهم به الربيع بن زياد ، فسمعهم لبيد يتجدثون بذلك ، ويهتمون له فسألهم أن يدخلوه معهم على النعمان ، وزعم أنه سيفحمه فتأونوا بقوله ، حتى اختبروه بأشياء مذكورة في الخبر ، فبان بهذا كاه أنهم كانوا أربعة ، ولو سكت الجاهل لقل الخلاف والحمد لله .

ابن فهيرة : وذكر ابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل قال يومئذ : من رجل لما طعنته رفع حتى رأيت للسماء من دونه ، هذه رواية البكاء عن ابن إسحاق ، وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك ، وقال للنبي عليه السلام : من رجل يا محمد لما طعنته رفع إلى السماء ؟ فقال : هو عامر بن فهيرة وروى عبد الرزاق وابن المبارك أن عامر بن فهيرة التمس في القتلى يومئذ ، ففقد ، فيرون أن الملائكة رفعت أو دفنته .

أم البنين الأربعة : وذكر قول حسان :

بنى أم البنين ألم يرعكم وأنتم في ذوائب أهل نجد

وهذه أم البنين التي ذكر لبيد في قوله :

نحن بنى أم البنين الأربعة

واسمها : ليلي بنت عامر - فيما ذكروا وقد ذكر ابن هشام نسبها ، ولم يذكر اسمها ،

وذكر قول أنس بن عباس السلمي :

تركت ابن ورقاء الخزاعي ثاويأ بمعترك تسقى عليه الاعاصر
ذكرت أبا الزبان لما رأيته وأيقنت أنى عند ذلك ثائر

هكذا وقع في النسخة أبا الزبان ، وفي رواية إبراهيم بن سعد : أبا الزبان بالراء المهملة ، وبالياء أخت الواو وهكذا ذكره الدارقطني في المؤلف والمختلف كما في روايه إبراهيم بن سعد .

وذكر شعر كعب وفيه : أو للقرطاء ما إن أسلوه ، القرطاء : هم بنو قرط وقريط وقريط ، وهم أبطن من بنى عامر ثم من بنى كلاب .

ولما قتل أصحاب بدر معونة نزل فيهم قرآن ، ثم رفع : أو أبلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه ، فثبت هذا في الصحيح ، وليس عليه رونق الإعجاز ، فيقال : لأنه لم ينزل بهذا النظم ، ولكن بنظم معجز كنظم القرآن .

فإن قيل : لأنه خبر والخبر لا يدخله النسخ ، قلنا : لم ينسخ منه الخبر ، وإنما نسخ منه الحكم ، فإن حكم القرآن أن يتلى في الصلاة ، وأن لا يمسه إلا طاهر ، وأن يكتب بين اللوحين ، وأن يكون تعلمه من فروض الكفاية . فكل ما نسخ ، ورفعت منه هذه الأحكام ، وإن بقي محفوظاً ، فإنه منسوخ ، فإن تضمن حكماً جاز أن يبقى ذلك الحكم معمولاً به ، وأنكرت ذلك المعتزلة ، وإن تضمن خبراً بقي ذلك الخبر مصداقاً به ، وأحكام

امر إجلاء بني النضير

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما ، كما حدثني يزيد بن رومان ، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف .

فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القتيلين ، قالوا نعم ، يا أبا القاسم ، نعميك ، على ما أحببت ، بما استعنت بنا عليه : ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا : إنكم أن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فن رجل يعملو على هذا البئس ، فيلقى عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، أحدهم . فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي ، رضوان الله عليهم

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم . فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ، قاموا في طلبه ، فلحقوا رجلاً من المدينة ، فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخل المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم ، فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : ثم سار بالناس حتى نزل بهم .

قال ابن هشام : وذلك في شهر ربيع الأول ، فحاصروهم ست ليال ، ونزل تحريم الخبز .

قال ابن إسحاق : فتحصنوا منه في المحزون ، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد ، وتمييه على من صنعته ، فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبي بن سلول ، ووديعه ، ومالك بن أبي قوئل ، وسويد وداعس ، قد بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا ، فإننا لن نسلسكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم فتر بصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

التلاوة منسوخة عنه ، كما قد نزل : لو أن لابن آدم واديين من ذهب لا يبغي لهما ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب

ويروى : لا يملأ عيني ابن آدم ، وفم ابن آدم ، كل ذلك في الصحيح ، وكذلك روى : وادياً من مال أيضاً ، فهذا خبر حق ، والخبر لا يفسخ ، ولا يكن نسخ منه أحكام التلاوة له ، وكانت هذه الآية أعنى قوله : لو أن لابن آدم في سورة يونس بعد قوله : كأن لم تكن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ، كذلك فاك ابن سلام وأما الذي بقي ، وكان قرآنا يتلى : فالشيخ والشيخة إذا زنيا ، فارجموهما البتة نكالا من الله ، ولا ترغبوا عن آبائكم ، فإن ذلك كفر بكم ، فهذا حكم كان نسخه جائزاً حين نسخ حكم التلاوة ، وكان جائزاً أن يبقى حكم التلاوة ، وينسخ هذا الحكم بخلاف هذا الخبر كما تقدم .

يجلبهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ، ففعل ؛ فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابيه ، فيضعه على ظهر بعيره ، فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام .

فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر : سلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وحجي بن أخطب . فلما نزلوها دان لهم أهلها .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث : أنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير ، والقيان يعزفن خلفهم ، وإن فيهم لام عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسي ، التي ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بني غفار ، بزهاء وفخر مارئي مثله من حى من الناس في زمانهم .

وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، يضعها حيث يشاء ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار . إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجاجة سمالك بن خرشة ذكرا فقرا ، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان : يامين بن عمير ، أبو كعب بن عمرو بن جحاش ؛ وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاهما .

قال ابن إسحاق — وقد حدثني بعض آل يامين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : ألم تر ما لقيت من ابن عمك ، وما هم به من شأني فجعل يامين بن عمير لرجل جعلنا على أن يقتل له عمرو بن جحاش ، فقتله فيما يزعمون .

ما نزل في بني النضير من القرآن : ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته . وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : « هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين » ، وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوا « فاعتبروا يا أولي الأبصار . ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء ، وكان لهم من الله نقمة ، لعذبهم في الدنيا ، : أى بالسيف ، ولهم في الآخرة عذاب النار ، مع ذلك « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها ، واللينه : ما خالف العجوة من النخل ، فيأذن الله ، : أى فبأمر الله قطعت ، لم تكن فساداً ، ولكن كان نقمة من الله « وليخزي الفاسقين » .

قال ابن هشام : اللينة : من الألوان ، وهى ما لم تكن برنية ولا عجوة من النخل ، فيما حدثنا أبو عبيدة . قال ذو الرمة :

كان قتودى فوقها عش طائر على لينة سوفاء تهفو جنوبها

وهذا البيت في قصيدة له .

« وما أفاء الله على رسوله منهم » — قال ابن إسحاق : يعنى من بني النضير — « فما أوجفتم عليه من خيل

ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ، والله على كل شيء قدير » : أى له خاصة .

قال ابن هشام : أو جفتم : حركتم وأتعبتم في السير . قال تميم بن أبي بن مقبل أحد بني عامر بن صعصعة :
مداويد بالبيض الحديث صقلها عن الركب أحياناً إذا الركب أوجفوا

وهذا البيت في قصيدة له ، وهو الوجيف . قال أبو زيد الطائي ، واسمه حرمله بن المنذر :

مسنفات كأنهن قنا الهند لطول الوجيف جذب المروء

وهذا البيت في قصيده له .

قال ابن هشام : السناف : البطان . والوجيف : وجيف القلب والكبد ، وهو الضربان . قال قيس بن الخطيم الظفري :

إنا وإن قدموا ألقى علينا أكبادنا من ورائهم تجف

وهذا البيت في قصيدة له .

« ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ، — قال ابن إسحاق : ما يوجف عليه المسلمون بالخيال والركاب ، وفتح بالحرب غنوة فله وللرسول — ولذى القرى واليتامى والمساكين وابنى الصبيل ، كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، يقول : هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين ، على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى : « ألم تر إلى الذين نافقوا ، يعنى عبد الله بن أبي وأصحابه ، ومن كان على مثل أمرهم » يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب : « يعنى بنى النضير ، إلى قوله : « كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ، ولهم عذاب أليم » : يعنى بنى قينقاع . ثم القصة . إلى قوله : كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك ، إني أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ، وذلك جزاء الظالمين ،

ما قيل في بنى النضير من الشعر : وكان ما قبل في بنى النضير من الشعر قول ابن لقيم العبسي ، ويقال : قاله قيس بن بحر بن طريف . قال ابن هشام : قيس بن بحر الأشجعي . فقال :

أهل فداء لامرئ غير هالك	أحل اليهود بالحصى المزنم
يقيلون في جمر الغضاة وبدلوا	أهيبض عودى بالودى المسكهم
فإن يك ظنى صادقاً بمحمد	تروا خيله بين الصلا ويرمرم
يؤم بها عمرو بن بهثة لأنهم	عدو وما حى صديق كعجرم
عابهن أبطال مساعير في الوغى	يهزون أطراف الوشيع المقوم
وكل رقيق الشفرتين مهنـد	توورثن من أزمان عاد وجرم
فمن مبلغ عنى قریشاً رسالة	فهل بعدهم فى المجد من متكرم
بأن أخاكم فاعلمن محمداً	تليد الندى بين الحجون وزمزم
فدينوا له بالحق تجسم أموركم	وتسموا من الدنيا إلى كل معظم

نبي تلاقته من الله رحمة
فقد كان في بدر لعمرى عبرة
غداة أتى في الخرجية عامداً
معانا بروح القدس ينسكى عدوه
رسولا من الرحمن يتلو كتابه
أرى أمره يزداد في كل موطن
علاوا لأمر حمه الله محكم
فلما أنار الحق لم يتلعم
رسولا من الرحمن حقاً بمصلم
إليكم مطيعاً للعظيم المسكرم
لكم يا قريشا والقلب الملمم
ولا تسألوه أمر غيب مرجم

قال ابن هشام : عمرو بن بهثة ، من غطفان ، وقوله : بالحسى المزم ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب : يذكر إجملاء بني النضير ، وقتل كعب بن الأشرف .

قال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين غير علي بن أبي طالب ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعل :

عرفت ومن يعتدله يعرف
عن الكلم المحكم اللامع
رسائل تدرس في المؤمنين
فأصبح أحد فينا عزيزاً
فيا أيها الموعوده سفاهاً
ألستم تخافون أدنى العذاب
وأن تصرعوا تحت أسيافه
غداة رأى الله طغيانه
فأنزل جبريل في قتله
فدس الرسول رسولا له
فباتت عيون له معولات
وقلن لأحد ذرنا قليلاً
نخلاهم ثم قال اظمنوا
وأجلى للنضير إلى غربة
إلى أذرعات رداني وهم

وأيقنت حقاً ولم أصدف
لدى الله ذى الرأفة الأراف
بن اصطفى أحمد المصطفى
عزيز المقامة والموقف
ولم يأت جوراً ولم يعنف
وما آمن الله كالأخوف
كمصرع كعب أبي الأشرف
وأعرض كالجمل الاجنف
بوحي إلى عبده ملطف
بأبيض ذى هبة مرهف
مق ينزع كعب لها تذرف
فإننا من النوح لم نششف
دحوراً على رغم الآنف
وكانوا بدار ذوى زخرف
على كل ذى دبر أعجف

فأجابه سمالك اليهودي ، فقال :

إن تفخروا فهو خسر لكم
غداة غدوتم على حقه
فمل الليالي وصرف الدهور
بقتلى النضير وأحلافها
فإن لا أمت نأتكم بالقنا
وكل حسام معاً مرهف
يدل من العادل المنصف
وعقر النخيل ولم تقطف
ولم يأت غدرأ ولم يخلف
بمقتل كعب أبي الأشرف

بكف كفى به يحتفى
مع القوم صخر وأشياءه
كليت بترج حى غيله
قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر لإجلاله بنى النضير وقتل كعب بن الأشرف :

لقد خزيت بغدرتها الحبور
وذلك أنهم كفروا برب
وقد أوتوا معاً فهماً وعلماً
نذير صادق أدى كتاباً
فقالوا : ما أنيت بأمر صدق
فقال : بلى لقد أديت حقاً
فن يتبعه يهد لكل رشد
فلما أشربوا غدرأ وكفراً
أرى الله النبي برأى صدق
فأيده وسلطه عليهم
فغودر منهم كعب صريعاً
على الكفين ثم وقد علته
بأمر محمد إذ دس ليلاً
فما كره فأنزله بمكر
فتلك بنو النضير بدار سوء
غداة أتاهم فى الزحف رهواً
وغسان الحماة موازروه
فقال السلم ويحكم فصدوا
فذاقوا غب أمرهم وبالا
وأجلوا عامدين لقينفاع

فأجابه سماك اليهودى ، فقال :

أرقت وضافى هم كبير
أرى الاجبار تنسكركه جميعاً
وكانوا الدارسين لكل علم
قتلتم سيد الاجبار كعباً
تدلى نحو محمود أخيه
فغادره كان دماً نجيعاً
فقد وأيكم وأبى جميعاً

بليل غيره ليل قصير
وكلهم له علم خبير
به التوراة تنطق والزبور
وقدماً كان يامن من يجير
ومحمود مريته الفجور
يسيل على مدارعه عنبر
أصيبت إذ أصيب به النضير

فإن نسلكم نترك رجالا يكعب حولهم طير تدور
كأنهم عتائر يوم عيد تذبج وهي ليس لها نكير
بييض لا تليق لمن عظماً صوافي الحد أكثرها ذكور
كما لا قيم من بأس صخر بأحد حيث ليس لكم نصير

وقال عباس بن مرداس أخو بني سليم يمتدح رجال بني النضير :

لو أن أهل الدار لم يتصدعوا رأيت خلال الدار ملهى وماعبا
فإنك عمرى هل أريك ظعائنا سلكن على ركن الشطاة فتياً با
عليهن عين من ظباء تبالة أوانس يصبين الحليم الجربا
إذا جاء باغى الخير قلن فجاء له بوجوه كالدنانير مرجبا
وأهلاً فلا ممنوع خير طلبته ولا أنت تخشى عندنا أن تؤنبا
فلا تحسبنى كنت مولى ابن مشكم سلام ولا مولى حي بن أخطبا

فأجابه خوات بن جبير ، أخو بني عمرو بن عوف ، فقال :

تبكى على قتل يهود وقد ترى من الشجو لو تبكى أحب وأقربا
فهلا على قتلى ببطان أرينق بكيت ولم تعول من الشجو مسهباً
إذا السلم دارت في صديق رددتها وفى الدين صداد أوفى الحرب ثعلبا
عمدت إلى قدر لقومك تبغى لهم شهباً كيما تعز وتغلبا
فإنك لما أن كلفت تمداحاً لمن كان عيباً مدحه وتكذبا
رحلت بأمر كفت أهلاً لمثله ولم تلف فيهم قاتلاً لك مرجبا
فهلا إلى قوم ملوك مدحتهم تبسوا من العز المؤثل منصبا
إلى معشر صاروا ملوكاً وكرموا ولم يلف فيهم طالب العرف مجدبا
أولئك أخرى من يهود بمدحة تراهم وفيهم عزة المجد ترتباً

فأجابه عباس بن مرداس السلى ، فقال :

هجوت صريح الكاعنين وفيكم لهم نعم كانت من الدهر ترتبا
أولئك أخرى لو بكيت عليهم وقومك لو أدوا من الحق موجبا
من الشكر إن الشكر خير مغبة وأوفق فعلاً الذى كان أصوباً
فكنت كمن أمسى يقطع رأسه ليبلغ عزا كان فيه مركبا
فبك بنى هارون واذكر فعالهم وقتلهم للجوع إذ كنت مجدبا
أخوات أذر الدمع بالدمع وابكمهم وأعرض عن المكروه منهم ونكبا
فإنك لو لا قيمتهم فى ديارهم لا لقيت عما قد تقول منكبا
مراع إلى العليا كرام لدى الوغى يقال لباغى الخير أهلاً ومرجبا

فأجابه كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رواحة ، فيما قال ابن هشام ، فقال :

لعمري لقد حكت رحي الحرب بعدما	أطارت لؤيا قبل شرقا وغربا
بقية آل الكاهنين وعزها	فعاد ذليلا بعد ما كان أغلها
فطاح سلام وابن سمية عنوة	وقيد ذليلا للنناها ابن أخطبا
وأجلب يبنى العز والذل يبتغى	خلاف يديه ما جنى حين أجلبا
كنارك سهل الأرض والحزن همه	وقد كان ذا في الناس أكدي وأصعبا
وشأس وعزال وقد صليا بها	وما غيبا عن ذاك فيمن تغيبا
وعوف بن سلمى وابن عوف كلاهما	وكعب رئيس القوم حان وخيبا
فعدأ وسحقا للنضير ومثلبا	إن أعقب فتح أو إن الله أعقبنا

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه بعد بنى النضير بنى المصطلق . وسأذكر حديثهم إن شاء الله في الموضع الذى ذكره ابن إسحاق فيه .

غزوة ذات الرقاع

فى ستة أربع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى ، ثم غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ، ويقال : عثمان بن عفان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى نزل نخلا ، وهى غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رفعوا فيها راياتهم ، ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ، يقال لها : ذات الرقاع .

قال ابن إسحاق : فاقمى بها جمعا عظيما من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بالناس .

صلاة الخوف : قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التنورى - وكان يكنى : أبا عبيدة - قال : حدثنا يونس بن عبيد ، عن الحسن بن أبى الحسن ، عن جابر بن عبد الله فى صلاة الخوف ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين ثم سلم ، وطائفة مقبلون على العدو قال : فجاءوا فصلى بهم ركعتين آخرين ، ثم سلم .

قال ابن هشام ، وحدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال : صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين ، فركع بنا جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصف الأول ، فلما رفعوا تسجد الذين يلونهم بأنفسهم . ثم تأخر الصف الأول ، وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبى صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ثم سجد النبى صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه ، فلما رفعوا رؤسهم سجد الآخرون بأنفسهم ، فركع النبى صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين .

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التنورى قال : حدثنا أيوب عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة : وطائفة بما يلى عدوهم ، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون بما يلى

العدو ، يتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ويسجد بهم ، ثم تصلى كل طائفة بأنفسهم ركعة فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة ، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلاً من بني محارب ، يقال له غورث ، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل أسكنكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفنك به . قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره فقال : يا محمد أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم . وكان محلي بفضة ، فيما قال ابن هشام . قال : فأخذه فاستله ، ثم جعل يهزه ، ويهم فيكبته الله ، ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، يميني الله منك ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردّه عليه . قال : فأنزله الله : يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم ، فكف أيديهم عنكم ، واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ،

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان : أنها لما أنزلت في عمرو بن جحاش ، أخى بني النضير وما هم به فأنه أعلم أى ذلك كان .

قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نخل ، على جبل لي ضعيف ، فلما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جعلت الرقاق تمضي ، وجعلت أتخلف ، حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال مالك يا جابر ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، أبطأني على هذا قال : أخيه ، قال فأنتخه ، وأفاخ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم قال : أعطني هذه العصي من يدك ، أو اقطع لي عصا من شجرة ، قال : ففعلت قال : فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخنسها بها نخسات ، ثم قال : اركب ، فركبت فخرج ، والذي بعثه بالحق ، يوافق ناقته مواهقة .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : أتبيعني جملك هذا يا جابر ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، بل أهبه لك ، قال : لا ، ولكن بعنيه ، قال : قلت : فسمنيه يا رسول الله ، قال : قد أخذته بدرهم ، قال : قلت : لا ، إذن ، تبئني يا رسول الله ؟ قال : فبدرهمين ، قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لي - رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمنه حتى بلغ الأوقية . قال : فقلت : أفقد رضىيت يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قلت : فهو لك ، قال : قد أخذته . قال : ثم قال : يا جابر ، هل تزوجت ، بعد ؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيباً أم بكر ؟ قال : قلت : لا ، بل ثيباً ، قال : أفلا جاوية تلاحبها وتلاعبك ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، إن أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً ، فشكحت امرأة جامعة ، تجمع رءوسهن ، وتقوم عليهن ، قال أصيب إن شاء الله ، أما لانا لو قد جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت ، واقفنا عليها يومنا ذاك ، وسمعت بنا ، فنفضت نمارقها قال : قلت : الله يا رسول الله مالنا من نمارق ، قال : إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً . قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت ، وأقننا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا ، قال : فحدثت المرأة الحديث ، وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فدوئك ، فسمع وطاعة . قال : فلما أصبحت أخذت برأس الجمل ، فأقبلت به حتى أنتخه على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ثم جلست في المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى الجمل ، فقال : ما هذا قالوا : يا رسول الله ، هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ؟ قد عيت له ، قال : فقال : يابن أخى خذ برأس

جملك ، فهو لك ، ودعا بلالا ، فقال له : اذهب بجابر ، فأعطه أوقية قال : فذهبت معه ، فأعطاني أوقية ، وزادني شيئاً يسيراً . قال : فوالله ما زال ينمى عندي ، ويرى مكانه من بيتنا ، حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا ، يعني يوم الحرة

قال ابن إسحاق : وحدثني عمي صدقة بن يسار ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينهي حتى يهريق في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دمًا ، فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً ، فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا قال : فانتدب رجل من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونوا بغم الشعب . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي ، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب ، قال الأنصاري للمهاجري أي الليل تحب أن أكفيكه : أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفي أوله ، قال : فاضطجع المهاجري فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، قال : وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ريثة للقوم . قال : فرمى بسهم ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائماً قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً ثم عادله بالثالث ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أهب صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت ، قال : فوثب ، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال : سبحان الله ! أفلا أهبتني أول مارماك ؟ قال : كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها ، فلما تابع على الرمي ركعت فأذنتك ، وإيم الله ، لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه ، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها . قال ابن هشام : ويقال : أنفذها .

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة الرقاع ، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً .

غزوة بدر الآخرة

في شعبان سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم خرج في شعبان إلى بدر ، لميعاد أبي سفيان ، حتى نزل .

قال ابن هشام واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلوة الأنصاري .

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل بحنة ، من ناحية الظهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عسفان ، ثم بداله في الرجوع ، فقال : يامعشر قرش ، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عام جدب ، وإنى راجع ، فارجعوا فرجع الناس . فسأهم أهل مكة جيش السويق ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده ، فأتاه مخضئ بن عمرو الضمري ، وهو الذي كان وادعه على بني ضمرة في غزوة ودان ، فقال : يا محمد ، أجمت للقاء قريش على هذا الماء ! قال نعم ، يا أبا بني ضمرة ، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ، قال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك من حاجة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أبا سفيان ، فر به معبد بن أبي معبد الخزاعي ، فقال ، وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تهوى به .

قد نفرت من رفيقي محمد وعجوة من يثرب كأنجيد
تهوى على دين أبيها الأندل قد جعلت ماء قديد موعدي
وماء ضجنان لها ضحى الغد

قال عبد الله بن ربيعة في ذلك - قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لـكمب بن مالك :

وعدنا أبا سفيان بدرأ فلم نجد لميعاده صدقاً وما كان وافيها
فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا لابت ذمياً وافقت المواليا
تركنا به أوصال عتبة وابنه عمرأ أبا جهل تركناه ثاويها
عصيت رسول الله أف لدينكم وأمركم السيء الذي كان غاويها
فإني وإن عنفتهموني لقاتل فدى لرسول الله أهلي وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره شهابا لنا في ظلة الليل هاديها

وقال حسان بن ثابت في ذلك :

دعوا فليجات الشام قد حال دونها جلاذ كأفواه الخاض الأوارك
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأيدى الملائك
إذا ساكت للغور من بطن عاج فقولا لها ليس الطريق هنالك
أقنا على الرس النزوع ثمانيا بأرعن جرار عريض المبارك
بكل كيت جوزه نصف خلقه وقب طوال مشرفات الحوارك
ترى العرفج العامي تدرى أصوله مناصم أخفاف المطى الرواتك
فإن تلق في تطوافنا والتماسنا فرات بن حيان يكن رهن هالك
وإن تلق قيس بن امرئ القيس بعده يزد في سواد لونه لون حالك
فابلغ أبا سفيان عنى رسالة فإنك من غر الرجال الصعالك

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أحسان إنا يابن آكلة اللعنا وجدك نغثال الحروق كذلك
خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا لو وألت منا بشد مدارك
إذا ما انبعثنا من مناخ حسبته مدمن أهل الموسم المتعارك

أقمت على الرس الزروع تريدنا وتركنا في النخل عند المدارك
على الزرع تمتلئ خيلنا وركابنا فما وطئت الصقنه بالدكادك
أقننا ثلاثاً بين سلع وفارح مجرد الجياد والمطى والروانك
حسبتم جلاد القوم عند قباهم كماخذكم بالعين أرتال آنك
فلا تبعث الخيل الجياد ، وقل لها على نحو قول المعصم المتناسك
سعدتم بها وغيركم كان أهلها فوارس من أبناء فهر بن مالك
فإنك لافي هجرة إن ذكرتها ولا حرمت الدين أنت بناسك

قال ابن هشام : بقيت منها أبيات تركناها لقبح اختلاف قوافيها . وأنشدني أبو زيد الأنصاري هذا البيت :

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا

والبيت الذي بعده لحسان بن ثابت في قوله :

دعوا فليجات الشام قد حال دونها

وأنشدني له فيها بيته ، فأبلغ أبا سفيان .

غزوة بني النضير وما نزل فيها

ذكر ابن إسحاق هذه الغزوة في هذا الموضع ، وكان ينبغي أن يذكرها بعد بدر ، لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزهري ، قال : كانت غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر .

تأويل قوله تعالى : « ما قطعتم من لينة : وذكر نزول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببني النضير ، وسيره إليهم حين نقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه ، وهموا بقتله ، فلما تحصنوا في حصونهم وحرقت نخلم نادوه أن يا محمد ، قد كذبت تنبي عن الفساد وتعييه ، وذكر الحديث . قال أهل التأويل : وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء ، حتى أنزل الله تعالى : « ما قطعتم من لينة ، أو تركتموها قائمة على أصولها ، واللينه ألوان التمر ما عدا العجوة والبرني في هذه الآية أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يحرق من نخلم إلا ما ليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة ، وفي الحديث : العجوة من الجنة ، وثمرها يغذو أحسن غذاء ، والبرني أيضاً كذلك . وقال أبو حنيفة : معناه بالفارسية حمل مبارك ، لأن بر معناه : حمل ، وفي معناه جيد ، أو مبارك فعربته العرب ، وأدخلته في كلامها ، وفي حديث وقد عبد القيس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لهم ، وذكر البرني : إنه من خير تمركم ، وإنه دواء وليس بداء ، رواه منهم مزينة المصري ، في قوله تعالى : « ما قطعتم من لينة » ولم يقل : من نخلة على العموم : تنبيه على كراهة قطع ما يقتات ويغذو من شجر العدو إذا رجي أن يصير إلى المسلمين ، وقد كان الصديق - رضي الله عنه - يوصي الجيوش ألا يقطعوا شجراً مشراً ، وأخذ بذلك الأوزاعي ، فإما تأولوا حديث بني النضير ، ولما رأوه خالفاً للنبي عليه السلام ، ولم يختلفوا أن سورة الحشر نزلت في بني النضير ، ولا اختلفوا في أمواتهم ، لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب ، وإنما فذف الرعب في قلوبهم وجلوا عن منازلهم إلى خيبر ، ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم ، فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ، ليرفع بذلك مؤنتهم عن الانحصار ، إذ كانوا قد ساهموا في الأموال والديار ، غير أنه

أعطى أبا دجاجة وسهل بن حنيف ل حاجتهما ، وقال غير ابن إسحاق : وأعطى ثلاثة من الانصار ، وذكر الحارث ابن الصمة فيهم .

وقوله سبحانه : « يخرجون بيوتهم ، أى يخرجونها من داخل ، والمؤمنون من خارج ، وقيل معنى بأيديهم : بما كسبت أيديهم من نقض العهد ، وأيدى المؤمنين ، أى بجهادهم .

وقوله « لأول الحشر » ، روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له : إلى أين نخرج يا محمد ؟ قال : إلى الحشر ، يعنى : أرض المحشر ، وهى الشام ، وقيل : لهم كانوا من بسط لم يصبهم جلاء قبلها ، فاذلك قال : لأول الحشر ، والحشر : الجلاء ، وقيل إن الحشر الثانى ، هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن ، فتحشر الناس إلى الموقف ، تليت معهم ، حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا ، وتأن كل من تخلف ، والآية متضمنة لهذه الافوال كلها ، ولزائد عليها ، فإن قوله : لأول الحشر يؤذن أن ثم حشراً آخر ، فكان هذا الحشر والجلاء إلى خيبر ثم أجلاهم عمر من خيبر إلى تيماء وأريحا ، وذلك حين بلغه الشئب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يبقين دينان بأرض العرب .

وقوله : « فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا » ، يقال : نزلت فى قتل كعب بن الاشرف .

وقوله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى » ، وروى عن مالك أنه قال : هم بنو قريظة ، وأهل التأويل على أنها عامة فى جميع القرى المفتوحة على المسلمين وإن اختلفوا فى حكمها ، فرأى قوم قسمها كما تقسم الغنائم ، ورأى بعضهم الإمام أن يقفها ، وسياق بيان هذه المسألة فى غزوة خيبر إن شاء الله .

وذكر شعر العيسى فى إجلاء اليهود ، فقال أحل اليهود بالحسى المزئم

يريد : أحلهم بأرض غربة ، وفى غير عشائهم ، والزئم : الرجل يكون فى القوم ، وليس منهم ، أى أنزلهم بمنزلة الحسى ، أى المبعد الطريد ، وإنما جعل الطريد الذليل حسياً لأنه عرضة الاكل ، والحسى والحسو ما يحسى من الطعام حسوا ، أى أنه لا يمتنع على آكل ، ويجوز أن يريد بالحسى معنى الغذى من الغنم ، وهو الصغير الضعيف الذى لا يستطيع الرعى ، يقال : بدلوا بالمال الدثر والإبل السكوم رذال المال وغذاء الغنم ، والمزئم منه ، فهذا وجه يحتمل ، وقد أكثر التفسير عن الحسى فى مظانته من اللغة فلم أجد نصاً شافياً أكثر من قول أبى على : الحسية ، والحسى ما يحسى من الطعام ، وإذا قد وجدنا الغذى واحد غذاء الغنم ، فالحسى فى معناه غير ممتنع أن يقال ، والله أعلم . والمزئم أيضاً : صغار الإبل ، وسائر هذا الشعر مع ما بعده من الاشعار ليس فيه عويص من الغريب ، ولا مستغلق من الكلام .

الكاهنان : وما ذكر من أمر الكاهنين فهما قريظة والنضير ، وفى الحديث : يخرج فى الكاهنين رجل يدرس القرآن درساً لم يدرسه أحد قبله ، ولا يدرسه أحد بعده ، فكانوا يروونه أنه محمد بن كعب القرظى وهو محمد بن كعب بن عطية ، وسياق خبر جده عطية فى بنى قريظة ، والكاهن فى اللغة بمعنى الكاهل ، وهو الذى يقوم بحاجة أهله ، إذا خلف عليهم ، يقال : هو كاهن أبيه وكاهله ، قاله الهروى ، فيحتمل أن يكونسمى الكاهنان بهذا .

خروج بنى النضير إلى خيبر : فصل : وذكر ابن إسحاق خروج بنى النضير ، إلى خيبر ، وأنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يمزفن خلفهم ، وإن فيهم لام عمرو صاحبة عروة ابن الورد التى ابتاعوا منه ، وكانت لإحدى نساء بنى غفار . انتهى كلام ابن إسحاق ، ولم يذكر اسمها فى رواية

البكاى عنه ، وذكره في غيرها ، وهى سلبى قال الاصمعى : اسمها : ليل بنت شعواء ، وقال أبو الفرج : هى سلبى أم وهب امرأة من كنانة ، كانت ناكحاً في مزينة ، فأغار عليهم عروة بن الورد ، فسبها ، وذكر الحديث ، وقول أبي الفرج إنها من كنانة لا يدفع قول ابن إسحاق إنها من غفار ، لأن غفار من كنانة . غفار بن مليل بن ضمرة بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . وعروة بن الورد بن زيد ، ويقال : ابن عمرو بن ناشب بن هدم بن عوذ بن غالب بن قطيمة بن عبس ، فهو عبسى غطفانى قيسى ، لأن عبسا هو ابن بغيض بن ريث بن غطفان قال فيه عبد الملك بن مروان : ما يسرنى أن أحداً من العرب ولدنى إلا عروة بن الورد لقوله :

أتهزأ منى أن سمعت ، وقد ترى بحسمى مس الحق والحق جاهدا
إلى امرؤ عافى إنائى شركة وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أقسم جسمى فى جسم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

وكان يقال : من قال : إن حاتماً أسمع العرب ، فقد ظلم عروة بن الورد ، قال أبو الفرج : وكان عروة يتردد على بنى النضير ، فيستقرضهم إذا احتاج ، ويبيع منهم إذا غنم ، فرأوا عنده سلبى ، فأعجبته ، فسألوه أن يبيعها منهم فأبى فسقوه الخمر ، واحتالوا عليه حتى ابتاعوها منه وأشهدوا عليه وفى ذلك يقول :

سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور

وروى أيضاً أن قومها افتدوها منه ، وكان يظن أنها لا تختار عليه أحداً ، ولا تفارقه ، فاختارت قومها فندم ، وكان له منها بنون فقالت له : والله ما أعلم امرأة من العرب أرخت سترأ على بعل مثلك أغض طرفاً ، ولا أئدى كفاً ولا أغنى غناء ، وإنك لرفيع العمد ، كثير الرماد ، خفيف على ظهور الخيل ، ثقیل على متون الأعداء ، راص للأهل والجار ، وما كنت لأوثر عنك أهلى ، لولا أنى كنت أسمع بنات عمك يقلن فعلت أمة عروة ، وقالت أمة عروة ، فأجد من ذلك الموت ، والله لا يجمع وجهى وجه غطفانية أبداً ، فاستوص ببنيك خيراً ، قال ثم تزوجها بعده رجل من بنى النضير ، فسألها أن تشى عليه فى نادى قومه ، كما أئنت على عروة ، فقالت : أعفى ، فأبى لا أقول إلا ما علمته ، فأبى أن يعفيا ، فجاءت حتى وقفت على النادى ، وهو فيه ، فقالت : عموا صباحاً ، ثم قالت له : إن هذا أمرنى أن أئنى عليه بما علمت فيه ، ثم قالت له : والله إن شملتك لا التفاف ، وإن شربك لا شتفاف ، وإن ضجعتك لا انجماف ، وإنك لتشبع ليلة تضاف ، وتنام ليلة تخاف فقال له قومه : قد كنت فى غنى عن هذا ، وفيها يقول عروة بن الورد :

أرقت وضجيتى بمضيق عمق لبرق فى نهامة مستطير
إذا قلت استهل على قديد يحور ربابه حور الكسير
سقى سلبى ، وأين محل سلبى إذا حلت بمجسورة السرير
إذا حلت بأرض بنى على وأهلك بين أمة وكير
ذكرت منازل من أم وهب محل الحى أسفل ذى القير
وآخر معبد من أم وهب معرسنا فوق بنى النضير
وقالت : ماتشاء ، فقلت : ألهو إلى الإصباح أثر ذى أمير

بأنسة الحديث رضاب فيها بعيد النوم كالغيب العصور
أطمت الآمرين بصرم سلبى فطاروا في بلاد اليستعور
سقفوني الخمر ثم تكففوني عداة الله من كذب وزور
وقالوا لست بعد فداء سلم بمغن ما لديك ولا فقير
ولا وأبيك لو كالיום أمرى ومن لك بالتدبر في الأمور
إذاً للملك عصمة أم وهب على ما كان من حسك الصدور
فيا للناس كيف غلبت نفسى على شيء ويكرهه ضميرى

قوله : السرير موضع في ناحية كنانة ، وقوله : اليستعور : هو موضع قبل حرة المدينة ، فيه عضاه من سمر وطلع ، وقال أبو حنيفة : اليستعور شجر يستاك به ، ينبت بالسراة ، واليستعور أيضاً من أسماء الدواهي ، والياء في اليستعور أصلية ، فهذا شرح ما أوما إليه ابن إسحاق من حديث أم عمرو ، وإنما هي أم وهب كما تكرر في شعره .

غزوة ذات الرقاع

وسميت ذات الرقاع ، لأنهم رقدوا فيها راياتهم في قول ابن هشام : قال ويقال ذات الرفاع شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع ، وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود ، وبقع بيض ، كأنها مرقعة برقاع مختلفة ، فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة ، وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري ؛ قال : « خرجنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزاة ، ونحن ستة نفر بيننا بغير نعتقه ، فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدمائنا ، وسقطت أظفارنا ، فكننا نأف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا ، فحدث أبو موسى بهذا ، ثم كره لك ، فقال : ما كنت أصنع بأن أذكره : كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه . »

صلاة الخوف : فصل : وذكر صلاة الخوف وأوردها من طرق ثلاث ؛ وهي مروية بصور مختلفة أكثر مما ذكر . سمعت شيخنا أبا بكر - رحمه الله - يقول : فيها ست عشرة رواية ، وقد خرج المصنفون أصحابها ، وخرج أبو داود منها جملة ، ثم اختلف الفقهاء في الترجيح ، فقال طائفة : يعمل منها بما كان أشبه بظاهر القرآن ، وقالت طائفة : يجتهد في طلب الآخر منها ، فإنه الناسخ لما قبله ، وقالت طائفة : يؤخذ بأصحها نقلاً ، وأعلاها رواية ، وقالت طائفة : وهو مذهب شيخنا : يؤخذ بجميعها على حسب اختلاف أحوال الخوف ، فإذا اشتد الخوف ، أخذ بأيسرها مؤنة ، فإذا تقادم الخوف صلوا بغير إمام لقبة أو لغير قبة ، وروى ابن سلام عن طائفة من السلف أن صلاة الخوف ، قد تشول إلى أن تكون أربع تكبيرات ، وذلك عند معصمة القتال ، وسيأتي بقية القول في صلاة الخوف في خبر بني قريظة إن شاء الله ، وما تخالف به صلاة الخوف حكم غيرها أنه لا سهو فيها على إمام ، ولا على مأوم رواه الدارقطني بسند ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا سهو في صلاة الخوف .

نفويات : فصل : وذكر حديث جابر حين أبطأ به حمله فنخسه النبي - صلى الله عليه وسلم - نخسات ، فخرج يواحق ناقته مواهقة ، المواهقة كالمسابقة ، والمجاراة ، وأنشد سيدي به لأوس بن حجر :
تواحق رجلاها يداها ورأسه لها قتب خلف الحقيية رادف

رفع يداها ورجلاها رفع الفاعل ، لأن المواهقة ، لا تكون إلا من اثنين ، فكل واحد منهما فاعل في المعنى كما ذكرنا في قول الراجز :

قد سالم الحيات منه القدماء الأفغوان والشجاع الشجعان

هكذا تأوله سيديويه ، ولعل هذا الشاعر كان من لغته أن يحمل التثنية بالالف في الرفع والنصب والخفض كما قال :

تزود منا بين أذناه طمئة دعتة إلى هابي التراب عقيم

وكما قال الآخر :

قد بلغا في المجد غايتاهما (١)

وهي لغة بني الحارث بن كعب ، قاله أبو عبيد . وقال النحاس في الكتاب المنعج : هي أيضا لغة لخشيم وطبي . وأبطن من كنانة ، والبيت أعنى : تواهق رجلاها يداها ، هو لأرس بن حجر الأسدي ، وليس من هذه لغته ، فالبيت إذاً على ما قاله سيديويه .

وذكر مسأومة النبي صلى الله عليه وسلم لجابر في الجمل ، حتى اشتراه منه بأوقية ، وأعطاه أولاً درهما ، فقال لا إذا تغبننى يا رسول الله ، فإن كان أعطاه الدرهم مازحاً ، فقد كان يمزح ، ولا يقول إلا حقاً ، فإذا كان حقاً ، ففيه من الفقه لإباحة المسكيسة الشديدة في البيع ، وأن يعطى في السلعة ما لا يشبه أن يكون ثمنها لها بنص الحديث وفي دأله أن من اشترى سلعة بما لا يشبه أن يكون لها ثمن ، وهو عاقل بصير ، ولم يكن في البيع تدليس عليه ، فهو بيع ماض لا رجوع فيه ، وروى من وجه صحيح أنه كان يقول له كلما زاد له درهما قد أخذته بكذا والله يغفر لك ، فكانه عليه السلام أراد بإعطائه إياه درهما درهما أن يكثر استغفاره له ، وفي جمل جابر هذا أمور من الفقه سوى ما ذكرنا . وذلك أن طائفة من الفقهاء احتجوا به في جواز بيع وشرط ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - شرط له ظهره إلى المدينة ، وقالت طائفة : لا يجوز بيع وشرط ، وإن وقع فالشرط باطل ؛ والبيع باطل ، واحتجوا بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن شرط وبيع ، وعن بيع وسلف

وقد روى أبو داود هذا الحديث ، فقال : عن عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن أبيه محمد بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عبد الله بن عمرو .

وهذه رواية مستغربة عند أهل الحديث جداً ، لأن المعروف عندهم أن شعيباً إنما يروى عن جده عبد الله ، لا عن أبيه محمد لأن أباه محمداً مات قبل جده عبد الله ، فقف على هذه التنبيه في هذا الحديث ، فقل من تلقه إليها وقالوا : لا حجة في حديث جابر لما فيه من الاضطراب ، فقد روى أنه قال : أفقرني ظهره إلى المدينة ، وروى

(١) أصل هذا الشعر :

واهاً لسلى ثم واها واها هي المنى لو أننا نلتهاها
بشمن يرضى به أباهاً إن أباهاً وأبا أباهاً
قد بلغا في المجد غايتاهما

أنه قال : استثبت ظهره إلى المدينة ، وروى أنه قال : شرط لي ظهره ، وقال البخاري : الاشتراط أكثر وأصح وكذلك اضطربوا في الثمن ، فقالوا : بعته منه بأوقية ، وقال بعضهم : بأربع أواق ، وقال بعضهم : بخمس أواق وقال بعضهم : بخمسة دنانير ، وقال بعضهم : بأربعة دنانير ، وقال بعضهم : هو في معنى الأوقية ، وكل هذه الروايات قد ذكرها البخاري ، وقال مسلم في بعض رواياته : دينارين ودرهمين ، وقالت طائفة بإبطال الشرط ، وجواز البيع ، واحتجوا بحديث بريرة حين باعها أهلها من عائشة ، واشترطوا الولاء فأجاز النبي صلى الله عليه وسلم البيع وأبطل الشرط ، واستعمل مالك هذه الأحاديث أجمع ، فقال : بإبطال البيع والشرط على صورة ، وبجوازهما على صورة أخرى ، وبإبطال الشرط وجواز البيع على صورة أيضاً ، وذلك بين في المسائل لمن تدبرها وأبين ما توجد محكمة الأصول مستثمرة الجنا والفصول في كتاب المقدمات لابن رشد ، فلينظرها هنالك من أرادها .

فصل : ومن لطيف العلم في حديث جابر بعد أن تعلم قطعاً أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يفعل شيئاً عبثاً بل كانت أفعاله مقرونة بالحكمة ومؤيدة بالعصمة ، فاشتراؤه الجبل من جابر ثم أعطاه الثمن ، وزاده عليه زيادة . ثم رد الجبل عليه ، وقد كان يمكن أن يعطيه ذلك العطاء دون مساومة في الجبل ، ولا اشتراء ولا شرط ولا توصيل ، فالحكمة في ذلك بدیعة جداً ، فلتنظر بعين الاعتبار ، وذلك أنه سأله : هل تزوجت ، ثم قال له : هلا بكراً ، فذكر له مقتل أبيه ، وما خلف من البنات ، وقد كان عليه السلام قد أخبر جابراً بأن الله قد أحيا أباه ، ورد عليه روحه ، وقال : ما تشتهي فأزيدك ، فأكد عليه السلام هذا الخبر بمثل ما يشبهه ، فاشترى منه الجبل ، وهو مطيته ، كما اشترى الله تعالى من أبيه ، ومن الشهداء أنفسهم بثمان هو الجنة ، ونفس الإنسان مطيته كما قال عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - إن نفسي مطيتي ، ثم زادهم زيادة فقال : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، ثم رد عليهم أنفسهم التي اشترى منهم فقال : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً » ، فأشار عليه السلام باشتراؤه الجبل من جابر وإعطائه الثمن وزيادته على الثمن ، ثم رد الجبل المشتري عليه ، أشار بذلك كله إلى تأكيد الخبر الذي أخبر به عن فعل الله تعالى بأبيه ، فتشاكل الفعل مع الخبر ، كما تراه ، وحاش لأفعاله أن تخلو من حكمة بل هي كلها ناظرة إلى القرآن ومنزعة منه صلى الله عليه وسلم .

فصل : وحدث عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن جابر ، وذكر حديث غورث ، وقد ذكره البخاري فقال فيه : غورث بن الحارث ، وقد ذكره الخطابي ، فقال فيه : لأنه لما هم بقتل النبي - صلى الله عليه وسلم - رمى بالزخعة فندر السيف من يده ، وسقط إلى الأرض . الزخعة : وجع يأخذ في الصلب ، وأما روايته الحديث عن عمرو بن عبيد فأعجب شيء سياقته إياه عن عمرو بن عبيد ، وقد رواه الأئمة عن جابر ، وعمرو بن عبيد متفق على وهن حديثه ، وترك الرواية عنه ، لما اشتهر من بدعته ، وسوء نحلته ، فإنه حجة القدريّة ، فيما يسندون إلى الحسن - رضي الله عنه - من القول بالقدر ، وقد برأه الله منه ، وكان عند الله وجيهاً ، وأما عمرو بن عبيد بن دأب ، فقد كان عظيماً في زمانه على الرتبة في الورع ، حتى افتن به ، وبمقالاته أمة فصاروا قدريّة ، وقد نبز بمذهبه قوم من أهل الحديث ، فلم يسقط حديثهم ، لأنهم لم يجادلوا على مذهبهم ، ولا طعنوا في مخالفهم من أهل السنة ، كما فعل عمرو ابن عبيد : فمن نبز بالقدر ابن أبي ذئب وقتادة ودأود بن الحصين وعبد الحميد بن جعفر ، وطائفة سواهم من الأئمة في علم الحديث ، وعمرو بن عبيد يكنى أبا عثمان وأبوه عبيد بن دأب كان صاحب شرطة فيما ذكروا

وسمع يوماً ناساً يقولون في ابنه هذا خير الناس ابن شر الناس ، فالتفت إليهم ، وقال : وما يعجبكم من هذا ؟ هو كإبراهيم وأنا كآزر ، وكان أبو جعفر المنصور ، يقول بعد موت عمرو بن عبيد : ما بقي أحد يستحيا منه بعد عمرو ، وكان يقول :

كلكم خاتل صيد • كلكم يمشى رويد • غير عمرو بن عبيد

وقد نيز ابن إسحاق بالقدر أيضاً ، وروايته عن عمرو بن عبيد تؤيد قول من عزاه إليه ، والله أعلم .

وقعة الحرة : وذكر قول جابر : فوالله ما زال ينمى عندنا ، ويرى مكانه من بيننا حتى أصيب منا يوم الحرة معنى : ووقعة الحرة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدى مسلم بن عقبة المري الذي يسميه أهل المدينة مسرف بن عقبة ، وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحكم وبني أمية ، وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الذي غسلت أباه الملائكة يوم أحد ، ولم يوافق على الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم ، ررى البخارى أن عبد الله بن عمر لما أرجف أهل المدينة بيزيد دعا بفيه وهو إليه ، وقال لهم : إنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله ، ولأنه والله لا يلفق عن أحد منكم أنه خلع يداً من طاعته إلا كانت الفيل بئى وبينه ، ثم لزم بيته ، ولزم أبو سعيد الخدرى بيته ، فدخل عليه في تلك الأيام التي انتهت المدينة فيها ، فقبل له : من أنت أيها الشيخ ؟ فقال : أنا أبو سعيد الخدرى صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا له : قد سمعنا خبرك ، ولزم ما فعلت حين كففت يدك ، ولزمت بيتك ، ولكن هات المال ، فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم على ، وما عندى شيء ، فقالوا : كذبت وتنفوا لحيتك ، وأخذوا ما وجدوا حتى صوف الفرش ، وحتى أخذوا زوجين من حمام كان صبيانهم يلعبون بهما . وأما جابر بن عبد الله الذي كنا بمساق حديثه ، فخرج في ذلك اليوم بطوف في أزقة المدينة والبيوت تلتب ، وهو أعمى ، وهو يعثر في القتلى ، ويقول تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له قائل : ومن أخاف رسول الله ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخاف المدينة ، فقد أخاف ما بين جنبي ، لحملوا عليه ليقتلوه ، فأجاره منهم مروان ، وأدخله بيته ، وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان ، فقد ذكروا أن امرأة من الأنصار دخل عليها رجل من أهل الشام ، وهي ترضع صبيها ، وقد أخذما كان عندهما ، فقال لها : هات الذهب ، وإلا قتلتك ، وقتلت صبيك ، فقالت : ويحك إن قتلنا فأبوه أبو كبشة صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنا من النسوة اللاتي بايعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما خنت الله في شيء بايعت رسوله عليه ، فانتفض الصبي من حجرها ، وثديها في فيه ، وضرب به الحائط حتى انتثر دماغه في الأرض والمرأة تقول : يا بني لو كان عندى شيء نفديك به ، لفديتك ، فخرج من البيت حتى اسود نصف وجهه ، وصار مثله في الناس .

قال المؤلف : وأحسب أن هذه المرأة جدة للصبي ، لا أمه له ، إذ يبعد في العادة أن تباع النبي عليه السلام ، وتكون يوم الحرة في سن من ترضع . والحرة التي يعرف بها هذا اليوم يقال لها حرة زهرة ، وفي الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وقف بها ، وقال : ليقتلن بهذا المسكان رجال هم خيار أمتي بعد أصحابي ، ويذكر عن عبد الله بن سلام ، أنه قال : لقد وجدت صفتها في كتاب يهود بن يعقوب الذي لم يدخله تبديل ، وأنه يقتل فيها قوم صالحون يحشون يوم القيامة وسلاحهم على عواقبهم ، وذكر الحديث . وعرفت حرة زهرة بقرية كانت لبني زهرة

قوم من اليهود ، وكانت كبيرة في الزمان الاول ، ويقال كان فيها ثلاثمائة صائغ ، ذكر هذا الزبير في فضائل المدينة له : وكانت هذه الوقعة سنة ثلاث وستين ، وقد كان يزيد بن معاوية قد أعذر إليهم فيما ذكروا ، وبذل لهم من العطاء أضعاف ما يعطى الناس واجتهد في استمالتهم إلى الطاعة ، وتحذيرهم من الخلاف ، ولكن أبى الله إلا ما أراد والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون : تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ، وأسلم ما كسبت ولا تسألون عما كانوا يعملون .

فصل : وذكر حديث الانصارى والمهاجرى ، وهما عباد بن بشر ، وعمار بن ياسر ، وأن رجلاً من العدو رى الانصارى بسهم ، وهو يصلى لما علم أنه ريثة القوم ، الريثة هو الطليعة ، يقال : ربأ على القوم ربأ فهو ربأ وريثة قال الشاعر :

ربأ شماء لا يأوى لقلتها إلا السحاب وإلا الآوب والسبل

ربأ : فعال من ربا إذا نظر من مكان مرتفع ، وشماء ، يريد هضبة شماء ، وإنما قالوا : ريثة بهاء التانيث ، وطليعة ، لأنها في معنى العين ، والعين مؤنثة ، تقول : ثلاثة أعين ، وإن كانوا رجالاً ، يعنى الطلائع ، لأن الطليعة والريثة إنما يراد منه عينه الناظرة ، كما تقول في ثلاثة أعيد : أعتقت ثلاث رقاب ، فتوث ، لأن الرقبة ترجمة عن جميع العبد ، كما أن العين هى هو الطليعة كذلك ، ويجوز أن تكون الماء في ريثة وطليعة للبالغة ، كما هى في علامة ونسابة ، فعلى الوجه الاول تقول : ثلاث طلائع ، وثلاث ربايا في جمع ريثة ، كما تقول : ثلاث أعين ، لأنه باب واحد من التانيث ، وإذا كانت الماء للبالغة قلت : ثلاثة وأربعة ، لأنك تقصد التذكير ، لأن هاء المبالغة لا توجب تانيث المسمى ، ولأنها في الصفة ، والصفة بعد الموصوف ، ولذلك تقول : هذا علامة ، ولا تقول : هذه علامة بخلاف الرقبة والعين ، لأنك تقول في العبد الذكر : هذه رقبة فأعتقها ، وفي العين . هذه ظليعة ، وهذه عين ، وأنت تنفى الرجل ، هذا معنى الفرق بينهما .

وفي هذا الحديث من الفقه صلاة المجروح وجرحه يشمب دماً ، كما فعل عمر بن الخطاب ، وقد ترجم بعض المصنفين عليه لموضع هذا الفقه ، وفيه متعلق لمن يقول : إن غسل النجاسة ، لا يعد في شروط صحة الصلاة ، وفيه من الفقه أيضاً تعظيم حرمة الصلاة ، وأن للصلى أن يتأذى عليها وإن جر إليه ذلك القتل ، وتفرقت النفس ، مع أن التعرض لفوات النفس ، لا يحل إلا في حال المحاربة ، ألا ترى إلى قوله : لولا أن أضيع ثغراً أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو انفذها ، يعنى : السورة التى كان يقرؤها .

وذكر قول معبد : وعجوة من يثرب كالعنجد

العنجد : حب الزبيب ، وقد يقال للزبيب نفسه أيضاً عنجد ، وأما العنب ، فيقال : لعجمه : الفرصد ، والالتد : والأقدام من المال التليد .

وأما قول حسان : دعوا فلجيات الشام

جمع فلج ، وهما الماء الجارى ، سمي فلجاً ، لأنه قد خد في الأرض ، وفرق بين جانبيه مأخوذ من فلج الاسنان ، أو من الفلج وهو القسم ، والفلج مكيال يقسم به ، والفلج والفلج يعير ذو سنمين ، وهو من هذا الأصل ، ورواه أبو حنيفة بالحاء وقال : الفلجة المزرعة

غزوة دومة الجندل في شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها أشهراً حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل .

قال ابن هشام : فى شهر ربيع الأول ، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الخفارى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها ، ولم يبق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

غزوة الخندق فى شوال سنة خمس

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المظلي ، قال : ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس .

اليهود تجزب الأحزاب : لحدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظي ، والزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم من علاننا ، كلهم قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث ما لا يحدث به بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفرأ من اليهود ، منهم : سلام بن أبي الحقيق النضرى ، وحى بن أخطب النضرى ، وكنانة بن أبي الحقيق النضرى ، وهوذة بن قيس الوائلى ، وأبو عمار الوائلى ، فى نفر من بنى النضير ، ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدهوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله - فقالت لهم قريش :

وذكر شعر أبي سفيان : أحسان إنا يا بن آكله الفغا

الفغا : ضرب من التمر ، ويقال : هى غبرة تملو البسر ، والغفالة فى الفغا .

وفيه : كأخذكم بالعين أرتال آنك

ألفيت على هذا البيت فى حاشية أبي بحر ما هذا نصه : ذكر محمد بن سلام فى الطبقات له هذا البيت :

حسبتم جلاد القوم حول بيوتكم كأخذكم فى العين أرتال آنك

ووصل به بأن قال : فقال أبو سفيان بن حرب لابن سفيان بن الحارث بن أمية : لم جعلتها آنك إن كانت لفضة بيضاء جيدة .

وقوله : سعدتم بها وغيركم كان أهلها

وفى حاشية الشيخ : شقيتم بها وغيركم أهل ذكرها .

وقوله : خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا

اليعافير : الطباء العفر ، يريد أنهم لكثرة عددهم لا تنجوا منهم اليعافير .

يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : « ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً .. إلى قوله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله : » أى النبوة ، « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً » فنههم من آمن به ، ومنهم من صد عنه ، وكفى بجهنم سعيراً .

قال : فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه ، من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له . ثم خرج أولئك الثفر من يهود ، حتى جاءوا غطفان ، من قيس عيلان ، فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

خروج الأحزاب : قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان ، وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، في بنى فزارة ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري ، في بنى مرة ، ومسعر بن ربيعة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أسجع بن ريث بن غطفان ، فيمن تابعه من قومه من أشجع

حضر الخندق : فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه ودأبوا . وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نأبته النابتة ، من الحاجة التي لا بد له منها ، يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستأذنه في الحقوق بواجته فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخير ، واحتساباً له .

ما نزل من القرآن في حق العاملين في الخندق : فأنزل الله تعالى في أولئك المؤمنين : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه ، إن الذين يسأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذونك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ، واستغفر لهم الله ، إن الله غفور رحيم » . فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير ، والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم

ثم قال تعالى ، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم » .

قال ابن هشام : اللواذ : الاستتار بالشئ عند الحرب : قال حسان بن ثابت :

وقريش تفر منا لوأذاً أن يقيموا وخف منها الخلو

وهذا البيت في قصيدة له قد ذكرت في أشعار يوم أحد

« ألا إن لله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه » .

قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

« ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا ، والله بكل شيء عليم . »

المسلمون يرتجزون في العمل : قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جعيل ، سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرآ ، فقالوا :

سماء من بعد جعيل عمرآ وكان للبائس يوماً ظهرآ

فاذا مروا « بعمرآ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرآ ، وإذا مروا « بظهر » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ظهرآ .

معجزات ظهرت في حفر الخندق : قال ابن إسحاق : وكان في حفر الخندق أحاديث بلغت ، فيها من الله تعالى صبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحقيق نبوته ، عين ذلك المسلمون .

فكان بما بلغت أن جابر بن عبد الله كان يحدث : أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كدية ، فشكوها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا بإناء من ماء ، فغفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية ، فيقول من حضرها ، فوالذي بعثه بالحق نبياً ، لانهالت حتى عادت كالكتيب لا ترد فأسأولا مسحة .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن مينا أنه حدث : أن ابنة لبشير بن سعد ، أخت النعمان بن بشير ، قالت : دعني أمي عمرة بنت رواحة ، فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي ، ثم قالت : أي بنية ؛ اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما ، قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها ، فررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتمس أبي وخالي ، فقال : تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟ قالت : فقلت : يا رسول الله ، هذا تمر ، بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد ، وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه ، قال : هاتيه ، قالت : فصبته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاملاهما ، ثم أمر بشوب فبسط له ، ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإسان عنده : اصرخ في أهل الخندق : أن هلم إلى الغداء ، فاجتمع أهل الخندق عليه . لجمعوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدرو أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن مينا ، عن جابر بن عبد الله ، قال عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق ، فكانت عندي شوية ، غير جد سميئة ، قال : فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فأمرت امرأتى ، فطحننت لنا شيئاً من شعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحت تلك الشاة ، فضويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق - قال : وكنا نعمل فيه نهارنا ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا - قال : قلت يا رسول الله ، لأنني قد صنعت لك شوية كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي ، وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده . قال : فلما أن قلت له ذلك قال : نعم ، ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله ، قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه ، قال : فجلس وأخرجناها إليه ، قال : فبرك وسمى ثم أكل وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها .

قال ابن إسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسي ، أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق ، فغلظت على صخرة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ، فلما رأي أني أضرب ورأى شدة المكان على ، نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلبعت تحت برقة أخرى ، قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلبعت تحت برقة أخرى ، قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال : قلت : نعم ، قال : أما الأول فإن الله فتح على بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول ، حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر و زمان عثمان وما بعده : افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمدًا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسياال من رومة ، بين الجرف وزعابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ، ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذي نقي ، إلى جانب أحد . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع ، في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره . والخندق بينه وبين القوم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام .

حيي بن أخطب يحرض كعب بن أسد : وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري ، حتى أتى كعب بن أسد القرظي ، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ، فلما سمع كعب بحيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حيي : ويحك يا كعب ! افتح لي ، قال : ويحك يا حيي : إنك امرؤ مشوم ، وإني قد عاهدت محمدًا ، فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقًا ، قال : ويحك افتح لي أكرمك ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أخلقت دوني إلا تخوفت على جيشيتك أن آكل معك منها ، فأحفظ الرجل ، ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ، جئتكم بعر الدهر وبيهر طام ، جئتكم بقريش على قاداتها وساداتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسياال من رومة ، وبغطفان على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بذي نقي إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدًا ومن معه . قال : فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر ، وبجهام قد هراق ماءه ، فهو يرعد ويبرق ، ليس فيه شيء ، ويحك يا حيي ! فدعني وما أنا عليه ، فأبى لم أر من محمد إلا صدقًا ووفاء . فلم يزل حيي يكعب يقتله في الذروة والغارب ، حتى سمح له ، على أن أعطاه عهدًا من الله وميثاقًا : لن رجعت قريش وغطفان ، ولم يصيبوا محمدًا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك ، فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرى بما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عباد بن دليم ، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو

يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة ، أخو بني الحارث بن الخزرج ، وخوات بن جبير ، أخو بني عمرو بن عوف ، فقال : انطلقوا حتى تنظروا ، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحقوا لي لحننا أعرفه ، ولا نفتوا في أعضاء الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدة فقال له سعد بن عبادة دع عنك مشاتمهم ، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة . ثم أقبل سعد وسعد ومن معه ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلموا عليه ، ثم قالوا : عضل والقارة ، أى كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع ، خبيب وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين .

وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال معتب بن قشير ، أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط .

لم يكن معتب منافقاً : قال ابن هشام : وأخبرني من أثق به من أهل العلم : أن معتب بن قشير لم يكن من المنافقين ، واحتج بأنه كان من أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وحق قال أوس بن قيطس ، أحد بني حارثة بن الحارث : يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملاء من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج فزجع إلى دارنا ، فانها خارج من المدينة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة ، قريباً من شهر ، لم تكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار .

قال ابن هشام : ويقال الرمي .

محاولة الصلح مع غطفان : فلما اشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة ومن لا أتهم ، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري - إلى عيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معه عنه وعن أصحابه ، فجزى بيته وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراضة في ذلك ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله ، أمراً نحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به ، ولا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكره عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ؛ فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً ، ألحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ! ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيوف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وعدوهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ،

إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس ، أخو بني عامر بن لؤى .

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن عبد بن أبي قيس .

قال ابن إسحاق : وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب الخزوميان ، وضرار بن الخطاب الشاعر ابن مرداس ، أخو بني محارب بن فهر ، تلبسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم ، حتى مروا بمنازل بني كنانة ، فقالوا : تهبثوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تعنى بهم خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

سلمان يشير بخضر الخندق : قال ابن هشام : يقال : إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجدتني بعض أهل العلم : أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سلمان منا ، وقالت الانصار : سلمان منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت .

على يقتل عمرو بن عبدود : قال ابن إسحاق : ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم في السبخة بين الخندق ولسع ، وخرج على بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أفحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنى نحوهم ، وكان عمرو بن عبدود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه . فلما وقف هو وخيله قال : من يبارز فبرز له علي بن أبي طالب فقال له : يا عمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ، قال له علي : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام قال : لا حاجه لي بذلك ، قال : فإني أدعوك إلى النزال ، فقال له : لم يا بن أخي ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له علي : لكني والله أحب أن أقتلك ، فحمي عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعفره ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي ، فتنازلا ، فقتله على رضى الله عنه . وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك :

نصر الجحارة من سفاهة رأيه ونصرت رب محمد بصوابي
فصدت حين تركته متجدلاً كالجدع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو اتقى كئت المقطر بزنى أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه وتبييه يامشر الأحزاب

قال ابن إسحاق : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي بن أبي طالب .

هجاء حسان لعكرمة : قال ابن إسحاق : وألقى عكرمة بن أبي جهل رحمه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فر وألقى لنا رحمه لملك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظلم ما إن تجور عن المعدل
ولم تلق ظهرك مستأنساً كأن قفاك قفا فرعل

قال ابن هشام : الفرعل : صغير الضباع ، وهذه الأبيات في أبيات له .

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبني قريظة : حم ، لا ينصرون .
استشهد سعد بن معاذ : قال ابن إسحاق : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن . بن سهل
الأنصاري ، أخو بني حارثة : أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني جارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون
المدينة . قال : وكانت أم سعد أبو معاذ معها في الحصن ، فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فر
سعد وعليه درع له مقلصة ، وقد خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربته يرفل بها ويقول :

لبك قليلا يشهد الهيجا جمل لا بأس بالموث إذا حان الأجل

قال فقالت له أمه : الحق : أي بني ، فقد والله أخرت ؛ قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد ، والله لوددت
أن درع سعد كانت أسبغ بما هي ، قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه ، فرى سعد بن معاذ بسهم ، فقطع
منه الأكل ، رماء كما حدثني عاصم بن قتادة ، حبان بن قيس بن العرق ، أجد بن عامر بن لؤي ، فلما أصابه
قال : خذها مني وأنا ابن العرق ، فقال له سعد : عرق الله وجهك في النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قریش
شيئاً فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدكم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت
قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ، ولا تمتني حتى تقرأ عيني من بني قريظة .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا
أبر أسامة الجشمي ، حليف بني مخزوم .

وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً لعكرمة بن أبي جهل :

أعكرم هلا لمحتني إذ تقول لي فذاك بأطام المدينة خال
السف الذي أزمعت سعداً مرثة لها بين أثناء المرافق عاند
قضى نحبها منها سعيد فأعولت عليه مع الشنط العذارى النواهد
وأنت الذي دافعت عنه وقد دعا عبدة جمعاً منهم إذ يكابد
على حين ما هم جائر عن طريقه وآخر مرعوب عن القصد قاصد

قال ابن هشام : ويقال : إن الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان .

حديث حسان في وقعة الخندق : قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه
عباد قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع ، حصن حسان بن ثابت ؛ قالت : وكان حسان بن ثابت معنافية ،
مع النساء والعصيان ، قالت صفية : فر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت
ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت . قالت : فقلت : يا حسان ، إن
هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله ، قال : يغفر الله لك يا بنة عبد المطلب . والله لقد
عرفت ما أنا بصاحب هذا : قالت : فلما قال لي ذلك ، ولم أر عنده شيئاً ، احتجرت ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت
من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتى قتلت . قالت فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت : يا حسان ، انزل
إليه فاسلبه ، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل ، قال : مالي بسلبه من حاجة يا بنة عبد المطلب .

خدايع نعيم للمشر كين : قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشددة ، لنظاهر عدوهم عليهم ، ولإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فرني بما شئت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة ، قد عرفتم ودي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم ، لا تقدر أن تحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا الحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدكم وأموالهم ونسأؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل يبلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنجزوه ، فقالوا له : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودي لكم وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه ، نصحاً لكم ، فاكتموا عني ، فقالوا : نفعل ، قال : تعملوا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القليلتين ، من قريش وغطفان رجلاً من أشرفهم فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بق منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصلي وعشيرتي ، وأحب الناس إلي ، ولا أراكم تهموني ، قالوا : صدقت ، وما أنت عندنا بمتهم ، قال فاكتموا عني ، قالوا : نفعل ، فأمرك ؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

ما أنزل الله بالمشر كين : فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورسول غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل ، في نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ، ونفرغ ما بيننا وبينه ، فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً ، فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً ، فإننا نخشى أن ضرستكم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم المرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا بني قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم

نعم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم الا أن يقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشعروا الى بلادهم : وغلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم ، فأرسلوا الى قريش وخطمان : إنا والله لا تقايل معكم عمداً حتى تطؤونا رهنا ، فأبوا عليهم وخذل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح في ليل شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تسكفاً قهورهم ، وتطرح أبنيتهم .

استخبار ما حل بالمشركين : قال : فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه اليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة ابن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتهم ؟ قال ، نعم . يا بن أخي ، قال : فسكيف كنتم تصنعون ؟ قال ، والله لقد كنا نجهد : قال : فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يا بن أخي ، والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحندي ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويأ من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع — يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة — أسأله الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة ؟ فقام رجل من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ، فلما لم يقدح أحد ، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني ، فقال . يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تحدث شيئاً حتى تأتينا ، قال : فذهبت فدخلت في القوم وريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء . فقام أبو سفيان ، فقال : يا معشر قريش : لينظر امرؤ من جلسائه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال فلان بن فلان .

أبو سفيان ينادي بالرحيل : ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فاني مرتحل ، ثم قام إلى جملة وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ، ثم شئت ، لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه ، فراجل .

قال ابن هشام : المراجل : ضرب من وثى اليمن ،

فلما رآني أدخلني إلى رجله ، وطرح على طرف المرط ، ثم ركع وسجد ، ولما لقيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطمان بما فعلت قريش ، فانشعروا راجعين إلى بلادهم .

الرجوع من الحندق : قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الحندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح .

غزوة بنى قريظة في سنة خمس

جبريل يأتي بحرب بنى قريظة : فلما كانت الظهر ، أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني الزهري ، معتجراً بعامة من إستبرق ، على بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، لا والله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة ، فإنني عامد إليهم فزول بهم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً ، فأذن في الناس ، من كان سامعاً مطيعاً ، فلا يصلين العصر إلا بنى قريظة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

على يبلخ الرسول ما سمعه من بنى قريظة : قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب برأيته إلى بنى قريظة ، وابتدروها الناس . فسار على بن أبي طالب ، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يا رسول الله ، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخاب ، قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لي أذى ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال : لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال : يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته ؟ قالوا يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً .

جبريل في صورة دحية الكلبي : ومرو رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بنى قريظة ، فقال : هل مر بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله ، قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي ، على بغلة بيضاء عليها رحالة ، عليها قطيفة ديباج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جبريل بعث إلى بنى قريظة يزول بهم حصونهم ، ويقذف الرعب في قلوبهم .

ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة : نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم ، فقال لها بشرأنا .

قال ابن هشام : بئر آنى .

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العصر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصلين أحد العصر إلا بنى قريظة ، فشغلهم ما لم يكن منه بد في حربهم ، وأبوا أن يصلوا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى تأتوا بنى قريظة . فصلوا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدثني بهذا الحديث أبي إسحاق بن يسار ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري .

الحصار : قال : وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب .

وقد كان حبي بن أخطب دخل مع بنى قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وخطفان ، وفاء لكعب ابن أسد بما كان عاهده عليه .

كعب بن أسد ينصح قومه : فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ماترون ، ولاني عارض عليكم خلال ثلاثاً نلخذوا أيها شئتم ، قالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدق فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل ، أنه الذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبائكم ونسائكم ، وقالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره ، قال : فإذا أبيتم على هذه ، فلهم فلنقتل أبناءنا ، ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا نفلاً ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نملك نملك ، ولم نترك وراءنا نسلنا نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمري لسجدن النساء والأبناء ، قالوا : نقتل هؤلاء المساكين أفاخير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم على هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، ولأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنونا فيها ، فأنزلوا علينا نصيب من محمد وأصحابه غرة ، قالوا : نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ ! قال : ما بات رجل منكم منذ ولده أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً .

قصة أبي لبابة : ثم لأنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعت إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر ، أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، لنستشيره في أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ، فرق لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة ! أترى أن نزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذبح . قال أبو لبابة : فوالله ما زلت قدمي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته ، وقال : لا أبرح مكان هذا حتى يتوب الله علي ما صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بني قريظة أبداً ، ولا أرى في بلد خفت الله ورسوله فيه أبداً .

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى في أبي لبابة ، فيما قال سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة : يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أمانتكم وأنتم تعلمون .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وكان قد استبطأه ، قال : أما لأنه لو جاءني لاستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ، فأنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط : أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر ، وهو في بيت أم سلمة . فقالت أم سلمة : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك . قالت : فقلت : مم تضحك يا رسول الله ؟ أضحكك الله سنك ؟ قال : تيب على أبي لبابة ، قالت : قلت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال : بلى ، إن شئت . قال : فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه ليطلقوه فقال : لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده ، فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال ، تأتبه امرأته في كل وقت صلاة ، فتحله للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجذع ، فيما حدثني بعض أهل العلم والآية التي نزلت في توبته قول الله عز وجل : . وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ، إن الله غفور رحيم ،

إسلام بعض بني هديل : قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بني هديل ، ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قصة عمرو بن سعدى : وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي ، فرجس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى - وكان عمرو قد أتى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرم في إقالة عثرات الكرام . ثم خلى سبيله . فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه ، وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة ، حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رمته ملقاة ، ولا يدرى أين ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة ، والله أعلم أى ذلك كان

تحكيم سعد في أمر بني قريظة : فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم مواليونا دون الخزرج ، وقد قعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول ، فوهبهم له ، فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذاك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم : يقال لها ربيعة ، في مسجده ، كانت تدأوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب ، فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار قد طنوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلاً جسيماً جميلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد أتى لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بني قريظة ، قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التي سمع منه . فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيديكم - فأما المهاجرون من قريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار ، وأما الانصار ، فيقولون : قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم ، وعلى من هاهنا ، في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإجلاله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبي الذراري والنساء .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فرق سبعة أرقعة .

قال ابن هشام : حدثني بعض من أثق به من أهل العلم : أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة : يا كتيبة الإيمان ، وتقدم هو والزبير بن العوام ، وقال : والله لأذوقن ماذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم ، فقالوا : يا محمد ، ننزل على حكم سعد بن معاذ .

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فلبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في دار الحارث ، امرأة من بني النجار ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق المدينة ، التي هي سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، يخرج بهم إليه أرسالا ، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ست مائة أو سبع مائة ، والمكثر لهم يقول : كانوا بين الثمان مائة والتسع مائة . وقد قالوا لكعب بن أسد ، وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفي كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعي لا ينزع ، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله للقتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأقبحي بن أخطب عدو الله ، وعليه حلة له ففاحية - قال ابن هشام : ففاحية : ضرب من الوشي - قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما والله ما كنت نفسي في عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يخذل ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها للناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه .

فقال جبل بن جوال الثعلبي :

لعدوك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها وقلقل ينبغي العز كل مقلقل

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ، قالت : والله إنها لعندي تحدث معي ، وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ، قالت : قلت لها : ويلك ، مالك ؟ قالت : أقتل ، قلت : ولم ؟ قالت : لحدت أحدثته : فأنطلق بها ، فضربت عنقه ، فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها ، طيب نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل . قال ابن هشام : وهي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد ، فقتلته .

قصة الزبير بن باطا : قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس ، كما ذكر لي ابن شهاب الزهري ، أتى الزبير بن باطا القرظي ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن وكان الزبير قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية ، ذكر لي بعض ولد الزبير أنه كان من عليه يوم بعث ، أخذه فجر ناصيته ، ثم خلى سبيله - فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ قال : وهل يحبل مثلي مثلك ، قال : لاني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي ، قال : إن الكريم يحزي الكريم ، ثم أتى ثابت بن قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إنه قد كانت للزبير علي منة ، وقد أحببت أن أجزيه بها ، فهب لي دمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لك ، فأناؤه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك ، فهو لك ، قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأقى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت

وأى يا رسول الله ، هب لى امرأته وولده ، قال : هم لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك ، فهم لك ، قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ماله ، قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك ، قال : أى ثابت ، ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية يترأى فيها عذارى الحى ، كعب بن أسد ؟ قال : قتل ، قال فما فعل سيد الحاضر والبادى حى بن أخطب ؟ قال : قتل ، قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فررنا ، عزال بن سموأل ؟ قال : قتل ، قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة ؟ قال : ذهبوا قتلوا . قال : فأنى أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقته بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فتلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة ، فقدمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « ألقى الأحبة » ، قال : يلقيهم والله فى نار جهنم خالداً مخلداً .

قال ابن هشام : قبله دلو ناضح . وقال زهير بن أبى سلمى فى « قبلة » :

وقابل يتغنى كلما قدرت على العراق يداه قائماً دفقاً

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام : وروى : وقابل يتلقى ، يعنى قابل الدلو يتناول

عطية القرظى ررفاعة بن سموأل : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنبت منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى شعبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظى ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من أنبت منهم ، وكنت غلاماً ، فوجدنى لم أنبت ، فخلوا أسبيلي قال : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صعصعة أخو بنى عدي بن النجار : أن سلمى بنت قيس ، أم المنذر ، أخت سليط بن أخت سليط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد صلت معه القبلتين ، وبايعته بيعة النساء - سألت رفاعه بن سموأل القرظى ، وكان رجلاً قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يا نبي الله ، بأبى أنت وأمى ، هب لى رفاعه ، فإنه سيصلى ويأكل لحم الجمل ، قال : فوهبه لها فاستحيته .

تقسيم الفى : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم فى ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفارس سهمان وللفارسه سهم ، وللراجل ، من ليس له فرس ، سهم . وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرساً ، وكان أول فى . وقعت فيه السهمان ، وأخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنة فى المغازى .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل بسبأيا من سبأيا بنى قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بهاخيلاً وسلاحاً .

إسلام ريحانة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نساءهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة ،

لأحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي فى ملكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ، فقالت يا رسول الله ، بل تركنى فى ملكك ، فهو أخفى على وعليك ، فتركها ، وقد كانت حين سبهاها قد تعصبت بالإسلام ، وأبت لإلاهودية ، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد فى نفسه لذلك من أمرها ، فبينما هو مع أصحابه ، إذ سمع وقع نعلين خلفه ، فقال : إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرنى بإسلام ريحانة ، فجاءه فقال يا رسول الله ، قد أسلمت ريحانة ، فسرره ذلك من أمرها .

ما نزل من القرآن فى الخندق وبنى قريظة : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى فى أمر الخندق ، وأمر بنى قريظة من القرآن ، القصة فى سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل النفاق : يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فارس فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيراً ، والجنود قريش وخطفان وبنو قريظة ، وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة ، يقول الله تعالى : إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا ، فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وخطفان ، يقول الله تبارك وتعالى : هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ، لقول معتب بن قشير إذ يقول ما قال : وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن يئو تناورة وما هى بعورة ، إن يريدون إلا فراراً ، لقول أوس بن قيطى ومن كان على رأيه من قومهم د ولودخل طيهم من أفطارها ، : أى المدينة .

قال ابن هشام : الإفطار : الجوانب ، وواحدها : قطر ، وهى الافتار ، وواحدها : قتر .
قال الفرزدق :

كم من غنى فتح الإله لهم به والخيل مقمية على الإفطار

ويروى : د على الافتار ، وهذا البيت فى قصيدة له .

د ثم سئلوا الفتنة : أى الرجوع إلى الشرك د لأنوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً ، ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار : وكان عهد الله مستولاً ، فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بنى سابة حين همتا بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً ، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : د قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل ، وإذ لا تتمعون إلا قليلاً د قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ، ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً د قد يعلم الله المعوقين منكم ، : أى أهل النفاق د والفاثلين لإخوانهم هم لإيتنا ، ولا يأتون البأس إلا قليلاً : أى إلا دفعاً وتعذيراً د أشعة عليكم ، : أى الضغن الذى فى أنفسهم د فإذا جاء الخوف رأيتم ينظرون إليك ، تدور أعينهم كالذى ينشئ عليه من الموت ، : أى اعظاماً له وفرقاً منه فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد ، : أى فى القول بما لا تحبون ، لأنهم لا يرجون آخرة ، ولا تجعلهم حسبة فهم يهابون الموت هبة من لا يرجو ما بعده .

قال ابن هشام : ساقوكم : بالنوا فيكم بالكلام ، فأحرقوكم وأذوكم . تقول العرب : خطيب سلاق ، وخطيب مسلق ومسلاق . قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :
فيهم المجد والساحة والنجد فإهم والخطاب السلاق
وهذا البيت في قصيدة له .

د يحسبون الأحزاب لم يذهبوا ، قريش وغطفان د وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : د لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، : أي لثلاثا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يحترهم به ، فقال : د ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ، : أي صبراً على البلاء وتسليماً للقضاء ، وتصديقاً للحق ، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : د من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، أي فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد .

قال ابن هشام : قضى نحبه : مات ، والنحب : النفس ، فيما أخبرني أبو عبيدة ، وجمعه : نحوب ، قال ذو الرمة :
عشية فر الحارثيون بعد ما قضى نحبه في متلقى الخيل هوبر

وهذا البيت في قصيدة له ، وهو بر : من بنى الحارث بن كعب ، أراد : يزيد بن هوبر ، والنحب : النذر ، قال جرير بن الخطمي :

بطخفة جالدا الملوك وخيلنا عشية بسطام جرير على نحب

يقول : على نذر كانت نذرت أن تقتله فقتلته ، وهذا البيت في قصيدة له ، وبسطام : بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني ، وهو ابن ذى الجدين : حدثني أبو عبيدة : أنه كان فارس ربيعة بن نزار ، وطخفة : موضع بطريق البصرة ، والنحب : الخطار ، وهو : الرهان . قال الفرزدق :

وإذا نحبك كلب على الناس أيتنا على النحب أعطى للجزيل وأفضل

والنحب : البكاء ، ومنه قولهم ينتحب ، والنحب : الحاجة والهمة ، تقول : مالى عندهم نحب ، قال مالك بن نويرة اليربوعي :

ومالى نحب عندهم غير أننى تلبست ما تبغى من الشدن الشجر

وقال نهار بن توسعة ، أحد بني تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

قال ابن هشام : هؤلاء موالى بني حنيفة :

ونجى يوسف الثقة في ركض دراك بعد ما وقع اللواء

ولو أدركته لقضين نجياً به ولكل خطأ وقاء

والنهب : السير الخفيف المر .

قال ابن إسحاق : د ومنهم من ينتظر ، : أى ما وعد به من نصره ، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه ، يقول الله تعالى : د وما بدلوا تبديلاً ، : أى ما شكوا وما ترددوا في دينهم ، وما استبدلوا به غيره ، د ليجزى الله الصادقين بصدقاتهم ، ويعذب المنافقين إن شاء ، أو يتوب عليهم ، إن الله كان غفوراً رحيماً ورد الله الذين كفروا بغيظهم ، : أى قريشاً وخطفان د لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً د وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ، : أى بنى قريظة د من صياصيصهم ، ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها

قال ابن هشام : قال سحيم عبد بنى الحسحاس ، وبنو الحسحاس من بنى أسد بن خزيمه :

وأصبحت الثيران صرعى وأصبحت نساء تميم يبتدرن الصياصيا

وهذا البيت فى قصيدة له ، والصياصى أيضاً : القرون ، قال النابغة الجعدي :

وسادة رهطى حتى بقيت فرداً كصيصة الاعضب

يقول . أصاب الموت سادة رهطى ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال أبو دواد الإيادى :

فدعنا سحيم الصياصى بأيدى من نضح من السكحيل وقار

وهذا البيت فى قصيدة له ، والصياصى أيضاً : الشوك الذى للنساجين ، فيما أخبرنى أبو عبيدة ، وأنشدنى

لدريد بن الصمة الجشمى ، جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن :

نظرت إليه والراح تنوشه كوقع الصياصى فى النسيج الممدد

وهذا البيت فى قصيدة له ، والصياصى أيضاً : التى تكون فى أرجل الديكة ناتئة كأنها القرون الصغار ،

والصياصى : الأصول ، أخبرنى أبو عبيدة أن العرب تقول : جذ الله صيصيته : أى أصله .

قال ابن إسحاق : د وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريفاً تقتلون وتأسرون فريفاً ، : أى قتل الرجال ، وسبي

الذرارى والنساء ، د وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها ، : يعنى خير د وكان الله على كل

شئ قديراً .

إكرام سعد فى موته : قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه ، فمات

منه شهيداً .

قال ابن إسحاق . حدثنى معاذ بن رفاعه الزرقى ، قال : حدثنى من شئت من رجال قومي : أن جبريل عليه

السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعامة من إستبرق ، فقال :

يا محمد ، من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء ، واهتز له العرش ؟ قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم

سريعاً يجر ثوبه إلى سعد ، فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشة قافلة من مكة ،

ومعها أسيد بن حضير ، فلقيه موت امرأه له ، فحزن عليها بعض الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبابخي ،

أتحزن على امرأة وقد أصبت بآبن عمك ، وقد اهتز له العرش !

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى ، قال : كان سعد رجلاً بادناً ، فلما حمله الناس

وجدوا له خفة : فقال رجال من المنافقين : والله إن كان لبادناً ، وما حملنا من جنازة أخف منه ، فباغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن له حملة غيركم ، والذي نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثني معاذ بن رفاعه ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجوح ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبّح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، مم سبّحت ؟ قال : لقد تضايقت على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرجه الله عنه .

قال ابن هشام : وبجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن للقبر لضمّة لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن معاذ .

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

وقالت أم سعد ، حين احتمل نعشه وهى تبكيه - قال ابن هشام - وهى كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد ابن ثعلبة بن عبد بن الأبحر ، وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج :

ويل أم سعد سعداً صرامة وحداً
وسودداً ومجدداً وفارساً معدداً
سد به مسداً يقده هاماً قدداً

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نائحة تكذب ، إلا نائحة سعد بن معاذ .

الشهداء يوم الخندق : قال ابن إسحاق : ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلى ستة نفر .

من بنى عبد الأشهل : سعد بن معاذ . وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل ، ثلاثة نفر .

ومن بنى جشم بن الخزرج ، ثم من بنى سلمة : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غنمة ، رجلان .

ومن بنى النجار ، ثم من بنى ديثار : كعب بن زيد ، أصابه سهم غرب ، فقتله .

قال ابن هشام : سهم غرب وسهم غرب ، بإضافة وغير إضافة ، وهو الذى لا يعرف من أين جاء ولا من رمى به .

قتل المشركين : وقتل من المشركين ثلاثة نفر .

من بنى عبد الدار بن قصي : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار ، أصابه سهم ، فمات منه بمكة .

قال ابن هشام : هو عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق .

قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن يقظة : نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيهم جسده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورط فيه ، فقتل ، فقلب المسلمون على جسده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لنا فى جسده ولا بشمته ، فخلى بينهم وبينه .

قال ابن هشام : أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسدة عشرة آلاف درهم، فيما بلغني عن الزهري .

قال ابن إسحاق : ومن بني عامر بن لؤي ، ثم من بني مالك بن حسل : عمرو بن عبد ود ، قتله علي بن أبي طالب رضوان الله عليه .

قال ابن هشام : وحدثني النقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال : قتل علي بن أبي طالب يومئذ عمرو ابن عبد ود وابنه حسل بن عمرو .

قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد ود ، ويقال : عمرو بن عبد .

الشهداء يوم بني قريظة : قال ابن إسحاق : واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين ، ثم من بني الحارث بن الخزرج : خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو ، طرح عليه رحي ، فشدخته شدخاً شديداً ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن له لأجر شهيدين .

ومات أبو سنان بن عصف بن حوثان ، أخو بني اسد بن خزيمه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بني قريظة ، فدفن في مقبرة بني قريظة التي يدفنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام ولما انصرف أهل الخندق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم . فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان هو الذي يغزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

غزوة دومة الجندل

قال أبو عبيد البكري : سميت دومة الجندل بدومي بن إسماعيل ، كان نزلها .

غزوة الخندق

وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب ، ولكنه من مكاييد الفرس وحروبها ، ولذلك أشار به سلمان الفارسي ، وأول من خندق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبري منوشهر بن أبيرج بن أفريدون وقد قيل في أفريدون : إنه ابن إسحاق عليه السلام ، وأكثرم يقول فيه : هو ابن ألقيان ، وهو أول من اتخذ آلة الرمي ، وإلى رأس ستين من ملسكة بعث موسى عليه السلام ، وقد تقدم ذكر الكمائن في الحروب ، وأن أول من فعلها يختصر في قول الطبري .

وذكر تحزيب بني قريظة الأحزاب ، ونسب طائفة من بني النضير فقال فيهم النضري ، وهكذا تقييد في النسخة العتيقة ، وقياسه : النضيري إلا أن يكون من باب قولهم ثقيني وقرشي ، وهو خارج عن القياس ، وإنما يقال : فعل في النسب إلى قبيلة .

عيننة بن حصن : وذكر قائد عطفان يوم الأحزاب ، وهو عيننة بن حصن ، واسمه حذيفة ، وسمى : عيننة لشتر كان بعينه ، وهو الذي قال فيه عليه السلام لاحق المطاع ، لأنه كان من الجرارين أتبعه عشرة آلاف قناة ، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره ، وفي رواية أخرى : أنه قال : إني أداريه ، لأنني أخشى أن يفسد على خلقاً كثيراً ، وفي هذا بيان معنى الشر الذي اتقى منه ، وكان دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذن ، فلما قال له : أين الإذن ؟ قال : ما استأذنت على مضري قبلك ، وقال : ما هذه

الجمراء معك يا محمد؟ فقال : هي عائشة بنت أبي بكر ، فقال طلقها ، وأنزل لك عن أم البنين ، في أمور كثيرة تذكر من جفائه ، أسلم ، ثم ارتد ، وآمن بطليحة حين تنبأ وأخذ أسيراً ، فأقى به أبو بكر رضى الله عنه أسيراً ، فمن عليه ، ولم يزل مظهراً للإسلام على جفوته وعنجبيته ولوثة أعرابيته حتى مات . قال الشاعر :

ولانى على ما كان من عنجبيتى ولوثة أعرابيتى لأدب

وذكر حفره الخندق ، وأنه عرضت له صخرة ، ووقع في غير السيرة عبلة وهي الصخرة الصماء ، وجمعها عبلات ويقال لها العبلاء والأعبلى أيضاً ، وهي صخرة بيضاء .

البرقات التي طلعت من الصخرة : وذكر أنه لمحت له من تلك الصخرة برقة بعد برقة ، وخرجه النسوى من طريق البراء بن عازب بأنهم لما وقع في السيرة ، قال : لما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن نحفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذ فيه المعول ، فأخذ المعول وقال : بسم الله ، فضرب ضربة فكسر تلك الصخرة ، وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا ، قال : ثم ضرب أخرى ، وقال : بسم الله ، وكسر ثلثاً آخر ، قال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن ، ثم ضرب ثالثة وقال : بسم الله ، فقطع الحجر ، وقال : الله أكبر . أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر باب صنعاء من مكاني هذا الساعة . وقوله : فأساً ولا مسحاة : مفعله من مسحوت الطين ، إذا قشرته ، ويقال لحد الفاس والمسحاة : الغراب ، ولنصليها : الفعال بكسر الفاء . قاله أبو عبيد في حديث سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي أنه عليه السلام حين ضرب في الخندق قال :

بسم الله وبه بدينا * ولو عبدنا غيره شقينا * حذارياً وحيداً ديناً

زغابة : وقوله : حتى نزلوا بين الجرف وزغابة . زغابة اسم موضع بالغين المنقوطة والزاي المفتوحة ، وذكره البكري بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زغابة بضم الزاي والهاء المهملة ، وحكى عن الطبري أنه قال في هذا الحديث بين الجرف والغابة ، واختار هذه الرواية وقال : لأن زغابة لا تعرف قال المؤلف : والأعرف عندي في هذه الرواية رواية من قال : زغابة بالغين المنقوطة ، لأن في الحديث المسند أنه عليه السلام ، قال في ناقة أهداها إليه أعرابي ، فكافأه بست بكرات ، فلم يرض ، فقال عليه السلام : ألا تعجبون لهذا الأعرابي ! أهدى إلى ناقة أعرفها بعينها ، كما أعرف بعض أهلي ذهبت مني يوم زغابة ، وقد كافأته بست فسخط . الحديث ، وقال : ذنب نغم ونغمى معا .

معنى يقتل في الذروة والغارب : وذكر حبي بن أخطب ، وما قال لكعب ، وأنه لم يزل يقتل في الذروة والغارب . هذا مثل ، وأصله في البعير ، يستصعب عليك فتأخذ القراد من ذروته وغارب مناه ، وتقتل هناك ، فيجد البعير لذة فيأنس عند ذلك ، فضرب هذا الكلام مثلاً في المرافضة والمخائلة ، وكذلك جاء في حديث ابن الزبير حين أراد عائشة على الخروج إلى البصرة ، فأبت عليه ، فجعل يقتل في الذروة والغارب حتى أجابته . وقال الخطيب :

لعمرك ما فراد بنى بغيض اذا نزع القراد بمسطاع

يريد : أنهم لا يخذعون ولا يستذلون .

الحنوا لي حفا : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - الحنوا لي حفاً أعرفه ، ولا تفتروا في أعضاء الناس .

اللحن : العدول بالكلام على الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه ، كما أن اللحن الذي هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف .

قال السيرافي : ما عرفت حقيقة معنى النحو إلا من معنى اللحن الذي هو ضده ، فإن اللحن عدول عن طريق الصواب ، والنحو قصد إلى الصواب ، وأما اللحن بفتح الحاء ، فأصله من هذا إلا أنه إذا لحن لك لتفهم عبه ، ففهمت سمي ذلك الفهم لحناً ، ثم قيل لكل من فهم قد لحن بكسر الحاء ، وأصله ما ذكرناه من الفهم عن اللاحن قال الجاحظ في قول مالك بن أسماء :

منطق ضائب وتلحن أحيا نأ وخير الحديث ما كان لحناً

أراد أن اللحن الذي هو الخطأ قد يستباح ، ويستطاب من الجارية الحديثة السن ، وخطيء الجاحظ في هذا التأويل ، وأخبر بما قاله الحجاج بن يوسف لامرأته : هند بنت أسماء بن خارجة ، حين لحت ، فأنكر عليها اللحن فاحتجت بقول أخيها مالك بن أسماء :

وخير الحديث ما كان لحناً

فقال لها الحجاج : لم يرد أخوك هذا ، إنما أراد اللحن الذي هو التورية والالغاز ، فسكتت ، فلما حدثت الجاحظ بهذا الحديث ، قال : لو كان بلغني هذا قبل أن أولف كتاب البيان ما قلت ، فقيل له : أفلا تغيره ؟ فقال :

كيف وقد سارت به البغال الشهب وأنجد في البلاد وغار .

وكما قال الجاحظ في معنى تلحن أحياناً قال ابن قتيبة مثلاً أو قريباً منه .

وقوله : يفت في أعضاد الناس ، أى يكسر من قوتهم ويوهنهم ، وضرب العضد مثلاً ، والفت : الكسر ، وقال : في أعضادهم ولم يقل : يفت أعضادهم ، لأنه كناية عن الرعب الداخل في القلب ، ولم يرد كسر أحقيقاً ، ولا العضد الذي هو العضو ، وإنما هو عبارة عما يدخل في القلب من الوهن ، وهو من أفصح الكلام .

وذكر أوس بن قيطي ، وهو القائل : دإن يبيتنا عورة ، وابنه عرابية بن أوس كان سيداً ، ولا صحبة له ، وقد قيل له صحبة ، وقد ذكرناه فيمن استصغر يوم أحد ، وهو الذي يقول فيه للشياخ :

إذا ماراية رفعت لمجد تلقاها عرابية باليمن

ولعرابية أخ اسمه : كبائة مذكور في الصحابة أيضاً .

الهم بمصاحبة الأحزاب وما فيها من الفقه : فصل : وذكرناهم به النبي صلى الله عليه وسلم من مصاحبة الأحزاب على ثلاث تمر المدينة ، وفيه من الفقه جواز إعطاء المال للعدو ، إذا كان فيه نظر للمسلمين وحياطة لهم ، وقد ذكر أبو عبيد هذا الخبر ، وأنه أمر معمول به وذكر أن معاوية صالح ملك الروم على السكف عن ثغور الشام بمال دفعه إليه ، قيل : كان مائة ألف دينار ، وأخذ من الروم رهناً فغدرت الروم ، ونقضت الصلح ، فلم ير معاوية قتل الرهائن ، وأطلقهم ، وقال : وقاء بغدر خير من غدر بغدر ، قال : وهو مذهب الاوزاعي وأهل الشام ألا تقتل الرهائن ، وإن غدر العدو .

سلمان منا أهل البيت : وذكر قوله عليه السلام : سلمان منا أهل البيت بالنصب على الاختصاص ، أو على إضمار

أعنى ، وأما الخفض على البدل ، فلم يره سيبويه جائزاً من ضمير المتكلم ، ولا من ضمير المخاطب ، لانه في غاية البيان ، وأجازه الاخفش

مبارزة عمرو بن أد لهي : فصل : وذكر خبر عمرو بن أد العامري ، ومبارزته لابي إلى آخر القصة ، ووقع في مغازي ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام عن البكائي فيها زيادة حسنة ، رأيت أن أوردتها هنا تقيماً للخبر . قال ابن إسحاق : إن عمرو بن أد خرج فنأدى : هل من مبارز ؟ فقام على - رضى الله عنه - وهو مقنع بالحديد ، فقال : أنا له يا نبي الله ، فقال : إنه عمرو اجلس ، ونأدى عمرو الأراجل يؤنبهم ، ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ، أفلا تبرزون لي رجلاً ، فقال : أنا يا رسول الله ، فقال : اجلس له عمرو ، ثم نادى الثالثة وقال :

ولقد بجمحت من النداء . نجمع معكم هل من مبارز ؟
ووقفت إذ جبن المشجع موقف القرن المناجر
وكذاك إني لم أزل متسرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفقى والجود من خير الغرائز

فقام على ، فقال يا رسول الله ، أنا له فقال : إنه عمرو ، فقال : وإن كان عمراً : فأذن له النبي - صلى الله عليه وسلم - فشى إليه على ، حتى أتاه وهو يقول :

لا تمجلن فقد أنا كحبيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجى كل فائر
إني لأرجو أن أفيم عليك نائحة الجنائر
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا على ، قال : ابن عبد مناف ؟ فقال : أنا ابن أبي طالب ، فقال : غيرك يا بن أخي من أعمالك من هو أسن منك ، فإني أكره أن أهرق دمك فقال له على رضى الله عنه : ولكنني والله لا أكره أن أهرق دمك ، فغضب ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو على مغضباً ، وذكر أنه كان على فرسه ، فقال له على : كيف أفانلك ، وأنت على فرسك ، ولكن انزل معي ، فنزل عن فرسه ، ثم أقبل نحو على ، واستقبله على - رضى الله عنه - بدرقته ، فضربه عمرو فيها ففقدها وأثبت فيها السيف ، وأصاب رأسه فشججه ، وضربه على جبل العاتق ، فسقط ، ونار العجاج ، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم التكبير ، فعرف أن علياً - رضى الله عنه - قد قتله ، فثم يقول على رضى الله عنه :

أعلى تقنحم الفوارس هكذا عنى وعنه أخروا أصحابي
فاليوم تمنعني الفرار حفيظتى وهصم في الرأس ليس بناني
أدى صمير حين أخلص صقله صافي الحديد يستفيض ثوابي
فغدوت ألتس القراع بمرهف غضب مع البثرأ في أقراب
قال ابن عبد حين شد ألية وحلفت فاستمعوا من الكذاب
ألا يفر ولا يهلا فالتقى رجلان يلتقيان كل ضراب

وبعده : نصر الحجارة إلى آخر الآيات ، إلا أنه روى : عبد الحجارة ، وعبدت رب محمد ، وروى في موضع ولقد بحمد : ولقد عجب ، ويروى فالتقى أسدان يضطربان كل ضراب ، وفيه إلتصاف من على - رضى الله عنه - لقوله : أسدان ، ونسبه إلى الشجاعة والنجدة وقوله : أدى عمير إلى قوله ثوابي ، أى أدى إلى ثوابي ، وأحسن جزائي حين أخاص صفته ، ثم أقبل نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو متهلل ، فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه : هلا سلبته درعه ، فإنه ليس في العرب درع خير منها ، فقال : إني حين ضربته استقبلني بسوائته ، فاستحييت ابن عمي أن أستلبه ، وخرجت خيلهم منزومة حتى اقتحمت الخندق هاربة ، فمن هنا لم يأخذ على سلبه ، وقيل تنزه عن أخذها ، وقيل : لأنهم كانوا في الجاهلية إذا قتلوا القاتل لا يسلبونه ثيابه .

وقول عمرو لعل : والله ما أحب أن أقتلك زاد فيه غيره : فإنه أباك لى صديقاً ، قال الزبير : كان أبو طالب ينادم مسافر بن أبي عمرو ، فلما هلك اتخذ عمرو بن ود نديماً ، فلذلك قال لعل حين بارزه ما قال .

الفرعل : وقول حسان في عكرمة : كأن قفاك قفا فرعل الفرعل : ولد الضبيع وذكر قول سعد :

ليث قليلا يلحق الهجبا حمل

هو بيت تمثله ، عني به حمل بن سعدانة بن حارثة بن معقل بن كعب بن جناب السكبي . وقوله يرقد بالحربة أى يسرع بها ، يقال : ارقد وارمد بمعنى واحد . قال ذو الرمة :

يرقد في أثر عراض وتبعه صهباء شامية عشونها حسب

يعنى الريح .

ابن العرقة وأم سعد : وابن العرقة الذي رمى سعداً هو حبان بن قيس بن العرقة ، والعرقة هى قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم تكنى أم فاطمة ، سميت العرقة لطيب ريحها ، وهى جدة خديجة أم أمها هالة ، وحبان هو ابن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى .

وأم سعد اسمها : كبشة بنت رافع .

حديث اهتزاز العرش : وحديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه وفى بعض ألفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد معتجراً بهامة من إستبرق ، فقال يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء ، واهتز له العرش ؟ وفى حديث آخر قال عليه السلام : لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ماوطوا الأرض قبلها ، ويذكر أن قبره وجد منه رائحة المسلك ، وقال عليه السلام : لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد وفى كتاب الدلائل أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس على قبر سعد حين وضع فيه ، فقال ، سبحان الله لهذا العبد الصالح ضم في قبره ضمة ، ثم فرج عنه ، وأما ضغطة القبر التى ذكر فى الحديث . فقد روى عن عائشة - رضى الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ، ما انتفعت بشيء منذ سمعتك تذكر ضغطة القبر ، وضغطة فقال : يا عائشة ، إن ضغطة القبر على المؤمن أو قال ضمة القبر على المؤمن كضممة الهمزة الشفقة يديها على رأس ابنها ، يشكو إليها الصداح ، وصوت منكر ونكير كالسكر في العين ، وليكن يا عائشة ويل للشاكرين أولئك الذين يضغطون في قبورهم ضغط البيض على الصخر : ذكره أبو سعيد ابن الأعرابي فى كتاب المعجم .

وذكر ابن إسحاق فى رواية الشيباني عنه ، قال : حدثنى أمية بن عبد الله ، قال : قلت لبعض أهل سعد بن معاذ :

ما بلغكم في هذا ، يعنى الضمة التى انضمها القبر عليه ؟ قال : كان يقصر في بعض الطهور من البول بعض التقصير .
لم يكن حسان جبناً : فصل : وذكر حديث حسان حين جعل في الآطام مع النساء والصبيان ، وما قالت له
صفية في أمر اليهودى حين قتلته ، وما قال لها ، ومحمل هذا الحديث عند الناس على أن حساناً كان جبناً
شديد الجبن ، وقد دفع هذا بعض العلماء ، وأنكره ، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ، وقال : لو صح هذا
لمجى به حسان ، فإنه كان يهاجى الشعراء كضرار وابن الزبيرى ، وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ،
فما غيره أحد منهم بجهن ، ولا وسمه به ، فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فعل حسان أن يكون
معتلاً في ذلك اليوم بعلة منعه من شهود القتال ، وهذا أولى ما تأول ومنه أنكر أن يكون هذا صحيحاً أبو عمر
رحمه الله في كتاب الدرر له

حديث الصورين ودحية : فصل : وذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة حين مر بالصورين
والصور للقطعة من النخل فسألهم ، فقالوا مر بنا دحية بن خليفة الكلبي . هو : دحية بفتح الدال ، ويقال :
دحية بكسر الدال أيضاً ، ودحية بلسان اليمن الرئيس ، وجمعه دحاه ، وفي مقطوع الأحاديث أن النبى - صلى الله
عليه وسلم - رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دحية ، تحت يد كل دحية سبعون ألف ملك ، ذكره
القتبي ، ورواه ابن سنجر في تفسيره مسنداً إلى عبد الله بن الهذيل ، رواه عنه أبو التياح ، وذكر أن حماد بن
سليمة قال لأبي التياح حين حدثه بهذا الحديث ما الدحية ؟ قال : الرئيس ، وأما نسب دحية فهو ابن خليفه
ابن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج ، والخزرج العظيم البطن ابن زيد مائة ابن عامر بن بكر
ابن عامر الأكبر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب يذكر من حماله أنه كان إذا قدم
المدينة لم يبق معصر ، وهى المرافقة للحيض إلا خرجت تنظر إليه .

لا يصلين أحدكم العصر إلا في بنى قريظة : وذكر قوله عليه السلام : لا يصلين أحدكم العصر إلا في بنى قريظة ،
فغرب عليهم الشمس قبلها ، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عظمهم به رسوله
صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية ، فقد صلت منهم طائفة قبل
أن تغرب الشمس ، وقالوا : لم يرد النبى - صلى الله عليه وسلم - إخراج الصلاة عن وقتها ، وإنما أراد الحث والإعجال
فما عنف أحد من الفريقين ، وفي هذا دليل على أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب ، وفي حكم داود
وسليمان في الحرث أصل لهذا الأصل أيضاً ، فإنه قال سبحانه : وفهمناها ، سليمان ، وكلا آتينا حكماً وعلماً ،
ولا يستحيل أن يكون الشيء صواباً في حق إنسان وخطأ في حق غيره ، فيكون من اجتهد في مسألة فأداه اجتهداه
إلا التحليل مصيباً في استحلالة ، وآخر اجتهد فأداه ، اجتهداه ونظره إلى تحريمها ، مصيباً في تحريمها وإنما المحال أن
يحكم في النازلة بحكمين متضادين في حق شخص واحد ، وإنما عسرفهم هذا الأصل على طائفتين : الظاهرية والمعتزلة
أما الظاهرية فإنهم علّقوا الأحكام بالنصوص ، فاستحال عندهم أن يكون للنص يأتى بخطر ، وإباحة معاً إلا على
وجه النسخ ، وأما المعتزلة ، فإنهم علّقوا الأحكام بتقبيح العقل وتحسينه ، فصار حسن الفعل عندهم أو قبحه صفة
عين ، فاستحال عندهم أن يتصف فعل بالحسن في حق زيد والقبح في حق عمرو ، كما يستحيل ذلك في الألوان ،
والأكوان وغيرهما من الصفات القائمة بالدوات ، وأما ما عدا هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق ، فليس الحظر
والإباحة عندهم بصفات أعيان ، وإنما هى صفات أحكام ، والحكم من الله تعالى يحكم بالخطر في النازلة على من

من أدائه نظره واجتهاده إلى الحظر ، وكذلك الإباحة والندب والإيجاب والكراهة ، كلها صفات أحكام . فكل مجتهد وافق اجتهاده وجهاً من التأويل ، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفع به عن حضيض التقايد إلى هضبة النظر ، فهو مصيب في اجتهاده مصيب للحكم الذي تعبد به ، وإن تعبد غيره في تلك النازلة بعينها بخلاف ما تبعد هو به ، فلا يعد في ذلك إلا على من يعرف الحقائق أو عدل به الهوى عن أوضح الطرائق .

قصة أبي لبابة . فصل : وذكر أبا لبابة واسمه رفاعه بن عبد المنذر بن زبير وقيل : اسمه مبشر وتوبته وربطه نسه حتى تاب الله عليه ، وذكر فيه أنه أقسم ألا يحله إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن علي بن الحسين أن فاطمة أرادت حله حين نزلت توبته ، فقال : قد أقسمت ألا يحلني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فاطمة مضغة مني ، فصلى الله عليه ، وعلى فاطمة ، فهذا حديث يدل على أن من سبها فقد كفر ، وأن من صلى عليها ، فقد صلى على أبيها - صلى الله عليه وسلم - فيه : أنزل الله تعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً ، غير أن المفسرين اختلفوا في ذنبه ما كان ، فقال ابن إسحاق ما ذكره في السيرة من إشارته على بني قريظة ، وقال آخرون : كان من الخلفين : الذين تخافوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فنزلت توبة الله عليه في هذه الآية .

الفرق بين لعل وعسى وثبت : فإن قيل : ليس في الآية نص على توبته وتوبة الله عليه أكثر من قوله تعالى : « عسى الله أن يتوب عليهم » .

فالجواب : أن عسى من الله واجبة وخبر صدق . فإن قيل : وهو سؤال يجب الاعتناء به : إن القرآن نزل بلسان العرب ، وليست عسى في كلام العرب بخبر ، ولا تقتضى وجوباً ، فكيف تكون عسى واجبة في القرآن ، وليس بخارج عن كلام العرب ؟ .

وأيضاً : فإن لعل تعطى معنى الترجى ، وليست من الله واجبة ، فقد قال : « لعلمهم يشكرون ، فلم يشكروا » ، وقال : « لعله يتذكر أو يخشى ، فلم يتذكر ولم يخش » ، فما الفرق بين لعل وعسى حتى صارت عسى واجبة ؟ .

قلنا : لعل تعطى الترجى ، وذلك الترجى مصروف إلى الخلق ، وعسى مثلها في الترجى ، وتزيد عليها بالمقاربة ، ولذلك قال : « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » ، ومعناه الترجى مع الخبر بالقرب ، كأنه قال قرب أن يبعثك ، فالترجى مصروف إلى العبد ، كما في لعل ، والخبر عن القرب والمقاربة مصروف إلى الله تعالى ، وخبره حق ووعد حتم ، فما تضمنه من الخبر فهو الواجب دون الترجى الذي هو محال على الله تعالى ، ومصروف إلى العبد وليس في لعل من تضمن الخبر مثل ما في عسى ، فمن ثم كانت عسى واجبة إذا تكلم الله بها ، ولم تكن كذلك لعل .

فإن قيل : فهل يجوز في لعل ما كان في لعل من ورودها في كلام البارئ سبحانه ، على أن يكون التثني مصروفاً إلى العبد ، كما كان الترجى في لعل كذلك ؟

قلنا : هذا غير جائز ، وإنما جار ذلك في لعل على شرط وصورة ، نحو أن يكون قبلها فعل ، وبعدها فعل ، الأول سبب للثاني نحوه قوله : « يعظكم لعلكم تذكرون » ، فقال بعض الناس : لعل هاهنا بمعنى كي ، أي كي تذكره وأنا أقول : لم يذوب منها معنى الترجى ، لأن الموعظة ، مما يرجى أن تكون سداً للتذكر ، فعلى هذه الصورة وردت في القرآن ، ونحو قوله أيضاً : « فلعلك تأوكل بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك » ، هي هاهنا توقع وتخوف ، أي : ما أصابك من التكذيب مما يتخوف ويتوقع منه ضيق الصدر ، فهذا هو الجائز لعل ، وأما أن

ترد في القرآن داخلة على الابتداء والخبر مثل أن تقول مبتدئاً : لعل زيدا يؤمن ؛ فهذا غير جائز ، لأن الرب سبحانه لا يترجى ، وإن صرف الترجى إلى حق المخلوق ، وموضوعها في كلام العرب أن يكون المتكلم بها لا يستقيم أيضاً إلا على الصورة التي قدمنا من كونها بمعنى : كي ، ووقوعها بين السبب والمسبب ، وإذا ثبت هذا فلا إشكال في لبت أنها لا تكون في كلام الباري سبحانه ، لأن التقي محال عليه والترجى والتوقع والتخوف كذلك ، حتى تزيلها عن الموضوع الذي يكون معناها فيه للمتكلم بها .

أسماء السماء : فصل وذكر حكم سعد في بني فريظة ، وقول النبي عليه السلام له : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرفعة ، هكذا في السيرة : أرفعة ، وفي الصحيح : من فوق سبع سماوات ، والمعنى واحد ، لأن الرقيع من أسماء السماء ، لأنها رفعت بالنجوم ، ومن أسمائها : الجرباء وبرقع ، وفي غير رواية البكاء أنه عليه السلام قال في حكم سعد : بذلك : طرفي الملك سحرأ .

وفيه من الفقه تعليم حسن اللفظ إذا تكلمت بالفوق مخبراً عن الله سبحانه ألا تراه كيف قال : بحكم الله من فوق سبع سماوات ، ولم يقل فوق على الظرف ، فدل على أن الحكم نازل من فوق ، وهو حكم الله تعالى ، وهذا نحو من قوله تعالى : يخافون ربهم من فوقهم ، أي يخافون عقاباً ينزل من فوقهم ، وهو عقاب ربهم .

فإن قيل : أو ليس بجائز أن يخبر عنه سبحانه أنه فوق سبع سماوات ؟ قلنا : ليس في هذه الآية ، ولا في هذا الحديث دليل على إطلاق ذلك ، فإن جاز فبدليل آخر ، وكذلك قول زينب : زوجني الله من نبيه من فوق سبع سماوات ، وإنما معناه ، أن تزويجه إياها نزل من فوق سبع سماوات ولا يبعد في الشرع وصفه سبحانه بالفوق على المعنى الذي يليق بجلاله ، لا على المعنى الذي يسبق للوهم من التحديد ، ولكن لا يتلقى إطلاق ذلك الوصف مما تقدم من الآية والحديثين لارتباط حرف الجر بالفعل ، حتى صار وصفاً له لا وصفاً للباري سبحانه ، وقد أملينا في حديث الأمة التي قال لها : أين الله ؟ قالت : في السماء مسألة بديعة نافعة شافية رافعة لكل لبس ، والحمد لله .

كيسة بنت الحارث : فصل : وذكر حبس بني فريظة في دار بنت الحدث ، كذا وقع في هذا الكتاب ، والصحيح عندهم بنت الحارث ، واسمها : كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز ، وكيسة أخرى مذكورة في النساء ، وهي بنت عبد الحميد بن عامر بن كريز ، وكيسة بنت أبي بكر روث عن أبيها عن النبي - صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهي عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهي ، ويقول : فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم ؛ وأما كيسة بسكون الياء ، فهي بنت أبي كثير تروى عن أمها عن عائشة في الخبر : لا طيب الله من تطيب بها ، ولا شئ من استشفى بها ، ذكره البخاري في الأشربة في بعض روايات الكتاب ، ووقع اسمها في السيرة من غير رواية ابن هشام : زينب بنت الحارث النجارية ، قاله أعلم . وأما كيسة بنت الحارث ، فهي التي أنزل في دارها وفد بني حنيفة ، وسيأتي ذكرها .

رفيدة : وذكر رفيدة ، وهي امرأة من أسلم الذي كان سعد يمرض في خيمتها لم يذكرها أبو عمر ، وزادها أبو علي الغساني في كتاب أبي عمر ، حدثني بذلك الزوائد أبو بكر بن طاهر عنه ، وحدثني عنه أيضاً عن أبي عمر أنه قال لأبي علي : أمانة الله في عنقك ، متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة ، لم يذكره إلا ألحقته في كتابي الذي في الصحابة .

أسماء ذكرت في غزوة الخندق : فصل : وذكر في غزوة الخندق ثعابة بن سعية ، وأسد بن سعية وأسيده بن سعية وهم من بني هذيل ، وقد تكلمنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب على سعية وسعنة بالنون ، وذكرنا الاختلاف

في أسيد وأسيد ، وذكرنا خبراً عجيباً لزيد بن سعية بالياء ، ومن قال من النساء هذل بسكون الدال في بني هذل ، فأغنى ذلك عن إعادته

المرتدة المقتولة : وأما حديث المرأة المقتولة من بني قريظة ، ففيها دليل لمن قال بقتل المرتدة من النساء ، أخذاً بعموم قوله عليه السلام : من بدل دينه ، فاضربوا عنقه ، وفي هذا الحديث مع العموم قوة أخرى ، وهو تعليق الحكم بالدلة ، وهو التبديل والردة ، ولا حجة مع هذا لمن زعم من أهل العراق بأن لا تقتل المرأة لنيهه عليه السلام عن قتل النساء والولدان ، وللاحتجاج للفريقين ، وما نزل به كل واحد منهم موطن غير هذا .

الزبير بن باطا : فصل : وذكر حديث ثابت بن قيس مع الزبير بن باطا ، وهو الزبير بفتح الزاي وكسر الباء جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطأ في كتاب النكاح ، واختلف في الزبير بن عبد الرحمن ، فقيل : الزبير بفتح الزاي وكسر الباء كاسم جده وقيل الزبير ، وهو قول البخاري في التاريخ . وذكر فيه قول الزبير :

فا أنا بصابر لله فتلة دلو ناضح

وقال ابن هشام : إنما هو قبلة دلو بالقاف والباء ، وقابل الدلو هو الذي يأخذها من المستقي . وذكر أبو عبيد الحديث في الأقوال على غير ما قالاه جميعاً ، فقال : قال : الزبير يا ثابت ألحقني بهم ، فلسيت صابراً عنهم إفراغة دلو .

الإنبات أصل في معرفة البلوغ : وذكر حديث عطية القرظي ، وهو جد محمد بن كعب القرظي ، وذكر أنه لم يكن أنبت قترك ، ففي هذا أن الإنبات أصل في معرفة البلوغ إذا جهل الاحتلام ، ولم تعرف سنوه .

حلة حبي بن أخطب : وذكر حبي بن أخطب حين قدم إلى القتل ، وعليه حلة فقاحية ، الحلة : إزار ورداء ، وأصل تسميتها هذا إذ كان الثوبان جديدين ، كما حل طيهما ، فقيل له : حلة لهذا ، ثم استمر عليه الاسم ، قاله الخطابي . وقوله : فقاحية نسبت إلى الفقاح ، وهو الزهر إذا انشقت أكتفه ، وانضرجت براعيه ، وتفتقت أخفيته ، فيقال له حينئذ ففتح وهو فقاح ، والقنابيع أيضاً في معنى البراعم ، واحدها : قنبعة ، وأما الفقاع بالعين فهو الفطر ، ويقال له أيضاً : آذان الكأمة من كتاب النبات .

ويروى أيضاً : حلة شقحية وهو سمنح البسر إذا تلون ، قاله الخطابي :

ولكنه من يخذل الله يخذل

بنصب الماء من اسم الله ، ويصح هذه الرواية أن الخبر قول النبي صلى الله عليه وسلم : ألم يمكن الله منك ؟ فقال : بلى ، ولقد قلقت كل مقلقل ، ولكن من يخذل يخذل ، فقوله : يخذلك كقول الآخر في البيت :

ولكنه من يخذل الله يخذل

لأنه إنما نظم في البيت كلام حبي .

سلمى بنت أيوب : وذكر حديثه عن أيوب بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي صعصعة ، وألفيت في حاشية الشيخ ، قال : وقع في تاريخ البخاري أن أيوب نفسه هو المخبر أن سلمى بنت قيس هي : سلمى بنت أيوب

ابن عبد الرحمن بن عبد الله وهو الصحيح والله أعلم

سلمى بنت قيس : وقوله عن سلمى بنت قيس ، هي سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبيد بن مالك بن عمرو بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار .

تفسير بعض الآيات القرآنية : وقوله تعالى : « وبلغت القلوب الحناجر » والقلب لا ينتقل من موضعه ، ولو انتقل إلى الحنجرة لما صاحب ، والله سبحانه لا يقول إلا الحق ، ففي هذا دليل على أن التكلم بالمجاز على جهة المبالغة ، فهو حق إذا فهم المخاطب عنك ، وهذا كقوله تعالى : « يريد أن ينقض فأقامه » ، أى مثله كمثل من يريد أن يفعل الفعل ، ويهم به ، فهو من مجاز التشبيه ، وكذلك هؤلاء مثلهم فيما بلغهم من الخوف والوهل وضيق الصدر كمثل المنخلع قلبه من موضعه ، وقيل : هو على حذف المضاف ؛ تقديره : بالغ وجيف القلوب الحناجر وأما قوله : « إذ القلوب لدى الحناجر » فلا معنى لحمله على المجاز ، لأنه في صفة هول القيامة ، والامر فيه أشد مما تقدم ، لاسيما وقد قال في أخرى : « لا يرتد إليهم طرفهم وأفندتهم هواء » ، أى قد فارق القلب الفؤاد ، وبقي فارغاً هواء ، وفي هذا دليل على أن القلب غير الفؤاد ، كأن الفؤاد هو غلاف القلب ، ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم في أهل اليمن : ألين قلوباً وأرق أفئدة مع قوله تعالى : « فويل للقاسية قلوبهم » ، ولم يقل للقاسية أفئدتهم ، والقسوة ضد اللين ، فتأمله :

وقوله تعالى : « قد يعلم الله المعوقين منكم » أى المخذلين لإخوانهم : فيعوقونهم بالتخذيل عن الطاعة ، لقولهم : هلم إلينا ، تقول : عاقبتى الأمر عن كذا ، وعوقى فلان عن كذا ، أى صرفنى عنه .

وذكر الصياصى وأنها الحصون ، واستشهد بقول سحيم يصف ميلا :

وأصبحت الثيران صرعى ، وأصبحت نساء تميم يبتدرن للصياصيا

وألفت في حاشية الشيخ أبى بحر رحمه الله على هذا البيت : الصياصى : قرون الثيران المذكورة فيه لا ماتوهم ابن هشام أنها الحصون والآطام ، يقول : لما أهلك هذا السيل الثيران وغرقها أصبحت نساء تميم يبتدرن أخذ قرونها ، لينسجن بها البجد ، وهى الأكسية ، قال هذا يعقرب عن الأصمى ، ويصحح هذا أنه لا حصون في بادية الأعراب ، قال المؤلف : ويصحح هذا التفسير أيضاً رواية أحمد بن داود له ، فإنه أنشده في كتاب النبات له ، فقال فيه يلتقطن الصياصيا ولم يقل : يبتدرن ، وأنشد :

فذكرنا سحيم الصياصى بأيدى من نضح من الكحيل وقار

الكحيل : القطران ، والقار : الزفت ، شبه السواد الذى فى أيديهم بنضح من ذلك الكحيل والقار ، يصف بهر وحش ، وأنشد لدريد بن الصمة :

كوقع الصياصى فى النسيج الممدد

وحمله الأصمى على ما تقدم فى البيت قبل هذا من أنها القرون التى ينسج بها ، لا أنها شوك كما قال ابن هشام . حديث اهتزاز العرش : وذكر اهتزاز العرش ، وقد تكلم الناس فى معناه ، وظنوا أنه مشكل ، وقال بعضهم : الاهتزاز هاهنا بمعنى الاستبشار بقدم روحه ، وقال بعضهم : يريد حلة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعاداً منهم لأن يهتز العرش على الحقيقة ، ولا بعده فيه ، لأنه مخلوق وتجاوز عليه الحركة ، والهزة ، ولا يعدل عن ظاهر

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظه

قال ضرار بن الخطاب بن مرداس ، أخو بني محارب بن فهر ، في يوم الخندق :

ومشفقة تظن بنا الظنونا وقد قدنا عرندسة طحونا
كان زهاءها أحد إذا ما بدت أركانه لناظرينا
ترى الأبدان فيها مسبغات على الأبطال واللب الحصينا
وجرداً كالقداح مسومات نؤم بها الغواة الخاطيئنا
كانهم إذا صالوا وصلنا بباب الخندقين مصالحونا
أناس لا نرى فيهم رشيداً وقد قالوا ألسنا راشديننا
فأحجرناهم شهراً كريئاً وكنا فوقهم كالقاهرينا
نزارحهم ونغدو كل يوم عايهم في السلاح مدججيننا
بأيدينا صوارم مرهفات نقد بها المفارق والشثونا
كان وميضهم معريات إذا لاحت بأيدي مصلتيننا
وميض عقيقة لمعت بليل ترى فيها العقائق مستئيننا
فلولا خندق كانوا لديه لدمرنا عايهم أجمعيننا
ولكن حال دونهم وكانوا به من خوفنا متعوذيننا
فإن نرحل فإننا قد تركنا لدى أيأتكم سعداً رهيننا
إذا جن الظلام سمعت نوحى على سعد يرجعن الخنينا
وسوف نروركم عما قريب كما زرناكم متوازيننا
بجمع من كنانة غير عزل كاسد الغاب قد حمت العريننا

فأجابه كعب بن مالك ، أخو بني سلبة ، فقال :

وسائلة تسائل ما لقينا ولو شهدت رأينا صابرينا
صبرنا لا نرى لله عدلاً على ما نابنا متوكئينا
وكان لنا النبي وزير صدق به نعلو البرية أجمعينا
نقاتل معشراً ظلوا وعقوا وكانوا بالعداوة مرصديننا
نعاجلهم إذا نهضوا إلينا بضرب يعجل المتسرعيننا

اللفظ ، ما وجد إليه سبيل ، وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح ، قال أبو عمر : هو ثابت من طرق متواترة ، وما روى من قول البراء بن عازب في معناه : أنه مرير سعد اهتز لم يلتفت إليه العلماء ، وقالوا : كانت بين هذين الحيين من الانصار ضغائن ، وفي لفظ الحديث : اهتز عرش الرحمن ، رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه ، ورواه البخاري من طريق الأعمش عن أبي صالح وأبي سفيان كلاهما عن جابر ، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر ، منهم أبو سعيد الخدري ، وأسيد بن حضير ، ورميثة بنت عمرو ، ذكر ذلك الترمذي . والعجب لما روى عن مالك رحمه الله من إنكاره للحديث ، وكراهيته للتحديث به مع صحة نقله ، وكثرة الرواية له ، ولعل هذه الرواية لم تصح عن مالك والله أعلم .

ترانا في فضافض سابغات
 وفي ايماننا بيض خفاف
 يباب الخندقين كأن أسداً
 فوارسنا إذا بكروا وراحوا
 لننصر أحداً والله حتى
 ويعلم أهل مكة حين ساروا
 بأن الله ليس له شريك
 فإما تقتلوا سعداً سفهاً
 سيدخله جنناً طيبات
 كما قد ردكم فلا شريداً
 خزايا لم تنالوا ثم خيراً
 بريح عاصف هبت عليكم

وقال عبد الله بن الزبيري السهمي ، في يوم الخندق :

حتى الديار كما معارف رسمها
 فكأنما كتب اليهود رسومها
 قفزاً كأنك لم تكن تاهو بها
 فأترك تذكر ما مضى من عيشة
 واذكر بلاد معاشر واشكرهم
 أنصاب مكة عامدين ليثرب
 يدع الحزون مناهجاً معلومة
 فيها الجياد شواذب بجنوبة
 من كل سلبة وأجرد سلب
 جيش عينة قاصد بلوثة
 قرمان كالبدرين أصبح فيهما
 حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا
 شهراً وعشراً قاهرين محمداً
 نادوا برحلتهم صبيحة قلتم
 لولا الخنادق غادروا من جمعهم

فأجابه حسان بن ثابت الانصاري ، فقال :

هل رسم دراسة المقام يباب
 قفر عفارهم السحاب رسومه
 متكم لمحاوّر بجواب
 وهبوب كل مطلة مرباب

ولقد رأيت بها الحلول يزينهم
فدح الديار وذكر كل خريدة
واشك الهموم إلى الإله وما ترى
ساروا بأجمعهم إليه وألبوا
جيش عينة وابن حرب فيهم
حق إذا وردوا المدينة وارتجوا
وعدوا علينا قادرين بأيدهم
بهوب معصية تفرق جمعهم
فكفى الإله المؤمنين قتالهم
من بعد ما قنطرا ففرق جمعهم
وأقر عين محمد وصحابه
عاقى الفؤاد موقع ذى ريبة
علق الشقاء بقلبه ، ففؤاده

بيض الوجوه ثواقب الاحساب
بيضاء آنسة الحديث كعاب
من معشر ظلوا الرسول غضاب
أهل القرى وبوادي الاعراب
متخبطون بحلبة الاحزاب
قتلى الرسول ومغمم الاسلاب
ردوا بنغيظهم على الاعقاب
وجنود ربك سيد الارباب
وأثابهم فى الاجر خير ثواب
تنزيل نصر مليكنا الوهاب
وأذل كل مكذب مرتاب
فى الكفر ليس بطاهر الاثواب
فى الكفر آخر هذا الاحقاب

وأجابه كعب بن مالك أيضاً ، فقال :

أبقى لنا حدث الحروب بقية
بيضاء مشرفة الذرى ومعاطنا
كاللوب يبذل جمها وحفيها
ونزائعا مثل السراح نمي بها
عرى الشوى منها وأردف نخضا
قوداً تراح إلى الصياح إذ غدت
وتحوط سائمة الديار وتارة
حوش الوحوش مطارة عند الوغى
علفت على دعة فصارت بدنا
يغدون بالزغف المضاعف شكه
وصوارم نزع الصياقل غلبها
يصل اليمين بمارن متقارب
وأغر أزرق فى القناة كأنه
وكتيبة ينفى القران قنيرها
جاوى مليلة كأن رماحها
يأوى إلى ظل اللواء كأنه
أعيت أبا كرب وأعيت تبعها

من خير نخلة ربنا الوهاب
حم الجذوع غزيرة الاحلاب
للجار وابن العم والمنتاب
غلف الشعير وجرة المقضاب
جرد المتون وسائر الآراب
فعل الضراء تراح للكلاب
تردى العدا وتثوب بالاسلاب
عبس اللقاء مبينة الإنجاب
دخس البضيع خفيفة الافصاب
وبمترصات فى الثقباف صياب
وبكل أروع ماجد الانساب
وكلت وقيعته إلى خباب
فى طخية الظلماء ضوء شهاب
وترد حد قواخذ الشباب
فى كل مجمعة ضريمة غاب
فى صعدة الخطى فى عقاب
وأبت بسائنها على الاعراب

ومواعظ من ربنا نهدى بها
عرضت علينا فاشتبهنا ذكرها
حكما يراها المجرمون بزعمهم
جاءت سخينة كي تغالب ربها
بلسان أزهر طيب الاثواب
من بعد ما عرضت على الاحزاب
حرجاً ويفهمها ذوو الالباب
فليغلبن مغالب الغلاب

قال ابن هشام : حدثني من أثق به ، قال : حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، لما قال كعب ابن مالك :

جاءت سخينة كي تغالب ربها فليغلبن مغالب الغلاب

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

من سره ضرب يجمع بعضه
فليات مأسدة تسن سيوفها
دربوا بضرب المعلنين وأسلوا
في عصبة نصر الإله نبيه
في كل سابقة تخط فضولها
بيضاء محكمة كأن قتيروها
جدلاء يحفرها نجاد مهتد
تلكم مع التقوى تكون لباسنا
نصل السيوف إذا قصرن خطونا
فترى الجاجم ضاحيا فاماتها
نلقى العدو بفخمة ملبومة
ونعد للأعداء كل مقلص
تردى بفرسان كأن كاتمهم
صدق يعاطون الكماة حتموفهم
أمر الإله بربطها لعدوه
لتكون غيظا للعدو وحيطا
ويعيننا الله العزيز بقوة
ونطيع أمر نبينا ونجييه
ومتى يناد إلى الشدائد نأتها
من يتبع قول النبي فإنه
فبذاك ينصرنا ويظهر عزنا
إن الذين يكذبون محمدا

بعضاً كعمعة الآباء المحرق
بين المذاهب وبين جزع الخندق
مهجات أنفسهم لرب المشرق
بهم وكان بعده ذا مرفق
كالنبي هبت ريحه المترقق
حرق الجنادب ذات شك موثق
صافي الحديد صارم ذي رونق
يوم الهياج وكل ساعة مصدق
قدماً ونلحسها إذا لم تلحق
بله الألف كأنها لم تخلق
تنفي الجوع كفصد رأس المشرق
ورد ومحجول القوائم أبلق
عند الهياج أسود ظل ملثق
تحت العاية بالوشيع المزهق
في الحرب إن الله خير موفق
للدار إن دلفت خيول النزاق
منه وصدق الصبر ساعة نلتق
وإذا دعا لكريمة لم نسبق
ومتى نر الحومات فيها نعنى
فينا مطاع الأمر حق مصدق
ويصينا من نيل ذاك بمرق
كفروا وضلوا عن سبيل المتقى

قال ابن هشام أنشدني بيته :

تلكم مع التقوى تكون لباسنا

وبيته :

من يتبع قول النبي

أبو زيد. وأنشدني :

تنفي الجوع كرأس قدس المشرق

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

لقد علم الأحزاب حين تألبوا	علينا وراموا ديننا ما نوادع
أضاميم من قيس بن عيلان أصفقت	وخندق لم يدروا بما هو واقع
يذودوننا عن ديننا ونذودهم	عن الكفر والرحمن راء وسامع
إذا غايظونا في مقام أعاننا	على غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حفظ الله فينا وفضله	علينا ومن لم يحفظ الله ضائع
هدانا للدين الحق واختاره لنا	وقه فوق الصائمين صنائع

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

ألا أبلغ قريشاً أن سلماً	وما بين العريض إلى الصماد
نواضح في الحروب مدربات	وخصوص ثقيت من عهد عاد
رواكذ يزخر المزار فيها	فليست بالجمام ولا الثماد
كان الغلب والبردى فيها	أجش إذا تبقيع للحصاد
ولم نجعل تجارتنا اشتراء لحم	ير لأرض دوس أو مراد
بلاد لم تثر إلا لكيما	نجالد إن نشطم للجلاد
أثرنا سكة الانباط فيها	فلم تر مثلاً جلها واد
قصرنا كل ذي حضر وطول	على الغايات مقتدر جواد
أجبيونا إلى ما نجتديكم	من القول المبين والسداد
ولاً فأصبروا للجلاد يوم	لكم منا إلى شطر المذاد
نصبحكم بكل أخى حروب	وكل مطهم سلس القياد
وكل طمرة خفق حشاها	تدف دفيف صفراء الجراد
وكل مقلص الأراب نهد	تيمم الخلق من آخر وهادى
خيول لا تضاع إذا أضيعت	خيول الناس في السنة الجماد
ينازعن الأعنة مصغيات	إذ نادى إلى الفزع المنادى

إذا قالت لنا النذر استعدوا توكلنا على رب العباد
وقلنا لن يفرج مالفينا سوى ضرب القوائس والجهاد
فلم تر عصبة فيمن لقينا من الأقوام من قار وبأدى
أشد بسالة منا إذا ما أردناه وألين في الوداد
إذا ما نحن أشرجنا عليها جيادا الجدل في الأرب الشداد
فذفنا في السوايح كل صقر كريم غير معتك الزناد
أشيم كأنه أسد عبوس غداة بدا بطن الجزع غادى
ينغشى هامة البطل المذكى صبي السيف مسترخى النجاد
لنظهر دينك اللهم إنا بكفك فاهدنا سبل الرشاد

قال ابن هشام بيته :

قصرنا كل ذى حضر وطول

والبيت الذى يتلوه ، والبيت الثالث منه ، والبيت الرابع منه ، وبيته :

أشيم كأنه أسد عبوس

والبيت الذى يتلوه ، عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح يبكى عمرو بن عبدود ، ويذكر قتل

على بن أبى طالب إياه :

عمرو بن عبد كان أول فارس جزع المذاد وكان فارس يليل
سمح الخلائق ماجد ذو مرة يبغي القتال بشكة لم ينكل
ولقد علمتم حين ولوا عنكم أن ابن عبد فيهم لم يعجل
حق تكفنه الكماة وكلهم يبغي مقاتلة وليس بمؤتلى
ولقد نكفت الاسنة فارساً بجنوب سلع غير نكس أميل
تسل النزال على فارس غالب بجنوب سلع ، ليته لم ينزل
فاذهب على فاطم فظفرت بمثله فخرأ ولا لاقيت مثل المعضل
نفسى الفداء لفارس من غالب لاقى حمام الموت لم يتحلحل
أغى الذى جزع المذاد بمهره طلبا لثار معاشر لم يخذل

وقال مسافع أيضاً يؤنب فرسان عمرو الذين كانوا معه ، فأجلوا عنه وتركوه :

عمرو بن عبد والجياد يقودها خيل تقاد له وخيل تنعل
أجملت فوارسه وغادر رهطه ركننا عظيماً كان فيها أول
عجباً وإن أعجب لقد أبصرته مهما تسوم على عمرأ ينزل
لأنبعدن فقد أصبت بقتله ولقيت قبل الموت أمراً يثقل
وهبيرة المسلوب ولى مدبرأ عند القتال مخافة أن يقتلوا

وضرار كان البأس منه محضراً ولى كما ولى اللثيم الأعزل

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له . وقوله : «عمرأ ينزل ، عن غير ابن إسحاق .
قال ابن إسحاق : وقال هبيرة بن أبي وهب يعتذر من فراره ، ، ويبيكي عمرأ ، ويذكر قتل علي إياه :

لعمري ما وليت ظهري محمدأ وأصحابه جنباً ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد لسيفي غناء إن ضربت ولا نبلي
وقفت فلما لم أجد لي مقدماً صددت كضرغام هزبر أبي شبل
ثني عطفه عن قرنه حين لم يجد مكراً وقدماً كان ذلك من فعلي
فلا تبعدن يا عمرو حيا وهالكأ وحق لحسن المدح مثلك من مثلي
ولا تبعدن يا عمرو حيا وهالكأ فقد بذى محمودالنا ما جدد الأصل
فن لطراد الخيل تقدع بالقنا وللنخريوماً عند قرقرة البزل
هنالك لو كان ابن عبد لزارها وفرجها حقاً فقي غير ما وغل
فمنك على لا أرى مثل موقف وقتت على نجد المقدم كالنحل
فا ظفرت كفك غراً بمشله أمنت به ما عشت من زلة النعل

قال هبيرة بن أبي وهب يبكي عمرو بن عبدود ، ويذكر قتل علي إياه :

لقد علمت علياً لؤي بن غالب لفارسها عمرو إذا ناب نائب
لفارسها عمرو إذا ما يسومه على وإن الليث لا بد طالب
عشية يدعوه على وإنه لفارسها إذ خام عته الكتائب
فيا لطف نفسي إن عمرأ تركته ييثر لا زالت هناك المصائب

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبدود :

بقيتكم عمرو أحنائه بالقنا ييثر نحى والحماة قليل
ونحن قتلناكم بكل مهند ونحن ولالة الحرب حين نصول
ونحن قتلناكم بيدراً فأصبحت معاشركم في الهالكين تجول

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً في شأن عمرو بن عبدود :

أمسى الفتي عمرو بن عبد يبتغي بجنوب يثر ثاره لم ينظر
فلقد وجدت سيوفنا مشهورة ولقد وجدت جياتنا لم تقصر
ولقد لقيت غداة بدر عصبة ضربوك ضرباً غير ضرب الحسر
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة يا عمرو أو لجسيم أمر منك

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا أبلغ أما هدم رسولاً مغلفة تحب بها المطى
أكنت وليكم في كل كره وغيري في الرءاء هو الولي
ومنكم شاهد ولقد رآني رفعت له كما احتمل الصبي

وقال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أمية الدبلي ، ويروى فيها آخرها :
كسبت الخزرجي على يديه وكان شفاء نفسي الخزرجي
وتروى أيضاً لابن أسامة الجشمي .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في يوم بني قريظة يبكي سعد بن معاذ ويذكر حكمه فيهم :

لقد سجمت من دمع عيني عبرة وحق لعيني أن تفيض على سعد
قتيل ثوى في معرك فجمعت به عيون ذواري الدمع دائمة الوجد
على ملة الرحمن وارث جنة مع الشهداء وفدها أكرم الوفد
فإن تك قد ودعتنا وتركتنا وأمسيت في غرباء مظلة اللحد
فأنت الذي يا سعد أبت بمشهد كريم وأثواب المكارم والحمد
بحكمك في حى قريظة بالذي قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فيهم ولم تعف إذ ذكرت ما كان من عمد
فإن كان ريب الدهر أمضاك في الآل شروا هذه الدنيا بجنتها الخلد
فنعم مصير الصادقين إذا دعوا إلى الله يوماً للوجاهة والقصد

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يبكي سعد بن معاذ ، ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء ، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير :

ألا يا لقوى هل لما حم دافع وهل مامشى من صالح العيش راجع
تذكرت عصراً قد مضى فنهافت بنات الحشى وانهل منى المدامع
صبا به وجد ذكرتني أحبة وقتلى مضى فيها طفيل ورافع
وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت منازلهم فالأرض منهم بلاقع
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فأجابوه بحق وكلمهم مطيع له في كل أمر وسامع
فأهلكوا حتى تولوا جماعة ولا يقطع الآجال إلا المصارع
لأنهم يرجون منه شفاعته إذا لم يكن إلا النبيون شافع
فذلك يا خير العباد بلاؤنا إجابتنا لله والموت نافع
لنا القدم الأولى إليك وخلفنا لأولنا في ملة الله تابع

ونعلم أن الملك لله وحده وأن قضاء الله لا بد واقع

وقال حسان بن ثابت أيضاً في يوم بني قريظة :

لقد لقيت قريظة مأسأها
أصابهم بلاء كان فيه
غداة أتاها يهوى إليهم
له خيل مجنبة تعادى
تركناهم وما ظفروا بشيء
فهم صرعى تحوم الطير فيهم
فأنذر مثلها نصحاً قريشاً

وقال حسان بن ثابت في بني قريظة :

لقد لقيت قريظة مأسأها
وسعد كان أنذرهم بنصح
فما برحوا بنقض العهد حتى
أحاط بحصنهم منا صفوف

وقال حسان بن ثابت أيضاً في يوم بني قريظة :

تفاد معشر نصرنا قريشاً
هم أوتوا الكتاب فضيعوه
كفرتم بالقرآن وقد أتيتهم
فهان على سراة بني لؤى

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أدام الله ذلك من صنيع
ستعلم أيننا منها بنزه
قلو كان النخيل بها ركاباً
لقالوا لامقام لكم فسيروا

وأجابه جبل بن جوال الثعلبي أيضاً ، وبكى النضير وقريظة ، فقال :

ألا ياسعد سعد بن معاذ
لعمرك إن سعد بن معاذ
فأما الخزرجي أبو حباب
وبدلت الموالي من حضير
وأفقرت البويرة من سلام
وقد كانوا يبلدتهم ثقلاً

لما لقيت قريظة والنضير
غداة تحملوا لهم الصبور
فقال ليقينقاع لانسيرا
أسيداً والدوائر قد تدور
وسعية وابن أخطب فهي بور
كما ثقلت بيمين الصخور

فإن يهلك أبو حكم سلام فلا رث السلاح ولا دثور
وكل الكاهنين وكان فيهم مع اللين الحضارمة الصقور
وجدنا المجد قد ثبتوا عليه بمجد لاتفييه البدور
أقيموا يامرأة الاوس فيها كأنكم من الخزاة عور
تركتم قدركم لاثي فيها وقدر القوم حامية نفور

مقتل سلام بن أبي الحقيق

قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأن الخندق ، وأمر بني قريظة ، وكان سلام بن أبي الحقيق ، وهو أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الاوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف ، في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريره عليه ، استأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق ، وهو بخيبر ، فأذن لهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : وكان لما صنع الله به لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحيين من الأنصار : والأوس ، والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ، لاتصنع الاوس شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء إلا قالت الخزرج : والله لاتذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام . قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الاوس مثل ذلك .

ولما أصابت الاوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج : والله لاتذهبون بها فضلاً علينا أبداً ، قال : فتذاكروا : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق ، وهو بخيبر ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم .

فخرج إليه من الخزرج من بني سلبة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث بن ربيعي ، وخزاعي بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر ، أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهله . قال : وكان في عليته له إليها عجلة قال : فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : ناس من العرب لملتمس الميرة . قالت : ذا كم صاحبكم ، فادخلوا عليه ، قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجرة تخوفاً أن تكون دونه مجاورة تحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته ، فتوهت بنا وابتدرناه ، وهو على فراشه بأسياقنا ، فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة . قال : ولما صاحبت بنا امرأته ، جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسياقنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قطني قطني : أي حسي . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سمياً البصر ، قال : فوقع من الدرجة فوثقت يده وثناً شديداً - ويقال : رجله ، فيما قال ابن هشام - وحملناه نأقي به منيراً من عيونهم ، فدخل فيه . قال :

فأوقدوا النيران ، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا ، قال : حق إذا يدسوا رجعو إلى صاحبهم ، فاكشفوه وهو يفضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهت فأنظر لكم ، فانطلق حتى دخل في الناس . قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفي . يدها المصباح تنظر في وجهه ، وتحديثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم أكذبت نفسي وقلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت : فإله يهود ، فاسمعت من كلمة كانت ألد إلى نفسي منها . قال : ثم جاءنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلنا عنده في قتله ، كلنا يدعيه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم ، قال : فجئناه بها فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف ، وقتل سلام بن أبي الحقيق :

لله در عصابة لاقيتهم يابن الحقيق وأنت يابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليك مرحاً كأسد في عرين مغرف
حق أتوكم في عل بلادكم فسقوكم حتفاً ببيض ذفف
مستبصرين لنهر دين نديمهم مستصغرين لكل أمر مجحف

قال ابن هشام : قوله : « ذفف » عن غير ابن إسحاق

إسلام عمرو بن العاص وخالده بن الوليد

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي ، قال : حدثني عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش ، كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله إنني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإنني قد رأيت أمراً ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر على قومنا كذا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأي دقت فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم . فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله لما لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي ، وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد ، قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقي ، أهديت إلى من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدماً كثيراً ، قال : ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيها الملك ، إنني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطينيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : فغضب ، ثم مديده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ، ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تسكره هذا ما سألتك ، قال :

أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْإِكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِنَقْلِهِ أَقَالَ : قَالَتْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ : أَكْذَابُكَ هُوَ ؟ قَالَ : وَيَحْكُمُ بِأَعْمَرٍ وَأُطْعَمُ وَاتَّبَعَهُ ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَعَلِّي الْحَقُّ ، وَلِيُظْهِرَنَّ عَلَيَّ مِنْ خَالَفَهُ ، كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ ؛ قَالَ : أَفَتَبَايَعُنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَبَسَطَ يَدَهُ ، فَبَايَعْتَهُ : عَلَى الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى أَصْحَابِي وَقَدْ حَالَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ وَكُنْتُ أَصْحَابِي مُسْلِمِينَ .

ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَسْلَمَ ، فَلَقِيْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَذَلِكَ قَبِيلُ الْفَتْحِ ، وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ ، فَقُلْتُ : أَيْنَ يَا أَبَا سَلِيمَانَ ؟ قَالَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَقَامَ الْمَيْسَمُ ، ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٍّ ، أَذْهَبَ وَاللَّهُ فَأَسْلَمَ ، حَتَّى مَتَى ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِأَسْلَمَ . قَالَ : فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ ، ثُمَّ دَنَوْتُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَبَايَعُ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي ، وَلَا أَذْكَرُ مَا تَأَخَّرَ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَمْرُو ، بَايِعْ ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَإِنَّ الْهَجْرَةَ تَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ، ؛ قَالَ : فَبَايَعْتَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ : فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَحْتَ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَإِنَّ الْهَجْرَةَ تَحْتَ مَا كَانَ قَبْلَهَا .

إِسْلَامُ ابْنِ طَلْحَةَ : قَالَ إِسْحَاقُ ، وَحَدَّثَنِي مِنْ لَأَتِهِمْ : أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ كَانَ مَعَهُمَا ، حِينَ أَسْلَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ السَّهْمِيُّ :

أَنْشَدَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ حَافِلًا	وَمَلَقِي نَعَالَ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمُقْبِلِ
وَمَا عَقَدَ الْآبَاءُ مِنْ كُلِّ حَلْفَةٍ	وَمَا خَالَدٌ مِنْ مِثْلِهَا بِمَحَلِّ
أَمْفِتَاحَ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبْتَغِي	وَمَا يَبْتَغِي مِنْ مَجْدِ بَيْتٍ مَوْثِلِ
فَلَا تَأْمَنُ خَالِدًا بَعْدَ هَذِهِ	وَعُثْمَانَ جَاءَ بِالْهَيْمِ الْمَعْنَلِ

وَكَانَ فَتَحُ بْنُ قَرِيظَةَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَصَدَرَ ذِي الْحِجَّةِ ، وَوَلَّى تِلْكَ الْحِجَّةَ الْمُشْرِكُونَ .

غزوة بني لحیان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ قَالَ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمَطْلُبِيِّ قَالَ : ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ ذَا الْحِجَّةِ وَالْحَرَمِ وَصَفْرًا وَشَهْرَ رَيْعٍ وَخَرَجَ فِي جُمَادَى الْأُولَى عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ فَتْحِ قَرِيظَةَ . إِلَى بَنِي لَحْيَانَ يَطْلُبُ بِأَصْحَابِ الرَّجِيعِ : خَبِيبُ بْنُ عَدَى وَأَصْحَابَهُ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يَرِيدُ الشَّامَ ، لِيُصِيبَ مِنَ الْقَوْمِ غَرَةً .

فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَسَلَكَ عَلَى غَرَابٍ ، جِيلَ بَنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ عَلَى طَرِيقِهِ إِلَى الشَّامِ ، ثُمَّ عَلَى مَحِيصٍ ، ثُمَّ عَلَى الْبَرَاءِ ثُمَّ صَفَقَ ذَاتَ الْيَسَارِ ، فَخَرَجَ عَلَى بَيْنٍ ، ثُمَّ عَلَى صَخِيرَاتِ الْيَمَامِ ، ثُمَّ اسْتَقَامَ بِهِ الطَّرِيقُ عَلَى الْحِجَّةِ مِنْ طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَأَغْذَى السَّيْرَ مَرِيحًا ، حَتَّى نَزَلَ عَلَى غَرَانٍ ، وَهِيَ مَنَازِلُ بَنِي لَحْيَانَ ، وَغَرَانُ وَادٍ بَيْنَ آمَجٍ وَعَسْفَانَ ، إِلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ : مَایة ، فَوَجَدَهُمْ قَدْ حَذَرُوا وَتَمَنَعُوا فِي رِءُوسِ الْجِبَالِ . فَلَمَّا نَزَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْطَاهُ مِنْ غَرْتِهِمْ مَا أَرَادَ قَالَهُ : لَوْ أَنَا هَبَطْنَا عَسْفَانَ لَرَأَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنَا قَدْ جِئْنَا مَكَّةَ ، فَخَرَجَ فِي مَتْنٍ رَاكِبٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ عَسْفَانَ ، ثُمَّ بَعَثَ فَارْسِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى بَلَغَا كِرَاعَ الْغَنِيمِ ، ثُمَّ كَرَّ وَرَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَافِلًا .

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعاً : أيون تائبون إن شاء الله لرَبنا حامدون . أعوذ بالله من وعشاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المظفر في الأهل والمال .
والحديث في غزوة بني لحيان ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك فقال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان .

لو أن بني لحيان كانوا تناظروا لقوا عصباً في دارهم ذات مصدق
لقوا سرعاً يملأ السرب روعه أمام طحون كالحجرة فيلق
ولكنهم كانوا وبارأ تتبع شعاب حجاز غير ذى متفق

فصل في اشعار يوم الخندق

ذكر فيها شعر ضرار بن الخطاب : على الأبطال واليلب الحصينا
اليلب : الترس ، وقيل : الدرق ، وقيل : بيضات ودروع كانت تتخذ من جلود الإبل ، ويشهد لهذا قول حبيب :
هذه الاسنة والمأذى قد كثرا فلا الصياصى لها قدر ولا اليلب
أى لاجاجة بعد وجود الدروع المأذية إلى اليلب ، وبعد الاسنة إلى الصياصى ، وهى القرون ، وكانت أسنتهم منها فى الجاهلية قال الشاعر :

يهزهز صعدة جرداء فيها نقيع السم أو قرن يحق

وذكر فى شعر كعب : فكنتم تحتها متكئينا
متفعلين من الكنه وهو العمى ، والأظفر فى الأكمة أنه الذى يولد أعمى ، وقد قيل فيه : إنه الذى لا يبصر بالليل شيئاً ، ذكر هذا القول البخارى فى التفسير .

وفيه قوله : وجنود ربك سيد الأرباب

فيه شاهد بان زعم أن السيد من أسماء الله ، وقد كره أكثر العلماء أن يقال فى الدعاء : يا سيدى ، وأجاز بعضهم ، واحتج بحديث ليس لإسناده بالقوى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له رجل : يا سيد ، فقال : السيه الله .

وأما مذهب القاضى فى مثل هذا من الأسماء التى يراد بها المدح والتعظيم فذكر الله به جائز ما لم يردن عنده ، أو تجمع الأمة على ترك الدعاء به ، كما أجمعوا ألا يسمى بفضله ، ولا عاقل ولا سخي ، وإن كان فى ذلك مدح .
قال المؤلف : والذى أقول فى السيد : إنه اسم يعتبر بالاضافة ، لأنه فى أصل الوضع بعض ما أضيف إليه تقول : فلان سيد قيس ، إذا كان واحداً منهم ، ولا يقال : فى قيس هو سيد قيس ، لأنه ليس واحداً منهم ، فكذلك لا يقال فى الله تعالى هو سيد الناس ، ولا سيد الملائكة ، وإنما يقال : ربهم فإذا قلت : سيه الأرباب وسيد الكرماء ؛ جاز ، لأن معناه أكرم الكرماء ، وأعظم الأرباب ، ثم يشتق له من اسم الرب فيوصف بالربوبية ولا يوصف بالسودد ، لأنه ليس باسم له على الإطلاق ، وقد جاء فى شعر حسان الذى يرثى به رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ذا الجلال وذا العلا والسودد

يصف الرب ، ولكن لا تقوم الحجة فى إطلاق هذه الأسماء إلا أن يسمعها الرسول عليه السلام فلا ينكرها ، كما سمع شعر كعب ، فلم ينكره ، وإنما وصف على الوجه الذى قدمناه ، وعلى المعنى الذى بيناه .

وقول كعب :

بيضاء مشرفة الذرى ومعاطنا

يعنى : الآطام ، وقوله : معاطنا يعنى : منابت النخل عند الماء شبهها بمواطن الإبل ، وهى مباركها عند الماء .
وقوله : حم الجذوع ، وصفها بالحم ، وهى السواد ، لأنها تضرب إلى السواد ، من الخضرة والنعمة ، وشبه ما يجتنى منها بالحلب ، فقال : غريزة الاحلاب .

وقوله : كاللوب ، : جمع لوبة ، واللاب جمع لابة وهى الحرة ، يقال ما بين لابتها مثل فلان ، ولا يقال ذلك فى كل بلد ، فقد قال شبيب بن شيببة لرجل نسبه إلى التصحيف فى حديث السقط : إنه يظل محبطننا على باب الجنة ، فقال له : شبيب : بالطاء منقوطة ، فقال الرجل : أخطأت ، إنما هو بالطاء . قال الراجز :
إنى إذا استنشده لا أحبطنى ولا أحب كثرة التمطى

فقال له شبيب : أفلمحنى وما بين لابتها أفصح منى ، فقال له الرجل : وهذه لحنة أخرى ، أو للبصرة لابسان ؟ إنما اللابتان للمدينة والكوفة .

وقوله : يبذل جهبا وحفيها ، أى : الكثير منها ، والمتاب الزائر مفتعل من ناب ينوب إذا ألم .
وقوله : ونزائعا مثل السراج ، يعنى : الخيل العربية ، التى نزع من الأعداء .

قوله : مثل السراج بالجيم ، كذا وقع فى الأصل ، أى كل واحد منها كالسراج ، ووقع فى الحاشية بالحاء ، وفسره فقال : جمع سرحان ، وهو الذئب ، وهذا الجمع إنما جاز على تقدير حذف الزائدين من الاسم وهى الألف والنون ، ولو جمعه على لفظه ، لقال : سراحين

وقوله : وجزة المقضاب المقضاب : مزرعة ، وجزتها ما يحجز منها للخليل .

وقوله عرى الهوى منها ، يعنى القوائم . والنحض : اللحم والآراب : المفاصل واحدها إرب ، وفى الحديث أمرت أن أسجد على سبعة آراب .

وقوله : قودا ، أى أطوال الأعناق ، والضراء : الكلاب الضارية ، وفى الحديث : إن قيساً ضراء الله فى الأرض ، أى أسده الضارية . والكلاب : جمع كالب . وهو صاحب الكلاب ، الذى يصيد بها .
وقوله : عبس اللقاء : جمع عبوس .

وقوله : دحس البضيع . البضيع : اللحم المستطيل ، والدحيس من اللحم : الكثير .

وقوله : خفيفة الأنصاب ، يعنى : جمع قصب وهو الممى .

ومنه سمي الجزار قصاباً ، وقوله يعدون بالزغف ، أى : بالدرع .

وقوله : شكة : حلقه ونسجه ، وقوله :

وبمترصات فى الثقاف صباب

المترصات . المحركة ، يعنى الرماح المثقفة .

وقوله : تزع الصياقل عليها ، أى : جسائها وخشونة درئها ، يقال عاب اللحم إذا لم يكن رخصاً ، وعلب النبات إذا جسا .

وقوله : بمارن تمتقارب . المارن : اللين ، ووقعته : صفه ، وخباب : اسم صيقل .

وقوله : وأغر أزرق ، يعنى الرمح ، وطنخية الظلباء ، أى : شدتها ، وطنخاء القلب : ظلمته ، ومنه قوله عليه السلام فى السفرجل : لانه يذهب بطخاء القلب .

وقول كعب :

جاءت سخينة كى تغالب ربهـا

كان هذا الاسم مما سميت به قريش قديماً ، ذكروا أن قصيا كان إذا ذبحت ذبيحة أو نحيرة بمكة أتى بعجزها ، فصنع منه خزيرة ، وهو لحم يطبخ ببر فيطعمه الناس ، فسميت قريش بها سخينة . وقيل : لأن العرب كانوا إذا استنوا أكلوا العلامز ، وهو الوبر والدم ، وتأكل قريش الخزيرة والفتة فنفس عليهم ذلك فلقبوهم : سخينة ، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب ، ولو كرهته ما استبجاز كعب أن يذكره ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم ، ولتركة أدياً مع النبى عليه السلام ، إذ كان قرشياً ، ولقد استنشد عبد الملك بن مروان ما قاله الهوازنى فى قريش :

ياشدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

فقال : مازاد هذا على أن استثنى ، ولم يكره سماع التلقب بسخينة ، فدل هذا على أن هذا اللقب لم يكن مكرهاً عندهم ، ولا كان فيه تعبير لهم بشيء .

وفى شعر كعب أيضاً : من مره ضرب يجمع بهضه المعجمة : صوت النار فيما عظم وكثف من الشعراء والقصباء ونحوها ، والكلمجة صوتها فيما دق كالسراج ونحوه ، والقططة : صوت الغليان ، وكذلك الفرغة والجمعجة صوت الرحي ، والدردبة صوت الطبل .

وقوله : الآباء ، وهو القصب واحداً منها ، والهمزة الآخرة فيها بدل من ياء ، قاله ابن جنى ، لانه عنده من الآبابة ، كأن القصب يأبى على من أراده بمضغ أو نحوه ، ويشهد لما قاله ابن جنى قول الشاعر :

يراه الناس أخضر من بعيد وتمنعـه المـرارة والآباء

وقوله : فليات مأسدة ، وهى الأرض الكثيرة الاسد ، وكذلك المسبعة الأرض الكثيرة السباع ، ويجوز أن يكون مأسدة جمع أسد كما قالوا مشيخة ومعالجة ، حكى سيديويه مشيخة ومشيوخاء ، ومعالجة ومعلوجاء ، وألفت أيضاً فى النبات مسلوماء بجماعة السلم ومشيوخاء للشيخ بالحاء ، المهمة ، الكثير .

وقوله تسن سيوفها ، بنصب الفاء ، وهو الأصح عند القاضى أب الوليد ، ووقع فى الاصل عند أبى بحر : تسن سيوفها بالرفع ، ومعنى الرواية الأولى : تسن أى : تصقل ، ومعنى الرواية الثانية أى : تسن للأبطال ، ولما بعدها من الرجال سنة الجرأة والإقدام .

وقوله فى وصف الدرع :

جدلاء يحفرها نجاد مهند

جدلاء من الجدل ، وهو قوة القتل ، ومنه الأجدل الصقر ، هذا البيت دليل على قوة امتناع الصرف فى أجدل وأنه من باب أفعل الذى مؤنثه فعلاء ، ومن صرفه شبهه بأرنب وأفكل ، وهو أضعف الوجيهين ، وإن كانوا قد قالوا فى جمعه : أجادل مثل أرانب فقد قالوا أيضاً الأجارع والأباطح فى جمع اجرع وأبطح ، ولكنهم لا يصرفونها من حيث قالوا فى المؤنث بطلحاء وجرعاء ، وكذلك القول فى أبرق وبرقاء .

وقوله : يحفزها نجاه مهند ، كقول ابن الاسك في وصف الدرع :

أحفزها عني بذى رونق أبيض مثل الملح قطاع

وذلك أن الدرع إذا طالت فضولها حفزوها ، أي شمروها فربطوها بنجاد السيف .

وقوله : تلکم مع التقوى تكون لباسنا

من أجود الكلام : وأملح الالتفاتات ، لأنه قول انتزعه من قول الله تعالى : « ولباس التقوى ذلك خير » ، وقال الشاعر :

إني كآني أرى من لا وفاء به ولا أمانة ونسط القوم عريانا

وموضع الإجادة والإحسان من قول كعب أنه جعل لباس الدرع تبعاً للباس التقوى ، لأن حرف مع تعطى في الكلام أن ما بعده هو المتبوع ، وليس بتابع ، وقد احتج الصديق على الانتصار يوم السقيفة بأن قال لهم أنتم الذين آمنوا ، ونحن الصادقون ، وإنما أمركم الله أن تكونوا معنا فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وكونوا مع الصادقين ، والصادقون هم المهاجرون . قال الله تعالى : « للفقراء المهاجرين ، إلى قوله . « أولئك هم الصادقون » .

حكم بـله وما بعدها : وقوله بـله الألف ، بخفض الألف هو الوجه ، وقد روى بالنصب ، لأنه مفعول ، أي : دع الألف ، فهذا تقول : رويد زيد ، ورید زيد بلا تنوين مع النصب ، وبـله كلمة بمعنى دع ، وهي من المصادر المضافة إلى ما بعدها وهي عندي من لفظ البـله والتبـاله ، وهو من الغفلة ، لأن من غفل عن الشيء تركه ، ولم يسأل عنه ، وكذلك قوله : بـله الألف ، أي لا تسأل عن الألف إذا كانت الجاهم ضاحية مقطعة ، وفي الحديث : يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، بـله ما أطلعهم عليه .

وقوله : بـله بضمه مدومة ، أي : كتيبة مجموعة ، وقوله : كفصد رأس المشرق ، الصحيح فيه : ما رواه ابن هشام عن أبي زيد : كرأس قدس المشرق ، لأن قدس جبل معروف من ناحية المشرق .
وقوله :

عند الهياج أسود ظل ملثق

الظل معروف ، والثلث ما يكون عن الظل من زلق وطين ، والأسد أجوع ما تكون وأجراً في ذلك الحين .
وقوله في العينية :

أضاميم من قيس بن عيلان أصفقت

واحد الأضاميم : إضمامة ، وهو كل شيء مجتمع يقال : إضمامة من الناس وإضمامة من كتب .

قيس عيلان وقيس كبة : وقوله : من قيس بن عيلان ، هو المشهور عند أهل النسب ، وبعضهم يقول : إن قيساً هو عيلان لا ابنه ، قال : وعرف قيس بن عيلان بفرس ، كان له يسمى . هيلاناً ، كما عرف قيس كبة من بجيلة بفرس اسمه : كبة ، وكان هو وقيس عيلان متجاورين ، فكان إذا ذكر أحدهما وقيل أي القيسين هو ، قيل قيس عيلان أو قيس كبة ، وقيل : إن عيلان اسم كلب ، كان له ، وقيل : عيلان اسم جبل ولد هنده ، وقيل اسم غلا

لمضر كان حضنه ، وقيل كان جواداً أتلف ماله فأدركته عيلة فسمى عيلان ، وما يحتاج به للقول الآخر قول روبة :
وقيس عيلان ومن تقيساً

وقوله في الدالية : وما بين العريض إلى الصماد ، العريض : موضع ، والصماد : جمع صمد ، وهو ما غلظ
من الأرض .

وقوله : نواضح في الحروب ، يعني : حدائق نخل تسقى بالنضح ، وأراد بالخوص آباراً ، وإنما جعل البئر
خوصاً لأن العين الخوصاء هي الغائرة ، وجمعها خوص ، فعيون الماء في الآبار كذلك غائرة :
وأشدد أبو عبيد في وصف الإبل :

مخيسة بزلا كان عيونها عيون الركايا أنكوتها الموايح

وقوله : يزخر المرار فيها ، المرار : اسم نهر .

وقوله :

كان الغاب والبردى فيها أجش إذا تبقع للحصاد

يريد : صوت حفيف الريح ، كصوت الأجاج ، وهو الأجاج ، وقد يوصف النبات أيضاً بالغنة من أجل حفيف
الريح فيه ، فيقال : روضة غناء ، وقد قيل إنما ذلك من أجل صوت الذباب الذي يكون فيه ، قاله أبو حنيفة .
وقوله : تبقع للحصاد ، أي : صارت فيه بقع بيض من اليبس ، يقال للزرع إذا صار كذلك : ارقاط ،
واسحاح واسحار ، وإذا أخذ السبل الحب قيل ألحم وأسفى من السفى ، وأشع من الشعاع بفتح الشين وكسرهما ،
وهو السفى ، ويقال أسبل الزرع من السبل ، كما يقال : بعير حظل وأحظل المسكان من الحنظل ، وهي لغة أهل
الحجاز ، وبنو تميم يقولون : سبل ، وأما همدان فيسمون السبل سيولا ، والواحدة سبولة فقياس لغتهم أن يقال
أسبل ، وإنما غرت الانصار في هذا الشجر والذي قبله بنخلها وآطامها ، إشارة إلى عزها ومنعتها ، وأنها لم تغلب
على بلادها على قديم الدهر ، كما أجليت أكثر الأعراب عن محالها ، وأزعجها الخوف عن مواطنها ، وهذا المعنى
أراد حسان في قوله :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

لأن إقامتهم حول قبور آبائهم وأجدادهم دليل على منعتهم ، وألا مغالب لهم على ماتخيروه من بقاع الأرض ،
وآثروه عند ارتيادهم .

وقوله : أثرتنا سكة الانباط فيها

السكة : النخل المصطف ، أي حرثناها وغرسناها ، كما تفعل الانباط في أمصارها لا تخاف عليها كيد كائد ،
ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : خير المال سكة مأبورة ، والسكة أيضاً : السنة ، وهي الحديد التي
يشق بها الفدان الأرض ، ويقال لها أيضاً : المان ، وهو تفسير الأصمعي ، وفسره أبو عبيد على المعنى الآخر ، وأنها
النخل ، ويقال أيضاً أبيشت الأرض في معنى أثرت ، قاله أبو حنيفة ، ويروى في الحماسة :

هلم إليها قد أبيشت زروعها

أى أثيرث وفي الغريب المصنف :

وحق بنى سفارة أن يقولوا لصخر الغى ماذا تستيت
وغلط أبو عبيد فجعل تستيت من نبئة البئر ، وهو ترابها ، ولو كان كذلك لقال تستيت بنون قبل الباء .
وقوله : جلهات واد .

الجلهات من الوادى ما كشفت عنه السيول الشعراء فأبرزته ، وهو من الجلة وهو انحسار الشعر عن
مقدم الرأس .

وقوله : صفراء الجراد ، وهى الخيفانة منها ، وهى التى ألفت سرأها ، أى بيضها ، وهى أخف طيراناً ، والكتفان
من الجراد أكبر من الخيفان ، وأول أمر الجراد دود ويقال : له الغمص يلقيه بحر اليمن ، وله علامة قبل
خروجه ، وهو برق يلمع من ذلك البحر سبع عشرة مرة ، فيعلون بخروج الجراد ، قاله أبو حنيفة .
وقوله : غير معتك الزناد :

الزناد المعتك هو الذى لا يدري من أى عود هو ، وأصل الاعتلاك الاختلاط : يقال علث الطعام إذا
خلطت حنطة بشعير ، والعلانة : الزند الذى لا يورى ناراً .
مقتل ابن أبى الحقيق : ذكر فبه نفر الخمسة الذين قتلوه ، وسماه ، وذكر فيهم ابن عقبة أسعد بن حرام ،
ولا يعرف أحد ذكره غيره .

قطنى وقد ونون الوقاية : ذكر فى الحديث : : قطنى قطنى ، قال معناه : حسبي حسبي .
قال المؤلف : وهذه الكلمة أصلها من القط ، وهو القطع ، ثم خففت وأجريت بحرى الحرف ، وكذلك قد
بمعنى قط هى أيضاً من القد ، وهو القطع طولاً ، والقط بالطاء هو القطع عرضاً ، يقال : إن علياً - رحمه الله -
كان إذا استعمل الفارس قده ، وإذا استعرضه قطه : ولما كان الشيء الكافى الذى لا يحتاج معه إلى غيره يدعو
إلى قطع الطلب ، وترك المزيد جعلوا قد وقط أشعر بهذا المعنى ، فإذا ذكرت نفسك قلت قدى وقطى ، كما تقول :
خسى ، وإن شئت ألحقت نوناً ، فقلت . قدنى ، وذلك من أجل سكون آخرها فكروها تحريكه من أجل الياء ،
كما كروها تحريك آخر الفعل ، فقالوا ضربنى ، وكذلك كروها تحريك آخر ليت فقالوا ليتنى ، وقد يقولون ليتنى
وهو قليل ، وقالوا لعلى ولعلى ، وقالوا من : لدنى فأدخلوها على الياء المخفوضة بالظرف كما أدخلوها على الياء
المخفوضة بمن وعن ، فعلوا هذا وقاية لاواخر هذه الكلم من الخفض وخصوا الذون بهذا ، لأنها إذا كانت كانت
تنويناً فى آخر الاسم ، أذنت بامتناع الإضافة ، وكذلك فى هذه المواطن التى سمينا تشعر بامتناعها من الخفض ، وتشعر
فى الفعل والحروف بامتناعها من الإضافة أيضاً ، لأن الحرف لا يضاف ، كذلك الفعل مع أن النون من علامات الإضمار
فى فعلنا ، وفعلنا فى ضمير المفعول ، فأما قد وقط فاسمان ، وكذلك لدنى ، ولكن كروها تحريك أو آخرها لشبهها
بالحروف . فإن قبل : فما موضع نى من قوله قطنى ؟ قلنا : موضعها خفض بالإضافة ، كما هى فى لدنى . فإن قلت : كيف
تسكون ضمير المفعول والمنصوب فى ضربنى وليتنى ، ثم تقول إنها فى موضع خفض ؟ قلنا : الضمير فى الحقيقة هى الياء
وحدها فى الخفض والنصب ، كما السكاف والهاء كذلك ، وقد قالوا : منى وعنى ، وهو ضمير خفض ، وفيه النون وقالوا
ليتى ولعلى وهو ضمير نصب وليس فيه نون فإن قيل : فما موضع الاسم من الإعراب إذا قلت : قطى وقدنى ؟ قلنا :
هراهما كإعراب حسبي مبتدأ وخبره محذوف ، وإنما لم يحذف خبره لما دخله من معنى الأمر ، ومن هذا الباب

قول جهنم أعاذنا الله منها : قطي وعزتك قطي ، و يروى : قطنى ، وذلك بعد قولها : هل من مزيد ، فإذا وضعت فيها القدم ، وزوى بعضها إلى بعض ، قالت : قطنى . وقد جمع الشاعر بين اللغتين ، فقال :

قدنى من نصر النخيين . قدى

فهذا ما فى قط التى هى بمعنى حسبي ، فأما قط المبذبة على الضم ، فهى ظرف لما مضى ، وهى تقال بالتخفيف والتشغيل ، وهى من اللفظ أيضا الذى بمعنى القطع ، وفى مقابلاتها فى المستقبل : عوض ما فعلته قط ، ولا أفعله عوض ، مثل قبل وبعد .

إسلام عمرو بن العاصى وخالد بن الوليد رحمة الله عليهما : رويانا من طريق أبى بكر الخطيب بإسناد يرفعه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : يقدم عليكم الليلة رجل حكيم ، يقدم عمرو بن العاص مهاجرا ، ذكر فيه اجتماعه مع خالد فى الطريق وقول خالد له : والله قد استقام الميسم . من رواه الميسم بالياء ، فهى العلامة ، أى قد تبين الأمر واستقامت الدلالة ، ومن رواه المنسم بفتح الميم وبالنون ، فعناه : استقام الطريق ووجبت الهجرة ، والمنسم مقدم خف للبعير ، وكفى به عن الطريق للتوجه به فيه .

وذكر الزبير خبر عمرو هذا ، وزاد فيه : أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة صحبهما فى تلك الطريق ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال عمرو : وكنت أسن منهما ، فأرده أن أكيدهما ، فقدمتهما قبلى للبيعة ، فبايعا ، واشترطا أن يغفر من ذنبهما ما تقدم ، فأضمرت فى نفسى أن نبايع على أن يغفر الله من ذنبى ما تقدم وما تأخر ، فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبى وأنسيت أن أقول وما تأخر .

الضمير مع النجاشى : وذكر فيه قدوم عمرو بن أمية الضميرى على النجاشى بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان فى الكتاب ما تكلم به عمرو بن أمية ، فإنه لما قدم عليه قال له : يا أضحمة إن على القول وهليك الاستماع أنك كأنك فى الرقة علينا منا ، وكأننا بالثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيرا قط إلا لنأه ، ولم نخضك على شيء قط إلا أمناء ، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك ألا يحيل بيننا وبينك شاهد لا يرد ، وقاض لا يجور ، وفى ذلك وقع الحز وإصابة المفصل ، وإلا فانت فى هذا النبى الامى كاليهود فى عيسى ابن مريم ، وقد فرق النبى عليه السلام رسله إلى الناس فرجناك لما لم يرجهم له ، وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر ، فقال النجاشى : أشهد بالله أنه للنبي الامى الذى ينتظره أهل الكتاب ، وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل ، وإن العيان له ليس بأشقى من الخبر عنه ، ولكن أعوانى من الحبش قليل فانظرنى حتى أكثر الأعوان وألين القلوب ، وسندكر فيما بعد - إن شاء الله - ما قالته أرسال النبى صلى الله عليه وسلم - إلى الملوك ، وما ردت عليها .

رسله عليه السلام إلى الملوك : فإن دحية كان رسوله إلى قيصر ، وخارجة بن حذافة كان رسوله إلى كسرى وشجاع بن وهب إلى جملة بن الايهم الغساني ، وسليط بن عمرو إلى هودبة بن على الحنفي صاحب اليمامة ، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر ابن ساوى ملك البحرين والمهاجر بن أبى أمية إلى الحارث بن عبد كلال ، وعمرو بن العاصى إلى الجندى صاحب عمان ، وحاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس صاحب مصر ، وعمرو بن أمية إلى النجاشى كما تقدم ، ولكل واحد منهم كلام قاله ، وشعر نظمته سنذكره بعد إن شاء الله

السمهدية من الرماح : فصل : وما وقع فى أشعار السيرة من ذكر السمهرية من الرماح ، فنسوبة إلى سمهر

وكان صنعا فيما زعموا يصنع الرماح ، وكانت امرأته ردينة تبيعها ، فقيل للرماح : الردينة لذلك ، وأما الماسخى من القس فممنسوبة إلى ماسخه ، واسمه نبيشة بن الحارث أحد بنى نصر بن الأزد ، وقال الجعدى :

بعيس تمطف أعناقها كما عطف الماسخى القيانا

وقد تنسب القس أيضا إلى زارة وهي امرأة ماسخه ، قال صخر النخى :

سحرة من قسى زارة حمراء هتوف عدادها غرد

من كتاب النبات للدينورى ، واليزنية ممنسوبة إلى عبيد الطعان ، وهو المعروف بيزن بن هماذى ، والمأذية ممنسوبة إلى مأذى بن يافث بن نوح ، قاله الطبرى ، وزعم أن أول من عمل السيوف جم وهو رابع ملوك الارض .

غزوة بنى لحيان

ليس فيها ما يشكل ، وفيها من شعر حسان :

لقوا سرعانا يملا السرب روعه

سرعان الناس : سباقهم ، والسرب : المال الراعى ، كأنه جمع سارب ، ويقال : هو آمن فى سربه إذا لم يذعر ، ولا خاف على ماله من الغارة ، ومن قال فى سربه بكسر السين ، فهو مثل ، لأن السرب هو القطيع من الوحش والطير ، فعنى : آمن فى سربه ، أى لم يذعر هو نفسه ولا ذعر أهله ، ولهذا المعنى أشار من قال من أهل اللغة : معنى فى سربه أى : فى نفسه لم يرد أن النفس يقال لها : سرب وإنما أراد أنه لم يذعر هو ولا من معه ، لا كالأخر الذى تقدم ذكره ، وقيل فيه آمن فى سربه بفتح السين ، فكأن الواحد آمن فى ماله ، والآخر آمن فى نفسه ، ويقال : فى سربه ، أى : فى طريقه أيضا .

وقوله :

أمام طحون كالمجرة فيلق

يعنى : ككتيبة ، جعلها كالمجرة للبعان السيوف والاسنة فيها كالنجوم حول المجرة ، لأن النجوم - وأكثر ما تكون - حولها ، وقد قيل : إن المجرة نفسها نجوم صغار متلاصقة ، فبياض المجرة من بياض تلك النجوم ، وقد روى فى حديث منقطع : إن المجرة التى فى السماء هى من لعاب حية تحت العرش ، وفى حديث معاذ بن جبل أن النبى - صلى الله عليه وسلم - حين بعثه إلى اليمن قال له : إنك ستقدم على قوم يسألونك عن المجرة ؛ فقل لهم : هى من عرق الأفعى التى تحت العرش ، لكن إستاذ هذا الحديث ضعيف عند أهل النقل لا يهرج عليه ، ذكره العقيل ، وعن على أنها شرج السماء الذى تنشق منه ، وأما قول المنجمين غير الإسلاميين فى معنى المجرة ، فذكرهم القاضى فى النقض الكبير نحواً من عشرة أقوال وأكثر ، منها ما يجوز العقل ، ومنها ما هو شبه الهذيان ، والله أعلم .

ويجوز أن يكون قوله كالمجرة ، أى أثر هذه السكتية الطحون كأثر المجرة تقشر ما مرت عليه ، وتكنسه . والفيلق : فيعل من الفلق وهى الداهية ، وكأنها تفاق القلوب ، وهى الفلقة أيضا ، قال ابن أحر :

قد طرقت بكرها أم طبق فدبروه خبراً ضخم العنق

فقيل : وما ذاك ؟ قال :

موت الإمام فلقة من الفلق

الفهارس

أولاً : فهرست كتاب السيرة النبوية لابن هشام

الموجودة فوق الجدول

الجزء الثالث

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٢	غزوة سفوان	٣	ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم
	سرية عبد الله بن جحش		معى المأقب والسيد والأسقف
٢٥	صرف القبلة إلى الكعبة		إسلام كوز بن علقمة
٢٩	غزوة بدر الكبرى		رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس
٣٠	رؤيا عائكة بنت عبد المطلب		صلاتهم إلى جهة المشرق
٣١	قريش تتجهز للخروج	٤	أسمائهم ومعتقدهم
	ما وقع بين قريش وكنانة من الحرب		ما نزل فيهم من القرآن
٣٢	خروجه صلى الله عليه وسلم	٥	ما نزل من القرآن فيما اتبعه اليهود والنصارى
	الأواء والرايتان	٦	ما نزل من القرآن في وعظ المؤمنين
	إبل المسلمين إلى بدر		ما نزل في خلق عيسى وخبر مريم وزكريا
٣٣	الطريق إلى بدر		كفالة جريج لمريم
	استشارة الأنصار	٧	رفع عيسى عليه السلام
٢٥	نجاة أبي سفيان بالعبير	٨	إبائهم الملائنة
٣٦	قريش تنزل بالعدوة والمسلمون يبدرون		أبو عبيدة يتولى أمرهم
	بناء العريش		نبد من ذكر المنافقين
٣٧	الحنظلية ونسبها	١٠	من اعتدل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
	مقتل الأسود		دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل وباء
٣٨	دعاء عتبة إلى المبارزة		المدينة إلى مبيعة
	التقاء الفريقين	١١	بدء قتال المشركين
	ضرب الرسول لابن غزية	١٧	تاريخ الهجرة
	الرسول يناشد ربه النصر	١٨	غزوة ودان وهى أولى الغزوات
٣٩	أول قتيل من المسلمين		سرية عبيدة بن الحارث
٤٠	مقتل أمية بن خلف	٢٠	سرية حمزة إلى سيف البحر
٤١	الملائكة تشهد وقعة بدر	٢١	غزوة بواط
	مقتل أبي جهل		غزوة العشيرة
٥٠	حديث عكاشة بن حصن	٢٢	سرية سعد بن أبي وقاص

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٤٩	انخزال المنافقين	٥٠	طرح المشركين في القلب
	تقاؤل الرسول عليه السلام	٥١	شعر حسان في ذلك
١٥٠	ما كان من مربع المنافق	٥٢	الفتية الذين نزل فيهم ، إن الذين توفاهم الملائكة
	الرسول يحزن من هم في الخامسة عشرة		ظالمى أنفسهم ،
	أبو دجانة وشجاعته		في بدر
١٥١	أبو عامر الفاسق		بشرى الفتح
	أبو سفيان وهند يحرضان قريشا	٥٣	الرجوع إلى المدينة
١٥٣	استشهاد مصعب		مقتل النضر وعقبة
١٥٤	حنظلة غسيل الملائكة	٥٤	بلوغ مصاب قريش إلى مكة
	شعر الأسود وأبي سفيان في قتل حنظلة	٥٦	أمر عمرو بن أبي سفيان
١٥٥	حسان والحارث يردان على أبي سفيان	٦٠	من أطلقوا بغير فداء
	الزبير يذكر سبب الهزيمة	٦١	ثمن الفداء
	حسان يذكر شجاعة صواب		إسلام عمير بن وهب وتحريض صفوان له على
١٥٦	شعر حسان في شجاعة عمرة الحارثية	٧٠	قتل الرسول
	ما أصاب الرسول يوم أحد	٧٢	المطعمون من قريش
١٥٧	من شجاعة أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام	٧٣	أسماء خيل المسلمين يوم بدر
١٦٦	مقتل أمية بن خلف		نزول سورة الأنفال تصف أحداث بدر
١٦٧	انتهاء الرسول إلى الشعب	٨٥	من حضر بدرا من المسلمين
	ابن أبي وقاص يحرض على قتل عقبة	٩٨	من استشهد من المسلمين يوم بدر
	عمر يصعد إلى قريش الجبل	١٠٢	من قتل ببدر من المشركين
	معاونة طلحة للرسول	١٠٦	أمرى قريش يوم بدر
	مقتل اليمان وابن وقش وابن حاطب	١٠٨	ما قيل من الشعر يوم بدر
١٦٨	مقتل قزمان منافقا	١٣٥	غزوة بني سليم بالكدر
	مقتل نخيريق	١٣٦	غزوة السويق
	الحارث بن سويد		غزوة ذي أمر
١٦٩	أمر أصيرم	١٣٧	غزوة الفرع من بحران
	عمرو بن الجحوح		أمر بني قينقاع
	هند وتمثيلها بحمزة	١٣٨	سرية زيد بن حارثة إلى القردة
١٧٠	أبو سفيان يشمت بالمسلمين	١٣٩	مقتل كعب بن الأشرف
	على يخرج في آثار قريش	١٤٦	أمر بحبيصة وحويصة
١٧١	شعد بن الربيع	١٤٧	غزوة أحد
	الرسول يحزن على حمزة	١٤٨	اجتماع قريش للحرب
١٧٢	دفن الشهداء		رؤيا الرسول عليه السلام ومشاورته القوم
١٧٣	المرأة الدينارية		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٦٢	هجاء حسان لعكرمة	١٧٣	غسل السيرف
٢٦٤	استشهاد سعد بن معاذ		غزوة حمراء الأسد
	حديث حسان في وقعة الخندق	١٧٥	تحيص المؤمنين يوم أحد
٢٦٥	خداع نعيم المشركين	١٨١	ذكر ما أنزل الله يوم أحد
	ما أنزل الله بالمشركون	١٨٨	صير قتلى أحد
٢٦٦	استخبار ما حل بالمشركون	١٨٩	من خرجوا مع الرسول إلى حمراء الأسد
	أبو سفيان ينادى بالرحيل		ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين
	الرجوع من الخندق	١٩٢	ذكر من قتل من المشركين يوم أحد
٢٦٧	غزوة بني قريظة	١٩٨	ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد
	جبريل يأتي بغزو بني قريظة	٢٢٤	ذكر يوم الرجيع
	على يبلغ الرسول ما سمعه من بني قريظة		مقتل خبيب وأصحابه
	جبريل في صورة دحية الكلبي	٢٢٦	ما نزل في سرية الرجيع من القرآن
	الحصار	٢٣٠	حديث بن معونة
٢٦٨	كعب بن أسد ينصح قومه	٢٤٠	أمر لإجلاء بني النضير
	قصة أبي لبابة	٢٤١	ما نزل في بني النضير من القرآن
٢٦٩	إسلام بعض بني هديل	٢٤٢	ما قيل في بني النضير من الشعر
	قصة عمر بن سعد	٢٤٦	غزوة ذات الرقاع
	تحكيم سعد في أمر بني قريظة	٢٤٨	غزوة بدر الآخرة
٢٧٠	قصة الزبير بن باطا	٢٥٨	غزوة دومة الجندل
	عطية القرظي ورفاعة بن سمؤال		غزوة الخندق
	تقسيم النقي		خروج الأحزاب
	إسلام ريحانة	٢٥٩	حفر الخندق
٢٧٢	ما نزل من القرآن في الخندق وبني قريظة		ما نزل من القرآن في حق العاملين بالخندق
٢٧٤	إكرام سعد في موته		المسلمون يرتجزون في العمل
٢٧٥	الشهداء يوم الخندق	٢٦	معجزات ظهرت في حفر الخندق
	قتلى المشركين	٢٦١	حي بن أخطب يمرض كعب بن أسد
٢٧٦	الشهداء يوم بني قريظة	٢٦٢	لم يكن معتب منافقاً
٢٨٦	ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة		محاولة الصلاح مع غطفان
٢٩٥	مقتل سلام بن أبي الحقيق		سلسان يشهر بخفر الخندق
٢٩٦	إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد	٢٦٣	على يقتل عمر بن عبد ود
٢٩٧	غزوة بني الحيان		

ثانيا : فهرست الروض الأنف للسهيلى

الذى تحت الجدول

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٤٤	ذكر لبعض الانساب	١١	ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم
٤٥	تعوير القلب		كن فيكون
٤٦	سواد بن غزوة		معنى آيات محكمات
٤٧	جهاد النبی في المعركة	١٢	احتجاج القسيسين والاحبار للتثليث
	المفاعلة ومعناها	١٣	احتجاجهم لالوهية عيسى والرد عليهم
	العصب والعصم		رب لى وضعتها أنثى
٤٨	حديث عمير بن الحمام	١٤	المباهلة
	حديث عوف بن عفراء		ابن أبى
	معنى ضحك الرب		الملك في العرب
	لغويات	١٥	مراحم أطمه
٤٩	نسب أبى داود المازنى		وعك أبى بكر وبلال وعامر بن فهيرة
	لغويات	٢٥	تاريخ الهجرة وغزوة ودان
	الغلامان اللذان قتلأ أبا جهل	٢٦	شرح قصيدة أبى بكر وابن الزبيرى وأبى جهل
	لغويات		بعض الاسماء الممنوعة من التنوين
٦١	خبر عكاشة بن محصن	٢٧	كراهية رواية أشعار الكفرة
٦٢	نداء أصحاب القلب		غزوة بواط
٦٣	شعر حسان		غزوة العشيرة
	معنى إلقائهم فى القلب ، وما فيه من الفقه	٢٨	أشقى الناس
	عود إلى شعر حسان		موادعة بنى ضمرة
٦٤	معنى قول ابن أبى بكر		سرية عبد الله بن جحش
	لغويات وأنساب	٢٩	أولاد الحضرمى
٦٥	سبب نزول أول الانفال		تحريم القتال فى الأشهر الحرم
	عقبة بن أبى معيط	٤٣	غزوة بدر
	نسب بنى أمية		التحسس والتجسس
٦٦	أبو هند الحجام		رؤيا عاتكة
	أسارى بدر		اللباط
	خبر أبى رافع		المجمره والالوة
٦٧	ضبيرة وابن الدخشم	٤٤	شعر مكرز
	مكرز وشعره		المواضع التى نزل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٦٠	شعر هند بنت عتبة	٦٧	أبو العاص بن الربيع وزينب بنت الرسول
١٦١	أبو دجاجة	٦٩	قتل بلال لامية بن خلف
١٦٢	حديث وحشي	٧٨	إسلام عمير بن وهب
١٦٣	مقتل حنظلة غسيل الملائكة		هل تمثل إبليس في غزوة بدر ؟
١٦٤	شعر أبي سفيان	٧٩	ذكر ما أنزل الله في بدر
١٦٥	الصارخ بمقتل الرسول صلى الله عليه وسلم	٨١	قتال الملائكة يوم بدر
	من روهوا النبي عليه السلام		فلا تولوم الأدبار
	أسماء أجزاء الليل	٨٢	الذين في قلوبهم مرض
	من مص دم الرسول عليه السلام		رأى أبي جهل في النبي صلى الله عليه وسلم ورجوع
١٧٦	قتل الرسول لأبي بن خلف		الاخلس بيني زهرة
	عين قتادة	٨٣	غنائم بدر
	أنساب ولغة	٨٤	خيال المسلمين ببدر
١٧٨	الرسول يسأل عن سعد بن الربيع	٩٩	من شهد بدرا
	حميد الطويل	١٠٠	قصة خوات بن جبير
	حول الصلاة على الشهداء		نسب النعمان بن عاصر
١٧٩	عبد الله بن جحش		أسماء وأنساب
	عمر وأبو سفيان	١٠١	الذين استشهدوا في بدر
١٨٠	أول وقف في الإسلام	١٢٤	من قتل من المشركين في بدر
	غزوة حراء الأسد	١٢٥	من أسلم من أمري المشركين
	قصيدة معبد الخزاعي	١٢٧	من لم يسلم من الأسارى
	أبو عزة الجمحي		وفاة رقية
١٨١	رسالة أبي سفيان	١٢٨	أشعار يوم بدر
	قول عبد الله بن أبي	١٤٢	غزوة قرقرة الكدر
١٩٢	تفسير ما نزل من القرآن في أحد		سلام بن مشكم
١٩٧	نسب عبيد بن النسيان	١٤٣	خبر بني قينقاع
	أبو حبة أو أبو حنة		سرية زيد
	عبد الله بن سلمة	١٤٤	لغويات
٢١٥	شرح ما وقع في غزوة أحد من الأشعار	١٤٥	مقتل كعب بن الأشرف
٢١٦	إقرار الجاهلية بالتقدير	١٥٨	مقتل بحينة اليهودي
٢١٧	حذف حرف الجر		غزوة أحد
٢٢١	ترك التنوين للضرورة	١٥٩	موافقة اسم جبل أحد للتوحيد
٢٢٣	مقتل خبيب وأصحابه		رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٢٥	صلاة ركعتين عند القتل	١٦٠	الصبية الذين منعوا من الخروج يوم أحد

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
	حديث اهتزاز العرش	٢٣٥	ما أنزل الله في حق خبيب وأصحابه
٢٨١	لم يكن حسان جبانا	٢٣٧	لغويات
	حديث الصورين ودحية		اشتقاق اسم خبيب وهذيل
	لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة	٢٣٨	سالت بتسهيل الحمزة
٢٨٢	قصة أبي لبابة		خبر بئر معونة
	الفرق بين لعل وعسى وليت	٢٣٩	ابن فبيرة
٢٨٣	أسماء السماء		أم البنين الأربعة
	كيسة بنت الحارث	٢٥٠	غزوة بني النضير وما نزل فيها
	رفيدة		تأويل قوله تعالى : وما قطعتم من لينة ،
	أسماء ذكرت في غزوة الخندق	٢٥١	الكاهنان
٢٨٤	المرتدة المقتولة		خروج بني النضير إلى خير
	الزبير بن باطا	٢٥٣	غزوة ذات الرقاع
	الإنبات أصل في معرفة البلوغ		صلاة الحرف
	حلة حي بن أخطب		لغويات
	سلي بنت أيوب	٢٥٦	وقعة الحرة
	سلي بنت قيس	٢٧٦	غزوة دومة الجندل
٢٨٥	تفسير بعض الآيات القرآنية		غزوة الخندق
	حديث اهتزاز العرش		عينه بن حصن
٢٩٨	أشعار يوم الخندق	٢٧٧	البرقات التي طلعت من الصخرة
٣٠١	حكم بله وما بعدها		زغابة
	قيس عيلان وقيس كبة		معنى يفتل في الذروة والغارب
٣٠٣	قطي وقد ونون الوقاية		الحنوا إلى الحنا
٣٠٤	إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد	٢٧٨	الهم بمصالحة الأحزاب وما فيها من الفقه
	الضمري مع النجاشي		سلبان منا أهل البيت
	رسله عليه السلام إلى الملوك	٢٧٩	مبارزة عمرو بن أد لعل
	السمدية من الرماح	٢٨٠	الفرعل
	غزوة بني لحيان		ابن العرقه وأم سعد

تمت الفهرست

تم بعون الله الجزء الثالث ويليهِ إنشاء الله الجزء الرابع

أودع هذا المصنّف

بدار الكتّيب والوثائق القومية تحت رقم ٤٠٢٤١ لسنة ١٩٧٢